



جامعة محمد الخامس بالرباط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز دراسات الدكتوراه
الإنسان و المجال في العالم المتوسطي
تكوين الدكتوراه

بنية البحث
قضايا وظواهر أدبية ونقدية في المغرب والأندلس

عنوان الأطروحة

الكرامة الصوفية في الصحراء المغربية خلال القرنين الهجريين 13 و 14 المختار الكنتي وماء العينين أنموذجا

أطروحة للحصول على شهادة الدكتوراه

من إعداد
فدوى اجمولة

تحت إشراف
الدكتور محمد الظريف

نونبر 2019

إهداء

إلى روح والدي،

طيب الله ثراه،

إلى أمي الغالية،

إلى أبنائي؛ حفصة، وهبة، وزكريا،

إلى إخوتي جميعا.

شكر وتقدير

أقدم بفائق الشكر، وعظيم الامتنان، إلى أستاذي الفاضل، الدكتور محمد الظريف، رائد الدراسات الصحراوية بالمغرب، مشرفا ومقترحا موضوع هذا البحث، موجها ومؤطرا، وقد أمدني بمخطوطات هامة، ساعدتني في ولوج عالم الكرامات، والوقوف بنصوصها. لذلك سعدت كثيرا بالتحصيل على يديه، أتمنى له حسن الثواب، وجميل الجزاء، ودوام الصحة، والعافية.

مقدمة عامة

تحفل الثقافة الصوفية الإسلامية بالصحراء المغربية بتراث كرامي كبير، أودعه المدونون أسفارا عديدة، تروي وقائع كرامات الشيوخ الأعلام بها، فيقف من يطلع عليها على نصوص كثيرة ثرية الدلالة، هي مرآة تاريخية لحضارة عريقة لها ملامحها الخاصة. وكانت الصحراء المغربية ومازالت أرض شيوخ علماء، تزعموا الطرق الصوفية، وحفظوا القرآن، وخبروا علوم الدين والآلة، ونظموا الشعر، فكانت لهم التأليف الغزيرة والتأثيرات الكبيرة في تربية المريدين وتعليمهم، وكان لهم إشعاع في أهلهم وقبائلهم..

وقد لمع في الفترة التي سنخصها بالقول أي خلال القرن الثالث عشر الهجري القطب المختار الكنتي، والقطب ماء العينين بأدوارهما البارزة. لذلك كان موضوع بحثنا هو كرامات هذين الشيخين من خلال أهم المصادر المخطوطة التي تيسر لنا الحصول عليها، واتخذناهما نموذجين للدراسة لأهميتهما، ولأهمية كراماتهما، وانتخبنا مادتنا من أهم المظان التي تحبل بسيل النصوص الكرامية الصحراوية.

والكرامة ظاهرة حية في المجتمع، وفي التداول اليومي، وفي الأدب، وفي الفكر الديني والنفسي والروحي الصحراوي، فهي جزء من حياته الفكرية. لذلك بدا لي هذا الموضوع مغريا، جديرا بالإقبال عليه، والاشتغال به، ودراسته، خاصة إذا تقفينا أثر رائد الدراسات الصحراوية المغربية الأستاذ الدكتور محمد الظريف الذي فتح أبواب البحث على مصراعيها أمام الباحثين للاشتغال بجل الظواهر الأدبية المنبثقة عن الحركة الأدبية الصوفية، لذلك فأنا أطمع أن أكون موفقة في المهمة التي أنيطت بي.

ويثير هذا البحث قضية تجليات الكرامة الصوفية بالصحراء المغربية، على مستوى المفاهيم، والمظان، والرجال، والنصوص والدلالة، وهل هي مماثلة لنصوص سابقة أم لها خصوصيات مميزة فارقة، وما الدلالات والأبعاد التي تحملها؟.. وتتناسل الأسئلة المتفرعة عنها كلما خضنا غمار البحث.

ونحن نفترض أن الإنسان الصحراوي الصانع لثقافته العربية الإسلامية العريقة، الإنسان الصوفي المثقل بالمتون، الناطق بالشعر، المنجذب لجلساته، العاشق للسماع، المتتبع للسرديات الشفوية، المترصد لأخبار شيوخه وآثارهم، الإنسان القوي الذي يتحمل قسوة الصحراء بكل تمظهراتها، نفترض أن كرامات شيوخه تتبثق من هذا السياق الخاص وتتسجم مع السياق التاريخي الكرامي العام، تعبر عن مرحلتها، وتخدم أهلها بحيث لا يمكن أن تتفصل عن واقعها، وعن انتظارات المجتمع الذي حصلت فيه، أو صنعها المجتمع لأجله.

وليست الكرامة خطابا ورقيا، ولكنها خطاب ثقافي صوفي له خصوصيته، وأدواره في تحريك أوضاع المجتمع، ونقل الحياة العامة والخاصة، وإنتاج نماذج نصية حية بجماليات بسيطة معروفة. وإنما نفهم أن انحياز الكرامة لمرجعيتها الصوفية الثقافية يحرضنا على اختيار منهج للتحليل والدراسة قادر على استتطاق الظواهر الأدبية والوظائف والدلالات والأبعاد أيضا، لذلك نتحرى الموضوعية والدقة، وتوظيف مفاهيم وآليات لها أهليتها النقدية والإصطلاحية التي تجعلها فاعلة في تفكيك وسبر بنيات الكرامة. وإن النزوع النقدي نحو دراسة أدبية للكرامة ينبعنا على صلاحية بعض المفاهيم والنظريات أكثر من غيرها في مقارنة هذه النصوص التي تفتتح على خارجيتها.

وقد عرف هذا المجال أي النقد الكرامي تطورا متتاليا من حيث الدراسات التي لامسته عن قرب أو بعد، فهو نقد حديث يتشكل عبر البحوث والدراسات المتواصلة، باعتماد مناهج نقدية كثيرة.

لذلك، فنحن نفعل أهم الآليات المنهجية، باعتماد مفاهيم منتقاة يتم تعديلها حسب ما يقتضيه النص المدروس، وتوظيف مفرداتها المناسبة لسياقات التحليل، ومقاماته، ومستوياته، لاستنباط الخصوصيات الإبداعية وتجلياتها الفنية، وفق تصور وظيفي يفكك المعنى ويشحنه ولا يببده ويشله.

إن هذا البحث يفتح المجال للإطلاع على النص الكرامي، وبخاصة الصحراوي منه، لذلك تعددت المناهج المتبعة فيه وأهمها المنهج التاريخي، والموضوعي، والوصفي، والتفسيري، والتأويلي، ويستثمر الدراسات السردية الوظيفية والسيمائية التي تساعد على الإمعان في دلالات النصوص، وبسط وظائفها السردية ومقاصدها الكبرى. حتى نفاك الشفرة النقدية لهذه النصوص بعيدا عن إسكاتها، وتكميم الدلالات بدعوى أنه نص كاذب.

ومن البين أن كل كرامة قابلة لأن تؤول باستخراج دلالاتها الباطنية التي قد تجد ما يسندها في المعطيات الواقعية من خلال علوم اجتماعية مختلفة؛ السيميائيات، واللسانيات، وعلم الإناسة في قراءة الكرامات، لأن الكرامات تتضمن لغة رمزية تحمل دلالات معينة، يمكن أن ننتبه على ضرورة النظر لمادتها على أساس التوفيق بين قراءة داخلية تحاور الرموز والمضمون الثقافي، وقراءة خارجية، توظف موقع الكرامة في سياقها الحديث..

وهكذا فقد لاحظت من خلال ما تيسر لي الوقوف عنده من دراسات كرامية ما يلي؛ الدراسات غير مخصصة وغير وفيه لمنهج نقدي واحد، ولكن أغلب الدراسات تجمع بين أكثر من منهج، فهي تطوع المناهج لخدمة مكونات النص. وجل الدراسات غرضها الأساس تأويل النص الكرامي.

ومن هذه الدراسات البحث الذي أنجزته الباحثة آمنة بلعلي، إذ اعتمدت في تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، على مناهج مختلفة؛ فرضتها الإشكالية والأجناس المعتمدة؛ "فرضت علي هذه التوليفة المنهجية للاختيارات الرئيسية للآليات الأساسية في النقد المعاصر¹، ولم يكن التنسيق بين هذه الخيارات؛ كالتداولية، والسيمائية، والبنوية، ونظرية التلقي سهلا.. أما سعيد الوكيل في بحثه "تحليل الخطاب السردية، معراج ابن عربي نموذجا" فقد نحا فيه منحى جديدا في المنهج في التعامل مع

¹ - بلعلي آمنة، تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2010، ص 14.

نصوص ابن عربي السردية، مستعينا بما منحه البنيوية والسيميائية من إجراءات ثرية في هذا المجال². ويذكر سعيد يقطين أن السميوطيقيين اهتموا بالمحتوى³، سميوطيقا السرد تهتم بالمدلول بالمحتوى (شميدت وغريماس)، مهمة السرديات تحليل ودراسة المحتوى (جماعة أنثروفيرون)، فالكرامة نص سيميائي بامتياز لأنها تعج بالإشارات والرموز.. ويرى صاحب "التصوف والمجتمع"⁴، أن الكرامة مناقضة للمعقول، غير قابلة للتعامل في إطار المنهج التاريخي العقلاني، وأن التعامل معها يمكن أن يتم وفق الأسس التالية، الأول أن الكرامة تشكيل للواقع تحمل رسالة إخبارية مغلفة في خرقة خيالية، بحيث يمكن تجاوز الغطاء الخيالي للنفوذ إلى الواقع. والثاني، أن الكرامة أسلوب رمزي للتعبير عن الواقع، وبالتالي فهي وسيلة للوصول إلى عقليات نماذج مجتمعية⁵. وما بين مفاهيم الكرامة ورجالاتها ودراستها سينمو هذا البحث محاوراً نصوصاً مخطوطة من التراث الصحراوي المدون، ومراجع نقدية كثيرة لنزاج ونوازي بين المفاهيم العقدية الدينية، وتراجم الأعلام، والنقدي الأدبي، حتى نغطي جوانب مترابطة تمكننا من حسن النظر إلى الكرامات الصحراوية المخطوطة.

ويقتضي البحث على مستوى التوزيع المنهجي أن نتتبع مراحل واضحة في هندسته وتصميمه. إذ يتكون من قسمين، ينشق عن كل قسم بابان، وكل باب يضم ثلاثة فصول أو أكثر، وكل فصل يتفرع إلى مباحث ثم مطالب. لذلك فقد وقفنا في القسم الأول بأهم المفاهيم المكونة للعملية الكرامية، وتجليات الكرامة الصوفية الصحراوية المغربية. الباب الأول منه يخص المفاهيم وفيه أربعة فصول؛ نتناول في الفصل الأول مفهوم الكرامة، والولاية والمعجزة..، وفي الفصل الثاني عرضنا أهم أنواع الكرامات حسب مختلف المعايير التي تحفل بها المظان التراثية، ثم انتقلنا إلى التوزيع الجغرافي الكرامي عبر التاريخ في الفصل

² - آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، ص 12.

³ - سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص 1.

⁴ - الشانلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري، مطابع سلا، 1989، ص 56.

⁵ - نفسه، ص 56.

الثالث، وفي الرابع بسطنا أهم المناطق الإسلامية العربية الكبرى التي شهدت تأصيل الكرامة ، ووقوعها وامتدادها. وخصصنا الباب الثاني من القسم الأول للكرامات الصحراوية المغربية، التي عرفت انتقالاً من مرحلة التداول الشفوي إلى التدوين على يد مدونين صحراويين ؛ تركوا مدونات تعد مصادر هامة للنصوص الكرامية الصحراوية لشيخو الصحراء . لذلك تناولنا التدوين الكرامي من حيث أهميته ، ووظائفه، ومدونوه في الفصل الأول، وبسطنا في الفصل الثاني أهم المدونات الكرامية حسب فتراتها الزمنية المتلاحقة، وفي الثالث ترجمنا أهم الشيوخ الأولياء ممن ثبتت كرامتهم، أو كراماتهم بالنص، وأهمهم القطبين المختار الكنتي والشيخ ماء العينين بن مامين.

وكان القسم الثاني عبارة عن قراءة أدبية لأهم نماذج نصوص الكرامة الصحراوية المغربية ، حللنا في الباب الأول البناء الحكائي الكرامي ، ويضم هذا الباب خمسة فصول ، في أولها نثبت استحقاق الكرامة أن تكون نوعاً أدبياً قائماً بذاته غير مهمل أو مهمش ، وفي الفصل الثاني نعرض أبرز وظائف الكرامات، ثم ننتقل في الفصل الثالث إلى دراسة الشخصيات والوقوف عند الفاعلة والعاملة منها التي تحرك تلك الوظائف، وفي الرابع نبسط أهم الفضائل التي تحتضن وقائع الكرامات في ضروب من الأزمنة عرضناها في الفصل الخامس ، ثم نشرح في تحليل ثلاثة مكونات فنية في الكرامة في الباب الثاني من القسم الثاني ، وتتوزع في ثلاثة فصول ، أولها ؛ الشعر الكرامي ، وثانيها الصورة الكرامية ، وثالثها التناص الكرامي . ونختتم هذا البحث بأهم الخلاصات والنتائج المتوصل إليها عبر مختلف المحطات السابقة الذكر.

وغنمنا أيضاً من الدراسات النقدية الحديثة من مثل المدرسة النقدية المغربية المتميزة التي يمثلها محمد مفتاح وعبد الفتاح كيليطو وسعيد يقطين، والجزائرية وتمثلها آمنة بنعلي التي أشرفت على بحوث جامعية متميزة تهتم بالنثر الصوفي عموماً والكرامة على وجه الخصوص، ثم دراسات أخرى متفرقة.

وجل الدراسات لها أثر في تشكيل النقد الكرامي العربي الحديث الذي بدأ يبرز في ساحة البحث العلمي. وألف محمد مفتاح كتاب "التلقي والتأويل" مقارنة نسقية، إذ تكلم في الفصل الثاني عن مثال الحيوان الرمز، إذ يتضمن قراءة تأويلية لكرامات أبي يعزى حيث يكشف الصراع بين السلطة والولاية يظهر بعد تفكيك رموز في النص الكرامي، يتوصل بعدها إلى أن الكرامة تعيد التوازن بعد الصراع (مدح ا ذم)، يربط بين المعاني الرمزية وسياق الكرامات. وقد اقترح منهجية تنطلق من الواقع أي المعنى الحرفي لبناء الممكن الذي نصل إليه بعد التفكيك والدراسة، ليرى أن بينهما دينامية، يعتمد في مقارنته على مفهوم "التفاعل" في النظر للصوفي أي الولي، ثم يقف عند تشعب النص، من خلال اعتماد التفاعل والانشطار، والربط بين المقدس والجنس والحياة.

ولمحمد مفتاح أيضا مقال "الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية" في كتاب "أدب المناقب والتاريخ". يقرأ فيه إحدى كرامات التشوف وقد اقترح منهجية تنطلق من الواقع أي المعنى الحرفي لبناء الممكن الذي نصل إليه بعد التفكيك والدراسة، ليرى أن بينهما دينامية. ولعبد الفتاح كيليطو كتاب: "أدب المناقب والتاريخ" و "الولي والجمال" يضم دراسة كرامة "أبو سهل القرشي" الواردة في "التشوف..". وهي لا تتعدى أربعة أسطر، دراسة الكرامة من خلال ربط أفقي بينها وبين كرامات التشوف، والربط العمودي؛ إذ تكرر النموذج السليمانى، والوقوف عند الخرق؛ وكلام الحيوان، وعلاقة الولي بالكلام، وباللغة، وبالكلمات، وبالكتب، وبالتأويل. واشتغلت آمنة بلعلي في كتابها "تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة"⁶ في الفصل الثالث، في المبحث الثاني "مظاهر بنية النوع القصصي" في مطلب "النشاط التأويلي..". على نماذج كرامية عديدة جعلت الكرامة من النوع القصصي الخارق، وتحدثت عن وقع الخرق، وعن تكون النوع، ثم عن النشاط التأويلي في الكرامة، وقاربت نماذج عديدة من الكرامة من منظور بنيوي سردي، توصلت من خلاله إلى اعتمادها على راوي متفاعل، يمجد بطلا، كما تحقق وحدة حكائية مكثفة، وهي نوع قصصي وفي أصله (الكلام المستغرب) تضم الرمز. وقد بحث في هذا المجال أيضا آخرون منهم؛

⁶ - آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص 229.

عبد الله ابراهيم في " السردية العربية بحث في البنية السردية، والموروث الحكائي العربي". ولؤي علي خليل في "عجائبية النثر الحكائي"، وأبو الفضل بدران في كتاب "أدبيات الكرامة الصوفية"، وأسماء خوالدية في كتاب "الفكه في قصص كرامات الصوفية بين التقديس والتحميق". ويوسف زيدان في "الكرامات الصوفية"، وعلي زيغور "الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم"، وغيرهم .

وقد واجهتني صعوبات كثيرة منذ ولوجي عالم هذا البحث منها تعدد الرؤى والتصورات لهذا المجال المعرفي، فهناك تيار عقدي يقصي الكرامات، وهناك تيار شعبي يروج لها ويصنعها لمآرب في نفسه، وهناك تيار نقدي يقصدها من الأدب، وآخر يسعى لتوطئتها به. فهي مثار جدال عقدي وأدبي دائم. الأمر الذي يمكنه أن يضيق آفاق النظر إلى النص ويحول بينه وبين القارئ، لأن مهمة الدارس يجب أن تكون أوسع من ذلك.

ومن الصعوبات أيضا غزارة المادة أي النصوص الكرامية الصحراوية مع فقدانها، إذ يصعب العثور على كثير من المصادر الكرامية المخطوطة لأنها فقدت، فيستعصي نيلها.

كما تتحول كثرة المدارس والاتجاهات النقدية والنظريات والمفاهيم إلى وصفات جاهزة لتجريبها، ومازال البحث عن نموذج ووعاء نقدي مناسب جاري المفعول، في حين أن النص يمكن أن يستدعي ما يناسبه للقراءة والاستنتاج، فالنص منطلق المفاهيم النقدية النظرية.

ونرجو أن يكون هذا البحث - الذي لن يخلو طبعا من نواقص وهفوات - إضافة في مجال الدراسات والأبحاث الثقافية والأدبية الصحراوية التي تقوي الصلة بينها وبين متلقيها، حيث نروم كسر الحواجز بين النص الكرامي والقارئ. وأملنا واسع في أن يجد فيه المطلع أو القارئ شيئا من الفائدة والإضافة، إذ نحاول في هذا العمل الربط بين الكرامة باعتبارها مفهوما ونصا والكرامة في مرآة الدراسة. ونحاول أيضا أن نستنهض الهمم لخوض البحث في موضوعات مجاورة لها أو قريبة منها.

القسم الأول مفاهيم وتجليات

الباب الأول
الكرامة الصوفية
؛ مفاهيمها، وأنواعها، وتاريخها، وجغرافيتها.

الفصل الأول: مفاهيم الكرامة الصوفية

تناول أهل التصوف جل مطالب هذا الفصل في مؤلفات منذ القديم، فخصصوا للمستوى المفاهيمي التأصيلي للكرامة حيزا هاما في مقدمات عدد من كتبهم، أوفي أحد أبواب هذه الكتب، كما هو الحال في "التشوف لرجال أهل التصوف.."، ومن المؤلفين من خصص لذلك الكتاب بأكمله، كما هو الحال في كتاب "الحجج البيّنات في إثبات الكرامات.."، وكتاب "ظل الغمامة.."، وقد سعوا من خلال ذلك إلى الإخبار بها، وكثيرا ما سعوا إلى إثبات حقيقتها، ومواجهة المنكرين لها، فوقفوا عند حد الكرامة في اللغة والاصطلاح، وعرضوا الأدلة النقلية من القرآن والسنة، وبسطوا المفاهيم المرتبطة بها، والتي تستدعيها التجربة الصوفية كالولاية، والولي، ومقاماته، كما قارنوا الولي بالنبى، والمعجزة بالكرامة.. ومن ناحية أخرى وقفوا عند أنواع الخوارق التي تلتقي بالكرامة من قريب أو بعيد. وتتنمي جل هذه المظان إلى التصوف بشكل عام، فهي تمزج التراجم بالأخبار، والمناقب، والسير، وعلى الرغم من ذلك يظل هذا المطلب هاما لكل دارس وباحث في موضوع الكرامة، لأنه لبنة قوية، ودعامة مفاهيمية متينة لا يمكن تجاوزها، والاكتفاء فقط بالمادة أي النص، لأن الرابط بين المفهوم والنص والدراسة متكامل وقوي، وإن تم تقليصه في هذا الحيز.

وإذا كانت كتب التصوف قد أسهبت في هذا المجال، فقد أحببت تسليط الضوء على المفاهيم نفسها في بعض المظان الصحراوية، التي اهتمت بالمفاهيم والمواضيع التي ترتبط بالكرامة لمعرفة تصورهما في هذا المجال وخصوصية تناولها لمباحثه، وهذا ما يمكن إضافته في هذا البحث، ذلك أن الصوفي الصحراوي أغنى بإسهاماته، وعمق نظره، وارتباطه بمصادر التصوف الإسلامي العربي، المشرقي، والأفريقي بمختلف مشاريعه، المكتبة الكرامية مما يؤكد أن علماء وفقهاء الصحراء رسخوا مكانهم، وأثبتوا جدارتهم في حقول صوفية عديدة من أهمها الكرامة، كما سعوا إلى الحفاظ على نصوص شيوخهم وتدوينها في عدة مؤلفات مشهورة ومغمورة مخطوطة ومطبوعة. وبالتالي فالثقافة الصحراوية رافد كرامي هام،

ومحطة رصينة، تحتاج منا الوقوف عندها، كما يبرز تناول الصحراويين للكرامة أنهم كانوا دائمي الصلة بالشرق منفتحين على المصادر الصوفية والدينية الأصلية.

أولا : مفهوم الكرامة

1- الكرامة لغة

لا تكاد تخلو أي دراسة عربية أو صحراوية تتناول موضوع الكرامة من انطلاقة لسنية تحت عنوان "الكرامة لغة" أو "الكرامة في اللغة"، وقد ارتأيت أن أتوسع في هذا البعد اللغوي بإضاءة مختلف مستوياته.. إذ يمكن النظر إلى كلمة "كرامة" من خلال المستويات اللسانية العربية، فالجذر اللغوي هو "ك، ر، م" يتكون من ثلاثة صوائت لها دلالتها الصوفية مخارجها كالأتي؛ فالكاف مخرجه أقصى اللسان صفته الهمس⁷، والراء مخرجها طرف اللسان، وصفتها الرخاوة⁸، والميم مخرجه الشفتان، وصفته الرخاوة⁹.

وبالنظر للاشتقاق ف "كرامة" مصدر فعله "كرم"، واسم فاعله مكرم بكسر الراء، واسم المفعول "مكرم" و "مكرمة" بفتح الراء، وصيغة المبالغة من اسم الفاعل "كرام" بتشديد الراء، وأما نسبة المصدر فيتم من المفرد "كرامة" فهو "كرامي" بحذف التاء، وإضافة ياء النسبة المضمومة، وألفيت أن العديد من الباحثين قد وظفوا لفظ "كراماتي" نسبة إلى الجمع. والوزن الصرفي لـ "كرامة" هو "فعالة".. وسنحتاج خلال كتابة هذا البحث لتوظيف ألفاظ أو تراكيب سليمة تسعفنا في تبليغ المراد منها؛ "النص الكرامي"، أو "نقد الكرامة"، و"المكرم"، و"المكرمة" أي الصالح أو الولي. والمعنى المعجمي الأول للكرامة هو العطاء، وقد ووردت في القرآن بهذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾¹⁰، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي

⁷ - السماتي الإشبيلي أبو الأصبع، مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ط 1، 1984، ص 81 .

⁸ - نفسه، ص 83.

⁹ - نفسه، ص 83 .

¹⁰ - سورة الإسراء، آية 70.

أَكْرَمَنَ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَمَا قَالَ رَبِّي أَهَانَنِي ﴿١١﴾ . ولم أقف فيما عدت إليه من كتب على ورود لفظ "كرامة" في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. ونلاحظ في الآيتين عدم ورود اسم "كرامة"، ولكن ورد الفعل المشتق، وتؤكد سعاد الحكيم في معجمها¹² هذا الأمر. وهذا المعنى هو الذي تناقلته مختلف المعاجم والقواميس اللغوية العربية، ففي القاموس المحيط، "كرمه" عظمه ونزهه و "الكريم" الصفوح، وله علي كرامة أي عاززة¹³، وترد في "لسان العرب.. " صيغ كثيرة مشتقة من مادة "كرم"، وكلها تجتمع في معنى العطاء والخير¹⁴. ومن المصادر الصحراوية في هذا الباب "الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة" يقول صاحبه محمد الكنتي: "اعلم أن الكرامة في اللغة ما يتحف به الكريم من نزل بساحته وحط الرحل بفنائمه من نزل خمس وجائزة سنوية، وبشاشة وجه، ولين جانب، وكمال إقبال"¹⁵، والكرامة من الإكرام¹⁶. ووضح محمد الكنتي هذا المعنى في الموضوع نفسه، إذ ميز بين العطاء المادي المرتبط بالأشياء الملموسة، والسلوكي المتمثل في البشاشة، واللين، والإقبال..

من خلال ما سبق يظهر لي أن المؤلفين الصحراويين، لم يهملوا تناول اللغوي للكلمة، وأنهم سلكوا نفس سبيل السلف من اللغويين، وأن الكرامة بمختلف صيغها تقترب بالعطاء أهم القيم الإنسانية العالمية والعربية التي تفاخر بها العرب في الحضرة والمدرة والصحراء. فالكرامة إذن عملية مركبة من ثلاثة عناصر؛ الأول هو المانح أو المعطي أو المكرم، والثاني الممنوح وهو المكرم أو الآخذ، والمعطي أي المنح الذي تم انتقاله من طرف لآخر،

11 - سورة الفجر، الآيات 15-16.

12 - الحكيم سعاد، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، ط 1، ندرة للطباعة والنشر، 1981 "مادة كرم".

13 - الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، مادة كرم.

14 - الغماري الحافظ عبد الله الصديق، الحجج البيّنات في إثبات الكرامات، حققه وقدمه الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 2013، ص 40.

15 - الكنتي محمد بلمختار، الطرائف التالدة، في كرامات الشيخين الوالد والوالدة، مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 690، ورقة 17.

16 - مصطفى إبراهيم وحسن أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دارالدعوة، تركيا ط 2، مادة "كرم".

وهنا يطرح سؤال عن طبيعة كل عنصر هل هو معنوي أو حسي؟ وعن أسباب العطاء وأغراضه؟ يبدو إذن أن صميم هذه العملية هو الحركة، حركة إنجاز تتم بين طرفين؛ ترتبط بحركة سياق أي الظروف التي أحاطت بذلك. فيمكن أن يتم هذا المعنى الأولي في عدة مجالات ومعارف وسياقات، ليتشكل مفهومه الإصطلاحي من خلال الحقول المحتضنة له، والسياقات المحيطة به.

2- الكرامة اصطلاحاً

تعد الكرامة من المفاهيم الغيبية، التي تعكس روحانيات عميقة بين العبد وربه، لذلك فأهل التصوف، هم أهم من تناول المفهوم الإصطلاحي للكرامة، فمنهم من اكتفى بالمفهوم النمطي المتواتر المسكوك "الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على أيدي أوليائه"، حيث أصبح ذلك عرفاً أو تقليداً تتناقله معظم التأليف الكرامية، فمن هؤلاء الشيخ أبو القاسم هبة الله اللاكائي¹⁷؛ والجرجاني الشريف في "التعريفات"¹⁸، وابن قسي¹⁹ في "خلع النعلين.."، ومؤلف كتاب: "الطريق إلى الطريقة.."²⁰، ومنهم من لفت الانتباه إلى طرافة الخرق في الكرامات، وجعله عنواناً لمؤلفه كما هو الحال، في "الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة لمحمد الكنتي"²¹، وهو الأمر الذي أكدته في المقدمة الكرامة فعل ناقض للعادة.. فأول جملة في الطرائف تتحدث عن الكرامات إذ يقول صاحبه: (.. حمدا لمن منح أوليائه طرائف الخوارق، وتلائدها، وأسلم إليهم مقاليد الحقائق، وطوقهم قلائدها، وألهمهم معاقيد الرقائق، وألبسهم عوائدها، وأبلاهم فوائد الدقائق فنظموا فرائدها، بعدما هذبوا النفوس،

17- اللاكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري كرامات أولياء الله عز وجل، ط 1 2016، مطبعة طوب بريس الرباط، من منشورات جامعة محمد الخامس الرباط، كلية علوم التربية، ص 12.

18- الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1983.

19- ابن قسي أحمد، خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، تحقيق محمد الأمراني، ط 1، 1997، IMBH، أسفي ص 426.

20- حسين جمال نصار وفتوح لؤي، الطريق إلى الطريقة، دليل تعريفي بالطريقة العلية القادرية الكسنزانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، 1997. ص 104.

21- الكنتي محمد بن المختار الطرائف التالدة، ص 17-18.

وخرقوا عوائدها وهدموا أسوارها..)²²، وهذا ما يؤكد ماء العينين بن العتيق، في "سحر البيان"..²³، ومن العلماء من أخرج الخرق من الكرامة، ومنهم من وسع المفهوم، وفصل بين الكرامة الخارقة وغير الخارقة. فالشيخ مربيه ربه يميز بين الكرامة وخوارق العادات الأخرى، في مقدمة "القرة".." كما وظف مصطلح "الكرامة الكاملة"، وذكر أنها هي حصول الاستقامة، وصحة الإيمان بالله، واتباع الرسول ظاهرا وباطنا²⁴، فيكون بذلك هذا المؤلف والمدون الصحراوي قد فصل بين الكرامة والخرق، ويوافق ابن عباد الذي يوضح أن "الكرامة الكاملة" هي التي تحدث لولي تتحقق له الاستقامة، والإيمان بالله، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم²⁵ .. وقد عرض الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري تعريفا مميذا هو أن (.. الكرامة هي ما يمتن الله به على أحد أوليائه من إكرام معنوي أو خرق حسي للعادة، لوجود سبب يقتضيه)²⁶، "فهذا التعريف يضم الكرامة المعنوية والحسية التي غالبا ما تكون خارقة، فهو يبسط مفهوما موسعا، ينبه فيه على كون الخرق ليس مطلبا أساسا في الكرامة. ومن المرادفات التي توافق المعنى الاصطلاحي للكرامة "الآية" و"الآيات"²⁷، والأصل أن الآية للنبي، ولكن لأن الكرامة امتداد لها، جعلوها مرادفا لها، فلم يفرقوا بينهما، ففي صحيح البخاري²⁸، يوجد باب تحت عنوان: "علامات النبوة في الإسلام" يضم دلائل النبوة، ويضم أيضا كرامات بعض الصحابة أيضا، مما يعكس أنهم جمعوا بين المعجزة والكرامة في الباب

²² - الكنتي محمد، من مقدمة الطرائف الثالثة ، ورقة 1.

²³ - ابن عتيق ماء العينين مخطوط سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان، مخطوط، من الخزنة الخاصة للدكتور محمد الطريف، ص 2.

²⁴ - مربيه ربه قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، مخطوط خزنة علي مربيه ربه بطنطان، نسخة خاصة ، ورقة 13.

²⁵ - مربيه ربه، قرة العينين ، ورقة 11.

²⁶ - العنقري عبد الله بن عبد العزيز، كرامات الأولياء دراسة عقديّة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، دار التوحيد للنشر، ط 1، 2012، ص 31.

²⁷ - الكنتي الطرائف الثالثة ، ورقة 19.

²⁸ - العنقري، كرامات الأولياء، ص 24.

نفسه. وكرست بعض التآليف الصحراوية النظرة نفسها، ومنها، "القرة.." ²⁹، إذ نجد فيها توظيف مصطلح "آيات الله". ومن المرادفات أيضا نجد "البشرى"، وقد ذكر الدكتور عبد الله العنقري أن العديد من الصحابة والتابعين أوردوا أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر البشارة بالرؤيا الصالحة ³⁰، وهي إحدى أنواع الكرامات. ومن المرادفات المرددة أيضا "الهبية"، ومن التعابير اللفظية الصحراوية المميزة كلمة "الضفطي" ³¹، وتوظف للدلالة على كرامة المكاشفة، وهي إحدى أنواع الكرامات.

إذن فالمعنى الإصطلاحي اعتنى بتحديد المكرم، المانح الذي هو الله، والمكرم الممنوح الذي هو الصالح أو الولي، باعتباره إنسانا عابدا تتحقق فيه شروط وأوصاف خاصة، تتجلى في حسن السلوك مع الله، وتجاوز خط العبادة إلى العشق الإلهي اللامحدود، الذي يسعى إلى الترقى عبر مقامات التقرب والمحبة، فتكون الكرامة ثمرة من ثمار ذلك، أو مكافأة من الله قد تظهر في ذات الولي في ثبات عقيدته، واستقامته والتزامه، وقد تتجاوزته إلى ظهور علامات من مثل تكثير الطعام أو غير ذلك، وقد تبرز في قدرته على التأثير في الأشياء، من مثل إشفاء المرضى أو غير ذلك، ويتضح المعنى الإصطلاحي أكثر عند الحديث عن الأنواع كما سنرى لاحقا، وبالتالي أرى أن الكرامة حركة تبدأ من الإنسان نحو ربه، ثم من الله نحو الإنسان، فتكون الحركة الأولى محبة، وعبادة، والحركة الثانية رضى ومنحا.. وهنا نقف عند الممنوح الكرامة التي قد تكون خارقة أو غير خارقة، وهنا يمكن أن أسجل أن الاستقامة التي تبدو للكثيرين غير خارقة، هي خرق يتجلى في القدرة على كبح جماح الشهوة، ولزوم الصلاح أو الطريقة، لذلك نتساءل عن معنى الخرق؟ والمقصود به عند من اكتفوا فقط في تعريفهم للكرامة بالخرق؟.

²⁹ - مربيه ربه، قرّة العينين ، ورقة 6.

³⁰ - العنقري، كرامات الأولياء، ص 76-77.

³¹ - المحبوب محمذن بن أحمد، أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط خلال القرنين 13 و 14هـ، قراءة مدونات القول وخوارق القول، رسالة جامعية، جامعة وهران، كلية اللغات والآداب والفنون، سنة 2002.

يظهر، إذن، من خلال ما سبق أن التأليف الكرامية الصحراوية واكبت الإمام بالاصطلاح الكرامي التأصيلي بالمشرق، وزادت عليه، وتؤكد مفهوم الكرامة أدلة عقلية كثيرة استعان بها أهل الفكر، والمنطق، والعقيدة، وأدلة نقلية كثيرة تستند على آيات القرآن، والأحاديث النبوية والأخبار، فهذه النصوص المقدسة لم تصرح بلفظ الكرامة، ولم تعرض تعريفا لها، ولكن تضمنت عديدا من الكرامات المسرودة عن صلحاء سابقين، أو صحابة أو بعضها لهذا الأمر، وقد عنيت بعرض كم هائل من تلك النصوص، وبسطتها أمام المعارضين المنكرين لها، وسنفيض الحديث بهذا الخصوص في مبحث، "تاريخ الكرامة"، فمن أهم هذه الكتب نجد "الحجج البيئات"..³² و " ظل الغمامة وطوق الإمامة.." ³³، لأبي الخصال الغافقي³⁴. ومن الأحاديث التي تناقلتها المصادر العربية والصحراوية، ومنها "قرة العينين"³⁵، و " الطرائف التالدة"³⁶، ما يلي: أخرج الطبراني في "معجمه الكبير"، وأبو نعيم في الطب النبوي، والترمذي الحكيم في النوادر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (.. اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله)³⁷، ففي الحديث معنى الكشف الذي يحدث للأولياء. والكرامة كما ذكرت آنفا تستمد مشروعيتها من المعجزة وسنقف عند هذا الأمر في معالجة استراتيجية تدوين "القرة"..³⁸

³² - الغماري الحافظ، الحجج البيئات، ص 65.

³³ - الغافقي أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، ظل الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته رضوان الله عليهم بالكرامة وأطلم بشهادته الصادقة دار المقامة من الخلفاء السابقين وسائر العشرة، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 10904.

³⁴ - كاتب وشاعر أندلسي توفي (540هـ 1146م) عاصر ابن بسام والفتح بن خاقان، المقرئ أحمد بن محمد، نفح الطيب" من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1997، ص14.

- مريبه ربه، قرة العينين ، ورقة 6.

³⁵ - الكنتي محمد بن المختار، الطرائف التالدة ، ورقة 9-10-11.

- الغماري، الحجج البيئات، ص 60.

- الكنتي محمد بن المختار، الطرائف، ورقة 9-10-11.

³⁶ - الغماري، الحجج البيئات، ص 60.

³⁷ - لغماري، الحجج البيئات، ص 63.

ثانياً: الكرامة والمعجزة

الكرامة والمعجزة من الثنائيات المسكوكة المشهورة التي درج على تناولها المؤلفون في الكرامة قديماً وحديثاً، إن على النطاق العربي أو الصحراوي، لأنها شبيهة بها. لذلك نجد أن لها أهمية في التأليف، وقد اعتنوا بالعلاقة بينهما، وغالباً ما كان ذلك في سياق الإثبات، والرد على المنكرين، ويبدو للمتأمل أن الأمر أكبر من ثنائية، إذ يتسع لنسقين؛ نسق الكرامة؛ وفيه الولي والنص الكرامى. ونسق المعجزة، ويضم النبي، أو الرسول، ونص المعجزة... وعلى الرغم من وجود تمايز، واختلاف بينهما في عدة عناصر، فيمكن رصد العلاقة الرابطة بينهما؛ وتظهر في الغالب تبعية، وانعكس النظر إلى هذه الثنائية من خلال مناهج التأليف الكرامى، فمن المؤلفين من نجده يقدم المعجزة عن الكرامة، ومنهم من يفعل العكس. والحق أن العلاقة الجلية بينهما هي التبعية، ولها عدة تجليات أهمها:

التبعية الشرعية الدينية، أو التأصيلية، فالمعجزة تعد أهم مدخل عقدي واقعي، وتاريخي يثبت إمكانية العطاء الإلهي المخصوص لعبد من عباده، له سند نصي قوي ثابت، وتستمد الكرامة مشروعيتها من المعجزة، وبخاصة معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنكار الكرامة هو إنكار للنسبة³⁸. وكرامات المسلمين أوفر تابعة لمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم. يرى النبّهاني أن النبي عليه الصلاة والسلام أتاه الله من المعجزات وحده، أكثر مما أتى جميع الأنبياء والمرسلين، وأكرم أولياء أمته بكرامات أوفر مما أكرم به جميع الأولياء السابقين³⁹.

تبعية النموذج؛ وتتجلى في تبعية الأولياء للرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره القدوة، والإنسان الكامل، والولي يتبع طريقه في السلوك والعبادات.. وتبعية تاريخية زمنية، باعتبار السبق الزمني للمعجزة على كرامة الولي، فأما كرامة الصالح فيمكن أن تكون سابقة زمنياً، لكنها تابعة نموذجياً. إذ فضل الله أمته على الأمم، فجعلها خير الأمم، وفضل رسوله على

³⁸ - الظريف محمد، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية (1800-1956)، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 2002، ص 44.

³⁹ - النبّهاني يوسف بن اسماعيل، جامع كرامات الأولياء المكتبة العصرية بيروت، 2005.

باقي الرسل والأنبياء⁴⁰، وكرامات أمته كثيرة كأنها تبع لمعجزاته الغزيرة وآياته الشهيرة. وتبعية موضوعية، فموضوع الكرامة غالبا هو موضوع المعجزات قبلها، فالشهرستاني يقول: (واعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي، فهي بعينها معجزة للنبي، إذا كان الولي في معاملاته تابعا لذلك النبي فكل ما يظهر في حقه، فهو دليل على صدق صاحب شريعته، فلا تكون الكرامات قاذحة في المعجزات بل مؤيدة لها، دالة عليها، راجعة عنها..)⁴¹. إذن فالعلاقة هي تبعية وامتداد، فهناك من عبر عنها بـ "الكرامات فروع المعجزات"، ومن عبر بـ "الكرامة مؤيدة للمعجزة" .. وأما على مستوى النصوص، كما سنرى لاحقا في التحليل، فهناك عدد من وجوه التشابه في المصدر الذي هو الله، وفي العابد المميز، الذي هو خليفة الله، المكرم الرسول أو الولي، وطبعا لا مجال لحديث عن الدرجة أو المرتبة، فمما لا يمكن مناقشته علو مكانة الرسول، وتبعية الصحابة والتابعين بعدهم له، كما أن النصوص تحفل بالذات المكرمة، والشهود والإنجاز النموذجي، أو الخارق، مع جعل الله ذلك في خدمة الرسالة، وإرساء قواعد الإيمان .. وأما الفرق بين الكرامة والمعجزة حسب الطوسي في "لمعه" أن الأنبياء مستعبدون بإظهار المعجزة، والأولياء مستعبدون بالكتمان، الأنبياء يحتجون على المشركين، والأولياء على أنفسهم حتى تطمئن قلوبهم، فكلما زادت معجزات الأنبياء كان أتم لمعانيهم، وكلما زادت كرامات الأولياء زادت مخاوفهم. ولا يشترط في الولي أن تظهر على يده الكرامات بعكس النبي الذي يشترط في نبوته ظهور المعجزات، لأن المعجزة مقترنة بالتحدي، ففي كتاب "نظرات في التصوف"⁴²، يوضح "جواد مغنية" التحدي في قول النبي مثلا لمن بعث إليهم: "إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا". واهتمت مناهج التأليف الكرامي كثيرا بهذا الربط، وأسيل كثير من المداد في تناول ذلك، سعيا وراء الإثبات والرد، ولإبراز ذلك

⁴⁰ - مربيه ربه، قرّة العينين، ورقة 2.

⁴¹ - ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ط 1، 1984م، ص 55.

⁴² - مغنية محمد جواد، معالم الفلسفة الإسلامية، نظرات في التصوف والكرامات، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط3، 1986، ص 35.

هناك من أورد مبحث المعجزة سابقا عن الكرامة، كما فعل النبهاني في كتابه "كرامات الأولياء.."، الذي جمع "مائة حديث تضم معجزات، وودلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.. وأكثرها من الصحاح"⁴³ .. فقد خصص النبهاني قسما لعرض معجزات الرسول، وبعدها قدم كرامات كل ولي حسب التتابع الزمني، فكان منطلقه التبعية الشرعية والتاريخية، وتجلى ذلك أيضا في ترتيب وتصنيف مباحث مؤلفه. وأما الشيخ مربيه ربه، فالتزم بما لم يلزمه غيره في كتابه: "قرة العينين.."، وحرص بشدة على عرض نص معجزة بعد عرض نص كرامة، وهو يعكس نظريته التأصيلية للعلاقة بينهما، إذ يقول: "الكرامات هي فروع معجزاته صلى الله عليه وسلم، كما أنهم هم بمنزلة فروعها، ولأجل ذلك سأضع، إن شاء الله، أصل كل معجزة على فروعها من كل كرامة ما استطعت"⁴⁴، فهو ينطلق من عرض كرامة الشيخ ماء العينين، وبعدها يورد نص معجزة توافق تلك الكرامة، بحيث يشتركان في السياق، والموضوع، وتستمد الكرامة شرعيتها وقوتها مما يعرض بعدها، والأمر يتطلب إماما كبيرا، وقوة إطلاع على السنة، والحديث الشريف، والسيرة، وأقوال وأخبار السلف، فهذا الالتزام فيه كلفة ومشقة على المدون، وقد أبدى ماء العينين بن عتيق إعجابه بذلك في "سحر البيان". وكان محمد الكنتي سابقا في "الطرائف..". لإثارة هذه الثنائية، لكنه أثناء عرض النصوص كان تقليديا، كما في المؤلفات المشرقية عند تمييزه بين المفهومين، وعند عرض النصوص وردت الكرامات وحدها كما وعد في عنوان مؤلفه، وبالتالي يبدو تناول صاحب "القرة" مميذا في منهجه، إذ يفتح الباب أمام الدرس الأدبي ليعقد مقارنات بين نصين أو نسقين استدعتهما ثنائية المعجزة والكرامة، من خلال ما سبق يبدو أن الصحراويين ألما بهذه الثنائية شأنهم شأن المؤصلين لها، كما يمكن تجميع أهم المعطيات في ما يلي..

⁴³ - النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص 92 .

⁴⁴ - مربيه ربه، القرة، ص 7.

الاختلاف	التشابه بين الكرامة والمعجزة
المعجزة لرسول أو نبي يمثل درجة من الكمال الإنساني والرسول يمثل الإنسان الكامل	كلاهما تتم بإرادة إلهية، فالمنح هو الله.
الصالح أو الولي صادق حسن العبادة والولي صاحب طريقة	ترتبطان بعقيدة التوحيد
المعجزة مطلوب إظهارها، والكرامة مطلوب كتمانها	حضورهما القوي كان مع الإسلام والمسلمين
المعجزات سخرت لخدمة الرسالة والعقيدة	ثابتان في أصل التشريع والمنطق الإسلامي.
الكرامة ارتبطت بالصلاح والإصلاح	كلاهما مرتبطتان بعبد مخصوص اختاره الله لإظهار هباته.
الكرامة أقل درجة من المعجزة	كلاهما لهما منكرون
المعجزات انتهى زمنها والكرامات مستمرة	تتشركان في تحققهما في الواقع قبل التدوين
الكرامات مازالت تثير الخلاف والإختلاف	جزء من التأليف التراثي العربي يحمل نصوصهما.
جمهور الكرامات يعرف المعجزات السابقة وجمهور المعجزات يعرف كرامات سبقتة أو عاصرته.	كل نصوصهما قابلة للدراسة والتأويل

ويمكن القول إن النسقين مختلفان في كثير من المعطيات.

نسق الكرامة	نسق المعجزة
زمن قديم ومستمر - صالح أو ولي - مدونات القوم - جمهور كرامات السالفين واسع - جمهور كرامات اللاحقين محدود بالزمن أو المكان أو الطريقة... وظائف أقل درجة، مؤقتة...	زمن قديم - رسول - كتاب مقدس - أحاديث الرسول - أقوال الصحابة... جمهور غير محدود للعالمين؛ ومنهم مؤيد أو منكر، وظائف متعددة مستمرة وأزلية...
الانبهار - التقديس - التبعية.	

أهل الفكر والعقيدة أكثر من آثار هذه الثنائية، التي تحتاج إلى مقاربات أدبية نقدية على مستوى تحليل الخطاب والنص..

ثالثا: الصالح والولي

عنيت التأليف الصوفية بالولاية بشكل لافت للنظر، وحققت تراكما لافتا قرونا طويلة، ولكنها كررت الإشكالات والجوانب المطروحة نفسها، من عرض الفهم اللغوي⁴⁵ والاصطلاحي والتأصيل للمفهوم في النصوص الشرعية، كما انهمكت التأليف في بسط شروط الولاية، ومراتب ترقى الولي في المقامات، وأوصاف الولي، وعلاقته بالتصوف والطرق، وإذاية الولي⁴⁶، وعلاقته بالمريدين، والفرق بين الولي والنبوي⁴⁷، وكثير من الجوانب الأخرى، كما عنيت تأليف أخرى بالترجمة لأولياء أهمها "حلية الأولياء.." و"التشوف.." و"المعزى..."، وفق تصنيف معين للترجمة، أهمها الترجمة لشيخ حسب الفترة التاريخية، أو حسب انتمائه المكاني الواسع أو الضيق، أو حسب الطريقة، وبالتالي يعرف هذا الموضوع تراكما كبيرا في التأليف الصوفي، والتاريخي. ولكن هذا الركن الكرامي أي المكرم يتسع لمفهومين هما الصلاح والولاية، أو الصالح والولي، وصف المكرم أي من وقعت له كرامات بالصالح، وأيضا بالولي، فما الفرق؟ وهل الولي في القرآن مقصود به المكرم سابقا أو لاحقا أو هما معا؟ أم أن الصلاح سابق عن الولاية، لأن الكرامة سابقة على التصوف؟..

المكرّم طرف نووي هام في تركيبية الكرامة الإنجازية، إذ هو المستقبل للكرامة، أو المنفذ لها، وهو طرف هام في تركيبيتها الموضوعية النصية، والمفاهيمية، وهكذا فقد دأب التأليف الصوفي عموما، والكرامي أيضا على توظيف مصطلحي الولي و"الصالح"، فكلاهما مكرم ظهرت له أو على يديه كرامة، من الله تعالى، في أمم سابقة أو بعدها، كما هو الحال مع السيدة مريم، وهنا يظهر البعد الإنساني واسعا في الكرامة؛ فهو شمل صلحاء نساء ورجالا من أديان سماوية أخرى كالمسيحية، تؤمن بالله وتوحده، ليبدو أن الكرامة عكست الرباط

⁴⁵ - ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 15.

⁴⁶ - الأصفهاني أبو النعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ج 1، ص 4-5.

⁴⁷ - شويكفيتش علي، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، ترجمه أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء، ط 1999، ص 20.

القوي بين عباد مخصوصين وبين الله تعالى، وبعد ذلك تأصلت مع الإسلام، وامتدت مع الحركات الصوفية في مختلف البلاد الإسلامية فبرز "مفهوم الولاية" الذي أصبح عمود التصوف، إذ الولاية هي أصل التصوف ومنبعه، ولا يوجد تصوف دون ولي..⁴⁸. وقد ثبت في القرآن والحديث، ذكرهما، فالولي ذكر في أزيد من عشر آيات⁴⁹، بالمعنى اللسني الذي يفيد القرب، فولى بفتح الواو وتسكين اللام: دنا منه وقرب. ومختلف شروحات الكلمة تفيد القرب صراحة أو تحمل معنى القرب، ومنها "النصير"⁵⁰ والناصر، الذي هو الله، المتولي لأمر العالم والخلائق⁵¹، وهذا ما أكده وبينه صاحب "القرة"..⁵². فالولي بمعنى المفعول يكون بمعنى متولى، والمعنى أن الشخص تولاه الله، وقام بمصالحه، فلم يكله إلى نفسه، ويكون بمعنى الفاعل فيكون بمعنى متول، والمعنى أن هذا الشخص تولى الله، فكانت همته إليه، واشتغل قلبه في شهوده، وكان الله له في مصالحه⁵³. وينسجم المعنى اللسني والاصطلاحي، فالنواة الدلالية للولاية، والولي هي "القرب" سواء عبر عنها صراحة أو من

⁴⁸ - الولاية والنبوة، ص20.

⁴⁹ - سورة الواقعة الآيات 10 - 11 {السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}.

سورة يونس الآيات 62-63، {إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

سورة البقرة الآية 38، {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى مِّنْ تَبَعِ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.

سورة النساء الآية 76 . { الَّذِينَ آمَنُوا يُقُولُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ قَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}.

سورة آل عمران الآية 68، {لَنْ أُولِيَّ الْمَلِكِ بِإِبْرَاهِيمَ لَإِنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}.

وسورة الجاثية الآية 19. {لَهُمْ لَنْ يُعْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ}.

سورة الشورى الآية 9، {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ}.

سورة الشورى الآية 28، { وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }.

سورة البقرة الآية 257، {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}.

سورة آل عمران الآية 68 { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ }.

سورة الأنفال الآية 72، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}.

⁵⁰ - ابن منظور، لسان العرب، ج 15 مادة "و"، "ي".

⁵¹ - نفسه.

⁵² - مربيه ربه، قرّة العينين، ورقة 13.

⁵³ - بالكني بن مايبا، مجمع البحرين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين، مخطوط بمكتبة ماء العينين النعمة علي

بتزيت ورقة 5-6.

خلال شروحات قريبة لانتفك تبتعد عن المعنى النووي، وهي المحب، والصديق، والتابع. والمعنى الاصطلاحي الصوفي للولي، عين نوع القريب وهو من توالى طاعته، وهو عاشق محب، تواق للقرب عن طريق العمل، يقول صاحب "القرة..": .. وكثيرا ما أسمع شيخنا ويقصد به - ماء العينين بن فاضل - الولي عالم عمل بعمله على سبيل الإخلاص⁵⁴. والمقرب منه هو الله، والقرب والتمكين من مقامات التصوف يسعى لها الولي بالفناء عن نفسه⁵⁵، والله يحفظه من العصيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغ الكمال في مبلغ الرجال⁵⁶، لذلك فالولي مصدر خير مستمر لذاته وللناس، كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح⁵⁷. وقد تعمق ابن عربي في تحديد مفهوم الولاية، إذ نسبها لعلم الأسرار، وعلوم اليقين.. وبين منازل الأولياء الحسية التي تزيد عن مائة منزل، والمعنوية، وتزيد عن أربعين ومائتي ألف منزل،.. وهي منحصرة في أربعة مقامات من العلم، العلم اللدني،.. وعلم النور، وعلم الجمع والتفرقة، وعلم الكتابة الإلهية⁵⁸،.. ومن المتصوفة من وظف مصطلحا بديلا، للتعبير عن الولي، فابن عربي استعمل مصطلحي "وارث"، و "حارث"، يقول: "ولست بنبي رسول ولكنني وارث ولآخرتي حارث"⁵⁹. ويعبر عنهم أبو الحسن الشاذلي بالأصفياء⁶⁰، علامات الولي ثلاثة؛ أن يكون همه الله - وفراره إلى الله - وشغله بالله.. وتتغير المصطلحات الدالة عليه بتدرجه في المقامات، وغوصه في المعارف الإلهية، فمن أهم المفاهيم التي لها صلة قوية بالولي نذكر "القطب أو الغوث"، و "المختار والعميد"،

54 - قرّة العينين، ورقة 11.

55 - بن قسي، خلع النعلين، ص 429.

56 - نفسه، ص 429.

57 - نفسه.

58 - شوكيفيتش، الولاية والنبوة، ص 78-79.

59 - ابن عربي محيي الدين، فصوص الحكم والتعليق عليه، تحقيق نواف الجراح، ط1، دار صادر، بيروت 2005، ص 1-12.

60 - الكنتي محمد بن المختار الطرائف الثالثة، ورقة 4.

و"العرفاء والأخيار"، و"النقباء" و "الأوتاد والبداء" و"النجباء"⁶¹، فكلها دالة على الولي، ومتفرقة في الخصوصية الدالة عليها. ولا يذكر لفظ الولي عاريا عن التوصيف، في المؤلفات والمدونات الصحراوية خاصة، نجده مقرونا بأوصاف كثيرة وبنعوت كثيرة منها "الشيخ العامل"، والولي الصالح"، و "القطب العالي"، و "الكوكب الوقاد"، و"القرّة"، و"المجمع"، و "العابد العامل"، و "العالم"، و "العلامة"، و "الشيخ". .وغالبا ما يسبق هذا "سيدي" ويتقدمه دعاء أو يتأخره، حتى صارت هذه عادات تأليفية بين الصوفية الصحراويين ومن سبقهم من أهل التصوف والعلم، فوقف محمد المختار الكنتي عند بعضها في خاتمة كتابه⁶²، وللولاية والولي نصيب وافر في التآليف الكرامية الصحراوية، فصاحب "الطرائف الثالثة" خصص فصلا⁶³ للحديث عن حد الولي، ووصف الأولياء. وتناول محمد بن المختار الكنتي، في "جنة المرید.." الولاية بطريقة خاصة، إذ تناول جوانب عديدة هامة، من أبرزها "حقيقة الولاية لله تعالى.." ⁶⁴، وذكر المفاضلة بين العلماء وبين الأولياء العارفين⁶⁵، ووقف في خاتمة كتابه عند نعوت شيوخ التصوف المتداولة في زمنه⁶⁶. ومن أهم الكتب أيضا "الجرعة الصافية، والنفحة الكافية"⁶⁷ للشيخ محمد بن المختار الكنتي، وقد أثار فيه عدة قضايا تتصل بالولاية في عدة فصول منها؛ فصل "المشايع المنتصبين للتربية والإفادة"، وفصل آخر في "مقامات العبد في العبادة، ومراتب الاستقامة.." ويتضمن قسطا من كرامات السابقين، وسماهم "أولياء الأمة"، ذكرها بعد قصص الأنبياء، فهو يقول في مقدمته: " .. لأن

⁶¹ - محمذن بن أحمد، أدب المناقب والكرامات، ص 177-178.

⁶² - الكنتي محمد بن المختار، جنة المرید دون المرید، تحقيق محمد المهداوي، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الإمام الجنيد ط1، 2012، ص254 .

⁶³ - الطرائف الثالثة، ورقة، ص 40-41.

⁶⁴ - جنة المرید، ص292،

⁶⁵ - نفسه، ص 115-320.

⁶⁶ - نفسه، ص 254.

⁶⁷ - الكنتي محمد المختار، الجرعة الصافية والنفحة الكافية، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 360 د، 2578 ك.

مبانيه على متن الكتاب والسنة، وقصص الأنبياء، وأولياء الأمة..⁶⁸، وكتاب "الإرشاد في الهداية إلى السداد"⁶⁹، .. الذي اهتم بالولاية والأولياء، من خلال القضايا التي عالجها، ومن بينها "نعت أولياء الله، والتحذير من معاداتهم"، و "اغتياب المسلمين"، وعرض نماذج من الكرامات المأثورة عن سيدي زين العابدين، وآل البيت⁷⁰. وتحدث محمد المختار الكنتي، في كتابه: "أوثق عرى الإعتصام للأمرء والوزراء والحكام"⁷¹، في القسم الثالث من كتابه هذا، عن "الولاية الكبرى"، ووضح حقيقتها، إذ هي ولاية الدين والدنيا⁷²، يختص بها شخص واحد، وبين شروطها، ومهامها، ومسئولياتها، التي منها؛ سياسة الرعية بالعدل، والاضطلاع بمهمة الجهاد، وهنا يبدو البعد السياسي حاضرا بقوة في مفهوم "الولاية الكبرى".

ومن أهم الكتب الصحراوية التي تؤكد الولاية وتواجه المنكرين "جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار"⁷³ للشيخ المختار الكنتي، إذ جعل من تأليفه وسيلة لرفض ودحض ومواجهة المنكرين للولاية، ويخص بذلك المنكر المعارض "ابن بونا الجكني"⁷⁴. ففي هذا الكتاب تأصيل للولاية، إذ يقول: .. هذا وإنه عن لي أن أذب عن حرمان أولياء الله الصالحين، بما أمني من نصوص كتاب الله، ونصوص سنة خير خلقه⁷⁵، وإظهار حقيقة الولاية وشروطها، والتحذير من إنكارها، كما حرص على إظهار الاختلاف بين العارفين

68- الجرعة الصافية، المقدمة.

69- الكنتي المختار، الإرشاد في الهداية إلى السداد وحسن الإعتقاد أو المنة في إعتقاد أهل السنة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 953 ك.

70- الكنتي المختار الإرشاد في الهداية إلى السداد..، ورقة 152-606.

71- الكنتي محمد بن المختار، أوثق عرى الإعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 1855 د.

72- أوثق عرى الإعتصام، ورقة 136.

73- الكنتي المختار، جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 2579 ك.

74- ترجم له الشنقيطي أحمد بن الأمين، في الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة ط 4، 1989، والبرتلي محمد الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 141.

75- جذوة الأنوار ..، من المقدمة.

بالله، والعلماء بالشرع. ولا يمكن استثناء النساء الوليات الصالحات، من الأدوار التي قمن بها، في حركة التصوف الصحراوي، فحضورهن قوي، في أوساط الزوايا، وقربهن من الشيخ ترك أثرا كبيرا، في بناء الشخصية الصوفية النسائية، غير أن إثبات هذا الكلام، يتطلب مجهودات جبارة تكتشف هؤلاء النساء، وتخصص لهن كتابات تليق بهن، لأنهن حاضرات بقوة في ثنايا تراجم الرجال، أو من خلال فصول مخصصة لهن قد يفي الكاتب بها أو لا، كما هو الحال في "الطرائف.." الذي احتفى فيه المؤلف بوالدته بالعنوان، وعدنا بتخصيص الفصل الأخير عن كراماتها، لكنه لم يحقق وعده، واكتفى بالترجمة لها في مواضع من كتابه ونجد أهم الوليات الصالحات ارتبطن بصلة قرابة بالشيخ، فهن أمهات، أو أخوات، أو زوجات، أو بنات الشيخ. تتوطد علاقتهن به باتباع الطريقة، وتذوق التصوف، والإقبال على المعارف والأسرار والعلوم. فالكرامة، إذن تأتي بعد الولاية والصالح، فلا كرامة بدون ولاية أو صلاح، لكن عدم ظهورها لا ينفى الولاية، إذ الكرامة ليست شرطا في الولاية، وهذا رأي القشيري، وأيضا مربيه ربه في "القرة.." ⁷⁶. لذلك تبدو الولاية أكبر من الكرامة، فهي حاضنة لها، وهذا هو السبب الذي يجعل العديد من التأليف تهتم بالولي، وتترجمه، وتعرض المناقب والكرامات في سياق الترجمة، بغرض إبراز شأنه وقيمه، بل منهم من جعل الكرامة لصغار الأولياء، فهذا مربيه ربه يقول: "واعلم أن مثل شيخنا رضي الله عنه، لا يحتاج إلى كرامة، والكرامة إنما تكون لصغار الأولياء، تأنيسا لهم ودلالة من الله ⁷⁷". يظهر من خلال ما سبق أن الولاية محرك للتصوف، ومن خلاله هي محرك لمباحث من أهمها الكرامة والمنقبة، وبالتالي التأليف في الولاية والترجمة للأولياء، يستدعي تدوين الكرامات، وجمعها تحت مسمى الولي غالبا، ومثال ذلك "قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين.."، أو ولي وولية كما في "الطرائف.." وهذا لا ينفى ذكر كرامات موازية لأولياء آخرين. وهكذا يتبين عبر التاريخ، أن الصحراء المغربية، دار ولاية وأولياء، لها خصوصيتها، ويظهر هذا من خلال

⁷⁶ - مربيه ربه ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، ص 12.

⁷⁷ - مربيه ربه ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، ورقة 14.

عدة ملامح، أهمها: كثرة أسماء الأولياء، والاهتمام بالترجمة لهم، وتحديد شجرة أنسابهم، وتأطير القبيلة (أولياء تشمشة) أو تأطير المكان (أولياء كنتة)، أو الطريقة (أولياء القادرية)، وقوة اللقب الذي يحقق شهرة الولي مثل بوحامية، وابن الوقت.. إلخ. لقد اهتم الصحراويون بمفهوم الولاية، وفيه اتباع طريقة المشاركة، وامتداد معرفي، وإضافة مفاهيم لها صلة بالخصوصية التاريخية والسياسية، كمفهوم "الولاية الكبرى"، ووصف الأولياء الأولين بـ "أولياء الأمة" وفيه إشارة إلى الروح العربية الإسلامية التي تحرك العربي الصحراوي. وللولي الصحراوي وظائف عديدة قوية، يؤديها تحت مفهوم آخر هو "الشيخ" و "المشيخة".

رابعاً: الإنكار

1- إنكار الكرامة

من يشكك في الإسلام، يشكك في كتبه ورسله، وأيضا في أوليائه وكراماته، وهنا تصبح الكرامة مثار خلاف بين شعوب وأديان. وقد يعود السبب إلى السلطة الجغرافية للقبيلة، وقد يكون الصراع بين قبائل، كما هو الحال بين قبائل "تشمشة" و "الزوايا" في الصحراء المغربية، إذ تعرض كرامات عديدة حروب وصراعات، من أوجهها إنكار كل قبيلة لكرامات الأولياء المنتسبين للقبيلة المضادة لها. وقد يكون المنكر جهة لها سياسة معادية للسلطة المركزية، والمقصود هنا "الإستعمار"، وهنا يكون الولي شيخا له مهام وطنية، فيكون مع سلطة مركزية تدافع عنه، وتدافع عن ولايته وكراماته، وسلطة عدائية أجنبية لها من يساندها من الداخل، وتهاجم ولاية الشيخ وكراماته، وغير ذلك. إن الإنكار توجه فكري يعود في أصله إلى عدد من العلوم البحتة والمنطق أيضا تؤمن بالقياسات العقلية، والإدراكات الحسية، وبالتالي تشكك في وجود الكرامة وبخاصة ما يرتبط بقدرة الولي الخارقة، وتأثيره في الأشياء، فتصبح الكرامة والولاية أيضا مثار شك لديهم.

التوجه الفلسفي في الإنكار: التوجهات الفلسفية المنكرة عديدة لا تجد في الكرامة ما يوافق مبادئها، وطرق تفكيرها، والإبيستيمولوجيا أيضا.. وفي تتبعها لتاريخ العلوم وتطورها،

وحرصها على تتبع الإنجازات البشرية المعتمدة على الجهد والعمل، تجد الفلسفة في الكرامة منافيا، مستفزا لمفاهيمها.

التوجه السلفي في الإنكار: صنف الباحثون السلفية إلى أنواع منها التي تدافع عما يوافق الكتاب والسنة، وترفض كل ما يخالفه، وبالتالي هي ضد مظاهر الابتداع من توسل، وتوسط، وتشفع بالأولياء، وانتحال الكرامات، وادعاء المعرفة الكشفية، وتقديس الأضرحة، والمزارات، وتوسط الأولياء، وضد ادعاء مقام الولاية⁷⁸، ولبس المرقعة، والمشي بالحفا، واتخاذ السبحة، وحملها على الأعناق، واتخاذ العصا.. وهذه مظاهر أكد الناصري في "الاستقصا.." حدوثها بالمغرب في القرن السادس عشر الميلادي، ومن الذين آمنوا بالألا تعارض بين التصوف و"السلفية" محمد بن ناصر الدرعي (1602م-1674م) دفين تامكروت بدرعة، والشيخ ماء العينين الذي كان معتدلا، متجنبا للبدع، ناهيا عنها أهل الطريقة.

الإنكار من الطرق الصوفية، هناك طرق صوفية تحارب بعضها البعض، وتتنكر لها، إذ انتصر محمد فال بن بابا العلوي (1849م-1930م) مثلا في مؤلفاته للتيجانية على نحو كتاب "مسرة الإخوان في الإنتصار للتيجانية"، و "مكتوب الانتصار للتيجانية"، ومن المؤلفات المضادة للتيجانية نذكر أيضا: "مشتهى الخارق الجاني.." لمحمد الخضر بن مايابي الجكني، وهو مصدر في إنكار نسبة الكرامات للشيخ سيدي أحمد التيجاني من خوارق وكرامات. واهتم الشناقطة بموضوع الرد على تهمة الخصوم، على نحو ما صنعه محمد بن محمد الصغير بن امبوجة التشيتي الشنقيطي (ق13هـ) في مؤلفاته: منظومته "السرية في الانتصار للتيجانية"، و "الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل عن الشيخ التيجاني سيف الإنكار"، وما صنعه محمد بن عبد السلام كنون (1326هـ، 1908م) في ثلاثة مصادر⁷⁹ للدفاع عن التيجانية وشيخها الشيخ التيجاني وهي: النطق المفهوم في حل مشكلات الدر

⁷⁸ - نعائم محمد، السلفية والتصوف الطريقي في المغرب في منتصف ق 19 إلى ق 20، رسالة دكتوراه، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة 2012، ص 14.

⁷⁹ - نعائم محمد، السلفية والتصوف ، ص 14.

المنظوم، ورفع العتاب عن ترك الزيارة من الأصحاب، والنطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم في نصرة القطب المكتوم "حيث اعتبر التيجانية ناسخة لما قبلها"، و "النطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم" و "رفع العتاب عن ترك الزيارة من الأصحاب" .. وميز بين زيارة التبرك بشروطها السنوية، وزيارة الانتفاع الذي يختص بها الشيخ المكتوم المختوم وحده. ممن دافعوا عن الطريقة؛ أحمد سكيرج في كتابه: "احجارة المقتية لكسر مرآة المساوىء الوقتية" ومحمد الشرقي الشرقاوي في كتابه: "غاية الانتصار نهاية الانكسار" والمفضل الحريزي الناصري ومحمد النجار الكتاني. وكل ذلك عبر عن منكر جماعي أو فردي، الذي يمكن أن يكون شيئا أو وليا أو مريدا..

والمنكر، هو موضوع الإنكار، المرفوض المشكك فيه، وهنا يمكن التمييز بين إنكار عام أي إنكار نسق برمته، وهو نسق التصوف بجل مباحثه ومكوناته، وإنكار خاص، أي إنكار جزء من النسق، وهنا يتعدد المنكر إلى؛ إنكار طريقة، وإنكار ولاية، وإنكار كرامة، ومن الأمور التي وجب الانتباه عليها، هو التمييز بين الحقيقة والزيف، فهناك من لم ينكر الولاية في حقيقتها، ولكن أنكر ادعاء الولاية، وانتحال الكرامة..

وهناك من دافع عن الطرق الصوفية منهم؛ أحمد سكيرج في كتابه، "الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوىء الوقتية" ومحمد الشرقي الشرقاوي، في كتابه "غاية الانتصار نهاية الانكسار"، ومن هؤلاء أيضا؛ المفضل الحريزي الناصري، ومحمد النجار الكتاني، وغيرهم... وكانت الطريقة التيجانية بالمغرب والجنوب مثار صراع بين عدة خصوم منهم المناهضون المنكرون، ومن أبرزهم "محمد الخضر بن مايابى الجكني" الذي ألف كتابا ينكر فيه ولاية التيجاني، وينكر كراماته، وهو كتاب: "جذوة الأنوار في الذب عن مناصب الأخيار" .. ومنهم المناصرون الشناقطة، الذين ردوا على تهم الخصوم، محمد بن محمد الصغير بن امبوجة التشيبي الشنقيطي (ق13هـ)، في مؤلفات عدة منها؛ "المنظومة السرية في الانتصار للتيجانيين"، و"الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التيجاني سيف الإنكار"،

و"الانتصار للخليل ومقلديه"، ولمحمد فال بن بابا العلوي مؤلفات في الانتصار للتيجانية أيضا منها؛ "مسرة الاخوان في الانتصار للتيجانية" و "مكتوب الانتصار للتيجانية" ..

ولمحمد يحيى بن سليمة الداودي اليونسي ما يربو على مائة وستين كتابا منها "أحاديث في الرد على المتصوفة"، و "اختصار جواهر المعاني لعلي حرازم برادة"، و "رسالة في شروط التيجانية ومنظومة التيجانية"، ولمحمد يحيى الولاتي "محزن الشيطان في الرد على مسرة الاخوان" .. ونذكر من العلماء المناصرين للتيجانية أيضا محمد بن عبد السلام كنون، (1326هـ، 1908م) الذي ألف ثلاثة مصادر⁸⁰ عن التيجانية وشيخها الشيخ التيجاني، في الدفاع عن التيجانية هي: النطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم، ورفع العتاب عن ترك الزيارة من الأصحاب، والنطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم في نصره القطب المكتوم" .. حيث اعتبر التيجانية ناسخة لما قبلها، و"النطق المفهوم في حل مشكلات الدر المنظوم"، و "رفع العتاب عن ترك الزيارة من الأصحاب" وميز بين زيارة التبرك بشروطها السنية، وزيارة الانتفاع الذي يختص بها الشيخ المكتوم المختوم وحده.

2- إنكار الولاية

من الشخصيات التي دافعت عن الولاية بقوة، "الحلاج" الذي قتل في 309هـ، واختلفوا كثيرا حول شخصيته، وأنكر العديدون ولايته، واعتبروه مشعوذا، ساحرا محتالا، أمره بدعة وضلالة، ومن الذين عارضوه ابن النديم، وابن الجوزي، وابن كثير، وقد افتي الفقهاء بقتله قال أبو بكر شلبي: جناية الحلاج أنه لم يكتف شطحاته⁸¹، للحلاج اتباع من الصوفية دافعوا عنه، وجعلوا منه الشهيد الذي لقي حتفه، وحتى بعد وفاته، اعتبروه قاضي نهر دجلة بعد أن صلب وأحرق، ورمي رماده فيه، إذ اعتبرت هاته من كراماته بعد موته. ومن الذين هوجموا وأنكرت ولايتهم نذكر أيضا؛ ابن عربي الذي له تصورات ومفاهيم نابغة من تجربته الذوقية في عشق الله، فيتحدث عن "الولاية الكبرى"، ونموذج الأولياء"، و "معراج الولاية"، وغيرها في

⁸⁰ - نعيم محمد، السلفية والتصوف ، ص 14.

⁸¹ - تركي ابراهيم محمد، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، 2007، ص

مؤلفاته؛ من "فصوص الحكم" و.. من معارضية الذين ينكرون ولايته، ابن تيمية، الذي يرى أن ما يعبر عنه ابن عربي هو روح شيطانية. وينكر المراكشي في "المعجب..". ينكر الولاية عن ابن قسي⁸²، "صاحب خلع النعلين.."، وشيخ ثورة المريدين.

هناك من يعي ويعترف بحقيقة الولاية، ويتصدى للدعاء، أي إدعاء الولاية، وهذه من الظواهر التي عرفتة عدة مجتمعات، لأغراض منفعية يبغى تحقيقها المدعويين، وقد أكد عدة مؤرخين هذا الأمر، منهم الناصري في كتابه "الاستقصا..". الذي تحدث عن هذا في المجتمع المغربي في القرن السادس عشر ميلادي.. الفكر السلفي لمختلف مظاهر ادعاء الولاية وبينوا شروطا للفصل بين الأولياء الصادقين والمميزين منها، الاستقامة. ومن أهم الكتب الصحراوية التي تؤكد الولاية وتواجه المنكرين كتاب "جذوة الأنوار في الذب على مناصب أولياء الله الأخيار"، إذ يقول في مقدمته.. "هذا وإنه عن لي أن أذب عن حرمان أولياء الله الصالحين، بما أملي من نصوص كتاب الله ونصوص سنة خير خلق الله.."⁸³ وغايته من التأليف دحض أقوال ابن بونا الرافضة المكفرة للأولياء والولاية، وقد دافع الكنتي من خلال توضيح حقيقة الولي وشروطه والتحذير من الإنكار وبين الفرق بين العلماء بالله والعلماء بشرع الله⁸⁴.

⁸² - خلع النعلين ، ص 25.

⁸³ - الكنتي محمد ، جذوة الأنوار، ورقة 3.

⁸⁴ - جنة المرید، ص 39.

الفصل الثاني : أنواع الكرامات

وقفت، في قراءاتي المتكررة لكرامات الصحابة والتابعين، على موضوعات كثيرة غير مذكورة لدى كثير من الباحثين الذين اهتموا بتصنيف أنواع الكرامات، وهي واردة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين.. وتتبعها من خلال كتاب "الحجج البيئات في إثبات الكرامات". وأذكر من أهمها؛ معرفة الرفيق في الجنة، ومعرفة وقت الوفاة، وحديث الجثة بعد الموت، وسماع القرآن في قبر الولي، ورؤية الضوء في القبر، ورؤية الملائكة أثناء قراءة القرآن الكريم، والتبشير بالجنة، والكلام مع الطير ومع الفرس، وعدم إذابة الأسود للولي، ورعي الذئب مع الشياه دون إذابتها، والاستظلال بالغمام، ومد الغمام للصالح بالماء للوضوء.. ويمكنني أن أذكر مسبقا أن موضوعات الكرامات لا يمكن حصرها، كما لا يمكن حصر عدد الأولياء، من منطلق أن موضوعات الكرامة غير مختصة بأولياء بعينهم، ولا نجد لولي كرامة وحيدة، ولكن تكثر الكرامات عند نوع من الأولياء، وتقل عند آخرين.. كما نجد موضوعات متكررة عند وليات صالحات، ولا نجد كثيرا من الأنواع عندهن، نتساءل لماذا تنحصر كرامات النساء في أنواع محدودة فقط. والكرامات كثيرة وغير مدونة، ولا يمكن أن يتم ذلك. كما أن الكرامات تختلف درجات خرقها، وتكرارها، وشهرتها.

إن الحديث عن أنواع الكرامة هو أمر تقليدي دارج في جل كتب تراجم الأولياء والمناقب، يهتم بلم المتشابه حسب معيار تصنيف نابع من تجربة أو رؤية المصنف، فهل اختلفت موضوعات الكرامات حسب الفترات التاريخية؟ إن الأنواع الواردة والمتكررة في عديد من الكرامات التي وردت لدى الصحابة والتابعين، قلت بعدهم ككرامات الصحابة الشهداء أثناء الموت وبعده، وما يتعلق بقبرهم، وصون أجسادهم، ورؤيتهم في المنام.. وقد خصص صاحب "الحجج البيئات" أربعة فصول لذلك⁸⁵. وقد ظهرت كرامات أخرى، فيما بعد، لم تكن لدى السلف من أهمها معراج الأولياء والمكاشفة.. وسيتضح هذا عند وقوفنا على كرامات السلف في المقاربة التاريخية. وقد وردت عدة تصانيف للكرامة في التأليف الكرامية بمختلف

⁸⁵ - الغماري الصديق، الحجج البيئات في إثبات الكرامات، من ص 65 إلى ص 266.

انتماءاتها المكانية، عكست معايير تحدد زوايا نظر مختلفة للمصنفين بخصوص الكرامة. وقد حاولت، بهذا الخصوص، جمع ما ورد في عدة كتب، بحيث قسمت نفس المادة أو المضامين حسب زوايا مختلفة أكثر من مرة، فأعطانا ذلك أكثر من عشرة تصانيف لم تغط أي منها كل مضامين الكرامة بل غطت حيزا منها فقط، وسنحاول، في هذا الفصل، ترتيب غير المرتب، وجمع المشتت، وتوصيل النظرة الموضوعية المشرقية بالمغربية بالصحراوية لأعرض نظرة عامة لمضمون الكرامة من زوايا عديدة. يعرض النبهاني⁸⁶، في جامعه، تصنيف تاج الدين السبكي للكرامة، ويقدم خمسة وعشرين نوعا؛ وهو تصنيف موضوعي، يركز على موضوع الكرامة، ويرى السبكي أن أنواع الكرامات كثيرة قد تربو على المائة، وإنما عرض الشائعة منها ولم يلم بجلها. وينقل النبهاني في مطلب ثالث عنوانه "في أن الكرامات هي نتائج الطاعات، ولا بد أن يكون بينها وبين الأعضاء المطيعة التي تصدر عنها مناسبات"⁸⁷ أنواعا أخرى تتعلق بالحواس، نقلا عن ابن عربي من فتوحاته الذي تحدث فيه عن كتابه "مواقع النجوم" وهو الذي تناول فيه كرامات ناتجة عن الأعضاء، فلكل من الأعضاء الثمانية المطيعة كرامات عديدة تنتج عنها. ويواصل النبهاني نقل تصور ابن عربي في فتوحاته "اعلم أن الكرامة من الحق من اسمه البر، ولا تكون إلا للأبرار، .. فإن المناسبة تطلبها وإن لم يقدّم ممن ظهرت عليه؛ وهي على قسمين حسية، ومعنوية، فالحسية يعرفها العامة من الناس والمعنوية يعرفها الخاصة"⁸⁸، فابن عربي من خلال هذا القول لم يميز بين الحسية والمعنوية باعتبار الإدراك بل من جهة المتلقي فالعامي أقل من الخواص الذين لهم دراية بالشريعة، فمن الحسية المعروفة لدى العامة؛ الكلام على الخاطر، والإخبار بالمغيبات..، والمشى على الهواء، وطى الأرض، والاحتجاب عن الأبصار، وإجابة الدعاء..، والمعنوية أعلى شأنًا بعيدة عن المكر أو الاستدراج، تتجلى في مكارم الأخلاق، والمحافظة على العبادات. وأما عبد الله العنقري في كتابه: "كرامات الأولياء.." فيقدم رؤية

⁸⁶ - النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 1، ص 50.

⁸⁷ - نفسه، ص 59.

⁸⁸ - نفسه، ص 63-64.

مغايرة للكرامات الحسية والمعنوية⁸⁹؛ فأهم الكرامات المعنوية هي؛ إجابة الدعاء، والاستقامة، والرؤيا الصالحة، وذكر اسم الصالح، أو نسبته أو الثناء عليه في القرآن الكريم، وتصديق الله تعالى للصالح، ونزول آيات موافقة لقوله، واستجابة الدعاء، ونصرة الله تعالى له، وبشرى المؤمن عند احتضاره، والإعلام بتوبة أحد في كتابه تعالى. والحسية⁹⁰ حسب العنقري أهمها نفخ الروح، وتيسير الرزق، ومشاركة الملائكة المسلمين القتال، وتقليل العدد، وتكثيره في رأي العين.. وقد استخلص موضوعات الكرامات المصنفة من الأدلة النقلية الشرعية، ويبدو أن تصنيفه قائم على معيار الإدراك.. فالأمور الحسية مدركة بالحواس والمعنوية ضمنية غير ظاهرة مدركة بالفهم. وقد قدم صاحب "المستفاد" موضوعات الكرامة وفق محورين هما؛ كرامات متعلقة بالطبيعة⁹¹، وكرامات متعلقة بالإنسان والحيوان⁹²، وورد في "المستفاد" أن الكرامات في "التشوف" ذات طابع سياسي، وفي المستفاد ذات طابع اجتماعي. وصنف صاحب كتاب "التصوف والمجتمع"⁹³، الكرامات إلى كرامات في مواجهة الجوع، وأخرى في مواجهة المرض، وأخرى في تجاوز صعوبات السفر. وهكذا فقد يؤلف الكتاب بأكمله لتفسير أحد أنواع الكرامات، فقد كان تأليف كتاب "خلع النعلين"..⁹⁴ جوابا عن سؤال أحد مريديه بخصوص أسرار المكاشفة، ومن الكرامات التي تحدث عنها ابن عربي "الإلهام الإلهي"⁹⁵، الذي يدفعه إلى المشاهدة والتأليف، وأيضا من الكرامات التي تناولها ابن عربي أيضا "لبس خرقة الخضر" عليه السلام. ومن الكرامات أيضا لقاء ولي مباشرة أو في الرؤيا، ولبس الخرقة على يديه، فابن عربي التقى "علي بن جامع" الذي ألبسه خرقة الخضر عليه السلام⁹⁶، ومنها خرقة التبرك، وخرقة التشبه، وخرقة المريد. ومن الكرامات أيضا معرفة

89 - كرامات الأولياء، ص 43.

90 - نفسه، ص 83.

91 - المستفاد، ص 160.

92 - نفسه، ص 161.

93 - التصوف والمجتمع، ص 118-119-120.

94 - خلع النعلين، ص 159.

95 - الولاية والنبوة.

96 - فصوص الحكم، ص 7-8.

الولي بأسرار سور القرآن، وطرق توظيفها في الإشفاء والدعاء. ولاحظت أيضا، من خلال إطلاعي المتكرر على "قرة العينين"، أن الثبات على المناقب من استقامة وقيم يعد كرامات هامة من كرامات الولي، لا تؤتى إلا للصالحين.. فالمناقب كرامات لذلك نجد المدون بدأ، وأنهى بها مدونته "القرة".

ومن موضوعات الكرامات الواردة في رسالة القشيري؛ انغلاق البحر، وجفافه، وكلام الجمادات. ومن الموضوعات التي ذكرها ماء العينين بن العتيق في سحر البيان: طي الزمان والمكان، وإظهار الطعام في زمن الفاقة من غير سبب ظاهر، وحصول الماء في زمن العطش، وغيرها من فنون الأفعال المناقضة للعادة التي تتفقت من العقل وتحطم مقولة الزمان والمكان وقوانين السببية⁹⁷. والكرامات حسب صاحب "قرة العينين" منها المطلوبة، ومنها غير المطلوبة أي ما يطلبه الولي وما لا يطلبه. وتحدث عن أمور شبيهة بالكرامة تتحقق لغير الأولياء؛ منها: الارهاص، والمعونة، والاستدراج، والاهانة، والسحر، وغيرها من الأمور الخارقة. تيسر التأليف من الكرامات التي تحدث عنها ابن عربي، فهو يقول في أول "فصوص الحكم": .. وأرجو أن يكون الحق لما سمع دعائي قد أجاب ندائي، فلما ألقى إلا ما يلقي إلي ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به علي..⁹⁸.

أولا : الكرامات حسب الموضوع

يعرض النبهاني⁹⁹ في جامعه، تصنيف تاج الدين السبكي للكرامة، ويقدم خمسة وعشرين نوعا، وهو تصنيف موضوعي يركز على موضوع الكرامة، ويرى السبكي أن أنواع الكرامات كثيرة قد تربو على المائة، وإنما عرض الشائعة منها، ولم يلم بجلها. وصنف تاج الدين السبكي في "الطبقات الكبرى" الكرامات إلى خمسة وعشرين نوعا، ومقياس

⁹⁷ - الحركة الصوفية، ص 442.

⁹⁸ - فصوص الحكم، ص 12-13.

⁹⁹ - جامع كرامات الأولياء، ج 1، ص 50.

التصنيف¹⁰⁰، هو الموضوع، والمعروضة تتمحور حول ما يحدثه الولي في الآخر؛ من إحياء الميت وكامه، وانفلاق البحر، وانقلاب الأعيان، وانزواء الأرض، وكلام الجماد، وإبراء العلل، وطاعة الحيوان، وطي الزمان، واستجابة الدعاء، وتصريف المطر، وإطلاع على ذخائر الأرض¹⁰¹.. وهي كرامات كثيرة متكررة، ذكر مكرمين في فترات صوفية قريبة من زمن المؤلف، ولم يستشهد بكرامات السلف في هذا التناول. وخصص ابن الزيات في "التشوف" فصلا تحت عنوان "جامع لأنواع الكرامات"¹⁰²، وقد ذكر عدة نصوص كرامية مأثورة، ثم عرض أنواع قليلة من كرامات السلف الصالح، والواردة في النقول الشرعية، فابن الزيات لم يحدد معيارا واضحا، ولم يقف عند أنواع كثيرة، بل عرض موضوعات مختلفة أغلبها متفق عليها، ولم يتجاوز ثلاث صفحات، ولم يعرف بها، شأنه شأن أغلب التأليف التي تهتم بإيراد النصوص المنقولة للإثبات والدفاع عن الكرامة والولاية، والمذكورة مدركة لمن يشاهدها، أو يسمعها، مشهورة عن السلف الصالح، ومن النظم¹⁰³ الوارد في هذا الفصل:

كالزهرِ في حُنِّ أنفاسٍ وألوانِ	ثم الكراماتُ أنواعٌ إذا نُظِرتْ
وشبَعُ ذِي سَغْبٍ أَوْ رِيٍّ ظَمَّانِ	مَشِيَّ عَلَى الْمَاءِ أَوْ فِي الْجَوِّ قَدْ نُقِلَا
وكم أغيث ولي عند إذعان	وكم أجيب ولي حين دعوته
يغيب عن درك أسماع وأجفان	وفيهم من يجيبه الجماد ومن
ومنهم من يجالسهم في حال إخوان	ومنهم من يرى المختار من متلك

فكثير من الأنواع المذكورة في "الطبقات الكبرى" لتاج الدين السبكي غير واردة في

"التشوف".

100 - العزفي أبو العباس، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق، أحمد توفيق، الرياض، 1989، ص 35.

101 - جامع كرامات الأولياء، ج 1، ص 48-49.

102 - التشوف، ص 74-75.

103 - نفسه، ص 76.

ثانياً: الكرامات المعنوية والحسية

1- الكرامات المعنوية

يقدم الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العنقري، في كتابه "كرامات الأولياء..."¹⁰⁴ تصوراً يعبر عنه في مجمل تأليفه، وهو أن الكرامات قسمان معنوية وحسية. ويقدم المعنى عن الحس، ويبحث عن الصنفين من خلال القرآن الكريم، فيورد في فصل بكامله كرامات صلحاء في مراحل أولى من التاريخ الإسلامي، ويرتبها حسب المعنى والحس. فمن جملة الكرامات المعنوية المعروضة أن ينزل أمر الله بأن يقرأ القرآن لصحابي من مثل أبي بن كعب، ونزول الوحي ببراءة عائشة¹⁰⁵، وقبول الدعاء، واستجابة الدعوة¹⁰⁶، "فإجابة الدعاء أكبر كرامة، والاستقامة "الكرامة الكبيرة أكبر استقامة" ولزوم هذه الاستقامة، والتوفيق بالطاعة، والرؤيا الصالحة، التي سماها النبي "المبشرات، وذكر من الكرامات الحسية: إضاءة النور بين يدي عباد ابن بشر، وازيادة الطعام، ونزول القرآن¹⁰⁷، بزم أحد فالصحابي الجليل ثابت بن قيس خاف لما زلت آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ عَمَّاكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾¹⁰⁸.. أو عتابه أو بالعكس بالثناء الجميل والمدح الكريم، والإعلام بتوبة الله عبده في كتابه العزيز.

2- الكرامات الحسية

ومن الكرامات الحسية التي عرضها وفصل فيها القول؛ إضاءة النور، وازيادة الطعام.. كما يصنفها إلى خارقة وغير خارقة. وأنا أرى أنه يمكن أن نتحدث في هذا الصدد عن

104 - كرامات الأولياء..، ص 41.

105 - نفسه، ص 56.

106 - نفسه، ص 68.

107 - نفسه، ص 49.

108 - سورة الحجرات، الآية 2.

كرامات المناقب. وفي معرض تناوله، يلفت انتباهي إلى أن الحديث عن الكرامات الفردية التي تخص المكرم تحدث له أو به، في حين يثبت التاريخ الإسلامي حدوث كرامات جماعية موجهة لمكرمين صلحاء في ظرف حاسم، من مثل ما حدث للجيش الإسلامي في الحرب عند مشاركة الملائكة لهم في القتال¹⁰⁹، وتكثير العدد في رأي العين لنصرتهم¹¹⁰، ورزق الله لعدد كبير منهم ومن بينهم بعض الصحابة لدابة "العنبر" إذ ألقاها البحر لهم بعد أن طوهم الجوع مدة طويلة.. وهكذا يضم هذا التناول تصنيفاً ضمناً للكرامة، هو الكرامة الفردية والجماعية بالنظر إلى المكرم الصالح أو الولي، كما نجد تصنيفاً آخر للكرامة غير معلن عنه، باعتماد مقياس الخرق إلى كرامات خارقة وغير خارقة. ويبين محمد المختار الكنتي في "جنة المرید.." ¹¹¹ أن الكرامات المعنوية تتجلى في المعارف الغيبية، والعلوم الإلهادية، وهي غير ظاهرة، وأما الحسية فهي الظاهرة للولي أو غيره، تشهد على صحة طريقته واستقامته، وهو يقول بهذا الصدد " .. وهكذا كان الصحابة وأعيان السلف، رضي الله عنهم، لم يحوجهم الحق تعالى، إلى وجود الكرامات الحسية، لما أعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الإلهادية.. فلا يحتاج جبل إلى مرساة.." ¹¹²، وأما الكرامات المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله، ومن ذلك حفظ آداب الشريعة، والتوفيق في اثبات المكارم، واجتناب السفاسف، والمحافظة على الواجبات، والمسارة إلى الخيرات، وإزالة العطل والحدق من الصدر، وتطهير القلب، ومراعاة حقوق الناس. وتتحقق الحسية لأهل البدايات على نحو الكلام في خاطر، والخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والمشي على الماء واختراق الهواء، وطي الأرض، والاحتجاب على الأبصار، وإجابة الدعاء في الحال¹¹³. ويذكر النبھاني من الكرامات الحسية الكرامات حسب الأعضاء في مطلب ثالث عنوانه " في أن

109 - العنقري عبد العزيز ، كرامات الأولياء..، ص 102.

110 - نفسه، ص 108.

111 - جنة المرید، ج 2، ص 340.

112 - نفسه، ص 340.

113 - الحركة الصوفية ، ص443. سحر البيان، ورقة 3.

الكرامات هي نتائج الطاعات، ولا بد أن يكون بينها وبين الأعضاء المطيعة التي تصدر عنها مناسبات¹¹⁴، وهي أنواع أخرى تتعلق بالحواس، نقلا عن ابن عربي من فتوحاته الذي تحدث فيه عن كتابه "مواقع النجوم" وهو الذي تناول فيه كرامات ناتجة عن الأعضاء، فلكل من الأعضاء الثمانية المطيعة كرامات عديدة تنتج عنها، والكرامات الحسية هي كرامات الأعضاء، لكل عضو مطيع كرامات تناسبه. وقد اعتمد الدكتور صالح حسن فضالة في كتابه "كرامات مغربية بعيون مشرقية"¹¹⁵، نفس التصنيف دون الإحالة عليه، فالكرامات الحسية، هي ثمرات الطاعات والمجاهدات، التي لا تتأتى دون الأعضاء المطيعة¹¹⁶، الموافقة لها: فالعلاقة بين الأعضاء والكرامات هي علاقة تناسب، ناتجة عن طاعات العضو، وبالتالي لكل عضو من الثمانية كرامات مخصوصة به، وقد رتبت الأعضاء من الأعلى إلى الأسفل، إذ صنفها ابن عربي¹¹⁷ كالآتي؛ لعين كراماتها تتعلق برؤية الكعبة، ومشاهدة الملائكة، والجن والخضر، ومن الكرامات المناسبة للأذن سماع نطق الجمادات، والحيوانات، والنباتات - اللسان: من الكرامات التي تناسبه: - مكالمته للعالم الأعلى، ومحادثته لهم نطقه بالكون قبل أن يكون والاعخبار بالغيبات.

➤ **اليـد:** من كراماتها نبع الماء من بين أصابع اليد ورمي التراب على الأعداء، وقبض ما يشاء في الهواء. فإذا فتح يده وجد فيها فضة وذهب.

➤ **البطن:** أن يحفظ عليه طعامه وشرابه ولباسه حتى لا يتناول إلا شيئا طيبا. وأن يشع القليل من الطعام الرهط الكثير، وهو في الحقيقة ميراث نبوي. وأن ينقلب الطعام الواحد إلى أصناف متعددة، إن اشتهاه بعض الحاضرين. ومن كراماتها

¹¹⁴ - النبھاني ، جامع كرامات الأولياء ، ص59.

¹¹⁵ - فضالة صالح حسن، كرامات مغربية بعيون مشرقية، ندى كوم، ط1، 2005، ص 188 - 314. ص169-174-175.

¹¹⁶ - نفسه ص169، النبھاني ص 59.

¹¹⁷ - النبھاني ، جامع كرامات الأولياء، ص59-65.

أن يأتي للولي طعامه وشرابه من طرف ملك أو جن . وكذلك شرب الماء الزعاف
فإذا هو أجاج عذب فراته.

➤ **الفرج:** أن يهبه الله تعالى: سر إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص، وترك كل
ما يشغل عن الله تعالى.

➤ **القدم:** وما يناسبها من الكرامات، إذا اتصفت بفعل الطاعات وترك المخالفات: -
المشي على الماء والهواء وطى الأرض.

➤ **القلب:** جميع الكرامات السابقة عائدة إليه، ولكن هناك كرامات ترجع إليه
مختصة به.

- اطلاع الحق سبحانه له على ما أودع في العالم الأكبر من الأسرار.
والاطلاع على العلل والأسباب..

ثالثا: الكرامة حسب الشاهد

صنف محمد الكنتي الكرامة حسب متلقيها، أي من تظهر له، فيشاهدها من الداخل أو
من الخارج، فيكون المكرم نفسه، أو شاهدا عليه، ثم تصنف أيضا من خلال تأثيرها في
المتلقي أي المنتفع بها إيجابا أو سلبا. يقول محمد الكنتي في "الطرائف": " .. ثم اعلم أن
الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه، وتارة تظهر منه لغيره؛ فإن ظهرت للولي في نفسه فالمراد
تعريفه بقدرة الله، وفردية وحدانيته، وأن قدرته تتوقف عند الأسباب.." ¹¹⁸، ثم يواصل الحديث
في نفس سياق تصنيف الكرامة حسب من ظهرت له، وذكر كلام أبو الفيض زروق: "الناس
في الكرامة ثلاثة: الأول رجل ظهرت عليه فكانت داعية لزيادة علمه، .. والثاني رجل
ظهرت عليه، فكانت داعية كبره، .. والثالث رجل ظهرت عليه، فأفادت غيره.." ¹¹⁹. ويميز
المختار الكنتي بين نوعين: ما ظهر للولي في نفسه: لتقوية عزمته، وإزالة مخاوفه، وهو ما

¹¹⁸ - الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة ، ورقة 22. الحركة الصوفية ، ص 457.

¹¹⁹ - الطرائف التالدة، ورقة 22.

يقع لأهل البدايات؛ من طي الزمان والمكان، وإيجاد الطعام والشراب، وعلاج الأمراض. وأما النوع الثاني فهو لأهل النهايات فنادرًا ما يتحقق مثل هذا النوع من الخوارق لهم لاطمئنانهم ورسوخ إيمانهم، وإحاطتهم بالعلوم الغيبية.. فلا يحتاج الجبل إلى مرساة كما يقول الشيخ مربيه ربه¹²⁰. وتارة تظهر في الولي لغيره، تكون معرفة له بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه، فينتفع به وهو من آثار محبة الله لعبده¹²¹ من المقربين، أو المريدين وتكون فيها الكرامة عاملاً مساعداً.

رابعاً: كرامات الحروف

ويظهر من هذا التعبير أمران أساسان، الأول؛ أن للحروف كرامات تتحقق لمخصوصين من الصلحاء، وأما الثاني فكون الحروف لها أسرار بها تتحقق كرامات، وبالتالي تكون الحروف كرامة في ذاتها، أو وسيلة لتحقيق كرامات بها. وبالتالي نكون بصدد الحديث عن وسائل تحقيق الكرامة من مثل الدعاء، وقراءة القرآن، والتفأل وغيره. وكرامات الحروف واردة عند قلة من الصلحاء على رأسهم ابن عربي والقطب الرياني ماء العينين. ويتحدث هذا الأخير في تأليفه "مذهب المخوف على دعوات الحروف" عن أسرار الحروف، ويقول في كتابه "الأسامي الظاهرات والمضمورات": "ليعلموا ما أودعه في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تتفعل عنها الأشياء.. وهو من باب الكرامات وخرق العوائد"¹²².. ومن أسرار الحروف حسب الشيخ، تحقيق بعض الأغراض كعلاج الأسقام، ورد كيد الأعداء، وإخضاب الحقول، وتقيق العقول، وتنمية الأموال، وقد جعلها الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل من أسرار أهل النهايات، وخصص لها حيزاً هاماً في آخر مؤلفه:

¹²⁰ - الحركة الصوفية، ص 452.

¹²¹ - قرّة العينين ، ورقة 11.

¹²² - الظريف محمد ،الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ، الطبعة الأولى 2003 ، ص 128.

"نعت البدايات وتوصيف النهايات"¹²³. إن الكرامة ليست بالضرورة نصا سرديا، أو حكاية، قد تكون الكرامة منقبة، أو معرفة بأسرار سور القرآن، أو أسرار الحروف، أو نعتا من نعوت النهايات.. فكتاب "نعت البدايات.." فيه مادة هامة جدا في الجزء الثاني عن فوائد الحروف وأسرارها، وكيفية تسخيرها لنيل مبتغيات في الدنيا، وفيه أيضا كيفية توظيف سور القرآن، وهذا كله جزء من قدرات الشيخ ماء العينين، ووسائله التي يوظفها لتحقيق الكرامات، ولا يملك هذه الأسرار إلا أهل النهايات، وهذا في ذاته كرامة. لذلك نجرؤ على القول "كرامات الحروف". ويتحدث الشيخ ابن عربي في "الفتوحات المكية.." عن مراتب الحروف، وأسرارها وحقائقها، وحركاتها، في عدة مواضع عديدة من الجزء الرابع إلى السابع..

خامسا: كرامات متفرقة

هناك تصنيفات كثيرة للكرامات من حيث عدد من جوانبها. ومن ذلك الكرامات المنسوبة، والمزيفة، والمنتحلة، إذا نظرنا إليها من خلال السند وصدقه، قياسا على الحديث النبوي، من حيث كونها تتكون من سند ومتمن.. ومعلوم أن كثيرا من الكرامات في ثقافات عدة نسبت إلى أولياء، لمآرب مقصودة، وبهذا الخصوص ذكر الدكتور محمد الظريف أن كثيرا من الكرامات تتسببها القبائل لشيوخها لتقويتها أمام القبائل الأخرى، وترويج انتصاراتها، من أجل التحفيز النفسي لأهل القبيلة، لذلك كثرت الكرامات الصحراوية المنسوبة لأسباب كثيرة. وتعتبر دراستها أمرا هاما لما تزخر به من دلالات تاريخية سياسية. لقد كان محمد مفتاح قد دعا إلى الإقبال على الكرامات ودراستها، حتى ولو كانت منسوبة، وذلك بسبب وظائفها الدلالية وأبعادها. وقد تحدثت العديد من الكتب عن الكرامات المنسوبة. وكان المستعمر نفسه يلجأ إليها.. حتى كان دهانقة الإسلام أنفسهم ينسبون إليه الخوارق في طرق مواجهته لهم..¹²⁴. ذكر صاحب "نظرات في التصوف والكرامات.."، أن انتشار الكرامات

¹²³ - ماء العينين محمد فاضل بن مامين، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ماء العينين محمد فاضل بن مامين، المكتبة الأزهرية للتراث 2014، ص 277.

¹²⁴ - شبيها حمداتي ماء العينين، الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1995، ص 65.

المزعومة المنحولة غرضه القضاء على التصوف والمتصوفة. ويرى أن الكرامات منها المعقولة والمقبولة، ومنها ما ينفر منه السمع، وبأباه الطبع، ومن ذلك تغير حال بعض المتصوفة وانغماسهم في المحرمات والشهوات أمثال القلندرية، مما يضر بصورة المتصوفة ويتصدىق الكرامات. وهناك - الصحيحة والسقيمة والاختبارية والتعريفية¹²⁵: وذكر هذه الأنواع محمد بن المختار الكنتي في كتابه "جنة المرید دون المرید" .. وصنفها في البحث الثالث من الكتاب، الكرامة إلى الصحيحة والسقيمة والاختبارية والتعريفية فيها بين أهل البدايات، وأهل التمكين وأهل النهايات¹²⁶. وتحدث صاحب "قرة العينين"¹²⁷، عن الكرامة "الكاملة"¹²⁸ وهي حسب قوله: حصول الاستقامة وصحة الإيمان بالله واتباع الرسول ظاهراً وباطناً وهذا يدفعنا للتفكير في الكرامة الناقصة أو غير الكاملة، وهي ناقصة بنقصان مناقب وعبادة الولي كما أرى أنها يمكن أن تنقص بنقصان علم الولي؛ فمنهم الأميون غير القادرين على تصفح المصادر وإدراك العلوم مباشرة. وإلى جانب هذه التمييزات هناك تصنيفات متنوعة للكرامة منها الكرامات المطلوبة وغير المطلوبة، أي ما يطلبه الولي وما لا يطلبه، والكرامات التراثية والمعاصرة أي الكرامات القديمة المتكررة المنقولة في المصادر القديمة، أو تلك المغمورة في فترات سابقة في التاريخ، ولم يكشفها البحث، فأصبحت جزءاً من التراث. والكرامات المشهورة والقليلة والنادرة. وأقصد بالأولى المتكررة لدى جل الأولياء وبالثانية القليلة المحدودة كإحياء الموتى، والنادرة هي تلك التي يندر التصريح بها كمشاهدة الحضرة الإلهية. والكرامات السهلة والصعبة، وتظهر أحياناً الكرامة أحياناً بسيطة؛ وأحياناً أخرى تكون صعبة لا تدرك إلا باجتهاد الذهن. والكرامة الكاملة والناقصة وتحدث المريبه ربه في "قرة العينين"، عن الكرامة "الكاملة"¹²⁹ وهي حسب قوله: حصول الاستقامة، وصحة الإيمان بالله، واتباع الرسول ظاهراً وباطناً وهذا يدفعنا للتفكير في الكرامة الناقصة أو غير الكاملة، وهي ناقصة بنقصان مناقب وعبادة الولي كما أرى أنها يمكن أن تنقص بنقصان علم الولي فمنهم

¹²⁵ - جنة المرید دون المرید، ج 1، ص 153.

¹²⁶ - نفسه، ص 153.

¹²⁷ - قرة العينين ، ورقة 11.

¹²⁸ - نفسه .

¹²⁹ - قرة العينين ، ورقة 11.

الأميون غير القادرين على تصفح المصادر وإدراك العلوم مباشرة. وبالنظر إلى الاستقامة نجدها من كرامات المناقب، ويمكن إدراج كرامات أخرى عديدة معها، منها كرامة الصبر، وحفظ القرآن.. وجعل الصحراويون عدة مناقب كرامات دون أن يوظفوا هذا التعبير المقترح "كرامات المناقب". ويرى الطوسي في "اللمع.." أن الكرامات مراتب، فهو يقلل من كرامتي طي الأرض والطيران في الهواء، فقد سئل عن الطي فقال: ليس بشيء، فإن إبليس يقطع من المشرق إلى المغرب، في لحظة واحدة، وسئل عن اختراق الهواء فقال: إن الطير يخترق الهواء، والمؤمن عند الله أفضل من الطير، فكيف يحسب كرامة من شاركه فيها طائر¹³⁰. كما يمكننا النظر للكرامات باعتبار الولاية الذكورية والأنثوية، فنحدث عن كرامات النساء والرجال، ليكون بداية الجواب عن سؤال، هو هل موضوعات الكرامة كانت هي نفسها لديهما؟.. لقد صنف أبو الفضل بدران¹³¹، الكرامة إلى تراثية ومعاصرة، وهذا جانب من التصنيف النقدي الكرامي، ونجد الحديث حسب المجالات عن الكرامات السياسية، والاجتماعية، والتعليمية. كما نجد من يتحدث عن الكرامات النمطية¹³²، وغير النمطية بالنظر إلى مقياس التكرار، وهناك الكرامات المدونة وغيرالمدونة من التصنيفات النمطية باعتبار مقياس التدوين. وصنف محمد مفتاح الكرامات إلى ثلاثة أنماط¹³³ باعتبار درجة الانزياح؛ النمط الأول، يعبر عن الواقع، الثاني فيه انزياح تديني أو عرفي، الثالث؛ فيه انزياح كبير أي كل ما يخرق قوانين الطبيعة المتعارف عليها. ويمكنني اقتراح تصنيف جامع لمختلف أنواع الكرامات وأنواعها باعتماد معيار مفهوم الكرامة القائم على الحركية والأولويات، ومن ذلك كرامات أثناء الحياة، وكرامات مخصوصة بالأولياء على نحو التنبؤات، أي معرفة ما سيقع قبل حدوثه، ومنه أن العلاء بن زياد¹³⁴ أتاه آت يوقظه، وبأمره بالذكر حتى مات. ومن التصنيفات الحديثة أن نربط موضوع الكرامة بمجال معروف فنقول

130 - الحركة الصوفية، ص 443.

131 - بدران أبو الفضل، أدبيات الكرامة الصوفية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ط 1، 2013.

132 - السبتى عبد الأحد، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، التاريخ والمناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي -

1 - ، منشورات عكاظ 1989، ص 112.

133 - مفتاح محمد، الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة

عكاظ، الرباط 1989، ص 29.

134 - الحجج البيئات، ص 207.

الكرامة السياسية، والاجتماعية، والصحية. فتصبح أكثر ارتباطا بالواقع، وباعتبار الخرق يمكن الحديث عن الكرامات الخارقة وغير الخارقة. باعتبار الموضوعات المقبولة عقلة، والخارقة لإدراك العقل. الرؤيا الصالحة، وكرامات الاستقامة وحسن العبادة، ومنها كرامة حضور الفجر وعرف بها ابن أم كلثوم¹³⁵، ومن الرؤى الصالحة معرفة الرفيق في الجنة، فعبد الواحد بن يزيد رأى بالجنة ميمونة السوداء¹³⁶. ومن هذه الكرامات إمساك اللسان عن الكلام، وجذب بعض القلوب في مجلس، والأخبار عن بعض المغيبات، والكشف، والصبر على عدم الأكل، والشرب فترات طويلة مقام التصريف؛ أن تسخر لهم ظاهرة من ظواهر الكون القدرة على تناول الكثير من الغذاء، والامتناع عن الأكل الحرام، ورؤية المكان البعيد من خلف الحجب وخاصة الكعبة، والهيبة التي يتحلى بها بعضهم، وحفظهم من الشر والسوء، والتصوير والتمثيل في أطوار مختلفة، وإطلاعهم على ذخائر الأرض، وتسهيل التأليف، والتصنيف للعلماء في زمن يسير، وعدم تأثير المسمومات وأنواع المتلفات فيهم، وظهور الأولياء في صور مختلفة، ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم، واجتماعهم به في اليقظة وأخذهم عنه.

ومن كرامات التادلي رؤيته عندما رغب في ترك التعليم، والخروج إلى السواحل، وكان أبو يعزى والشيخ عبد الله الكوش يهددانه برمييه من كوة في صومعة لمعاقبته على الخروج دون إذن¹³⁷. ومن المشاهدات مشاهدة الحضرة الالهية المشاهدة الأبدال السبعة¹³⁸ روي عنهم مجالستهم لله تعالى، فمن تشوق، لسماع الحق، والكلام الصدق من حث الحق يظهر له، مثل لمع البرق، من المقعد الصدق، فليخلع نعلي دنياه. وليعلم أن الله هو البر الرحيم.. لا نتفعه الطاعات، ولا تضره المعاصي والسيئات، يفتح الأبواب، ويشرح صدور ذوي الألباب، ويرزق من يشاء بغير حساب¹³⁹. ومشاهدة الأنبياء، وروي ذلك عن أبي الخير

135 - جامع كرامات الأولياء، ص 120.

136 - الحجج البيئات، ص 191.

137 - الحجج البيئات، ص 35.

138 - الحجج البيئات، ص 202.

139 - خلع النعلين، ص 160.

الأقطع¹⁴⁰، أنه أكل من بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه. ومن تبعهم وهذا مما تحدث عنه ابن عربي في مؤلفه "الفتوحات المكية"¹⁴¹. وأكدته صدر الدين القنوي تلميذه أنه "كان شيخنا ابن عربي متمكنا من الاجتماع بروح من يشاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء: إن شاء الله سننزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسدا في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا، وإن شاء أحضره من نومه، وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به"¹⁴². ومشاهدة الأماكن المقدسة. ومن ذلك ما ذكره أبو بكر المطوعي أنه دخل بيت المقدس يوم الجمعة بعد العصر، ف جاء إليه شخصان الخضر وأخوه الياس¹⁴³. ومن هذه الكرامات منح القرآن لهم دون جهد منهم.. ذكر الكثير منها العزفي وأورد الصومعي ما حدث لشيخ أحمد التباع أنه كان أميا، لكنه عندما زار قبر الشيخ أبي يعزى رأى أنه شق صدره وأدخل فيه القرآن، وفي الصباح وجد نفسه يحفظ ويفهم¹⁴⁴ الآيات. كرامات القرآن، تعبير الملائكة عن الفرح، بظهورها كأفراس، وهذا من كرامات، أسيد بن حضير¹⁴⁵، ومن كرامات القرآن أيضا ختمه في وقت وجيز، فقد ختمه منصور بن زاذان¹⁴⁶ بين المغرب والعشاء، وكرز بن وبرة¹⁴⁷ إذ ورد أنه ختم القرآن ثلاث ختمات بين يوم وليلة. ومنها التبشير بالجنة، من كرامات أبو بكر الصديق¹⁴⁸، وعمر بن الخطاب¹⁴⁹، وعثمان بن عفان¹⁵⁰، وثابت بن قيس بن شماس¹⁵¹، ومن هؤلاء أيضا،

140 - الحجج البيئات، ص 203.

141 - الفتوحات المكية، ج 3، ص 323.

142 - الولاية والنبوة، ص 25.

143 - نفسه.

144 - الولاية والنبوة ص 25.

145 - الحجج البيئات، ص 94. كرامات الأولياء، ص 148.

146 - الحجج البيئات، ص 177.

147 - نفسه ص 183.

148 - كرامات أولياء الله، ص 56.

149 - سحر البيان، ورقة 4.

150 - كرامات أولياء الله، 62، سحر البيان، ص 4.

العلاء بن زياد¹⁵²، ومنها المكاشفة ومن ذلك معرفة عثمان بن عفان¹⁵³ بالزاني، ومعرفة أبي بكر بن محمد¹⁵⁴ بصيام صاحبه دون أن يخبره، وهذا مذكور في الأربعين النووية.

من أهم الكرامات التي ترد عن الأولياء ومنهم أبو يعزى المكاشفة الفراسة، فهو يعلم أحوال الناس، ويعلم وقصدهم وذنوبهم مثل الزنا والسرقة وترك الصلاة. ومن كراماته المعروفة ما حدث له مع الخليفة الموحي عبد المومن عندما قصده بتاغية أن حمارة سيفترسه الأسد رغم ما يتخذه الخليفة من احتياطات¹⁵⁵، فقتل أبو يعزى الأسد بعصاه. ومن هذه الكرامات استجابة الدعاء، إذ خصص ابن الزيات فصولا عديدة لكرامات استجابة الدعاء العديدة¹⁵⁶. وكتبت في هذا النوع كتب منها كتاب "مجابو الدعاء" لابن أبي الدنيا، وقد عرض فيه نصوصا كثيرة من الحديث أو أقوال الصحابة تظهر كرامات بإجابة الدعاء، وقد حدثت هذه الكرامة لأصحاب الغار¹⁵⁷، ومن مجابي الدعاء؛ البراء بن مالك¹⁵⁸، وأنس بن مالك¹⁵⁹، وعبد الله بن جحش الذي دعا الله أن يستشهد يوم أحد فكان له ذلك¹⁶⁰، وأبو منذر بن أبي كعب¹⁶¹، وأبو المعلق، وأسماء أخت عائشة¹⁶²، ويسر بن سعيد¹⁶³ بأن أجاب الله

151 - الحجج البيئات، ص 141.

152 - نفسه، ص 172.

153 - كرامات أولياء الله ص 62، جامع كرامات الأولياء، ص 137.

154 - الحجج البيئات، ص 205.

155 - المعزى، ص 34، 35.

156 - التشوف، ص 59-60.

157 - قرة العينين، ورقة 5، كرامات أولياء الله، ص 30، جامع كرامات الأولياء، ص 18، الحجج البيئات ص 65، كرامات الأولياء، ص 120.

158 - الحجج البيئات ص 93. كرامات أولياء الله، ص 80.

159 - نفسه.

160 - جامع كرامات الأولياء، ص 135، الحجج البيئات ص 135.

161 - كرامات أولياء الله، ص 77.

162 - نفسه، ص 87.

163 - نفسه، ص 91.

دعائه بأن أمات من شهد عليه زورا، ويوسف بن يونس¹⁶⁴ بن حماس بأن أجاب الله دعائه لكف بصره حتى لا يكون نقمة، ويعيده له في المسجد، ومن مستجابي الدعاء سعد بن وقاص¹⁶⁵، ومنهم ابراهيم بن أدهم¹⁶⁶، إذ دعا الله أن يسكن البحر، فتحقق ذلك ففجأ الناس، ونفسه تكرر مع أبي ریحانة عبد الله¹⁶⁷.

ومنها أيضا أكل نبات الدفلى، والاطلاع على ما تخفي الضمائر، السلامة من السم: ومن السالمين؛ خالد بن الوليد¹⁶⁸، وكرامة السلامة من النار، وحدثت لتميم الداري¹⁶⁹، وأبي الدرداء¹⁷⁰، وذئيب بن كلاب¹⁷¹، وأبي مسلم الخولاني الذي سلم من نار قيس بن الخمار¹⁷²، ومنها الكلام مع أهل القبور، إذ ثبت عن علي بن أبي طالب¹⁷³ عنه إخباره أهل القبور ماذا حدث بعد وفاتهم، وأيضا عمرو بن الخطاب¹⁷⁴، ومطرف بن عبد الله¹⁷⁵ من هؤلاء. ومنها الكلام في المهدي¹⁷⁶، ووقعت لجريج الراهب.

وهي إما أن تكون مخصوصة بالإنسان على نحو الاطلاع على ما تخفيه الضمائر، وإبراء العاهات، وإشفاء المريض، وإخفاق أعداء الولي، وحدثت هذه الأمور لسعد بن أبي وقاص¹⁷⁷ لما أذاه أسامة بن قتادة، فلحقه الفقر طول عمره، ووردت روايات كثيرة عن وفاة

164 - نفسه، ص 95.

165 - قرّة العينين، ورقة 9.

166 - الحجج البيّنات، ص 193-194.

167 - كرامات أولياء الله، ص 126.

168 - نفسه، ص 76.

169 - الحجج البيّنات، ص 109.

170 - كرامات أولياء الله، ص 77، جامع كرامات الأولياء، ص 119.

171 - نفسه، ص 125.

172 - الحجج البيّنات، ص 159.

173 - سحر البيان، ورقة 5. كرامات أولياء الله، ص 63، جامع كرامات الأولياء، ص 141،

174 - نفسه، ص 143. قرّة العينين، ورقة 7.

175 - جامع كرامات الأولياء، ص 115. كرامات الأولياء، ص 159.

176 - سحر البيان، ورقة 3. الحجج البيّنات ص 69.

177 - الحجج البيّنات، ص 112. كرامات الأولياء، ص 145.

أروى بنت أوبس بعد اتهامها سعيد بن زيد¹⁷⁸، وحماية الرفقة، فقد ذكر كرامة أبي مسلم الخولاني في قدرته على صيانة وحماية من معه من المسافرين، واسترجاعه لمخولاته التي علقت في الماء، وقد ألقى بها أحد مرافقيه عمدا. ومن ذلك إبراء العلل، إذ ورد أن عدة أولياء كانوا يشفون عدة أمراض وعلى رأسها أمراض العيون، لمجرد لمسه الأعضاء، والتقل عليها، كما يلجأ الناس إليه لشكوى من الظلم فيشفع فيهم، كما روى عن العديد من الأولياء مثل أبي الحسن علي بن حرزهم، إذ يلجأ إليه الناس للاستثناء، وقد أورد التادلي بعضها أخذاً عن أحمد زروق ومعاصريه. وإبصار الأعمى¹⁷⁹، أعاد الله البصر لأحد ثلاثة إسرائيل المبتلين، وحفظ العرض، وحدث هذا لسارة زوج إبراهيم¹⁸⁰؛ والنوم لمئات السنين¹⁸¹، على نحو ما حصل لأهل الكهف. وصرف الأذى عن الأرض والناس، وتسهيل الولادة، التنبؤ بجنس المولود، وإحياء الموتى إلخ.. وقد تكون الكرامات مخصوصة بغير الإنسان على نحو كرامات التحكم بالجن وصرع الجن، وكانت مما يتمكن منه عمار بن ياسر، وزيد بن أسلم¹⁸² الذي ثبت تحكمه بالجن، وكرامات الملائكة، ومما ذكر في هذا الباب سماع سليمان لملك الموت عند زيارته لمحتضر، وأخبر أبو بكر المطوعي عن عبد مالك السجستاني الذي تركه رفاقه عند جبل، فلما دخل كهفه وجد متعبدا يختلي فيه ثلاثين سنة يخدمه الطير، ويأتي له بالمأكل والملبس، ويزوره الجن، ويقراً عليه القرآن.. وقد ظل معه عبد الله بن مالك أربعة وعشرين يوماً، وسمع تسبيح الملائكة، وروي ذلك عن عمرو بن حصين¹⁸³، وفرح الملائكة بقراءة القرآن.. كما حصل تشييع الملائكة للولي، وللشهيد الميت. وتسخير الملائكة¹⁸⁴، بأن اقتربت ملائكة الرحمة لتقبض روح الرجل التائب، وتسليم الملائكة أي

178 - الحجج البيئات، ص 111. كرامات الأولياء، ص 145.

179 - كرامات أولياء الله، ص 38. كرامات الأولياء، ص 123.

180 - كرامات أولياء الله، ص 20. كرامات الأولياء، ص 117.

181 - الطرائف الثالثة، ورقة 6. جامع كرامات الأولياء، ص 17.

182 - كرامات أولياء الله، ص 94. قرّة العينين، ورقة 9، الحجج البيئات، ص 165.

183 - كرامات أولياء الله، ص 79. جامع كرامات الأولياء، ص 146. الحجج البيئات، ص 114.

184 - العنقري، كرامات الأولياء، 119.

إلقاؤها السلام وحدث هذا لعمر بن حصين¹⁸⁵، وقد يكون هذا الآخر هو الحيوان، وكان ذلك من كرامات أبي يعزى أيضا حيث لا يؤذيه.. ومنها كرامة البكاي المشهورة مع الأسود؛ إذ كانت الحيوانات تطيعهم، ومنها ترويض الحيوانات المتوحشة، مثل خضوع الأسود، ووقع هذا لطبراني، وسفينة مولى رسول الله¹⁸⁶، وعبد الله بن عمرو¹⁸⁷، وأبي بن عبد الرحمن¹⁸⁸..

ومن ذلك إخضاع الأفاعي¹⁸⁹؛ ومن الذين خضعت لهم الأفاعي مسلمة بن مخلد¹⁹⁰، وخضوع الطير والظبي، وحدث لسلمان الفارسي¹⁹¹، وخضوع السبع، ومن الذين لم يؤذيه السبع، صلة بن أشيم¹⁹²، وسهل بن عبد الله من الذي خضعت لهم السباع وأطعموها¹⁹³. وخضوع الذئب وقد عرف بهذا عمرو بن عبد العزيز¹⁹⁴، إذ كانت الذئب ترعى مع الشياه.. وخضوع التمساح لذي النون¹⁹⁵ لما أعاد الولد لأمه. وخضوع الطير، على نحو أن عتبة الغلام¹⁹⁶ يستحسن الطير فيجيبه إذا دعاه. ومن ذلك كلام الحيوان، مثل كلام البقرة، كلام الذئب¹⁹⁷، وقد كلم الذئب أهبان بن الأكوع، كلام السبع¹⁹⁸، وورد هذا في روايات موثوقة

185 - العنقري، كرامات الأولياء ص 151.

186 - جامع كرامات الأولياء، ص 131.

187 - نفسه ص 136. قرّة العينين ، ورقة9، كرامات لأولياء الله، ص 74.

188 - نفسه، ص 86.

189 - جامع كرامات الأولياء، ص 119.

190 - نفسه، ص 146.

191 - نفسه، ص 131.

192 - الحجج البيّنات، ص 170، العنقري ، كرامات الأولياء دراسة عقديّة، ص 157.

193 - العنقري ، كرامات الأولياء دراسة عقديّة، ص 207.

194 - نفسه، ص 184.

195 - نفسه، ص 200.

196 - كرامات أولياء الله، ص 125.

197 - الحجج البيّنات، ص 83،84.

198 - نفسه، ص 79،82.

عن النبي. وقد كلمت السباع أهبان بن أوس، وكلام علي بن بكار¹⁹⁹ مع الفرس، لما نطق "إنا لله وإنا إليه راجعون". وقد يكون هذا الآخر هو الحشرات والأشياء على نحو تحويل الأعيان كتحويل ماء زمزم عسلا. ووقع هذا لسفيان الثوري²⁰⁰ وأبي بكر بن عياش²⁰¹، وتسخير الأشياء مثل تسخير النور، من مثل إضاءة العصا، وهي من الكرامات التي وقعت لأسيد بن حضير²⁰²، وأبي عيس بن جبر لما أضاءت عصاه..²⁰³، وحمزة الأسلمي الذي أضاءت أصابعه²⁰⁴. ومنها كرامات الماء من مثل تسخير المطر سخر الله الماء لأحد الصلحاء وهو في فلاة²⁰⁵، وحجر بن عدي²⁰⁶. حضور الماء وقت الوضوء في مكان جاف، وحدث هذا لزبيد المامي²⁰⁷، ومن كرامات الماء، المشي على الماء، وحصل هذا لإبراهيم بن سعد العلوي، وجابر الرحبي²⁰⁸. ومن ذلك تسبيح الجمادات، ومن ذلك أن أبا الدرداء سمع قصعة تسبح وأبا ذر الذي رأى قصعة تطحن لوحدها وتذكر الله، اظهر الطعام. كرامة الطعام²⁰⁹، دون وسيط، وبوسيط (الشجر مثلا) وهي إحدى كرامات مريم عليها السلام، وهذه من الكرامات المتكررة لدى العديد من الأولياء والصلحاء، وأم شريك الدويسية²¹⁰، وقد يسخر الطير لتيسير الرزق كما حدث مع رابعة العدوية²¹¹. رزق الطعام

199 - كرامات أولياء الله، ص 106.

200 - نفسه، ص 110.

201 - نفسه، ص 112.

202 - نفسه، ص 44، جامع كرامات الأولياء، ص 120.

203 - نفسه، ص 119.

204 - نفسه، ص 124.

205 - كرامات الأولياء، ص 126.

206 - كرامات أولياء الله، ص 83.

207 - الحجج البيئات، ص 181.

208 - الحجج البيئات، ص 201.

209 - قرة العينين ورقة 5، سحر البيان، ورقة 3، الطرائف الثالثة ورقة 7، جامع كرامات الأولياء، ص 17.

210 - نفسه، ص 89.

211 - نفسه، ص 127.

في المنام والإحساس بالشبع، وحدث هذا لأبي أمامة الباهلي²¹²، وتكثير الطعام، وهذه من كرامات أبي بكر الصديق²¹³، وأم أوس البهزية²¹⁴، تحويله حضور الطعام في زمن الفاقة من غير سبب ظاهر²¹⁵. والتصدق بالقمح دون أن ينقص مكياله، وتقطيع الثوب من الشقة دون أن ينقص طولها، ومعرفة الطعام الذي به شبهة، وإحضار الطعام في غير موسمه أو دون تهيء مسبق حصول البركة فيه، وقد يكون الآخر هو الطبيعة ومن ذلك طي الأرض وخرق الزمن والانتقال والظهور في عدة أماكن والحج كل سنة، واستدرار الغيث، وإزاحة الحواجز، واللقمة عن الطريق الاستغلال بسحابة تحت الشمس المحرقة. ومن الكرامات المتعلقة بالطبيعة إرواء الأصحاب الماء العذب من داخل البحر، ورؤية الأولياء الطائرين أو الماشين على الماء، والتنبؤ بقدم المطر، وإخراج الحوت من الواد باليدين، وإخراج جسم الإنسان، ومعرفة حلول الفجر من مكان مظلم، ومغادرة المدينة وأبوابها مغلقة، والاحتجاب عن رؤية المطاردين²¹⁶. ومن موضوعات الكرامة التي ذكرها ماء العينين بن العتيق في كتابه "سحر البيان..". طي الزمان ونشر الزمان، والتنبؤ بالمستقبل؛ كالإخبار بموعد وفاة أو قدوم شخص، وتحديد الأوقات، ومن الكرامات التي وقعت لأبي يعزى تحديده لوقت الفجر... وهناك كرامات ارتبطت بالسماء على نحو ركوب الولي على قوس قزح، ومن ذلك ما حدث للرجراجي²¹⁷. وكرامات السحاب على نحو الاستسقاء به، وحدث هذا لعلاء بن الحضرمي²¹⁸، والعباس بن عبد المطلب²¹⁹. صوت السحاب²²⁰، ذكرها الرسول الكريم في

²¹² - جامع كرامات الأولياء، ص 119.

²¹³ - قرّة العينين، ورقة 7. كرامات أولياء الله، ص 56.

²¹⁴ - نفسه، ص 89.

²¹⁵ - سحر البيان، ورقة 3.

²¹⁶ - المستفاد، ص 160.

²¹⁷ - التشوف، ص 86.

²¹⁸ - الحجج البيّنات، ص 118.

²¹⁹ - قرّة العينين، ورقة 9. كرامات أولياء الله، ص 71. جامع كرامات الأولياء، ص 134. كرامات الأولياء، ص 151.

²²⁰ - الحجج البيّنات، ص 187.

أحد أحاديثه. ظل السحابة حماية من الحر كما حدث لعمر بن عتبة²²¹، وقد يتحقق أثناء الصلاة كما حدث لكرز بن وبرة²²²، تسخير السحاب للاغتسال كما حدث لشيبان الراعي²²³ أو الوضوء، يمطر السحاب لما يدعو الله بذلك، وذلك ما وقع لعبد الله بن شقيق العقيلي²²⁴. هناك كرامات ارتبطت بالأرض من مثل طي الأرض²²⁵، وقطعها في لمح البصر، وحدثت مع آصف زمن سليمان، وسماع الصوت من مسافات بعيدة جدا كنتك التي تفصل عمر²²⁶ عن جيشه، ورغم ذلك سمعه يمكن أن نفهم منه طي المكان أي الأرض، ومعروف الكرخي²²⁷ الذين وجد ابنه بالشام، وقد كان بالأنبار..، طي المكان انزواء الأرض لهم.. وهناك كرامات الماء: لعلي وسعيد التيمي ينقل كرامة عن علي رضي الله عنه حين خرج الماء من تحت الصخر، فاستقى من معه من العاطشين، ومن ذلك انفلاق البحر وجفافه، وقد ورد من موضوعات الكرامات في رسالة القشي طي البحر، من الكرامات المأثورة عن علاء الحضرمي أنه قطع البحر على فرسه²²⁸، ومن ذلك طي النهر، قطع أبو مسلم الخولاني²²⁹ دجلة بدابته..

ومن هذه الكرامات أن سعد بن أبي الربيع وهو في آخر رمق قال إنه يجد رائحة الجنة²³⁰. ومن ذلك اهتزاز عرش الرحمان، وهي من كرامات سعد بن معاذ²³¹، ورؤيته الجنة. ومعرفته بوقت موته. ومنها ما يخص الجسد، ومن أهم الموضوعات التي وردت عن

221 - الحجج البيئات ، ص 179 .

222 - نفسه، ص 183 .

223 - الحجج البيئات، ص 196 .

224 - كرامات أولياء الله، ص 121 .

225 - نفسه، ص 21-25، سحر البيان، ص 3. الطرائف، ص 7. كرامات الأولياء، ص 96 .

226 - الطرائف الثالثة ، ورقة 9. سحر البيان ، ورقة 4. الحجج البيئات، ص 107 .

227 - كرامات أولياء الله، ص 131. الحجج البيئات، ص 197 .

228 - الحجج البيئات ص 118. كرامات أولياء الله، ص 81. جامع كرامات الأولياء، ص 139 .

229 - الحجج البيئات، ص 156 .

230 - جامع كرامات الأولياء، ص 129 .

231 - الحجج البيئات ص 88 .

الصحابة، والتابعين، وعرضها الحافظ عبد الله الصديق الغماري²³²؛ بقاء أجسام الأولياء سليمة بعد وفاتهم، لا تغيرها البلى، ولا يعفيها التراب. وحماية جسد الصالح من الأعداء، وقد وقع لعاصم بن ثابت، وخبيب الأنصري²³³، وارتفاع الجسد، وقد وقع هذا لعامر بن فهيرة²³⁴. وابتلاع الأرض جسد الولي، وقعت لحبيب بن عدي²³⁵، وتغسيل الملائكة جسد الولي، وحدث هذا لحمزة عبد المطلب بعد وفاته²³⁶، ونفسه وقع لحنظلة²³⁷، رائحة المسك تتبعث من جسده، ووقع هذا لعبد الله بن الزبير²³⁸، وسليمان التيمي²³⁹، واحتفاء الملائكة بالشهيد، ووقع هذا لعبد الله والد جابر²⁴⁰، ومن الذين شيعتهم الملائكة، عمرو بن قيس الملائني²⁴¹. وظهور نور على جسد الصالح عند الغسل، كما حدث لأبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني القاري²⁴²، وسلامة الجسد من البلى، وحدث هذا لعمر بن الجموح، وعبد الله بن عمرو²⁴³. وعدم ابتلال الجسد، وحصل هذا لعمر بن الجموح، إذ ظل جسده ناشفاً أزيد من أربعين سنة²⁴⁴. والكلام بعد الموت، وممن تكلموا بعد الموت زيد بن خارجة²⁴⁵، وثابت بن قيس²⁴⁶، وسعيد بن جبير²⁴⁷، ومنها ما يخص القبر على نحو وجود نور بالقبر،

²³² - الحجج البيئات، ص 259-266-287.

²³³ - الحجج البيئات ص 98، كرامات الأولياء، ص148، جامع كرامات الأولياء، ص 132.

²³⁴ - نفسه، ص 133.

²³⁵ - الحجج البيئات، ص103.

²³⁶ - جامع كرامات الأولياء، ص 122.

²³⁷ - نفسه، ص 124.

²³⁸ - جامع كرامات الأولياء، ص 137. كرامات أولياء الله، ص 74.

²³⁹ - نفسه، ص 116.

²⁴⁰ - جامع كرامات الأولياء، ص 135، الحجج البيئات، ص 140.

²⁴¹ - كرامات أولياء الله، ص 109.

²⁴² - كرامات أولياء الله، ص 95.

²⁴³ - الحجج البيئات، ص 109.

²⁴⁴ - نفسه، ص 109.

²⁴⁵ - نفسه، ص 132.

²⁴⁶ - نفسه، ص 141.

²⁴⁷ - كرامات أولياء الله، ص 108.

وممن روي عنهم ذلك العلاء بن الحضرمي²⁴⁸، والنجاشي²⁴⁹، ومن ذلك نزول المطر على القبر، وإنبات العشب من يومه²⁵⁰، وسماع قراءة القرآن في القبر، وسمع ذلك في قبر عبد الله بن عمرو بن حرام²⁵¹، وثابت البناني²⁵². وشم رائحة المسك عند قبر عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب²⁵³، وعبد الله بن غالب²⁵⁴، وصون قبر الولي من الأذى، كما ثبت عن قبر عمرو بن العاص²⁵⁵. ودوام سماع الميت للأذان، والالتزام بالصلاة في المسجد، إذ روي عن سعيد بن المسيب التزامه الصلاة في مسجد رسول الله²⁵⁶.

نوع الكرامة	فروعها
المكاشفة	مكاشفة الأحوال مكاشفة المقاصد مكاشفة الذنوب الإخبار عن المغيبات
تحديد الأوقات دون وسيط	أوقات الصلاة الفجر - الظهر - العصر - المغرب - العشاء
إبراء العلل	علل الجسد علل النفس علل الأعصاب علل المس
منح القرآن لهم دون جهد	آيات - حزب - أحزاب - القرآن بأكمله
المشاهدة	مشاهدة الحضرة الإلهية

²⁴⁸ - جامع كرامات الأولياء، ص 118.

²⁴⁹ - نفسه، ص 147.

²⁵⁰ - الحجج البينات، ص 152.

²⁵¹ - جامع كرامات الأولياء، ص 137.

²⁵² - الحجج البينات، ص 172.

²⁵³ - جامع كرامات الأولياء، ص 137.

²⁵⁴ - كرامات أولياء الله، ص 120.

²⁵⁵ - قرّة العينين، ورقة 8. جامع كرامات الأولياء، ص 146.

²⁵⁶ - كرامات أولياء الله، ص 90.

- مشاهدة الأنبياء - مشاهدة الأولياء	
الدعاء للمريدين - للسلطين - للأهل - للمرضى - للذات.	استجابة الدعاء
سلامتهم سلامة أموالهم وممتلكاتهم	حماية الرفقة
ذكر الله - قراءة القرآن	تسييح الجمادات
رؤيتهم في المنام - سماع قراءتهم للقرآن سماع تسييحهم	إجابة أهل القبور

من تحت الصخر من بين الأصابع	تسخير الماء
سماع ملك الموت سماع الملائكة	سماع الملائكة
مشاهدة بيت المقدس - مشاهدة الكعبة - مشاهدة مكة - مشاهدة المدينة مشاهدة قبر الرسول مشاهدة بئر زمزم	مشاهدة الأماكن المقدسة
إحياء ميت حديث الوفاة - إحياء حيوان - إحياء حشرة	إحياء الموتى
عن الأرض عن السماء عن البحر عن النهر	صرف الأذى

- عن الناس	
	انفلاق البحر وجفافه
طي الزمان نشر الزمان	طي الزمان
طي المكان نشر المكان إنزواء الأرض	طي المكان
بسبب بغير سبب	إظهار الطعام
لمدة قصيرة لمدة طويلة	إمساك اللسان عن الكلام
في أماكن قريبة المجالس - من أماكن بعيدة	جذب القلوب
لفترات قصيرة - لفترات طويلة	الصبر على عدم الأكل والشرب
أن تسخر ظاهرة من ظواهر الكون: الرعد - المطر - الزلازل ...	التصريف
	القدرة على تناول كثير من الغذاء
	الإمتناع عن الأكل الحرام
الإستقامة الهيبة الثبات على الحق حفظ الله لهم من الشر والسوء	مناقبتهم إخصالهم
	التصور والتمثل في أطوار مختلفة
	إطلاعهم على ذخائر الأرض
	تسهيل التأليف والتصنيف في زمن يسير
	عدم تأثرهم بالمسمومات وأنواع المتلفات
- طي ونشر وإنزواء الأرض - خرق ونشر وطي الزمن - الإستظلال بسحابة تحت الشمس المحرقة	كرامات متعلقة بالطبيعة

تسخير الماء - إرواء الأصحاب بالماء العذب من داخل البحر - معرفة الأوقات	
إبراء العاهات - إشفاء العلل - تسهيل الولادة	كرامات متعلقة بالإنسان
ترويض الحيوانات المتوحشة	كرامات متعلقة بالحيوان
حسب ثمانية أعضاء: العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والقدم، والقلب.	الكرامات الحسية
	الكرامات المعنوية
- كرامات أهل البدايات. - كرامات أهل النهايات.	الكرامات التي تظهر للولي في نفسه
	الكرامات التي تظهر للولي في غيره
	الكرامات المنسوبة والمزيفة والمنتحلة
	الصحيحة والسقيمة والإختبارية والتعريفية
	الكرامات المطلوبة وغير المطلوبة
حفظه ببسر - تحفيظه ببسر - حفظه للصحة منحه لمن تيسر له - رسوخه في الذاكرة - تعيمه وتفسيره والتأليف فيه	كرامات القرآن

الفصل الثالث: تاريخ الكرامة

هناك مراحل كثيرة في تاريخ الكرامة، إذ لا بد أن نتحدث عن فترة التأصيل، والتأسيس والتشريع. وهذا أمر لا بد للباحثين من أخذه بعين الاعتبار. فعنوان هذا الفصل يبدو واسعاً عاماً قد يحوجنا إلى مشروع يتعقب الظاهرة عبر سيرورتها التاريخية، من أولها إلى اليوم، فالإحاطة بكل المراحل التاريخية أمر لا يمكن إيفاءه حقه في هذا المقام، وهو أمر يطال تقسيماً زمنياً واسعاً، لكن الداعي إلى الخوض في تاريخ الكرامة والاهتمام بالمراحل الأولى مرده إلى حضوره القوي في التآليف الكرامية العامة والخاصة، وأهمية هذه المراحل في تأسيس المفهوم، والتأصيل له، كما يسمح بتتبع سيرورة التطور الموضوعي. علماً أن مفهوم الكرامة لم يكتمل، ولن يكتمل في صورته، ومكوناته إلا بعد انتهاء حدوثه في الواقع. إن تعقب الكرامة في هذه المراحل هو سعي نحو الإثبات، من حيث مكانة الصلحاء باعتبارهم أقرب الناس إلى حياة الرسل والأنبياء، وقد واكبت هذه المراحل نزول الوحي، والرسالات السماوية، نتحدث هنا عن المرحلة الإسلامية الأولى أعلى المراحل إيماناً، وإحساناً، ونفعاً، وبناء لمسار الإسلام والمسلمين. وهي مرحلة التشريع وتدوين القرآن والحديث.

ويتجلى التناول التاريخي التأسيسي للكرامة في ذكر كرامات وقعت زمنياً منذ ظهور الإسلام بمفهومه العام، باعتباره رسالة سماوية تضم مختلف الرسالات السماوية، قبل الرسالة المحمدية التي ترتبط بالإسلام بمفهومه الخاص، وتستمر مع مرحلة الصحابة والتابعين. إن مفهوم الإسلام العام والخاص، من أهم المفاهيم التي تساعد على النظر لواقع الكرامات التاريخية، بإمام وإمعان للنظر، فمفهوم الإسلام العام يمكن من استيعاب مراحل الكرامة منذ ظهورها الأول، قبل الرسالة المحمدية التي أسست لإسلام خاص، ونسخت عديداً من الشرائع، لكنها لم تنسخ حقيقة الكرامة بل وطدتها وأعطتها الشرعية. إن النظر للكرامة من خلال هذين المفهومين، أمر يحقق انسجاماً في مفهوم الكرامة، كما يوسع الرؤية المفاهيمية لها، ويجعل مفهوم الصلاح واسعاً، باتساع مفهوم الإسلام. إن الإسلام بمفهومه العام يسهل على المتتبع رصد الكرامة، وتتبع الأولياء بشكل متصل دون انقطاع. لأن المفهوم يفتح

المجال أمام مراحل مقصية من التصنيف باعتبار مفهوم الإسلام الخاص. وبالتالي المفهوم له صلة قوية بالتصنيف التاريخي. أما ربط الكرامة بمرحلة الرسالة المحمدية فيضيق إدراك الباحث، إذ إن تجليات الكرامة الزمانية والمكانية لا تقبل التقليل، فربط الكرامة بالإسلام الخاص من شأنه تقليص إدراك الباحث، لتجليات الكرامة الزمنية والمكانية، ويكبح جرأته على الغوص في النصوص، وفي غمار البحث، كما أنه يجد القرب بين صلحاء قبل الرسالة وبعدها، لأن العطب الخطير الذي قد ينتج عن تضيق النظرة وهو جعل القطيعة بين توالي الصلحاء وتوالي الكرامات أي النظر بانقطاع الصلة بين الصلحاء، وهو أيضا ربط كرامات صلحاء من مثل مريم، والخضر، وأهل الكهف بديانات أخرى، أو النظر إليهم من خلال من سيأتي بعدهم من الصلحاء.. وهي أمور تؤصل البحث الكرامي، وتثبت مشروعيته، وأدلة قوية تدل على تبوث الكرامة، لذلك حضرت هذه الرؤية التاريخية في عدة مصادر تحت مسمى "الكرامة في القرآن أو السنة" أو "الأدلة النقلية على تبوث الكرامات". والسعي وراء الأدلة النقلية قبل العقلية يوافق المذهب المالكي الذي يقر بالقرآن والحديث والإجماع.. ومدرسة الأشاعرة التي تقدم النقل عن العقل، وذلك دائما بغرض الإثبات. والكرامة من الغيبات المختلف بخصوصها، لذلك خلقت الجدل والخلاف بين الفرق، والمذاهب.

إن هذه الأدلة النقلية، حسب ما أرى، يمكن تصنيفها إلى مفاهيمية ونصية، فالأولى تبين المفهوم وتؤكدده، والثانية تعرض النصوص لتأكيد المفهوم وإظهار الصلحاء وإبراز مكانتهم. تضمنت أقوالا تؤكد حقيقة الكرامة وإمكان وقوعها ومن تقع له، كما تضمنت من جهة أخرى نصوصا فيها عرض لنصوص كرامات وقعت في فترات هامة من التاريخ الإسلامي، فهي إما تخدم المفهوم من حيث إثباته ورصده، أو تخدمه من حيث عرض نصوصه، النصوص القرآنية والحديثية، منها ما يعترف بمشروعية الكرامة كظاهرة ومفهوم. ومنها ما يقدم نصوصا كرامية تسرد كرامات.. وهكذا فأهمية المبحث ترتبط بأهمية نصوص الكرامة باعتبارها دلائل نقلية، اعتمدها الفرق الكلامية للاستدلال بها في مسائل خلافية هامة منها الكرامة، فلا يمكن الحديث عن الكرامة دون الوقوف عند المدارس الكلامية، وأهمها المعتزلة والأشاعرة، باعتبار الخلاف المنهجي بينهما في تقديم النقل عن العقل أو

العكس، فالكرامة من هذه الناحية لها دلائل عقلية وأخرى نقلية تستدل بها. وهي من الروحانيات، أشرقت قديما ومازالت تشرق لكن ببطء، حسب حركة التصوف وفاعليتها. وهكذا نجد أنه من شبه المستحيل الوقوف عند تاريخ الكرامة، في جميع مراحلها، ومجالاتها، إلى اليوم لأن البحوث القائمة أصبحت تعنى بالمجالات المكانية المحلية في فترة بعينها، إذ وقفت عند أبحاث جامعية اعتنت بالكرامات الجزائرية، وبحثت في كرامات كتاب له قيمة معرفية أو كرامات ولي صالح له مكانة شهرة أو تأثير في أهل زمانه، أي في فترة تاريخية بعينها. وتاريخ الكرامة هو تاريخ الولاية، وتاريخ المناقب، وتاريخ رجال التصوف.. وهذه أمور يجري البحث فيها منذ القدم ومازال حتى اليوم، لكن تمييز الكرامة بعينها عما يتعلق بها، هو الأمر الذي تترصده الأبحاث وتتنبه عليه اليوم، فالعلاقة بين الكرامة والتاريخ يمكن النظر إليها بطريقتين؛ الأولى أن الكرامة حاضرة عبر التاريخ فهو احتضنها، والثانية أنها هي عبرت عن التاريخ، وكانت ظلا من ظلاله، فاحتضنته فالعلاقة فيها تفاعل وتأثير دائم ومتواصل. إن النظرة التاريخية لمفهوم الولاية تفرض تسمية "المكرم" بالصالح، لأن التجربة الصوفية لاحقا هي التي سنأتي بمفهوم "الولي". ومن وقعت لهم الكرامات في هذه المراحل لم يجرؤ الباحثون بإسناد مسمى "الولاية" لهم لأن هذا المصطلح ارتبط بحركة التصوف، وهو الأمر الذي ارتبط بكرامات الصوفية فيما بعد، لكن الكرامات الأولى لم ترتبط بالتصوف، لكنها ارتبطت بالصالح والصلحاء كما بينا من قبل، لذلك نسميه "الصلحاء" أو "الصالحون" وهم من تثبت في حقهم الكرامة، ولم يكونوا أنبياء ولا رسلا. كل من وردت كراماتهم في القرآن الكريم لهم تأشيرة ربانية وحظوة إلهية، فهم أعلى مقاما من الصالحين الآخرين بعدهم، وهم أقرب للنبوة من غيرهم، لذلك يصعب الفصل بخصوصهم بين الصالح والولاية والنبوة.

لا يمكن النظر أيضا في الكرامة دون النظر في المرجعية المذهبية، وبخاصة منها المالكية، التي توجه فكر المؤلفين بخصوص الموضوع من ناحية، وتؤثر في مناهجهم التأليفية. وقد تواترت نفس النقول لدى معظم المؤلفين المالكيين بخصوص الكرامة حتى صارت عرفا في التأليف الكرامي لها نصيبها الكمي والكيفي النمطي في جل التأليف. وهي نفس النقول التي يتم أخذها ونقلها إلى اليوم بين المؤلفين، معتمدين أساسا على الكتاب

والحديث من خلال مصدر مالكي هام هو "الموطأ"، وكذلك يظهر التجلي المالكي من خلال سلسلة الشيوخ المالكيين المستندة في التأليف منهم.. ومرد الاختلاف في موضوع الكرامة إلى الخلاف العقدي بين المؤلفين، أي تصورهم الشرعي أو الفكري للموضوع. وقد سعت النصوص النقلية وبشكل ملح للرد على المشككين، والرد على اتهامات الخصوم في فترات معينة. وتخدم النصوص النقلية الكرامة من ناحيتين؛ الأولى الاعتراف بالمفهوم، وإثبات حدوثه، والثانية التوثيق لنصوص كرامية تامة تشكل مصدرا غزيرا لنصوص حكائية كرامية قابلة لمقارنتها بطرق عديدة، ومقارنتها أيضا. وهكذا يظهر النص الكرامي من خلال هذه النقول أنه نص قرآني، ونص حديثي، قبل أن يصير نصا صوفيا. والهام أيضا أن إرساء المعالم البنائية للنص الكرامي تمت قبل التصوف، وبالتالي النصوص الكرامية تشكلت في بيئات مختلفة متتالية. وبث النقل المقدس قوالب نموذجية تم النسج على منوالها. ووثقت النصوص الكرامية لكرامات سابقة لها، وأنية أي موازية زمنيا، لزمان النصوص النقلية، وتحدثت أيضا عن كرامات بعيدة لاحقة مرتقبة الحدوث تتعلق برؤية المسيح الدجال، وغير ذلك. كما توثق النصوص النقلية لمفهومى الصلاح والولاية، وتعترف بهما. إن السعي وراء بث النصوص النقلية هو تكريس لفكر يؤمن بحاجة اللاحق للسابق، أي إثبات القبلي ثم إثبات البعدي. وبالتالي ضرورة وجود مرجعية للمفاهيم والمواضيع. ويظهر البعد الزمني للكرامة من خلال التصنيف "الصحابة" و "التابعين"، ومن بعدهم من المتأخرين.. وتعتبر جل كتب تراجم الأولياء وطبقاتهم عن الرؤية التاريخية الزمنية للولاية بشكل مباشر، وللكرامة بشكل غير مباشر. إذ إن الكرامة ترتبط أيضا بالتاريخ من خلال تعبير الخطاب الكرامي عن علاقة السلطة بالمجتمع. وتعبيرها عن الإصلاح الديني والسياسي، وارتباطها بنخبة دينية وسياسية معينة. فمن ذلك حضور المقياس الزمني ممزوجا بالمكاني في تصنيف اللاكائي لكتابه: "كرامات أولياء الله عز وجل" يحضر فيه مثال (كرامات التابعين من مكة، من الكوفة..)، كما يربط التصنيف الزمني بالسياق (سياق ماروي عن النبي في سياق امم سابقة..). كما يمزج الزمني بالتأصيلي (كرامات الأمم السابقة من خلال القرآن، ثم من خلال

ماروي عن النبي) ثم يأتي للأولياء والصلحاء من بغداد وخرسان في مراحل قريبة من مرحلة التأليف. ولقد اعتنى صاحب كتاب "الحجج البيئات بالوقوف عند عرض كرامات الصحابة في أكثر من رواية في الباب الرابع وكرامات التابعين في الباب الخامس، وقد تتبعتها بترتيبها حتى أبين أصحابها وموضوعاتها ومغازيها، لأن الأمر متعلق بمرحلة هامة من التاريخ لها خصوصياتها.. وسيساعدنا هذا الكشف على عقد مقارنات لاحقة بين كرامات متباينة في الزمن، لنرى مدى الاتصال، والانفصال، بينها محتوى وشكلا في الأبواب اللاحقة من هذا البحث. وكرامات الصحابة عديدة لا يمكن إحصائها، ولكن يوجد قسط منها في كتب الحديث والصحابة.. ويربط صاحب الحجج التقسيم الزمني بالاثبات والانكار، ففي العصور الثلاثة الأولى لم يكن الانكار، ولكنه لاحق لعصور السلف. ويتناول المؤلف في هذا الكتاب أيضا التصنيف التاريخي الأول أو التأسيلي عبر كرامات السلف ثم الصحابة ثم التابعين. ويربطها بالنظرة التاريخية أيضا. ويضم "تذكرة الأولياء" الذي هو مصدر فارسي مترجم للعربية تراجم أولياء عاشوا قبل الغزو الماغولي تاريخيا. ونجد داخل التصنيف الزمني تصنيفا حرفيا يترجم الأولياء، ويعرض كراماتهم، حسب ترتيب حروف أسمائهم. وهذا ما ينحوه النبهاني في "جامع كرامات الأولياء". ووقف يوسف بن إسماعيل النبهاني صاحب كتاب "جامع كرامات الأولياء" على كرامات أربعة وخمسين وليا من أصحاب رسول الله مرتبين على الحروف رضي الله عنهم، يقول (وقد رتبت أسماء أصحاب الكرامات على حروف المعجم وذكرتهم في كل حرف بحسب أعصارهم غالبا)²⁵⁷، فقد حضر إذن الترتيب الزمني داخل الترتيب الحرفي، ليظهر لنا أن البعد الزمني التاريخي لم يراع بدقة أو إهتمام في كتب جوامع الكرامات أو تراجم الأولياء، إذن فالمقاربة التاريخية للكرامات غير متحققة في المكتبة العربية أو في كتب الكرامات العربية، وتظل مشروعا هاما للباحثين سيما من الوقوف على سيرورة التطور التاريخي للكرامات العربية من مختلف الجوانب. ويأتي التصنيف الزمني التاريخي في كتاب: "كرامات الأولياء.. على ضوء العقيدة.. للعنقري ضمن

²⁵⁷ - النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ج 1 ص 12.

التصنيف الموضوعي. ويورد النبهاني أكثر من رواية لنفس كرامة الولي وهو أمر حاصل في الحجج البيّنات، وفي جامع الكرامات أيضا. وهكذا لا نكاد نجد فيما عدنا إليه ترتيب أصحاب الكرامات حسب التوالي الزمني، وإن حضر فإنه يتم داخل الترتيب الحرفي لاسم العلم، وبالتالي يضيع البعد التاريخي ضمن الترتيب الهجائي لأوائل حروف الأعلام لذلك أروم أن أحقق ذلك من خلال إعادة الترتيب حسب سنة وفاة الرجال أو النساء من أهل الصلاح والولاية والكرامة. ولإشارة فإن حضور النساء الصالحات من أهل الكرامات في مراجع السلف المذكورة، أقل بكثير من كرامات الرجال، واني لأحرص على تسجيل هؤلاء، فقد عثرت على أربعة أسماء نسائية في آخر الفصل المخصص (هذه كرامات أربعة وخمسين من أصحاب رسول الله مرتبين على الحروف رضي الله عنهم) في كتاب "جامع كرامات الأولياء" للنبهاني.

وقد ذكر الشيخ مربيّه ربه في "قرة العينين"، المصدر الكرامي الصحراوي، كرامات عمر (زلزلة الأرض ثم استقرت)، وعمر بن العاص (جفاف النيل ثم جريانه)، وعثمان (معرفة بالزاني)، وعلي (موت معاوية)، وعمر بن الخطاب (سقي الغمام)، وسعد بن أبي وقاص (استجابة الدعاء)، وخالد بن الوليد (شرب السم ولم يضره)²⁵⁸. ولم تعرض المصادر الصحراوية التي أتيح لي التعامل معها بتفصيل كرامات العصور الأولى للإسلام، بل اكتفت بالاستدلال ببعضها في المقدمات والتمهيد، لإدراكها للكم الهائل للكتابات التي كرست حيزها لعرض النصوص النقلية لصلحاء السابقين. لذلك نروم في هذا المبحث عرض تلك الكرامات وأصحابها وفتراتها، ولربما هذا من تاريخ الكرامة الذي يسجل مكانة العديد من الصلحاء الذين لهم مكانة هامة وأدوار فاعلة في الإسلام أو قبله، وظلت نماذج يحتذى بها إلى اليوم، ونروم من خلال هذا الفصل النظر في كيفية توظيف هذه التآليف للدلائل النقلية، من خلال الحرص على عرضها من خلال فترات أولى في التاريخ الإسلامي، وهي مرحلة السلف، فهي مراحل أساسية في التأريخ لمفهوم الكرامة وتجلياتها التاريخية. وهكذا يمكنني تجميع

²⁵⁸ - قرة العينين، ص 8 - 9.

المعطيات باختزال في جدول تنظيمي واصف منظم، وبسطها بعد ذلك.. إن إعادة كتابة المكتوب من نصوص السلف الصالح، أمر متجاوز وغايات البحث المناورة للتكرار والاجترار، ولكن يمكنني إعادة النظر من حيث كثرة الأولياء في هذه الفترات، وبث الملاحظات الهامة بهذا الخصوص، ولفت النظر إلى المصادر والروايات المتعددة لنفس النص الكرامي، والصفة التي يقدم بها النص الكرامي، فهذه الصفة - الدينية تتأى عن النصية إلى غايات أخرى دينية وغيرها. تأتي أهمية هذه المرحلة من حيث الكم الهائل للأولياء، ومن حيث قيمتهم. ولعل تتبع موضوعات الكرامة يسمح أيضا بالتأصيل لموضوعات كرامية لها خصوصياتها، التي يمكن أن تتكرر أو لا تتكرر. وقد تم اختيار الكتب المعتمدة في الفصل بناء على عدة اعتبارات؛ أهمها أنها كانت فاعلة في عرض المفاهيم الأساسية، واعتمادها على مصادرها الأولى بعين المتخصص من أهل العقيدة والدين، أو الطريقة. ويجمعهم مذهبهم المالكي أو مدرستهم الأشعرية، أو مشربهم القادري.

أولا : الكرامة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم

ذكرت أغلب الكرامات التي وقعت قبل الإسلام لصلحاء لهم صلة بأنبياء قبل الرسول في القرآن الكريم، وكانت آيات من آياته سبحانه على عباده، وكانت تعبر على عطاء الله لعباده الصالحين، فالقرآن فيه اعتراف بوقوعها، واختيار الله سبحانه لأخص خواصه المتعبدين المنقذين، وتمت الكرامات الواردة في الآيات قبل نبوة محمد (ص)، ولها صلة بالأنبياء والرسل عن طريق الزواج، أو الأمومة، أو الكفالة، أو غيرها من الصلات، ومن هؤلاء الصلحاء مريم، وأم موسى، وبلقيس، وأهل الكهف، وزوج الخليل. وأما موضوعاتها فهي: تيسير الرزق، والكفالة وضرورة إلقائه في اليم، ووعدها بارجاعه، وإنجاب الولد، وقد تعدت سن الانجاب. وكثيرة هي كرامات السابقين؛ نذكر منها أيضا؛ كرامة طالوت، وامرأة فرعون، وحنان زوج عمران أم مريم عليها السلام، وسارة زوج ابراهيم، وأم أيمن حاضنة النبي خرجت نحو المدينة ليس معها زاد، فعطشت ثم حان وقت الإفطار أثناء الغروب فسمعت

فوق رأسها حفيفا، فرفعت رأسها فإذا بدلو فوق رأسها يدنو، حتى تمكنت منه، فشربت حتى ارتوت.. وما عطشت بعد هذه العطشة أبدا.

الصالح	المرجع	مضمون الكرامة	المغزى
مريم عليها ²⁵⁹ السلام	آل عمران 37،38. الأنبياء، 91. مريم، 23-27.	رزقها في مكان مقامها رزقها من الشجر في مخاضها تيرئة الله لها بكلام عيسى اوكلت أمها "حنا" تربيتها الله تعالى علي يد زكريا في المعبد وهناك من يرى ان تسميتها في القرآن ونزول سورة باسمها كرام كذلك حملها برسول كريم هو عيسى، إكرامها لما نفخ الله فيها روحه تيسير الرزق تساقط الرطب الجني تكلم عيسى في المهد	الطهارة رد الاعتبار للمرأة ، وتشريفها في زمن أهينت فيه النساء .
أهل الكهف ²⁶⁰	سورة الكهف من 9 إلى 26.	حفظ الله لهم مدة طويلةأزيد من ثلاثمائة سنة وهم رقود من غير طعام أوشراب، صنيع الله بالشمس لأجلهم،	جعلهم الله آية لمن بعدهم.
الذي عنده علم من الكتاب كاتب سليمان، اسمه "أصف" ²⁶¹ أو "برخيا" اتفق أنه من البشر	سورة النمل آية 3-4	الإتيان بعرش بلقيس من بلاد اليمن البعيدةإلى الشام في مدة وجيزة (قبل أن يرتد طرف سليمان	

²⁵⁹ - ذكرها الالكتائي في كرامات أولياء الله ص20، وعبد الله العنقري، في كرامات الأولياء، ص85. والنبهاني، في

جامع كرامات الأولياء.. ص17، مربيه ربه في قره العينين .. ورقة5، ومحمد الكنتي، في الطرائف الثالثة ورقة7.

²⁶⁰ - النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص17، الطرائف الثالثة، ورقة 6.

²⁶¹ - العنقري، كرامات الأولياء... ص96. الالكتائي، كرامات الأولياء... ص21-25. ابن عتيق ماء العينين، ابن العتيق

ماء العينين، سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان، ورقة3، محمد الكنتي، الطرائف الثالثة، ورقة7.

	تكلم في المهد ليبرىء أمه.	حديث نبوي، وارد في "صحيح البخاري" "وسورة البروج الآية 9، وسورة آل عمران 77،	جريج الراهب العابد ²⁶²
	أوو إلى غار فدعوا الله فحماهم بأن زحزح صخرة ضخمة سدت فم الغار ودعوا الله فزاللت .	سورة الكهف الآية 9، حديث الرسول، وارد في صحيح البخاري .	أصحاب الغار ²⁶³

كل من وردت كراماتهم في القرآن الكريم لهم تأشيرة ربانية، وحظوه إلهية، فهم أعلى مقاما من الصلحاء الآخرين بعدهم، وهم أقرب للنبوة من غيرهم، لذلك يصعب الفصل بخصوصهم بين الصلاح والولاية والنبوة، والمحظوظون من الصلحاء من صاحب الرسول الكريم وهم كثر.

ثانياً: الكرامة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

أقصد ها هنا كرامات الصحابة الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاشوا معه، وذكرها الرسول في بعض أحاديثه، أو الصحابة عن بعضهم، ولم يولوها عناية كبيرة لانشغالهم بالنبوة، والرسالة، ومعجزات الرسول.. فلم ينشغلوا بأنفسهم عن النبي ولم يسعوا إلى شغل الناس بأنفسهم عن النبي، ولم ينكر كراماتهم في عهد الرسول مسلم لأن الأحاديث النبوية لها مصداقيتها، وتأثيرها القوي في نفوس المسلمين.. ويمكن القول إن الكرامات لم تكن كثيرة في عهد الصحابة، بل كثرت بعدهم، لأنهم انشغلوا بالوحي، وبمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالآخرة وبطلعة المصطفى.. ومن الكتب التي اهتمت بكرامات الصحابة والتابعين نجد "كرامات أولياء الله عز وجل وإظهار آيات أصفیائه من الصحابة والتابعين والخالفين لهم ومن بعدهم من المتأخرين رضي الله عنهم" هذا من الكتب التي اهتمت بالكرامات في عهد السلف، وخصت لذلك وهذا من باب تأصيل الكرامة في عهد

²⁶² - سحر البيان ص3، الحجج البيّنات، ص69، جامع كرامات الأولياء، ص17.

²⁶³ - اللالكائي، كرامات الأولياء، ص30، العنقري كرامات الأولياء، ص120، النبّهاني، جامع كرامات الأولياء، ص18، الحجج البيّنات، ص65.

السلف الصالح، وهي من أهم المراحل التي جسدت حقيقة الكرامة في الواقع. قال ابن حنبل عن قلة الكرامات زمن الصحابة (أولئك كان إيمانهم قويا، فما احتاجوا إلى زيادة يقووا بها إيمانهم..ولزومهم الاستقامة هو أعظم الكرامة)²⁶⁴، وقد تساءل التاج السبكي عن هذا في كتابه: "الطبقات"، ثم ذكر جواب ابن حنبل. وهذه الكرامات كثيرة ذكر المدونون والباحثون كرامات المعروفين من الصحابة والخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين بالتتابع. ومن كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوله: (يا سارية الجبل وسارية بأقصى العراق، فسمع صوته وكان قد أطلع الله تعالى على سرية، وقد أحاط العدو فأمره بالإنحياز إلى الجبل فانحاز هو والجيش الذي معه، فانتصروا، وظفروا، وكان قد قال ذلك وهو في أثناء خطبته على المنبر، فجاء بعض الصحابة إلى علي رضي الله عنه فقال له بينما عمر اليوم بخطب، إذ ترك الخطبة، وقال يا سارية الجبل²⁶⁵، ويقول بهذا الخصوص العالم المختار بن بون (كرامة الولي حق، وظهره منها كثير كرسالة عمر لنيل مصر، وسماع سارية، منه الكلام في البلاد النائية²⁶⁶)، وتناقلت كثير من كتب الكرامة كرامات الصحابة، ورتبتها زمنيا، ومن ذلك ما ورد في كتاب "التشوف"، ووقفت في "قرة العينين" الآتي من كرامات أبي بكر رضي الله عنه قوله لعائشة رضي الله عنهما في مرض موته، وزوجه حامل (إنما هما أخواك وأختاك ذو بطن بنت خارقة أراها جارية، وكان كما قال رضي الله عنه..) وهذه كرامات الصحابة الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم، وعاشوا معه، وذكرها الرسول في بعض أحاديثه أو الصحابة عن بعضهم، ولم يولوها عناية كبيرة لانشغالهم بالنبوة والرسالة ومعجزات الرسول، فلم ينشغلوا بأنفسهم عن النبي، ولم يسعوا إلى شغل الناس بأنفسهم عن النبي، ولم ينكر كراماتهم في عهد الرسول مسلم، لأن الأحاديث النبوية لها مصداقيتها وتأثيرها القوي في نفوس المسلمين. وهكذا لم تكثر الكرامات عهد الصحابة بل كثرت بعدهم لأنهم انشغلوا بالوحي، وبمعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالأخرة وبطلعة المصطفى.. ومن الكتب التي اهتمت بكرامات الصحابة والتابعين نجد "كرامات أولياء الله عز وجل وإظهار آيات أصفياه من الصحابة والتابعين والخالفين لهم ومن بعدهم من المتأخرين رضي الله عنهم"، هذا من الكتب التي اهتمت بالكرامات في عهد السلف،

²⁶⁴ - قرة العينين، ورقة 12.

²⁶⁵ - نفسه، ورقة 8.

²⁶⁶ - قرة العينين ، ورقة 12.

وخصت لذلك، وهذا من باب تأصيل الكرامة في عهد السلف الصالح، وهي من أهم المراحل التي جسدت حقيقة الكرامة في الواقع²⁶⁷. واعتنى صاحب كتاب: "الحجج البيّنات بالوقوف عند عرض كرامات الصحابة في أكثر من رواية في الباب الرابع وكرامات التابعين في الباب الخامس، وقد تتبعتها بترتيبها حتى أبين أصحابها، وموضوعاتها، ومغازيها، لأن الأمر متعلق بمرحلة هامة من التاريخ لها خصوصياتها، وسيساعدنا هذا الكشف على عقد مقارنات لاحقة بين كرامات متباينة في الزمن لنرى مدى الاتصال والانفصال بينها محتوى وشكلا، في الباب الأخير من هذا البحث، وكرامات الصحابة عديدة لا يمكن إحصاؤها، ولكن يوجد قسط منها في كتب الحديث والصحابة. وكتاب "جامع كرامات الأولياء" ليوسف بن إسماعيل النبهاني وقف فيه صاحبه على كرامات أربع وخمسين وليا من أصحاب رسول الله مرتبين على الحروف رضي الله عنهم يقول: "وقد رتبت أسماء أصحاب الكرامات على حروف المعجم وذكرتهم في كل حرف بحسب أعصارهم غالبا"²⁶⁸، إذن الترتيب الزمني حضر داخل الترتيب الحرفي ليظهر لنا أن البعد الزمني التاريخي لم يراعى بدقة أو اهتمام في كتب جوامع الكرامات أو تراجم الأولياء. إذن فالمقاربة التاريخية للكرامات غير متحققة في المكتبة العربية أو في كتب الكرامات العربية، وتظل مشروعا هاما للباحثين، سيما من الوقوف على سيرورة التطور التاريخي للكرامات العربية من مختلف الجوانب. ويورد النبهاني أكثر من رواية لنفس كرامة الولي، وهو أمر حاصل في الحجج البيّنات، وفي جامع الكرامات أيضا. ولا نكاد نجد فيما عدنا إليه ترتيب أصحاب الكرامات حسب التوالي الزمني، وإن حضر، فإنه يتم داخل الترتيب الحرفي لاسم العلم، وبالتالي يضيع البعد التاريخي ضمن الترتيب الهجائي لأوائل حروف الأعلام، لذلك أروم أن أحقق ذلك من خلال إعادة الترتيب حسب سنة وفاة الرجال أو النساء من أهل الصلاح والولاية والكرامة.

المرجع	الصلحاء	المضمون	المغزى
الشيخان عن عبد الرحمان بن أبي بكر (أخرجه البخاري)	أبو بكر الصديق ²⁶⁹	تكثير الطعام . شهادة الرسول له بالجنة.	إكرام الله له.

²⁶⁷ - كرامات أولياء الله.

²⁶⁸ - جامع كرامات الأولياء، ج 1، ص 12.

²⁶⁹ - اللالكائي، كرامات أولياء الله ص 56. العنقري، كرامات الأولياء، ص 143. النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص

118. قرّة العينين ، ورقة 7.

نافع بن عمر	عمر بن الخطاب ²⁷⁰	نداؤه جيشه في المعركة (يا سارية الجبل) ونصرهم الله على الأعداء. شهادة الرسول له بالجنة. كلامه مع أهل القبور.	النصر التحفيز.
نافع الحافظ بن حجر (الإصابة)	عثمان بن عفان (ثالث الخلفاء) ²⁷¹	كسر جهجاه عصاه وهو على المنبر فما حال الحول حتى مات شهادة الرسول له بالجنة.	هلاك من آذى الولي.
حديث الرسول (صحيح البخاري)	سعد بن معاذ ²⁷²	اهتزاز عرش الرحمان عند موته.	تبشيره بالجنة فرح الملائكة به، الفرح بقدوم روح سعد، تعظيم شأن وفاته.
رواية ابن العباس (دلائل النبوة) ورواية الطبراني	اسيد بن حضير ²⁷³	رؤية الملائكة حوله كالأفراس عند قراءته القرآن.	فضل القرآن فرحة الملائكة بالقارىء
أنس (صحيح البخاري)	- عباد بن بشر ²⁷⁴	إضاءة عصا أحدهما لهما في الليل ثم عصا الآخر عند افتراقهما.	نور الله.
قول معاوية بن أبي سفيان	خبيب بن عدي ²⁷⁵	ابتلغته الأرض حماية من المشركين (بليغ الارض) كان أسيرا عند المشركين وكان يؤتى العنب ليأكله وليس بمكة عنب .	حماية الله له.
مالك (الموطأ)	عمرو بن الجموح ²⁷⁶ وعبد الله بن عمرو	لم ييل القبر جسدهما بعد ست وأربعين سنة .	عناية الله بالصحابة والشهداء.
قول النووي (شرح مسلم) البيهقي في	عمرو بن حصين ²⁷⁷	تسليم الملائكة عليه وانقطاع ذلك عنه عند اكتوائه ثم عودته.	كرمه الملائكة.

- 270 - الطرائف التالدة ، ورقة 9. سحر البيان، ورقة 4. كرامات أولياء الله، ص 59، العنقري، كرامات الأولياء، ص 114. الغماري، الحجج البيئات، ص 107، القرّة ص 7. جامع كرامات الأولياء، ص 143.
- 271 - سحر البيان، ورقة 3. كرامات أولياء الله، ص 62. الحجج البيئات، ص 125.
- 272 - الحجج البيئات، ص 88.
- 273 - الحجج البيئات، ص 94. كرامات الأولياء، ص 148.
- 274 - كرامات الأولياء، ص 149. جامع الكرامات، ص 120. كرامات أولياء الله، ص 44.
- 275 - الحجج البيئات، ص 103. كرامات الأولياء، ص 148.
- 276 - الحجج البيئات، ص 109.
- 277 - كرامات الأولياء، ص 151. جامع كرامات الأولياء، ص 146.

دلائل النبوة			
رواية ابن سعد (الطبقات) أبو هريرة أنس	العلاء بن الحضرمي ²⁷⁸ (موته 14 بعد الهجرة)	قطعه البحر على فرسه - استسقاؤه بالسحاب - وجود نور بقبيره .	إكرام الله له
سورة النور الآية 11 والآية 23	عائشة أم المؤمنين ²⁷⁹	إظهار الله تعالى براءتها .	العفة والصدق .
ذكره الحافظ في الإصابة	أبو الدرداء ²⁸⁰	لم تحرق داره بفضل دعائه الذي أورده الرسول في حديثه سبحت القصعة التي أكل فيها هو وسلمان .	حفظ الله له .
	الحسين بن علي ²⁸¹	له كرامات كثيرة ظهرت بعد مقتله منها لحاق الأذى بكل من آذاه بسبب وشم وغيره .	
أخرجه أحمد في "الزهد" والدارمي في "السنن"	هرم بن حبان العبدي (من صغار ²⁸² الصحابة)	أمطرت سحابة على قبره وأنبت العشب من يومه .	مكانته عند الله .

ما نقله المناوي في طبقاته .	أبو هريرة ²⁸³ .	سقطت حية على شاب فتفرق الناس فقال: تبت تبت فلم ير لها أثر .	إختفاء الحية .	تحقق الأمن للناس بفضل الولي .
علوان الحموي في "تسمات الأسحار" .	أنس بن مالك ²⁸⁴ .	كانت له أرض فشكا عطشها فصلى ودعا فإذا بسحاب مثل جناح الطائر رويت ولم تجاوز أرضه .	إجابة الدعاء نزول المطر .	فضائل الإستسقاء .
أخرجه الحاكم عن ابن عباس .	حمزة بن عبد المطلب ²⁸⁵ .	قتل حمزة جنبا فقال الرسول ص: غسلته الملائكة	تغسيل الملائكة لجسد الولي بعد وفاته كرامة وحديث الرسول عن ذلك كرامة .	

278 - الحجج البيئات، ص 118 .

279 - كرامات أولياء الله، ص 87 .

280 - نفسه، ص 77 .

281 - الحجج البيئات، ص 148 . كرامات أولياء الله، ص 73 .

282 - كرامات أولياء الله، ص 55 . الحجج البيئات، ص 152 .

283 - جامع كرامات الأولياء، ص 119 .

284 - جامع كرامات الأولياء، ص 120 . كرامات أولياء الله، ص 80 .

285 - جامع الكرامات، ص 122 .

روى الحافظ أبو النعيم عن الحارث.	سلمان الفارسي ²⁸⁶ .	خرج إلى الصحراء فقال ليأتيني منكن طير وطي فكان له ذلك	إجابة الدعاء تيسير الطير والظبي من الحيوان له.
ما ذكره تاج الدين السبكي.	العباس بن عبد المطلب ²⁸⁷ .	استسقى به عمر بن الخطاب فسقى الله الحرمين فأمرع الله الجناب وأخصب البلاد ورحم البلاد	إجابة الله لدعائه . كرامة الإستسقاء.
تاج الدين السبكي في الطبقات ص 136.	عبد الله بن عمر ²⁸⁸ .	قال للأسد الذي منع الناس في الطريق: تتح، فبصص بذببه وذهب	حمايته من الأسد
روى أبو النعيم عن أبي هريرة.	العلاء بن الحضرمي ²⁸⁹ .	لما انتها مع رفقة إى ساحل البحر عبروه إلى فلاة فلم يبل الماء إلا إسافل خف إبلهم ثم دعا الله فسقوا ثم مات فدفنوه فلما رجعوا لم يروه.	طي البحر . وتلبية استسقاء . الولي . ابتلاع الأرض للولي . حماية لجنته من السباع.

ثالثاً: كرامة مع التابعين

ذكر ابن الزيات في التشوف كرامات الصحابة، وكبار التابعين، لأن الكثير من المنكرين لها يقولون: لم يرد شيء من هذا عن الصحابة، فكيف يصح عن غيرهم، وذكر صاحب " القرة " بعض كرامات الصحابة²⁹⁰؛ من مثل أبي بكر، وعمر بن الخطاب (سارية الجبل، زلزلة الأرض تحت قدميه ثم استقرت - سقي الغمام..)، وعمر بن العاص (جفاف النيل ثم جريانه على يده)، وعثمان بن عفان (معرفته بالزاني)، وعلي بن أبي طالب (موت معاوية)، وسعد ابن أبي وقاص (استجابة الدعاء)، وخالد بن الوليد (شرب السم ولم يضره).

²⁸⁶ - جامع كرامات الأولياء، ص 131.

²⁸⁷ - قرة العينين ، ورقة 9. كرامات الأولياء، ص 151. كرامات أولياء الله، ص 71. جامع الكرامات، ص 134.

²⁸⁸ - قرة العينين ، ورقة 9. جامع كرامات الأولياء، ص 136. كرامات أولياء الله، ص 74.

²⁸⁹ - نفسه، ص 81. جامع الكرامات، ص 139.

²⁹⁰ - قرة العينين ، ورقة 8 - 9.

المضمون	المرجع	الكرامة	الصلحاء	فترة التابعين
نجاته من الغرق.	أخرجه أحمد في "الزهدي".	قطع دجلة بدابته - نجاته من نار قيس بن ذي الخمار العيسي بعد أن طلب منه أن يشهد أنه هو رسول الله .	أبو مسلم الخولاني ²⁹¹ (من كبار التابعين).	في خلافة أبي بكر
المؤمنون يتعارفون في الله.	أبو النعيم "الحلية".	قدم المدينة للقاء أويس وتعرف عليه رغم أنه لم يلقه من قبل .	هرم بن حيان ²⁹² .	
تلبية الإستسقاء.	أبو درعة الدمشقي.	خرج معاوية يستسقي بيزيد بن الأسود فسقوا .	يزيد بن الأسود ²⁹³ .	
رؤية أهل القبور والحديث معهم.	عبد الله بن أحمد بن حنبل.	أدلج على فرسه عند القبور فرأى كل واحد من أهلها أضاء له سوطا .	مطرف بن عبد الله ²⁹⁴ .	
إبراز عفة جسد الوالي.	حلية الأولياء.	سطع النور من رأسه ومن وسطه ومن رجليه.	مطرف بن عبد الله.	
حفظ الله له من الأسد	حماد بن جعفر بن زيد، أبو النعيم في "الحلية"	أتى إليه السبع وهو يصلي فما أذاه	صلة بن أشيم ²⁹⁵	
إكرام تراب القبر	أبو النعيم "الحلية"	استشهد في سبيل الله ايتبركا الناس بتراب قبره لأنه كالمسك	عبد الله بن غالب ²⁹⁶	
تيسير قراءة القرآن في وقت قصير	جعفر الغريابي	ختم القرآن بين المغرب والعشاء ختمتين	منصور بن زاذان ²⁹⁷	
فضل عدل عمر بن عبد العزيز	خالد بن خداح	في زمنه كانت ترعى الذئاب مع الشياه	عمرو بن عبد العزيز ²⁹⁸	

²⁹¹ - الحجج البيئات، ص 156.

²⁹² - نفسه، ص 152. كرامات أولياء الله، ص 112.

²⁹³ - نفسه، ص 105. كرامات الأولياء. 153 .

²⁹⁴ - كرامات أولياء الله، ص 115. كرامات الأولياء، ص 159.

²⁹⁵ - الحجج البيئات، ص 170. كرامات الأولياء، ص 157.

²⁹⁶ - الحجج البيئات، ص 175.

²⁹⁷ - نفسه، ص 177.

²⁹⁸ - نفسه، ص 184.

سكون البحر ونجاة الناس بفضل إجابة دعاء الصالح	أبو الشيخ "حلية الأولياء"	عصفت الريح في البحر ..دعا الله العفو فسكن البحر حتى صار كالدهن	إبراهيم بن أدهم 299	
كرامة الماء أمان الغنم	أبو الشيخ "حلية الأولياء"	تمده سحابة بالماء ليغسل أيخط على غنمه فيجدها لم تتحرك أثناء غيابه	شيبان الراعي 300	
طي المكان إجابة الدعاء إيستشفى بقبره	أبو النعيم "الحلية"	قأبن صده خليل الصياد لما غاب عنه ابنه فوجد الاب ابنه بالشام وأخبر الابن أنه كان بالأنبار حينها	معروف الكرخي 301	
بركة القبور	الحافظ الخطيب "تاريخ بغداد"	قبور الأولياء تحصن بغداد من البلايا	الإمام أحمد معروف الكرخي بشر الحافي منصور بن عمار	
نطق الفرس	أبو النعيم عن طريق زكريا بن يحيى	كلام الفرس مع صاحبه"إنا لله وغنا غليه راجعون - لا تتقي علفي	علي بن بكار 302	
فضل الدعاء والصلاة	"حلية الأولياء"	أعاد التمساح الولد لأمه في شط نيل مصر بعد أن صلى ذو النون ودعا لها	ذو النون 303	
	أبو النعيم عن أبي الحارث الأولاسي	المشي على الماء	إبراهيم بن سعد العلوي 304	
	أبو النعيم	مجالسة الله طاعة الله حب الله	الأبدال: السبعة المخصوصون 305	

299 - الحجج البيئات ، ص 193-194.

300 - نفسه، ص 196.

301 - الحجج البيئات، ص 197.

302 - كرامات أولياء الله، ص 106.

303 - الحجج البيئات، ص 200.

304 - نفسه، ص 106.

305 - نفسه، ص 202 .

	الحافظ السخاوي "القول البديع"	رؤية النبي والخلفاء والأكل من بين يدي النبي وتقبيل رأسه له فراسة	أبو الخير الاقطع ³⁰⁶	
كلام بعد الموت	الحافظ	لما سقط رأسه على الأرض بعد قتله قال : لا إله إلا الله	سعيد بن جبير ³⁰⁷	
		لما مات رأو في الصحراء رجالا عليهم ثياب بيض اختفوا لما دفن	عمرو بن قيس الملائي ³⁰⁸	ابو النعيم "الحلية"
		استسقى من زمزم لبنا وعسلا	أبو بكر بن عياش ³⁰⁹	الفكهاني في "أخبار مكة" ابو
	مجاب الدعاء	يستحسن الطير فيجيبه اذا دعاه	عتبة الغلام ³¹⁰	ابي الدنيا "مجابي الدعاء"
	الدعاء المستجاب	سكن البحر حتى صار كالزيت	أبو ریحانة عبد الله بن مطر ³¹¹	أبو الدنيا "مجابي الدعاء"
		اشتهدت بصلا فجاها الطير به	رابعة العدوية ³¹²	أبو الدنيا "مجابي الدعاء"

306 - الحجج البينات، ص 203.

307 - كرامات أولياء الله، ص 108 .

308 - نفسه، ص 109.

309 - نفسه، ص 112.

310 - نفسه، ص 125.

311 - كرامات أولياء الله، ص 126.

312 - نفسه، ص 127.

رابعاً: الكرامة في الحاضر والمستقبل

تراجع تداول الكرامة في العصر الحديث، وذلك يتعلق بضعف الطرق الصوفية في عدة مناطق إسلامية، وقلّة شيوخها.. ومن مظاهر هذا الضعف تقلص نفوذ الطرق بسبب تراجع الركيزة الاقتصادية والقاعدة الشعبية لها، وهذا يرتبط بتوالي مراحل الفتور والفراغ الروحي، وتراجع نشاطات الزوايا العلمية والتربوية، فصارت الكثير منها منهكة، تشكل مرتعا لممارسات شعبية دونية، لها صلة بالشعوذة، فانتهكت قداستها الروحية، وفقدت قيمتها التاريخية، وقد فصل التليي الحديث بهذا الخصوص في دراسته³¹³.. وتوجد أسباب كثيرة تفسر هذا الأفل، منها نمو التعليم، وتبدل العقليات، وتراجع السياسات الاستعمارية التي كانت تنعش كرامات الشيوخ المقاومين ضد الاستعمار، وأما الداخلية فتجسدت في الصراعات الداخلية، بين المنكرين للكرامات والمؤيدين لها، وهذا جدال يعكس الخلاف الفكري بين التوجهات الإسلامية المختلفة. كما اختلطت الكرامات المزعومة المنحولة بغيرها للقضاء مما ينفر الناس من أهل التصوف أحيانا. لأن من الكرامات المعقولة والمقبولة، ومنها ما ينفر منه السمع ويأباه الطبع، كما أن الناس يتتبعون أهل التصوف، فإن بدت عليهم يجب إشارات الانغماس في المحرمات والشهوات سقطت مكانتهم من التمثل الجمعي، وهذا ما حصل مع أصحاب الطريقة القلندرية، وهي من الطرق الصوفية التي تراجعت بسبب إباحتها للمسكرات، وقد ذكر هذا في كتاب "نظرات في التصوف والكرامات"، وقد تتعلق قلوب الناس بالشيوخ والسلف الصالح ممن كانت لهم قيمة في زمنهم، أو حفل التاريخ بانجازاتهم، فيظل الناس متشبهين بكراماتهم بعد موتهم، ومصدين باستمرارها. وهذا موضوع ذو شجون يمكن أن تؤلف بشأنه كتب كثيرة إذا أثرنا مثلا الارتباط المتين للشيعنة بالحسين وآل البيت، إذ صارت حياتهم متصلة بمراقدهم يحزنون كثيرا للأحداث الحزينة التي عرفتها حياة هؤلاء الصالحين، ويقيمون الحسينيات ويقطعون المسافات الطوال مشيا حتى

³¹³ - العجيلي التليي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، 1992.

ينالوا رضاهم ، وهذه وقائع تستمر طيلة السنة ولا تنقطع إلى الآن ، فلا يمكن الفصل بين سلوكات الشيعة وطقوسهم وبين الكرامات البعدية للصالحين . فالذي يؤمن بكرامات الشيخ لا يميز بينها في حياته وبعد مماته ، فأحمد زروق يقول بهذا الصدد : "إن كراماته بعد مماته كمثل حياته"³¹⁴ . وورد في "قرة العينين" : "وكرامات أولياء أمته مستمرة الوقوع في جميع الأعصار والأقطار"³¹⁵ . ومن الكرامات المنتظرة لدى المسلمين التعرف على المسيح الدجال . إذ تحدث عنها العلماء ، وهي مما سيحدث في آخر الزمان : (من يدرك الدجال ويكفر به ، ويصبر حتى يفرج الله عنهم بقتل الدجال ، وإهلاك يأجوج وماجوج من بعده..) ³¹⁶ . وورد في صحيح مسلم ، عن النبي ، أنه "يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردني بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة ، من الرمانة ، ويستظلون بحقفها ، ويبارك في الرسل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام ، من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم"³¹⁷ . ويمكن عرض هذه الكرامات كالتالي : أكل العصابة من الرمانة ، واستظلالهم بحقفها ، وكفاية اللقحة من الإبل الفئام ومن البقر القبيلة ومن الغنم الفخذ من الناس ، وقبض الأرواح بهذه الريحة الطيبة ، وذهاب البغضاء والشحناء ، والعداوة والحسد . ومن الكرامات المتواترة التي تتحقق للمؤمنين إذ ذاك ؛ نطق الحجر والشجر آخر الزمان ، وإخبارهما للمسلم باختباء عدوه اليهودي خلفه ، وقراءة المسلم للمكتوب بين عيني الدجال ، مع كونه أميا ، المؤمن الثابت أمام الدجال ، رجل صالح يخرج إلى الدجال ويفضحه ، يحييه الله ليثبت كذب الدجال ، فتح مدينة ب "لا إله إلا الله ، والله أكبر" مدينة جانب منها في البر وآخر في البحر ، ينتصر فيها المسلمون ويدخلونها بالتهليل والتكبير ، وذكر الامام أبو حامد عن

³¹⁴ - الصومعي أحمد التادلي ، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تحقيق علي الجاوي ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1996 ، ص 34 .

³¹⁵ - مريبه ربه ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، ورقة 7 .

³¹⁶ - كرامات الأولياء ، ص 128 .

³¹⁷ - نفسه ، ص 128 .

كرامات الاولياء، فقال: ذلك مما لا يستحيل في نفسه لأنه ممكن لا يؤدي إلى محال.. وقال الإمام الشهرستاني: إما كرامات الأولياء فجائزة عقلا وواردة سمعا، ومن أعظم كرامات الله تيسير أسباب الخير.. واجراؤه على أيديهم، وتعسير أسباب الشر. وحيث ما كان التيسير أكثر كانت الكرامات أوفر.³¹⁸

³¹⁸ - ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص 54 .

الفصل الرابع : الكرامة والمكان

هناك نوع من المجازفة، في هذا التقسيم الجغرافي، لعدة اعتبارات، أهمها؛ أن الأولياء تنقلوا في فترات محدودة بين مختلف الرقع الجغرافية، الشرق والغرب، وغيرها.. لأن رحلات الأولياء لم تتوقف، ونادرا ما نجد وليا محدود المكان، وبالتالي يكون غالبا منشؤه في مكان، وإقامته في مكان، وقبره في مكان آخر، وبالتالي التقسيم الجغرافي لا ينسجم وواقع الرحلات الروحية، والعلمية، التي حركت هؤلاء الأولياء والصلحاء، وهذا ما عكسته مؤلفات التراجم، إذ يكتب عن نفس الولي المشاركة والمغاربة على حد سواء.. وهذا ما حصل مع ابن عربي، لذلك فالغرض من هذا الفصل، هو إبراز العلاقة بين المشرق والمغرب ما أمكن، وربط التأسيس والتأصيل، بالاتباع والإبداع.

أولا : الكرامة في المشرق العربي

رأينا في الفصل السابق أن نص الكرامة حضر في نصوص شرعية احتوته بقوة ودلت على ثبوته وشرعيته، وهذا ما يؤكد التآليف المشرقي في الكرامة، حيث استندت جل التآليف على النقول الشرعية المتفق عليها، والموثوق بها.. لذلك فقد اهتمت كتب الحديث النبوي، والسير الذاتية والغيرية، والتراجم والطبقات، والتاريخ، بالنص الكرامي باعتباره سندا منقبيا أو سيريا تتكى عليه لبلوغ أغراضها التأليفية، وتنتمي التآليف المشرقية لأماكن نشأة الصلحاء والأولياء في بغداد، واليمن، وفلسطين، والشام، ونيسابور، وطبرستان، فهذه الأماكن تنتمي إليها المؤلفات التي سأعرضها، في فترة تأليفية ممتدة متواصلة ما بين القرن السادس الهجري إلى الرابع عشر على الرغم من الحراك الروحي والطريقي الذي عرفته مختلف البؤر الكرامية حينئذ. ومن أهم مصادر الكرامة بالمشرق العربي ما سنبسطة، مسترشدين في ذلك بكتاب: "جامع كرامات الأولياء" للنبهاني الذي توفي في 1350هـ أي القرن الرابع عشر الهجري، لأنه انتقى في هذا الكتاب أهم المصادر الموثوقة التي عرضت كرامات هامة لها قيمتها التاريخية والموضوعية والولائية، فهو كتاب يوجهنا نحو المكتبة الكرامية المشرقية، ولا ينكر استفادته من المكتبة الكرامية بالغرب الإسلامي، فهو كان انتقائيا موضوعيا في مصادره ومراجعته،

وقد عرضها في مقدمة الكتاب وغرضه من خلال إبراز قيمة جمعه، وترتيبه، وانتقائه، وإغنائه عن ما قبله من مصادر لها قيمتها التأصيلية. ومن مصادر الكرامة "مشكاة المصابيح"³¹⁹، للإمام ولي الدين التبريزي (المتوفى 502هـ)، نشأ ببغداد وتوفي بها، ألفه في 737هـ، موضوعه الحديث النبوي الشريف، فيه أحاديث في العقيدة والأدب، والعبادات، والمعاملات، والمناقب.. صنفه صاحبه حسب أنواع ومراتب رواية الحديث. و "التفسير الكبير"³²⁰ لفخر الدين الرازي، المتوفى سنة 606هـ، من طبرستان، وهو كتاب يضم كرامات الصحابة. وموضوعه تفسير القرآن الكريم، ويتناول فيه مناسبات تنزيل سور القرآن، والمسائل الخلافية بين المذاهب والفرق. و "الاعتبار"³²¹ للأمير أسامة بن منقذ، المتوفى 584هـ، من شيرز شمال سورية، تنقل بين مصر، وفلسطين، والشام، وله أهمية كبيرة، إذ يعتبر أول سيرة ذاتية في التاريخ العربي، ويضم كثيرا من سير الصالحين، ممن كانوا مقاتلين مجاهدين. و "الرسالة القشيرية"³²² لأبي القاسم القشيري الأشعري، المتوفى في نيسابور سنة 465هـ، من أهم مصادر التصوف، سيرة ذاتية، وتضم مفاهيم صوفية لأقطاب التصوف الإسلامي، وسير ثمانين علما صوفيا، وكما يضم كرامات غزيرة ومناقب ومصطلحات صوفية. وهناك كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام"، عليه الصلاة والسلام، في اليقظة والظلام"³²³ لأبي عبد الله بن النعمان المراكشي، المتوفى 683هـ، ولد بتلمسان، وظل ثلاثين سنة في مصر، وتوفي بها، يضم كتابه هذا في التصوف كثيرا من قصص صلحاء لجأوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وبعدها. وكتاب "روض الرياحين في حكايات الصالحين"³²⁴ و "نشر المحاسن" للإمام اليافعي، المتوفى سنة 768هـ، اليميني الشافعي،

³¹⁹ - التبريزي الخطيب، مشكاة المصابيح، منشورات المكتب الإسلامي، ط 3، 1985م.

³²⁰ - الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، يتكون من 16 مجلدا.

³²¹ - بن منقذ أسامة، الإعتبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.

³²² - القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تحقيق، د. نعيد الحلبي محمود، و د. محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، من مجلدين.

³²³ - بن النعمان أبي عبد الله محمد بن موسى، مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام، تحقيق، حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.

³²⁴ - اليافعي عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين المعروف ب "نزهة العيون النواظر"، المطبعة الميمنية، 1906.

ويتضمن الفصل الأول مقدمة في "فضائل الأولياء والصالحين، والفقراء والمساكين، مما جاء به القرآن الكريم والأخبار والآثار"، والفصل الثاني في "إثبات الكرامات.."³²⁵، ثم الفصل الثالث في حكايات الصالحين وجلها كرامات.. وكتاب "تفاح الأرواح وفتاح الأرباح" لكمال الدين محمد بن أبي الحسن علي السراج الرفاعي القرشي الشافعي، من أهل القرن الثامن الهجري، معاصر للسبكي، وابن تيمية، وأحد الذين ردوا على ابن تيمية. وكتاب "شرح الحكم العطائية" للعارف ابن عباد الرندي، المتوفى سنة 792هـ.. و "تحفة الأحباب" في الكلام على الأولياء المدفونين في مصر، من أهل القرن التاسع، وهو غير الحافظ السخاوي الشهير. وكتاب "زيارات الشام" المسمى، بالإشارات لأماكن الزيارات³²⁶ في دمشق الشام "لابن الحوراني عثمان بن أحمد السويدي الدمشقي، من أهل القرن الحادي عشر، وكتاب "طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص"³²⁷ للإمام زين الدين، أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي، صاحب مختصر البخاري، المتوفى سنة 893هـ، ببلدة زبيد في اليمن. وكتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل"³²⁸ للقاضي عبد الرحمان العلمي الحنبلي، المتوفى سنة 927هـ.. وكتاب "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية"، ويليهِ "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم"³²⁹ لطاش كبري زاده، المتوفى 968هـ. وكتاب "شرح تائية ابن حبيب الصفدي"، و "نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار"³³⁰ كلاهما للشيخ علوان الحموي، المتوفى سنة 936هـ، وكتاب نسمات الأسحار، يضم كثيرا من كرامات

³²⁵ - الياضي عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين، ص 6-21.

³²⁶ - الحوراني عثمان بن أحمد، زيارات الشام المسمى لإشارات إلى أماكن الزيارات، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي مكتبة الغزالي، ط 1، 1981م.

³²⁷ - الزبيدي أحمد بن أحمد الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، دار اليمينية للنشر والتوزيع، 1992.

³²⁸ - العلمي الحنبلي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أبو اليمن، مجير الدين، المتوفى 927هـ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، منشورات مكتبة دنديس - عمان، من جزأين.

³²⁹ - زاده طاشكيري، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ويليهِ العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي بيروت لبنان...

³³⁰ - علوان علي بن عطية، نسمات الاسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار، شيخ علوان علي بن عطية، تحقيق مزدي أحمد فريد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

السادة من السلف، وكتاب "قلائد الجواهر في.. مناقب الشيخ عبد القادر"³³¹، تأليف الشيخ محمد بن يحيى التاذفي الحنبلي، المتوفى سنة 963هـ، ويضم مناقب، وكرامات الشيخ، وسيرته، ومنها دخوله بغداد، وتوبة قطاع الطرق على يديه، وكتاب "المنن الكبرى"³³² و "البحر المورود"³³³، و "الأجوبة المرضية"³³⁴، و "الطبقات الكبرى"³³⁵ جميعها للإمام عبد الوهاب الشعراني، المتوفى 973هـ، ولد بقلقشندة بمصر، وتوفي بالقاهرة، يقول في أول كتابه: "الطبقات الكبرى" (فهذا كتاب لخصت فيه، طبقات جماعة من الأولياء الذي يقتدى بهم في طريق الله، عز وجل، من الصحابة والتابعين، إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر، ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف، من آداب المقامات والأحوال لا غير..)³³⁶، وهو غني بكرامات الأولياء. وكتاب "الطبقات الكبرى"³³⁷، وكتاب "الطبقات الصغرى"³³⁸ كلاهما للإمام المناوي، المتوفى سنة 1001هـ، مصري المولد والوفاء، تلميذ الشعراني، وكتاب "تحفة الأنام في فضائل الشام"³³⁹، للشيخ جلال الدين البصري الدمشقي، ألفه سنة 1002، وكتاب "نفح الطيب.."³⁴⁰ لأحمد المقري، المتوفى سنة 1041هـ، وكتاب

³³¹ - محي الدين عبد القادر، قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء، القطب الرياني

الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، رضي الله عنه، لمحمد بن يحيى التاذفي الحلبي، منشورات كتب نادرة.

³³² - الشعراني عبد الوهاب بن أحمد، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحديث بنعمة الله على الإطلاق، المعروف ب، المنن الكبرى، تحقيق نسالم مصطفى البديري، دار الكتب العلمية، 2010.

³³³ - الشعراني عبد الوهاب بن أحمد، البحر المورود في الموائيق والعهود، أو "العهود الصغرى، تحقيق، محمد الأديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.

³³⁴ - الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، عبد الوهاب الشعراني، منشورات دار البيروتية، 2010م.

³³⁵ - الشعراني، الطبقات الكبرى، المسمى لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، بميدان الأزهر.

³³⁶ - نفسه، ص 3.

³³⁷ - المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق وإعداد محمد الأديب الجادر، دار صادر.

³³⁸ - المناوي زين الدين محمد عبد الرؤوف، إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمان، الطبقات الصغرى، تحقيق، محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت، من أربعة أجزاء.

³³⁹ - تحفة الأنام.

³⁴⁰ - المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب، من ثمانية أجزاء.

"الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة"³⁴¹ للشيخ محمد نجم الدين الغزي، المتوفى سنة 1061هـ، في دمشق الشام، وهو من كتب التراجم التي صنفها إلى ثلاث طبقات، آخرها تنتهي إلى سنة ألف للهجرة، وكل طبقة تضم ترتيباً على حروف المعجم، وكتاب "المشروع الروي في مناقب سادتنا آل باعلوي" للعالم السيد محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، المتوفى سنة 1093هـ، وكتاب "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" للمحبي، المتوفى سنة 1111هـ، وكتاب "الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز الدباغ" لابن المبارك الفاسي، ابتداءً تأليفه سنة 1129هـ، وكتاب "شرح الطريقة المحمدية" لسيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي، المتوفى سنة 1144هـ، وكتاب "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" للسيد محمد خليل المرادي مفتي الشام، المتوفى سنة 1206هـ، وكتاب "تاريخ مصر" لعبد الرحمان بن حسن الجبرتي، المتوفى سنة 1237هـ، وكتاب "شرح البردة" للشيخ حسن العدوي المصري، المتوفى سنة 1303هـ، في مصر، وكتاب "الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية" للشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد الخاني النقشبندي، المتوفى سنة 1317هـ في القسطنطينية، وكتاب "مناقب القطب الكبير سيدي شمس الدين الحنفي المصري" للشيخ علي بن عمر البتونوي، و "طبقات الشعراني" و "بستان العارفين" للنووي، و "عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق" للشيخ ابراهيم العبيدي المالكي، و "مناقب القطب سيدي الشيخ محمد الجسر الطرابلسي" لولده الشيخ حسين، و "حجة الله على العالمين" للنبهاني، المتوفى سنة 1350هـ، و "الطبقات" للسبكي، ومصادر أخرى يعز المقام عن ذكرها..

ثانياً: الكرامة في الأندلس

هناك تناسق بين الكرامة في الغرب الاسلامي والكرامة في المشرق، إذ تحكمهما معا وحدة الظواهر التاريخية والفكرية في العالم الاسلامي، رغم ما لكل منهما من خصوصية، وذلك لانتسابهما لمجال تداولي واحد هو المجال التداولي الاسلامي³⁴². ومن أعلام

³⁴¹ - الغزي نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب المنصورة، 1997م، من ثلاثة أجزاء.

³⁴² - خلع النعلين، ص 16.

التصوف في الغرب الإسلامي يمن بن رزق التطيلي (أواخر القرن 3 هـ أوائل ق 4 هـ)،
واسماعيل بن عبد الله الرعيني، (أواخر ق 4 هـ)، وابن بركان (537)، وابن قسي (546)..
وحصلت مرحلة نضج التصوف واكتماله مع ابن عربي والحاتمي (560 هـ - 638 هـ) أي في
أوائل القرن السادس الهجري. ومن أهم مصادر الكرامات بالغرب الإسلامي "الفتوحات
المكية"³⁴³ لابن عربي المتوفى سنة 636 هـ، والفتوحات، أشبه بموسوعة ثقافية روحية فيها
علم، وفلسفة، وقصص، وتاريخ، وتأملات، ومكاشفات، وكرامات دونها صاحبها³⁴⁴ اضطلع
بنقله رواية مخصوصون، وانتشر في المشرق والمغرب بواسطة سلسلة متصلة الأسانيد. ومن
كتب ابن عربي الهامة أيضا "مواقع النجوم"، و "المحاضرات"، و "روح القدس"، و "بغية
المغرب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان، في كرامات الشيخ أبي مروان"³⁴⁵، لأحمد بن
ابراهيم بن يحيى الأزدي القشتالي.

ثالثا: الكرامة في المغرب العربي

تتناول جل مؤلفات التصوف وما يرتبط به من مباحث الولاية والكرامة، وغيرها في
مقدماتها أو فصولها الأولى تجليات المباحث المذكورة في المشرق العربي مؤكدة ومؤصلة
لها، وبالتالي فالتأليف المغربي بشكل عام ينضوي تحت التأليف المشرقي أو بالأحرى يتناول
التصوف بالمشرق، وما يتعلق به، لكننا قلما نجد تأليف مشرقية تتناول التصوف المغربي،
وما يتعلق به. وكانت العديد من المصادر الكرامية ذات بعد مغربي، لأنها لم تفصل بين
بلدانه، بل انتبعت على الطابع التاريخي المشترك في كتب الكرامات، كما انتبعت على

³⁴³ - ابن عربي، **الفتوحات المكية**، السفر الأول تحقيق وتقديم، عثمان يحيى، تصدير ومراجعة، د. ابراهيم مذكور،
المجلس العلمي للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوربون الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.

³⁴⁴ - نفسه، المقدمة، ص 27.

³⁴⁵ - الأزدي القشتالي أحمد بن ابراهيم بن يحيى، **بغية المغرب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان**، في كرامات
الشيخ أبي مروان، تحقيق، فرناندودي لكرانجا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمديرد
1974.

رحلات الأولياء الذين انفتحوا روحيا وعلميا، ولم يضيّقوا على تنقلاتهم لأي اعتبارات سياسية أو لغيرها لذلك كانت رؤية العلماء والأولياء أوسع وأغنى من غيرهم. ونعرف بلاد المغرب بأنها البلاد الواقعة في شمال افريقية في غرب مصر، وهي ليبيا، وتونس، والجزائر ومراكش³⁴⁶. ووجد الباحثون صعوبة في تحديد المرحلة الأولى لبروز حركة التصوف بالمغرب الإسلامي، وقد ظهر زهد في البداية، وبعد أبو عمران الفاسي أول من أدخل تعاليم الجنيد إلى افريقيا³⁴⁷. وعرفت الحياة الروحية في القرن السادس الهجري انتعاشا جاء كرد فعل على حياة المجون التي واكبت الغزو الصليبي الإسباني البرتغالي الذي هلك أجهزة الدولة وقوتها، فكانت هذه الحركات تهدف ملء الفراغ الروحي، وكرست جهودها للدفاع عن الوطن أيضا.. وستتحدد أصول الحركة الروحية في أصولها التي هي عبارة عن طرق مشرقية إذ جمعت عدة صلات بين المشرق والمغرب منها رحلات الحج، والعلم، والتجارة والمؤلفات المشرقية الهامة التي تظهر من خلال التأليف المغربي.. فقد تمكنت الحركة الصوفية بالمغرب عن طريق إنشاء الزوايا، وتجمع الناس حولهم لقراءة الأحزاب لشيخ معين.. من أن تحل في نفوس الناس محل العصبية القبلية لحد كبير. فقد كانت هذه العصبية قد ضعفت.. وهلك الألو ف بعد الألو ف من أهل هذه القبائل في الحروب التي دارت بين الدول بعضها مع بعض " .. وارتبط الإقبال على التصوف بالرغبة في تحقيق التوازن النفسي بعيدا عن العنف، وبت الأمل في النفوس كبديل عن النفور والحروب، ولم يكن ذلك مسعى فرديا، بل توجهها مشتركا عاما" وهكذا حلت الزاوية محل الدولة والطريقة محل النظام السياسي، والعهد الذي يربط المرید بالشيخ محل الولاء لدولة، وشيخ الطريقة محل رجل الدولة، في اعتبار المریدين". ولأهل المغرب مكانة في الأحاديث النبوية فالمغرب دار أولياء والشرق دار الأنبياء، إذ يروي مسلم بن الوليد بسنده إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

³⁴⁶ - المعجم الوسيط مادة "غرب" .

³⁴⁷ - القاسمي الحسني عبد المنعم، المؤلفات الصوفية في الجزائر، تقديم عمارة جبدل، دار الخلي لنشر والتوزيع بوسعادة الجزائر، ط1، 2005، ص 33.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"³⁴⁸. والإقبال على التصوف واكبه ولاء للشيخ لذلك ألف الكتب، ونسجت المدونات في مناقب وكرامات الشيخ.. ومن ذلك سنقف على أهم ما تيسر لي الوقوف عنده.. ويجب أن نتحدث هنا عن كتب المناقب والكرامات التي جمعت كرامات أولياء المغرب العربي، وهذا سؤال مطروح، هل جمعت المؤلفات بين أولياء المغرب العربي، ويمكن هنا ذكر مصنفات اهتمت بالإقليمية، لكنها في الحقيقة لا تنقل نظرة شاملة بقدر ما تركز على رقعة بعينها. إن التعامل مع موضوع متشابك متشعب من منظور جغرافي لا يتم من خارج الموضوع بل مما هو متاح في المكتبة الكرامية بهذه المنطقة، بمعنى هل سنجد مكتبة متخصصة بالكرامة ترتبط بكل قطر؟ أعتقد أن هذا الأمر بعيد المنال. لذلك سأقدم ما تمكنت من الوقوف عنده، وأستهل بالمغرب الأقصى ثم البلدان الأخرى بالتتابع.

1- الكرامة في تونس

من أهم الطرق الصوفية في تونس في الفترة الأخيرة التي درسها التليي الطرق الأصلية من مثل القادرية، والتيجانية، وأخرى فرعية من مثل الشاذلية، والمدنية، والشايبية، كما وقف الدارس عند الموارد الاقتصادية للطرق وهي العقارات، والأراضي، والممتلكات المنقولة، والإعانات التي تقل أو تكثر حسب نوع مداخل الزاوية وعدد الأتباع أيضا. ومن أدبيات هذا المجال كتاب: "رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم" من تأليف أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، وقد ترجم المالكي نحو مائتي وسبعين عالما وفقهيا وعابدا مغربيا، من الذين تواجدوا بالقيروان خلال القرن الثاني، والثالث، والرابع هجري، وقد كانت قبلة العلماء ببلاد المغرب، وصنفهم ضمن طبقات خمسة، بدأها بذكر من دخل إفريقية من أصحاب النبي (ص)، والتابعين العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ثم يتدرج في الترجمة لعلماء إفريقية وما

³⁴⁸ - التشوف، ص 31.

جاورها من البلدان، ومع كل زاهد منهم متصوف يسرد لنا طائفة من كراماته وخوارقه على حسب ما بلغه من أخبار ووظائف وأوصاف، ففي ذلك إحياء لذكرهم ونشر لفضائلهم، فيتذكر بذلك متذكر ويقتدي مقتدر ومزدجر، فلعل الله عز وجل يوفقه بفضل له لسلوك طريقهم والتمسك بهديهم فيكون بذلك حياة لقلبه، وافتقارا إلى ربه - جل جلاله - ومعرفة بنفسه، واحتقارا لعلمه، وزيادة في اجتهاده، وقد كان بمغربنا منهم فقهاء وعلماء، ومتعبدون أهل فضل كامل ويرهان شامل"، فهذا الكتاب يعد في طليعة ما ألف في المناقب، وإن كان تركيزه الأكبر على حركة الزهد التي سبقت التصوف في المغرب العربي، إلا أنه لا يخلو من سرد بعض الأخبار العجيبة والكرامات الغريبة لبعض من ترجم لهم.

2- الكرامة في الجزائر

عرفت الجزائر إرهابات روحية تجسدت في الزهد والتتسك، ثم برزت حركة صوفية في القرن الثالث الهجري إلى السادس الهجري، وكان من أبرز شيوخها الشاعر بكر بن حماد التيهرتي، والشيخ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري، وله كتاب "الرد على البكرية"، والعارف أبو مدين بن شعيب التلمساني (ت 594هـ)، وقد كانت لحركة التصوف هذه روافد مشرقية ومغربية وأندلسية تجلت في تأثر العارفين بالتأليف المشرقية الأصلية المؤسسة للتصوف السني، ولرواج هذه التأليف وتدريسها جميل الأثر على حركة التصوف بالجزائر، وخاصة تلمسان التي كانت معقلا للرباطات والزوايا، ونتجت حركة التصوف هذه عن تظافر عوامل عدة منها ما ذكرناه من عوامل ثقافية وفكرية، ومنها أخرى سياسية ارتبطت بضعف الدولة الموحدية، وسقوط الأندلس، وماواكبها من غزو إسباني على السواحل الأطلسية، ودول الغرب الإسلامي، وكان التصوف ملاذا للهاربين من سقوط القيم، والترف الفاحش إلى التعبد والترقي بالنفس عن طريق التحلية، والتخلية، والتربية، الروحية، وقد كانت هذه الحركة نخبوية منحصرة في النخبة ثم توسعت لتشمل فئات شعبية واسعة استفادت من رواج الفكر والتعليم الصوفي وأقبلت على الطرق في الزوايا، والرباطات، وغيرها. وواكب كل ذلك تأليف منقبي كرامي ثري مؤسس للمكتبة الكرامية الجزائرية، ومن أهم كتبه نذكر "صلة الصلة" لابن

الزبير³⁴⁹، وفيه حديث عن الولي عبد العزيز التونسي، وكتاب "المواهب القدسية في المناقب السنوسية" لمحمد بن ابراهيم بن عمر الملاي التلمساني (897هـ-1492م)، وفيه ترجمة لشيخ المؤلف محمد بن يوسف السنوسي، ويتكون الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب.. ذكر فيه شيوخه، وكراماته، ومكاشفاته، وزهده، وتأليفه، وتفسير آيات وأحاديث ثم أوراده ووفاته. وكتاب "بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار، ومعدن الأنوار" لسيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار"، لمحمد الصباغ القلعي، و "ريح التجارة" للشيخ علي بن موسى الجزائري، فيه ترجمة للشيخ أحمد بن يوسف الملياني، و "الفلك الكواكبي في أولياء منطقة الشلف" أو "الفلك الكواكبي وسلم الراقي إلى المراتب" لمحمد بن عيسى بن فكون الشلفي (ت1023هـ)، و "مطلب الفوز والفلاح في أدب طريق أهل الفضل والصلاح" لعيسى البطيوي، يتكون من مقدمة وثمانية أبواب، وهو موسوعة تنقل الحياة الإجتماعية والدينية لعصرها، و "المرائي الكبرى والصغرى" للثعالبي، "أنس الغريب وروضة الأديب" لأبي العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت865هـ-1460م)، و "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" من تأليف الغبريني، و "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة" لأحمد بن القاسم البوني، تناول فيه علماء وصلحاء عنابة والمغرب وتونس، و "سبيكة العقيان فيمن بمستغانم وأحوازها من الأعيان" لمحمد بن محمد الموفق المعروف بابن حوا، و "التعريف بالأخبار المالكيين الأخير"، لمحمد السعيد بن علي الشريف الشلاطي أبي الفضل (ت1314هـ).. وهناك من خصص مؤلفه لعرض كرامات شيخ من الشيوخ، "طهارة الأنفاس، والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية" لمصطفى بن الحاج البشير، و "فتح المنان في سيرة الشيخ سيدي الحاج محمد بن أبي زيان"، وهو مجهول المؤلف، و "كنز الأسرار، في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخير"، لمحمد بن محمد الغريسي المعسكري الملقب بأبي زيان (ت1271هـ-1854م)، و "البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان" لابن مريم الشريف التلمساني (1044هـ/1605م)³⁵⁰ ويضم ترجمة لاثني وثمانين ومائة عام وولي عاشوا بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة. ومن المصادر الهامة

³⁴⁹ - ابن الزبير ، صلة الصلة ، الجزائر ، 1937 .

³⁵⁰ - التلمساني ابن مريم الشريف، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، المطبعة التلمسانية الجزائر، 1907.

أقف عند كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب" للدرجيني، ويقصد بالمغرب المغرب الأوسط أي الجزائر اليوم فهو يترجم لشيوخ الإباضية الذين ينتمون لمناطق بعينها في جنوب الجزائر (ميزاب مثلا) "وقد صنف الدرجيني أعلام الإباضية إلى طبقات وجعل كل طبقة في خمسين سنة.. وبلغت.. اثني عشر طبقة³⁵¹. وأحمد الدرجيني من علماء القرن السابع للهجرة وقد أورد في كثير من الأحيان كرامات الشيوخ أثناء الترجمة لهم.

3- الكرامة في المغرب الأقصى

انبتت العلاقة بين المشرق والمغرب على كثير من الوشائج الدينية والاقتصادية، وعلى رأسها فريضة الحج التي رافقتها حركة تجارية وعلمية وثقافية متنوعة، إذ إن هجرة الكتب والتلاقح الثقافي والعلمي قد رافق الحجاج العلماء.. ومن هذا المنطلق نقول إن أفكار الجنيد والغزالي قد وصلت إلى المغرب على عهد المرابطين رغم حرق "الإحياء" في عهد علي بن يوسف المرابطي.. وهكذا برزت الحركة الصوفية في المغرب في شكل رباطات لمحاربة البدع والجهاد منها رباط أبي النور عبد وكريس في دكالة، ورباط بني أمغار في تيط على الساحل الاطلنطي على ساحل الجديدة، ورباط شاكر في حوز مراكش، ومتصوفة ق 6 هـ بالمغرب، هم أولياء لهم كرامات، منهم أبو شعيب السارية، وأبو عبد الله أمغار، وعبد الجليل بن ويحلان، وأبو الحسن بن حرزهم، وأبو يعزى يلنور، وأبو العباس السبتي.. وانتشرت في العهد السعدي الجزولية، وكثر أشياخها في مراكش، وفاس، والبوادي، وفي تادلة، والجنوب المغربي، ومن مشايخ الحركة الصوفية على هذا العصر أبو الحسن الشاذلي، ومحمد بن سليمان الجزولي، وأحمد زروق البرنوس، ومن أعلام الشاذلية ابن عطاء الله الاسكندري صاحب الحكم، وابن العباس المرسي توفي بمصر 656هـ³⁵². ومن

³⁵¹ - الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم محمد طلاي، ط 2، 2007، حرف

ص.

³⁵² - التادلي، المعزى، ص 38.

تأليف هذا المجال "المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد"³⁵³ لأبي عبد الله محمد التميمي الفاسي (ت 604هـ/1207م)، هو من أوائل الكتب المنقبية الكرامية في المغرب، إذ لم يكن هو الأول الذي يقدم ويؤرخ لمتصوفة فاس، وما والاها ما بين القرن الرابع الهجري والسادس وهو العصر الوسيط، وهي فترة هامة عرفت نشأة الخلافة الموحدية التي اتسمت بالاستقرار السياسي والازدهار الحضاري كما عرفت حركة التصوف والولاية وتنظيم الطرق والزوايا في الفترة المرينية من تاريخ المغرب.. ويتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء يقدم فيها خبر خمسة وسبعين ومائتين من الأولياء مصدرها المؤلف نفسه نقلها عن طريق المشاهدة، ورواته يتعدى عددهم ستين راويا منهم من أفراد عائلته، ومنهم كثير من شيوخه. ونصوص الكتاب غنية بالاستشهاد بالقرآن، والحديث، والشعر، يتغنى صاحبه الواقعية والعلمية في التعامل مع المعلومات، ذكره أبو الحسن علي الجزنائي الذي كان حيا سنة 766هـ صاحب كتاب "جنى زهرة الآس" ومن الكتب التي نقلت عنه "جذوة الاقتباس" لابن القاضي (1025هـ-1616م) و"الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس" لابن عيشون (1109هـ-1697م)، وقد سبق تأليفه "التشوف" بعقدين من الزمن، ولم يذكره ابن الزيات، ونسبته إلى التميمي كانت مثار جدال بين عدة مؤلفين³⁵⁴. وهناك كتاب "التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي"³⁵⁵ لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات³⁵⁶.. (ويتضمن الكتاب أخبار عدد من الرجال الذين تنتهي إليهم معظم أسانيد الصوفية في المغرب الأقصى.. ويتناول فترة دقيقة حصل فيها التحول الثقافي بالمغرب الأقصى، تمتد بين القرن

³⁵³ - التميمي الفاسي أبي عبد الله محمد، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، تطوان، 2002.

³⁵⁴ - التشوف، ص 16-17.

³⁵⁵ - نفسه

³⁵⁶ - ت 627هـ، ترجمه في مقدمة التشوف.

الخامس والسابع للهجرة..)³⁵⁷، من أهم نص كرامي مناقبي يضم سبع وسبعين ومائتي ترجمة منها ثمان نساء، ثلاثة منهن غير معروفات. في العصر الوسيط (ق12-13م)، ومن الأسانيد التي أخذ عنها التادلي ابن عبد الملك في "سفر الغرباء" من "الذيل والتكملة" وأخذ عن أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الغزولي، وأخذ عن أبي القاسم أحمد بن بقي الأموي³⁵⁸.. وقد ذكر التادلي في "التشوف" أخبار تسعة وسبعين ومائتين من الرجال والنساء من بينهم تسعة عشر من المغمورين؛ ترجم محمد بن سعدون (ت485هـ) وآخرهم أبو علي عمر بن علي (ت626هـ)، وكان المترجمون بأغمت، ومراكش، ودكالة، وركراكة، وتادلا، وهسكورة، وسجلماسة، وفاس، ومكناس، وسلا، وسببة، ودرعة، وسوس الأقصى، وتلمسان، وبجاية، وغيرها³⁵⁹. وأخذ هذه الأخبار عما يزيد عن خمسين راويا بلفظ (سمعت فلانا)، أو (حدثني فلان)، وربما قال: (كتب إلي بذلك فلان)، وظهر لي من خلال قراءات أن معظم الرواة من إخوان المؤلف من طريق القوم أو من أصحاب الشيوخ المترجمين أو من ذويهم، ويبدو لي أيضا أنه أكثر من الرواية عن أشخاص معينين من أخبار مناطق معينة.. كأخبار سجلماسة³⁶⁰. وقد قصد المؤلف من كتابه: "أعلام كثير ممن خفي عنهم من كان بحضرة مراكش من الصالحين، ومن قدمها من أكابر الفضلاء"³⁶¹ الاهتمام بهذه المنطقة، وإبراز ظاهرة الصلاح فيها، واستفحال العمران بمراكش. وذكر ابن عربي "التشوف" في "الفتوحات المكية" في الباب الثاني والأربعين، وهذا يبرز قيمة المؤلف.. والتشوف شبيه بـ "حلية الأولياء" لأبي النعيم في المشرق. وقد خصص صاحب التشوف فصلا في "إثبات كرامات الأولياء"³⁶²، ثم آخر لبسط أنواع الكرامات سماه "جامع لأنواع الكرامات"³⁶³.. والسؤال

357 - ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف، ص 9.

358 - نفسه، ص 11.

359 - التشوف، ص 13.

360 - التشوف، ص 13.

361 - نفسه، ص 14.

362 - نفسه، ص 44.

363 - نفسه، ص 74.

المطروح هل اهتم صاحب "التشوف" بذكر أولياء الجنوب المغربي؟ وجوابا على ذلك نرى أن التادلي ركز في "التشوف..". على الجنوب حتى سنة 517هـ - 1123م. ويرى محمد قبلي أن في "التشوف" مضمرات يسبرها المتأمل إذا نظر إليه باعتباره نصا إبداعيا وكيانا معقدا فاعلا متفاعلا، لا تصح معاملته كوعاء فقط أو مستودع لآثار متنوعة³⁶⁴، ومن الكتب التي ألقت على منواله "أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ، في القرن 14م، فيه ثلاث تراجم للنساء، و "المطرب بمشاهير أولياء المغرب"³⁶⁵ لعبد الله بن عبد القادر التليدي، المتوفى (950هـ).. و "دوحة الناشر بمحاسن من كان بمغرب القرن العاشر"³⁶⁶، لمحمد بن عسكر الشفشاوني، تحقيق محمد حجي، ترجم فيه لصالحة وحيدة هي أمه، و "سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس فيمن أقبر من الصلحاء بفاس" لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1926م)، ألفه في نهاية القرن 19م، يضم ثمان مائة وألف ترجمة. كتاب "المقصد الشريف، والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"³⁶⁷، لعبد الحق البادسي. وهو كتاب صوفي مغربي عني بشيوخ مغاربة، وآخرين جزائريين مما يجعل الكتاب ذا بعد مغاربي جغرافيا، وقد ركز البادسي على تقديم أهم رجال التصوف، وعددهم ستة وأربعون شيخا في القرن السادس الهجري إلى الثامن الهجري، في شمال المغرب الأقصى ما بين سبتة وتلمسان، وقد غطى منطقة أغفلها قبله ابن الزيات، وسار على خطى ابن الزيات في التأليف، وهذا ما وضعه في مقدمة كتابه؛ "فاقتضبت أبياتا عقب كل شيخ تتاسب أحواله كل المناسبة، وتطابق حالته المرضية"

³⁶⁴ - قبلي محمد، نحو مضمرات التشوف التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط 1، منشورات عكاظ، ص 63، 64.

³⁶⁵ - التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، 2003.

³⁶⁶ - الشفشاوني محمد بن عسكر، دوحة الناشر بمحاسن من كان بمغرب العاشر، تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي، البيضاء، 2003م.

³⁶⁷ - البادسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب، طبعة الرباط، 1993.

ومكاسبه..³⁶⁸. وكتاب "دعامة اليقين في زعامة المتقين"³⁶⁹ فيها مناقب أبي يعزى وأبي العباس العزفي³⁷⁰. وخصص المؤلف الكتاب لعرض أخبار الشيخ أبي يعزى يلنور، ووافق ذلك فترة تاريخية حرجة تجلت في ضعف الموحدين بعد موقعة العقاب بالأندلس (609هـ).. وكتاب "المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى"³⁷¹، للتادلي الصومعي. ذكر فيه كرامات أبي يعزى (توفي (572هـ) في الأبواب الثلاثة الأولى من مؤلفه المعزى³⁷²، وقد أنكر الكثيرون كرامات أبي يعزى، وهناك من عارضه بسبب جهله، وقلة علمه، فقد التصقت به صفة العناد، والتعنت، والجاهل باللغة، ومن هؤلاء التاودي عبد الله قال: (لم يشم لطريقنا غبار)، غير أن التادلي ساندته، وألف كتابا عنه كما دافع عنه، ورفع عنه التهمة عبد الله كنون، كما أن مؤلف "المعزى..". وهذا ينقل بعض الأفكار السائدة في المغرب في القرن 10 هـ، كما تحدث التادلي عن الأصول الشرقية للتصوف المغربي من القرن 6 هـ إلى 10 هـ.

يذكر الدارسون أن التادلي الصومعي له كرامات تثبت مرتبته العالية، وشدة المنافسة بينه وبين تادلي آخر هو صاحب زاوية أبي الجعد محمد الشرقي.. وكانت للتادلي كرامات منها أنه (انطفأ سراج في ليلة مظلمة فأمد الى نجم من النجوم، فانتقد في حينه)³⁷³. وكان يميز بين من يصلي ومن لا يصلي اذ كان يرى دخانا ودكنة على وجه هذا الاخير مهما كانت أعضاؤه نظيفة³⁷⁴.. ومن كراماته أنه عندما قامت ثورة الناصر بن عبد الله الغالب عن السلطان أحمد المنصور فصرح أن الناصر سيدخل تادلة دخول الملوك، وهذا يعكس تعاطفه مع الثائر ومعارضته لسلطان السعدي³⁷⁵، وذكر عبد الخالق بن محمد العروسي في

368 - نفسه. البادسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف .

369 - العزفي أبو العباس، دعامة اليقين في زعامة المتقين، كرامات الشيخ أبي يعزى ص 36.

370 - نفسه.

371 - المعزى.

372 - المعزى.

373 - نفسه، ص 21.

374 - نفسه ص 24.

375 - نفسه.

مؤلفه "الزاوية الشراوية" أنه كان بين التادلي الصومعي وأحمد الشرقي منافسة واختلاف وكل واحد ينكر حال الآخر.. وكتاب "جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس"³⁷⁶، لأحمد بالقاضي المكناسي.

ذكر مؤلفه أعلاما كثيرا، ويورد أحيانا بعض كراماتهم، ومن الأعلام علماء وملوك، ويأخذ المؤلف الكثير من المعطيات عن كتاب "التشوف"، صاحب الكتاب أحمد بن القاضي ولد بمكناس عام 960هـ وتوفي عام 1025هـ، هذا الكتاب له أهمية في معرفة تطور اللغة، واللهجات بالمغرب، كما أنه يعج بالمناقب والكرامات التي يتسم أغلبها بسمة الخرافة مما يدل على تغير الفكر المغربي في الوقت الذي ألف فيه³⁷⁷، وهناك جملة من الكتب الهامة التي تحتضن مادة الكرامات المغربية أذكر منها صلحاء ركراكة، و "إثم العينين"³⁷⁸ لابن تجلات، و "المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح"، لأحمد بن إبراهيم الماجيري³⁷⁹، يوضح مؤلفه أنه سمع مناقب الشيخ أبي محمد صالح باللهجة الأمازيغية التي يعبر عنها بلسان الرطانة³⁸⁰، و "تحفة المغترب في بلاد المغرب، لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان"، لأحمد بن إبراهيم الأزدي الفشتالي³⁸¹. و "الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر مناقب قطب المغرب وتاج فاس"، لمحمد بن جعفر الكتاني، في أواخر القرن الثالث عشر. و "السر المصون في ما أكرم به المخلصون" لطاهر الصدفي، في العصر الوسيط، تحقيق، حليلة فرحات، و "ممتع الأسماع..³⁸²، محمد المهدي الفاسي، و "مرآة

³⁷⁶ - المكناسي أحمد بن القاضي، جذوة الإقتباس من ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط 1973.

³⁷⁷ - جذوة الإقتباس، ص 6.

³⁷⁸ - ابن تجلات، اثم العينين، تحقيق رابطة الدين، أطروحة السلك الثالث الرباط، 1986.

³⁷⁹ - الماجيري أحمد بن إبراهيم، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح تحقيق؛ ذ. عبد السلام السعيد، طبع دار أبي رقرق 2013 ج 2.

³⁸⁰ - المنوني محمد، لقطات دفيئة من كتابين في المناقب، التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي، منشورات عكاظ، 1988، ص 13.

³⁸¹ - الأزدي الفشتالي أحمد بن إبراهيم، تحفة المغترب ببلاد المغرب، لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تحقيق، فرناندو د لا جرانخا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية 1974م.

³⁸² - العمروي عبد الحي ممتع الأسماع... محمد المهدي الفاسي، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، دار النجاح الجديدة، البيضاء، 1994.

المحاسن بأخبار الشيخ أبي المحاسن³⁸³، لمحمد العربي الفاسي، و "الكوكب الوقاد فيمن حل بسببة من العلماء والصلحاء والعباد" لأبي بكر عبد المهيمن الحضرمي، و "المنتخب المغرب في ذكر بعض صلحاء المغرب" لمؤلف مجهول، "جذوة الاقتباس" لابن القاضي، و "الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس"³⁸⁴ لابن عيشون الشراطي، و "الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام"، و "تحفة الأحاب" للتميمي، وفيه يتحدث عن أبي يعزى، و "تيممة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله محمد المعطي" لأبي عبد الله العيدوني. وأغلب ما ذكرناه من مؤلفات يخص المغرب الأقصى، وتحضر الكرامات المغربية بشكل مكثف في كتب تراجم وأخبار الأولياء التي تهتم بمنطقة أو بولي بعينه أو تلك التي تهتم بموضوع صوفي له أهميته، وتتخذ من الكرامات حججا على أفكارها أو دليلا على مناقب الولي.

بناء على ذلك فنحن نميز بين المصادر الهامة التي سبقت غيرها في رصد وتجميع مادة كرامية هامة بمنهج معين وتلك التي تحفظ كرامات قد لا توجد في الأخرى. لذلك، فإذا اهتمنا بالنص الكرامي فسنحفظ ونعتني بمختلف الأوعية التي احتضنته، دون إهمال فقد يكون في كتب غير متخصصة، أو بعيدة، نصوص نادرة لها أهميتها في الحقل الكرامي، وأن التسمية المكانية مغربي أو غيرها إنما ترتبط بالمكان الذي يرتبط به الولي أو الأولياء من حيث الولاية أو الإقامة، فينسب الولي للمكان أو المنطقة أو البلدة فيشتهر بذلك، وترتبط التسمية المكانية أيضا ترتبط بالمدون أو المؤلف الذي غالبا ما يكون من نفس مكان الولي، ويكون أكثر معرفة به، وأحيانا كثيرة نجد أن المدون، له علاقة نسب أو علم بالولي، فيكون أيضا أعرف به وهذا لا ينفي وجود مادة كرامية مغربية في مراجع ومصادر إفريقية ومغربية ومشرقية أو العكس، وهذا ما لمستته عن كثب عند قراءاتي المتكررة لكتاب. "كرامات مغربية بعيون مشرقية" الذي عرض عدة كتب مصادر ومراجع لمغاربة وغيرهم فيها مادة كرامية مغربية كثيرة، ويظهر هذا مكانة الكرامات المغربية في الأبحاث والدراسات المغربية وغير

383 - العربي محمد الفاسي، مرآة المحاسن بأخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية، فاس 1324هـ.

384 - العربي محمد الفاسي، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، طبعة حجرية، فاس 1324هـ.

المغربية، ويبدو أن تتبع حل الكتب، ورصد موضوعات ومناهجها ومؤلفوها وطبعها أمر عصي على الإنجاز، وهنا يمكن فتح أبواب كثيرة للدراسة والمقارنة حتى يتم الوقوف عند أوجه التقارب أو التباعد بينها وهي كثيرة نذكر منها "المدخل في الحوادث والبدع" لمحمد البجائي المغربي (ت920هـ) و "العلوم الفاخرة" للإمام الثعالبي، في هذا الكتاب كرامات أبي بكر التوجي، وهو من أولياء سجداسة، وكتاب "المسارات" لابن عربي، فيه كشف الولي أبو العباس الخشاب وهو من أولياء فاس، وكتاب "روض الرياحين" لليافعي، فيه كرامات لأبي عثمان المغربي، وكتاب "بغية السالك" للشيخ أبو عبد الله الساحلي، فيه كرامات أبي عمران البردعي وهو ولي مغربي، وكتاب "روض الرياحين" لليافعي فيه كرامات أبي عمران الواسطي، وكتاب "روح القدس" لمحيي الدين بن عربي، تحدث فيه عن كرامات المكاشفة للولي أحمد بن أبي بكر النجيب، وكتاب "تلخيص الكوكب المنير في مناقب الشيخ أبي العباس البصير" للناوي، ويضم كرامات أبي العباس البصير، وكتاب "نفح الطيب" للمقري، وفيه كرامة عن أبي العباس السبتي الخزرجي المغربي، وكتاب "التفكير والاعتبار" صاحبه أحمد بن ثابت المغربي، وفيه كرامات له، وكتاب "جواهر المعاني" للشيخ علي حرازم، وفيه كرامات له، وكتاب "الأنباء" صاحبه الحافظ بن حجر فيه كرامات اسماعيل بن عمر المغربي ت810هـ، وكتاب "الطبقات الكبرى" فيه كرامات للشيخ أبي الفضل الأحمدي أفضل الدين، وذكر صاحب كتاب كرامات مغربية كرامة لولية مغربية هي "ست الملوك"، وكتاب "المفاخر الشاذلية" لصاحبه أبي الحسن علي الشاذلي، وفيه كرامات للولي عبد السلام بن امشيش، وكتاب "مناقب الشيخ عبد السلام بن مشيش" لمؤلف مجهول، وكتاب المحلى في مناقب سيدي محمد بن مبارك "لمؤلف مجهول أيضا، وكتاب "الإبريز" لصاحبه أحمد بن امبارك، فيه كرامات عبد العزيز الدباغ، وكتاب "المخفية" وفيه كرامات للفشتالي، وكتاب "السلسل العذب" للحضرمي، وكتاب "خلاصة الأثر" صاحبه المحبي، وفيه كرامات عيسى المراكشي، وكتاب "فتح الرسول ومفتاح بابه للدخول" صاحبه الشيخ محمد عثمان الميرغني المحمدي الحسيني الحسني، فيه كرامات للشيخ نفسه وهو مؤلفه، وكتاب "كرامات مغربية بعيون

مشرقية³⁸⁵ خدم بالفعل مادة الكرامات والنصوص المغربية، ولاحظت حضور أولياء أندلسيين إلى جانب المغاربة بما في ذلك الصحراويين منهم، وحرس المؤلف على ذكر العديد من المصادر التي أوردت الكرامات، كما أنه ذكر غالباً مكانهم، وسنة الوفاة، والمناطق التي أقاموا بها إقامة طويلة أو قصيرة، فلا نكاد نجد ولياً أو صالحاً أو شيخاً منهم لم ينتقل نحو شمال أفريقيا، ونحو الشرق لتحقيق أهداف روحية إيمانية دينية وأخرى علمية معرفية. وبالتالي لما سمي كتابه "كرامات مغربية.." قصد بذلك الإهتمام بالأولياء الذين نشأوا بالمغرب، أو أقاموا به.. وبالتالي أمكن وجود أو ذكر العديد من الأندلسيين الذين حلوا بالمغرب لمدة قصيرة أو طويلة والتقوا شيوخ المغرب، ليتم التواصل الصوفي الروحي والتأليف وغير ذلك. ومنهم من مات بالمغرب وهو ليس من أهله لذلك ارتبطت حياة الشيوخ والأولياء كما نرى بالتنقل والرحلات مما يرجح أن تكون كتب الرحلات حاضنة أيضاً للكرامات إلى جانب السير والأخبار والتراجم. وحركة التصوف هذه ناتجة عن تظافر عوامل عدة منها ما ذكرناه من عوامل ثقافية، وفكرية، ومنها أخرى سياسية، ارتبطت بضعف الدولة الموحدية، وسقوط الأندلس، وماواكبها من غزو إسباني، على السواحل الأطلسية، ودول الغرب الإسلامي، وكان التصوف ملاذاً للهاربين من سقوط القيم والترف الفاحش إلى التعب والتزقي بالنفس عن طريق التحلية والتخلية والتربية الروحية، وقد كانت هذه الحركة نخبوية ثم توسعت لتشمل فئات شعبية واسعة استفادت من رواج الفكر والتعليم الصوفي وأقبلت على الطرق في الزوايا والرباطات وغيرها، وتراجعت الحركة الصوفية إلى العصر السعدي بعد القرن السادس هـ، ونذكر من مشايخ هذا العصر أبو الحسن الشاذلي، ومحمد بن سليمان الجزولي، وأحمد زروق البرنوس. ومن أعلام الشاذلية ابن عطاء الله الإسكندري صاحب الحكم، وابن العباس المرسي توفي بمصر 656هـ³⁸⁶، وذكر عبد الخالق بن محمد العروسي في مؤلفه "الزاوية الشرقاوية" أنه كان بين التادلي الصومعي وأحمد الشرقي منافسة اختلاف

385 - فضالة صالح حسن، كرامات مغربية بعيون مشرقية، ص 188 - 314.

386 - التادلي المعزى، ص 38.

وكل واحد ينكر حال الآخر.. وكانت الممارسات السياسية والدينية للمهدي بن تومرت تحاول
إد

لنا المهدي بأنه فتي شب على التقوى والورع، تحاول أن تضيء كذلك طابع الولاية والكرامة
عندما خرج بدعوته من حيز العمل المنظم الهادف إلى حيز الظواهر الخارقة³⁸⁷، وألفت عدة
كتب تناولت هذا الجانب لدى ابن تومرت، منها "أخبار المهدي بن تومرت، وبداية دولة
الموحدين" الرباط 1971م،.. وعرفت فترة عبد المومن بالسياسة القمعية الاحترازية تجاه
المتصوفة³⁸⁸، وقد عرف المغرب انتشارا كبيرا للتصوف وجذوره من المشرق والأندلس،
وانتشرت ظاهرة الأولياء والمتصوفة في المرحلة الأخيرة من العصر المرابطي، وكان
الاعتكاف قبلها في الرباطات، كما يمكن التمييز بين الزهد كسلوك، والتصوف كمذهب أو
نسق فكري لفئة اجتماعية، وازدهاره في القرن السادس الهجري مع انتشار مؤلفات الزهد،
والرقائق، ومجهودات بعض العلماء، مثل عمر الطلمنكي، ممن حاولوا استيعاب التصوف
وإدماجه داخل نسق الإسلام السني³⁸⁹. وقد دخل التصوف إلى المغرب عبر ثلاث قنوات
متزامنة؛ الإفريقية، والأندلسية، والمشرقية، وظهر بالمغرب متأخرا عن المشرق³⁹⁰،.. والسبب
في ذلك هو تأخر الآثار الكتابية الشاهدة أي المؤلفات، ووجود أهل الصلاح بالمغرب منذ
الفتح الإسلامي، غير أن المشرق هو منطلق التصوف الإسلامي، إذ نجد في كتاب
"المستفاد" عددا من أسماء المتصوفة كما هو الأمر في كتاب "التشوف" الذي وردت فيه
أسماء المغاربة الذين نهلوا من المشرق الإسلامي، وساهم في ذلك دخول المذهب الغزالي
إلى فاس، وربما "صالح بن حرزهم تتلمذ على الإمام الغزالي مباشرة وعن طريق إفريقية
تسرب المجهود الدعائي لبعض شيوخ إفريقية "الزيرية" من بينهم تلامذة القاضي أبي عمران
الفاصي..

387 - التميمي، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد، ص 32.

388 - نفسه، ص 61.

389 - المستفاد في مناقب العباد، ص 23.

390 - نفسه، ص 24.

الباب الثاني

الكرامات الصحراوية، التدوين ، والمدونات ، والأولياء

الفصل الأول : التدوين

يتطلب أي تراث ثقافي وحضاري له مرجعية شفوية التدوين، بل ويفرض ذلك، والتدوين عملية جمع وكتابة نصوص لها قيمتها المعرفية، عاشت حياة شفوية، وتحتاج لصيانة حتى تعيش حياة أطول. فالتدوين يحافظ على مادة موجودة مسبقاً، لكن المهمة أكبر من ذلك، إذ تناولت كثير من الكتابات أهمية التدوين ووظائفه، من أبرزها ما كتبه طه عبد الرحمان، وعابد الجابري، بخصوص تدوين القرآن، والحديث، وأشعار العرب، فهي تبين أن التدوين عملية مستمرة باستمرار الثقافة الشفوية. وهو ممارسة ضرورية، فقد تناقلت هذه النصوص شفها قروناً قبل تدوينها، ويفتح لها التدوين عمراً جديداً ممتداً في المستقبل.. ويعي العلماء أهمية التدوين لأنه وسيلة لإنقاذ التراث، لكنه إن افتقد شروطه العلمية صار عملية غسل النصوص وتحريفها، لأن حياتها الشفهية رغم ما يشوبها من تغيير أو نسيان تحفظ قدراً هاماً من خصوصيتها.. والتدوين له الفضل في صيانة أهم متون التراث العربي، وهو أمر يتطلب مجهودات علمية كبيرة تستغرق زمناً طويلاً لإنجازها. وكل ثقافة شفوية ذات قيمة يلزم تدوينها وعلى رأسها ثقافة الصحراء المغربية، التي تعبر عن حياة فكرية وصوفية مزدهرة ارتبطت بالترحال، وأما الاستقرار فتناسبه الكتابة واعتماد الوثيقة، فهناك مقولة ذائعة الصيت لديهم هي "الناس ألاً تحت ركاب ولا تحت كتاب"³⁹¹، فالرواية الشفوية قناة تواصلية ثقافية هامة.

إن الثقافة وسيلة لإثبات الوجود، تدوينها ليس مهمة فردية، بل عملية جماعية منظمة، تكون ذات فاعلية ونجاعة إذا تمت تحت إشراف مؤسسات علمية أو فكرية.. في فترات مراجعة الهوية الجماعية، فهناك من يرى أن الثقافة المكتوبة لا توجد إلا في ظل الدولة³⁹²،

³⁹¹ - ناجي عمر، التراث الثقافي للصحراء والتنمية أية علاقة، ثقافة الصحراء في الكتابات الكولونيلية رؤى ومقاربات، العدد الأول - خريف 2013، ص71.

³⁹² - ولد عبد الله عبد الودود (ددو)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، حتى القرن الثاني عشر (18م)، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015. ص88.

وتحتاج ثقافة الصحراء هذه الفعالية للنهوض بقوة، ولتأكيد أن الصحراء حاضن شرعي إيجابي لمختلف أنماط الثقافة، خلافا للطرح الذي يرى أن البداوة وسط غير ملائم لاحتضان الثقافة الراقية³⁹³، فما أثبتته تاريخ الثقافة الصحراوية من زخم وغنى لا يعد زائداً أو متخلفاً بل يبين أن الصحراء دار علم وعلماء.

فالتدوين إذن عملية حفظ واسترداد لشيء في الذاكرة غير مشهور أو منشور.. فالتدوين تعبير بأثر رجعي.. وهو حسب ابراهيم الحيسن . الذي يعتبر من أهم المهتمين بثقافة الصحراء والباحثين في مجالاتها والقلقين عليها . كتابة واعية تروم الحفاظ على صنوف الإبداع الإنساني، وهو سند مرجعي يتم بفضل الرجوع والاستناد إلى ما تركه السلف. والتدوين أنواع؛ أهمها الرسمي الذي تشرف عليه مؤسسات الدولة، بحيث يكون مشروعاً كبيراً، والعلمي الذي يقوم به المدونون لأغراض علمية وعرفانية، ومنه أيضاً الجماعي، والفردى، . ومن وسائله الإملاء والجمع والمقارنة والتصنيف.. وتقوم وسائل التكنولوجيا اليوم بتسهيل عمليات التدوين، وجعلها تحقق مستويات عالية من الجمع والتنظيم، وتأتي عملية دراسة التراث ونقده لاحقاً، فجمع التراث، وتدوينه، وتصنيفه، يحتاج لعمل متشعب جماعي بالضرورة³⁹⁴. وبهذا الخصوص يقول الجابري عن التدوين في الثقافة العربية : ".لم تكن العملية تنحصر في حفظ الموروث الثقافي العربي الإسلامي من الضياع، وهذا ما تدل عليه في الظاهر كلمة تدوين، ولا في تصنيف هذا الموروث حتى يسهل تداوله، وهذا هو المقصود من التبويع ، بل إن العملية كانت في الحقيقة عملية إعادة بناء ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه تراثاً أي إطاراً مرجعياً لنظرة العربي إلى الأشياء والكون، والإنسان، والمجتمع، والتاريخ.."³⁹⁵، فالتدوين تحول ثقافي بامتياز من دوافعه ما ذكره محمد العاقب الجكني في كتابه "مجمع البحرين.. " قائلاً: "ولما كان ذكر مناقب الصالحين، وسرد كرامات

³⁹³ - الحركة الفكرية في شنقيط، ص 88.

³⁹⁴ - رضا عامر، الصحراء مصدر إبداع التراث الشفوي الشعبي ، مجلة أصوات الشمال ، مارس 2011 ، ص 2.

³⁹⁵ - الجابري محمد عابد، نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، دار الطليعة، لبنان، ط 10، 2009، ص 64.

الأولياء العارفين، أقوى سبب لفتح بصائر السامعين، وأحسن زينة لكلام الناطقين، ولاسيما الأوتاد الواصلون والاقطاب الكاملون فإذا بذكرهم يتنزل الحمد، وبصبر أنفاسهم تتكشف الغمة..³⁹⁶.

فتدوين الكرامات الصحراوية لم يكن مشروعاً جماعياً مخططاً له مسبقاً أو توّطره مؤسسات، بقدر ما كان مبادرات فردية قام بها مدونون يسعون للحفاظ على نصوص شيوخهم لأنهم أدري بقيمتها، وأقرب لهؤلاء الأولياء الراسخين في العلم والتصوف، في ظروف وسياقات مختلفة، بغرض حفظ هذا الموروث الثقافي الشفهي من الضياع. ومدون الكرامات الصحراوية غالباً ما يكون مريداً أو طالب علم، أو ابن شيخ تلقى الكرامة عن طريق المشاهدة أثناء حدوثها، أو سمعها عن الشيخ ذاته، أو عن طريق أحد رواتها، فمصادر التدوين الأصلية هي المشاهدة والسماع، وبالتالي فالشيخ يروي عن نفسه ما حصل له وهذه درجة عليا، فمن أجل الكرامات وأبين أماراتها ما يحدث به الولي عن نفسه امتثالاً لقوله تعالى:

﴿وَأَمَّا بِرِئْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾³⁹⁷، أو يروي له شاهد عاين الكرامة فنقلها، وهذا من تلقى وراوي قريب من الكرامة، ثم تنتقل عن هذين المصدرين إلى باقي الروايات، وينقل المدون غالباً عن إحدى الأنواع المذكورة، ويظهر ذلك من خلال سند الكرامة ورواياتها وتسلسلهم، كما يظهر مصدر النقل من الصيغ التي تأتي في السند أيضاً أو داخل النص الكرامي نفسه.

وتظل عملية التدوين محدودة مهما تزايد عدد النصوص المدونة، إذ تتعذر الإحاطة بكثير منها لأنها غزيرة غير محصورة، ولذلك تصير المدونة منها جزءاً من التراث المادي الذي يحفظ هوية الأمة. وبهذا الخصوص يتحدث إبراهيم الحيسن في كتابه "الشفهي والبصري"..³⁹⁸ عن غياب حركة تدوين حقيقية قادرة على تحويل الخطاب اللساني.. في

³⁹⁶ - الجكني محمد العاقب بن مايايى مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين، ورقة 2-3.

³⁹⁷ - سورة الضحى، الآية 11.

³⁹⁸ - إبراهيم الحيسن، الشفهي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، منشورات وزارة الثقافة المغربية، دار المناهل، الرباط، الطبعة الثانية، 2010، ص 32.

مجال التداول الشفهي إلى إطار التلقي المكتوب. فالكتابة علامة من علامات الحضارة.. وهذه رؤية حضارية للتراث الشفهي الثري تحت على تدوينه، حتى يصبح مكتوبا قريبا من متناول المتلقي، والباحث في التراث الصحراوي المغربي. وقد يكون تأخر تدوين الكرامات الصحراوية راجعا لدواع شتى ربما منها عدم الاهتمام بالكرامة كنص وعدم الاعتراف بها أدبيا، وربما بسبب تفضيل الصحراويين للشعر وأنواع أخرى، والإنسان الصحراوي بصفة عامة يهمل ويحتقر فعل الكتابة، ويميل للثقافة الشفوية. فهو سريع البديهة، قوي الخزن والتذكر، قادر على حفظ المتون الشفهية، كما يميل إلى الاستماع والإصغاء، لذلك يضيع جزء كبير من كنوز الصحراء المخطوطة³⁹⁹، والنصوص غير المدونة، ومن الأسباب أيضا موت الرواة من كبار السن. وإحراق المكتبات كما حدث لمكتبة ماء العينين بتزنييت التي أحرقت سنة 1913م، بسبب الأوضاع الأمنية المزرية للمدينة حينئذ. فالأمم التي لا تدون تراثها وتهمل تاريخها تفرط في هويتها، فالتدوين مهمة سامية تؤصل لثقافة الشعوب، وترسخ تراثهم، وهي عملية كبرى ضرورية لكل أمة.. وقد كان المثقف العربي على واعي بقيمة التدوين، منذ منتصف القرن الثاني الهجري، الذي بدأ فيه تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الإسلام، والحديث، والفقه، والتفسير، وتم ذلك عبر مراحل؛ الأولى؛ النقل على الشفاه والوثائق، والثانية جمع الأخبار وتصنيفها في مجالات عامة وخاصة، والثالثة التدوين وفق منهج من المناهج المعروفة حينها، وأهمها التسلسل الزمني أو التخصص عبر موضوع بعينه.. وهكذا نقل إلينا عبر التدوين تراث غني بقي أثره حاضرا في حياتنا العلمية والثقافية إلى اليوم، ولا يمكن أن نتصور حاضرا الثقافي بدون هذا التراث، بالرغم من أن القدامى نبهوا على افتقارنا لمادة غزيرة منه، ومن هؤلاء ابن سلام الجمحي في "الطبقات.."، وما أخبرنا به ابن النديم في "الفهرست..". فقد وضح أن تراثنا غزيرالم يصل لنا منه إلا النزر القليل. ومصادر التدوين المعتمدة غالبا؛ الروايات الشفوية الرائجة في الذاكرة، والمشاهدات والوثائق، والكتابات القديمة التي تضم رموزا، وأشكال متفرقة وأسفار.. يقول مربيه ربه في

"قرة العينين.. مبرزاً أهم مصادر تدوينه للمناقب والكرامات: " ..عهد كثير من الجهابذة الأعلام، والنحارير الغظارفة.. إلى جمع مناقبه وكراماته .. وقد لبث برهة من الزمن يتلجلج في خاطر، كلما عاينت كرامة له أو ثبت عندنا بالتواتر أن أضع عليها توليفاً مستقلاً، ..وتتم الرواية عن غير العدول،.."400. يظهر من هذا القول أن أهم مصادر التدوين لدى شيوخ الصحراء تجلت في المعاينة، والمشاهدة، والرواية، والتواتر، والمدون له قدرة على الاختيار، ينتقي و يتحرى ما يدونه، لأنه الوسيط بين النص والقارئ.

أولاً : تدوين التراث والثقافة الصحراوية

عرف تاريخ الثقافة الصحراوية حركة علمية ناضجة في القرن الثاني عشر، من مميزاتا بروز جيل أعطى لحقل المناقب حقه في التدوين بدءاً من ابن رازكة⁴⁰¹. وهذا يبين أن الثقافة الصحراوية لها ماض عريق، يبني ويمهد لحاضر أرقى، استفاد من الموروث المتراكم الذي يرسم ملامح الأنا، والهوية، والعلاقة مع الآخر⁴⁰². والإنسان الصحراوي متشبث بثقافته، قوي بذاكرته، قادر على التخزين.. يقدر الثقافة السمعية، يهتمش الكتابة، ويرى أن اللسان أهم من الذاكرة. فيعطي من شأن القول والتقاليد المروية والمسرودة التي تنشط في المجالس، فالحياة الثقافية في الصحراء تعتمد على الاستماع والإصغاء، وتتفتح وتتواصل مع الثقافة المحلية، والإقليمية، وتحافظ على خصوصياتها التداولية التواصلية. وتضم المادة السمعية الحكايات، والأشعار، والأخبار، والسير، والتراجم، والأمثال، والأعراف، والعادات، والتقاليد، والأخبار، والموسيقى، والرقص، والتسلية، واللعب، وغيرها.. فهذه كلها ألوان ثقافية صحراوية قابلة للتدوين بآليات مختلفة، تحتاج كذلك لكثير من التحري في جمعها من مصادرها عبر مناهج وإجراءات سلمية.. وقد صنف العلامة عباس الجراري محتوى ثقافة الصحراء إلى: الجانب الفكري المذهبي أي الخط السني، والجانب اللغوي والأدبي، ثم لفت النظر إلى التراث الشعبي الذي يسم هذه الثقافة بالتنوع، والغزارة،

400 - مربيه ربه ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين، ورقة 3-4.

401 - محمذن بن أحمد بن المحبوب، أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط خلال القرنين 14.13 هـ ، ص 43.

402 - ابراهيم الحيسن، الشفهي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، ص 34 .

والخصب⁴⁰³. فهذه الخصوبة تتطلب حركة تدوين جادة وخصبة أيضا. وتتنمي الكرامات حسب تصنيفه إلى التراث الشعبي، يزامن انتشارها حياة أصحابها، وقد تستمر بعد مماتهم، يتداولها الناس، وتستقى من أفواه شيوخها أو الشهود، الذين أدركوها عبر المشاهدات، أو نسجها غيرهم لتنسب إلى شيخ من الشيوخ، فذاعت عبر التداول، لتعيش عمرا شفويا يؤهلها للتدوين الذي يوثقها بين النصوص، وهو أمر لا ينهي شفويتها أو يوقفها لأنه يتعلق بحركة ثقافية مستمرة، لكن التدوين يخلق لها حياة إضافية جديدة على الورق حتى يمشي القارئ عليها بالعين، فيتوسع جمهورها بين سامع وقارئ وباحث ودارس. وقد عرف تدوين الكرامات الصحراوية محطات انتقالية هامة، سنقف عند مميزاتها وخصائصها في الفصل اللاحق إن شاء الله.

إذ شهدت المدونات تطورا وتوسعا ونضجا على مستوى الكيف، والكم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر هجريين، ومن الشيوخ البارزين الذين حظوا بإقبال وتنافس المدونين على جمع كراماتهم وتدوينها القطبين المختار الكنتي وماء العينين. ومن أهم المدونات الكرامية في التاريخ الثقافي الصحراوي موسوعة "الطرائف.."، التي عرضت كرامات صحراويين في القرن العاشر للهجرة والحادي عشر والثاني عشر، وبالتالي رصدت نماذج قوية في مرحلة زمنية هامة من تاريخ الصحراء.

وتتنوع المدونات الكرامية الصحراوية فمنها المتخصصة التي انكبت على الكرامات وأفردت لها جل الكتاب، ومنها العامة أو الموسوعية التي شملت السير والتراجم والمناقب.. فكان نصيب الكرامة ضئيلا فيها، ومنها التي صنفت حسب معيار طريقي أو مكاني أو جغرافي، ومنها الجماعية والفردية. و"القرة.. من المدونات الفردية، خصصها مربيه ربه لعرض ما تيسر له من كرامات أبيه الشيخ ماء العينين وهي موضوع كتابه. انتقى منها المبهرة، إذ يقول: ".وقد أتى شيخنا رضي الله عنه من ذلك الحظ الأوفر، والنصيب الأغر، وسأورد ذلك إن شاء الله، ما يبهر عقول السامعين ويفحم خصام المنكرين، وإياك ثم إياك أن

⁴⁰³ - الجري عباس ، ثقافة الصحراء ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1978 ، ص 25.

تتكر كرامة فلا ينكرها إلاشقي..⁴⁰⁴. ونبه جل المدونين على عدم قدرتهم الإحاطة الكمية بكرامات القطب ماء العينين، وأن هناك انتقائية لكراماته المعروضة، ويقول مربيه ربه بهذا الخصوص: ".واعلم أني لا أتعرض لإحصاء كرامات شيخنا رضي الله عنه، ولا أستطيع ذلك، لأنه لا يمكنني إحصاؤها ولا استقصاؤها، ولكن أذكر منها شيئاً يسيراً ينعش فؤاد السامع، ويشنف منه المسامع.."⁴⁰⁵. وفي كلامه هذا إشارة إلى التداول الشفهي لها، وأهمية سماعها وإسماعها للناس وحرصه على معيار اختياره وهو درجة إبهارها للناس. فمدون الكرامات هو متلقي اطلع على نصوص تراكتت في تاريخ الكرامات الصوفية، فتكونت لديه نظرة شاملة بخصوصها، توالى فيها تجارب أجيال متتابعة، فهو كما يقول يوس: ".إن هذا المتلقي المبدئي يستطيع من جهة أخرى أن يتطور، ويقتني من جيل إلى جيل، ليكون عبر التاريخ سلسلة من التلقيات التي تحدد الأهمية التاريخية للأثر.."⁴⁰⁶. فهذا ينطبق على مدون الكرامات، لأنه مطلع على الكرامات التراثية والمتوالية عبر التاريخ، قادر على التمييز والربط بينها.

وقد برزت مدونة "القرة.." نموذجاً يتسم بالجدة، له استراتيجية خاصة في تدوينه وتصنيفه، فهو يوازي بين المعجزة والكرامة، فيعرض كرامة الشيخ ثم يأتي بما يوازيها من المعجزات، أو حكايات السلف الصالح الثابتة، فهو كتاب جليل لا شبيه له في مجاله، فصاحبه يقول:⁴⁰⁷ ". وأذكر بعد كل كرامة ما يناسبها من المعجزات أو ما يقارنها كي تسهل المطالعة وتيسر المراجعة.."، ونستشف من هذه القولة وعي المصنف بمسؤولية تدوينه، واتخاذ معايير تساعد على ذلك، فهو منوط بمهام علمية تأليفية عديدة، أهمها تصنيف الكتاب وتأليف مقدمته، وعرض الكرامات، ففي "القرة.." يقوم المدون، بالتأليف، والاختيار، والربط، والترتيب، والنقل والمقارنة.. وهو يذكر ذلك في عبارات منها: (وأخت هذه الكرامة) و(ونظيرة هذه الكرامة). فهو شديد الحرص على الموازنة والمرافقة بين الكرامة والمعجزة، مما يعكس تصويره لعلاقة التشابه والتوازي بينهما، وضرورة تتبع وعرض ذلك في

406 - قرّة العينين ، ورقة 15 .

407 - نفسه .

406 - H ,R. Jauss , pour une esthétique de la réception , éd . Gallimard. Paris. 1978, p 45.

409 - سحر البيان، ورقة 15 .

المدونة. وهذا مجهود تطلب منه جلب المعجزات من الذاكرة أو من مصادرها والبحث عن أوجه تقاربها مع الكرامة، وهو ما صرح به قائلاً: "وأصل هذه الكرامة المعجزة التي تفرعت عنها.." فهو يؤكد أن الكرامات فروع المعجزات، ومناقب الشيخ توازي مناقب النبي، والمدون بذلك يلزم نفسه ما لم يلتزم به غيره في تدوين الكرامات.

ويتحرى المدون الجدية غالباً في انتقاء النصوص المعروضة، وانتقاء الرواة المعتمدين في الرواية، فأفضل النصوص ما كان متواتراً، وأحسن الرواة من كان عدلاً، كما يقول مرييه ربه: "وقد لبثت برهة من الزمن يتلجلج لي في خاطر كلما عاينت كرامة له أو أثبتت عندي بالتواتر أن أضع عليها تولىفاً مستقلاً، وأما غير هذا فلا أتعرض له لكونه كثير.."، ومما لم يقبله المؤلف الرواية عن غير العدول إذ يقول: "ولا أذكر فيه إن شاء الله إلا ما شاهدته بالعيان أو ما ثبت عندي بالتواتر وما قاربه مما يؤذن بالإيقان"⁴⁰⁸..، وأغلب الرواة الذين استند عليهم مرييه ربه في "القرة" .. شيوخ نذكر منهم؛ سعد أبيه، ومحمد الفاضل بن الحبيب، ومحمد تقي الله، ومريده أحمد بن الشمس، والشيخ محمد العاقب بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايايا، والشيخ محمد عبد الله بن تكرر، والسيد محمد سيدين. ويروي الشيخ عن نفسه ما حصل له أحياناً فلا يقدم سنداً، وهذا درجة عليا، فمن أجل كراماته وأبين أماراته ما يحدث به نفسه.

كان الشعر بارزاً في الحياة الشفوية للمدونات الكرامية، علماً أن هناك كرامات كثيرة للشيخ ماء العينين تتضمن مقاطع شعرية سندرستها في موضع لاحق من هذا البحث. فالأصل في الشعر أن يغنى ويسمع لا أن يكتب ويقرأ⁴⁰⁹، وأصل الكرامة كذلك، وهذا يحقق رغبة الشاعر في التواصل مع جمهوره مباشرة.. ومن الشعراء من يحرص على كتابة شعره زمن قرضه، فالأمر يرتبط بالشاعر، وتفكيره، ومدى اهتمامه بإنتاجه مراجعة، وتنقيحاً. فنحن إذن أمام شعر يولد مرتجلاً شفهاً بطلب من طرف معين من الجمهور أو أغلبه، أو شعر

⁴¹⁰ - قرّة العينين، ورقة 3.

⁴¹¹ - الظريف محمد، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية (1800-1956)، ص 210.

يولد مكتوباً فيظل فترة قبل عرضه على السامع أو القارىء، ففي الحالتين يمكن للشاعر أن يلقي شعره أمام جمهور صحراوي سامع متذوق متابع. فالتشابه بين الكرامة والشعر يتجسد في حضور جمهور واسع، يستمع للشعر، وينبهر ويندهش لفعل البطل الكرامي فيقدر الشيخ ويتتبع كراماته في حضوره وغيابه، ويجتمع النوعان إذا صيغت الكرامة شعراً فتألف فنية الشعر وإبهار الكرامة ليغني أحدها الآخر.

ويصعب تصنيف عدة مدونات داخل حقل بعينه، فالسير تضم كرامات، ومناقب، وأخباراً، وحكايات، وتراجم، وأشعاراً.. فمن المدونات الصحراوية الموسوعية التي تضم تدويناً غزيراً وتأليفا يسيراً؛ "الطرائف التالدة.." يقول في أوله: "في وصاياه ورسائله التي لا تستقل تأليفاً وجملة من فائق نظمه الرائق، وشعره المفيد الفائق، وما ظهر وانتشر وشاع في الآفاق وانتشر من بركاته وزوائده.." ⁴¹⁰، ويقول مرييه ربه في "قرة العينين.." : "أما بعد فإن كرامات الأولياء من أجل ما اعتنى بحفظه السابقون، وتنافس في تدوينه المتنافسون.." ⁴¹¹، ويقول بن عتيق ماء العينين في "سحر البيان.." ، وهو من المدونات المناقبية: "أرجو بفضل الكريم المنان أن أجمع فيه شمائله ما لم تجمعه في أحد من تلك الجهابذة الأعيان.." ⁴¹²، فهو يصرح بإحدى مهام التدوين وهي جمع النصوص. ونذكر من المدونات التي تغلب عليها المناقب جملة من الكتب هي؛ "مجمع البحرين في مناقب الشيخ ماء العينين" لمحمد العاقب بن الشيخ عبد الله بن مايبا، وكتاب "مناقب الشيخ سيدي أحمد التيجاني" لابن المشري محمد بن محمد السايح السباعي التكرتي الشنقيطي الحسني تلميذ أحمد التيجاني، وكتاب "غاية الأمانى في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني"، وكتاب "نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ" لمحمد بن سيدنا، وكتاب "نزهة الغيب والجلال في مناقب شيوخنا ووالدنا أبي العباس" لمحمد الأمين بن بدي، وكتاب "الدر الخالد في مناقب الوالد" للعلامة محمد محمود بن سيدي عبد الله بن الحاج

⁴¹⁰ - الطرائف التالدة ، ورقة 1.

⁴¹¹ - قرة العينين، ورقة 3.

⁴¹² - سحر البيان ، ماء العينين بن العتيق ، ، ورقة 2- 3.

إبراهيم، وكتاب "الفتح المبين فيذكر مناقب الشيخ محمد فاضل بن مامين"، وكتاب "نكر بعض مناقب أهل الفتح والتمكين" للعلامة أبي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي، وكتاب "إفادة الغيب والجلال في مناقب شيخنا ووالدنا أبي العباس" للعلامة سيدي محمد الأمين بن أحمد بن بدي، وكتاب "عيون الإصابة في عيون الشيخ محند بابه" لميلود بن المختارخي، وكتاب "الجنان العالية في السيرة المثالية" نظم العلامة حيمد بن انجبان، وكتاب "المنهج المختار والكوثر المدرار في مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار" للمختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي، ومن المدونات التي تضم رسائل وأخبارا كتاب "الفواكه في كل وقت وحين من كلام شيخنا الشيخ ماء العينين" لابنه العلامة الشيخ النعمة، وكتاب "النفحة الأحمدية في الأوقات المحمدية"، للعلامة ابن الشمس، فأغلبها في خبر الشيخ ماء العينين وتلامذته.

ويمكن القول إن أدب الرحلة من الآداب المدونة التي تعتمد في نقلها على المشاهدات وقد اهتم الشيخ ماء العينين وأبناؤه وأحفاده بتدوين رحلاتهم⁴¹³، وتسجيل مذكرات أسفارهم فخلفوا نماذج رفيعة منها. وللأمثال حضور قوي في الثقافة الصحراوية وبخاصة الحسانية منها، فكانت غزيرة بشكل جعل المدون يعنونها بـ "موسوعة الأمثال الحسانية"⁴¹⁴، ولهذه الأمثال قدرة على الذبوع والحفظ من منطلق خصوصياتها الفنية. والأمثلة من ذلك وافرة في الصحراء؛ فهناك عدد من الخطابات التي تحيا بناء على معطيات واقعية ومنها الأخبار، والمناقب، والسير، والكرامات، ويكون التدوين اختياريا أحيانا، فالرحالة والشاعر مخير بين تدوين نصوصه، أو تركها في ذاكرة الناس لأجل مسمى، أو غير مسمى.

وقد ينسج الناس أكاذيب شبيهة بتلك الأنماط لأغراض معينة، فينسبون لها أفراد أو جماعات، فنحدث عن كرامات منسوبة، أو أخبار وأساطير تحتاج هي أيضا للتدوين لأن لها أغراضا ووظائف تؤديها في سياقاتها العديدة.. وأما التراث المادي فوسائل تدوينه قد

⁴¹³ - الحياة الأدبية، ص 403.

⁴¹⁴ - عزيز بن المام، موسوعة الأمثال الحسانية، مطبعة الأطلس 1998.

تفوق اللسان، فحتاج إلى وسائل عديدة منها البصرية، وهذا مجال أهل الفنون البصرية والسوسيولوجية وغيرها، ممن يجدون مادة غزيرة تحتاج للدراسة والبحث.

وقد سادت ظاهرة التقليد في تصنيف المدونات الكرامية، فكانت جلها شبيهة بالمصادر المشهورة بالمغرب، والمشرق، ويتجلى ذلك في استهلالها بالمفاهيم النظرية الكرامية بالتفصيل، مع الحرص الشديد على عرض الشواهد القرآنية، والحديثة، مع الحث على إثبات الكرامة والتحذير من إنكارها، ثم بعد ذلك تتم الترجمة للشيخ أو الشيخ، وعرض مناقبهم وكراماتهم، ويختلط كل ذلك بمعلومات جغرافية، أو فقهية، أو غيرها لتكون أغلب التصانيف موسوعية متداخلة الأنواع داخل إطار عام يجمعها، هو الثقافة الإسلامية، أو الفكر الصوفي. وجل مدونات الكرامات الصحراوية لها أسانيد صوفية مغربية ومشرقية، فأهم أسانيد كتاب "القرة" هي؛ "الضياء المستبين"، و "الإرشاد"، للشيخ سيدي المختار، و "حاشية العلامة الأمير على عبد السلام"، وكتاب "الفتح" للعسقلاني. ومن العلماء الذين أحال عليهم وأثبت قراءة كتبهم نذكر أبا حنيفة، والشافعي، والبسطامي، والجنيد، والمختار بن بون.. وتحقق المدونات الصحراوية عدة أبعاد، صوفية، وسياسية، وتاريخية، وأدبية، وتربوية، وهي تعبر عن ظروفها وبيئتها. ونلاحظ بعض الإهمال في تدوين كرامات الوليات الصحراويات. كما نلاحظ تواتر جمل الدعاء للشيخ بشكل كبير في المدونات وفي النصوص الكرامية أيضا.

وقد شكل جمع الكرامات وتدوينها أحد وسائل المواجهة بين أتباع الطرق المتنازعة أو المتنافسة، فكل طرف يسعى إلى تحقيق الإشعاع والتأثير في الجمهور أكثر من الآخر؛ وكمثال على ذلك نذكر الطريقة التيجانية، والكننتية، والفاضلية؛ إذ هاجم التجانيون القادرية وعارض الكنتيون المعينيين، فكانت الكرامة وسيلة من وسائل للدفاع والمنافسة وقد تصير المدونة منها وسيلة للرد على المعارضين أو الدفاع عن شيخ أو شيوخ.

وبالتالي التدوين غير بريء من إحداث التغيير في النص من حيث الشكل أو المضمون، فلا يكاد يسلم نص من تعديل أو حذف أو زيادة أو نقص أو غير ذلك، لأن المتدخل متعدد، ولأن الزمن حمال للتغيير، اللهم إذا كان المدون هو الشيخ نفسه، وقام بالتدوين في زمن قريب من زمن حدوث الكرامة.

وتفترض عملية التدوين العناية بالنص، والتعامل مع الرواة الذين يحملون في صدورهم ووثائقهم نصوص كرامية لها وزنها، ولكن صيانة النصوص وأوعيتها غاية بعيدة التحقق في ظل الظروف المختلفة التي تحكم عملية تدوين وتحقيق ومقاربة النصوص الكرامية. وأما تراكم النص الكرامي الموروث فهو الذي يسعف الدارس في لمس ملامح هوية الولي وعلاقاته بالآخرين ووظائفه المتعددة القريبة والبعيدة.

وقد تتدخل عوامل سلبية تغير الصيغ الشفهية الأصلية الأولى فتصير نصوصا مشوهة.

وتضمن قوة التدوين ثبات بنية النصوص الكرامية مما يسعف الدارس على استجلاء السمات البنيوية المتواترة فيها، مما يسهل تحديد خصوصيات النوع الكرامي.

وللتدوين وظائف كثيرة منها حفظ النصوص الشفهية من الضياع، وإثبات مصداقية الكرامات بالنصوص الشاهدة على ذلك، وإبراز قيمة الشيوخ والطرق الصوفية التي ترتبط بها، وإغناء الرصيد الثقافي الذي هو جزء من الهوية الجماعية للشعوب.

وتحدث جل المدونين عن أهمية تدوين الكرامات في مقدمات مدوناتهم، وعبروا عن وظائف تدوين الكرامات حسب ما يرونه في فترة تدوينهم، فهذا تعبير عن الولاء للشيوخ، وتخليد مآثرهم ومناقبهم يقول مربيه ربه⁴¹⁵: "فإن كرامات الأولياء من أجل ما أعتني بحفظه السابقون وتنافس تدوينه المتنافسون، لما فيها من تنشيط الطالبين المتوسلين وتشحيذ همهم وتصريف المرسلين قال أبو حنيفة: ..محاسن الصالحين أحب إلي من كثير من الفقه، وقال سفيان بن عيينة: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة..". وقد كان التدوين وسيلة من وسائل إثبات الخصوصية الثقافية والوجود الجغرافي والسياسي، لذلك ينادي العديد من الخبراء المهتمين بتدوين التراث الصحراوي، وبتفعيل خطط مرسومة وفق تصورات علمية تجمع بين الجهود الفردية، والجماعية، والرسمية وفق استراتيجية عمل دقيق ممنهج وفعال، يقوم فيها

الباحث والمهتم بأدوار علمية هامة وأساسية، رغم تعذر الإحاطة بالمدونات أحيانا، وقد يجعل جزءا من العمل النظامي، وقد يحتاج الأمر إنشاء مجالس علمية استشارية، وإحداث متاحف اثوغرافية لتقديم النفائس والروائع.. وللجمعيات الثقافية المهمة دور فعال في هذا الشأن. إن انفتاح الجامعات ومراكز البحث العلمي على التراث خطوة أساسية لبعثه وإحيائه بشكل صحيح، وهذا جانب قوي من مسؤوليتها العلمية، إذ تعمل على توجيه وتفعيل أبحاث علمية أكاديمية معمقة بخصوص التراث لإغناء المكتبات، ومجال البحث عامة، ولهذا الأمر صلة بالكتابات الكولونيالية الأجنبية التي من شأنها خلق الثقاف، وتبادل التجارب. وأما المهرجانات واللقاءات والمراكز، فقد تكون واجهة لتقديم المنتج المدون، وهو خطوة أولى هامة تلحقها خطوات أخرى أساسية أيضا.. لكن غياب التدوين هو انتكاس للتراث.

وتمر المادة المدونة بمراحل كثيرة من الظهور إلى التداول، ثم التدون، فهذا الانتقال من الشفوية إلى الكتابية عملية طويلة وشاقة. لذلك يجب ألا تفقد المادة المدونة جودتها وقيمتها تتم صيانتها وحفظها. فالشفوية لها سلطتها الأصيلة المنبثقة من العقل والذاكرة، تحافظ على خصوصيات النصوصان فقدت صار النص من الدرجة الثانية.. لأنه قد يعرف انتهاكات تفقده بعضا من مكوناته الشكلية والموضوعية، فيخسر ملامح هويته أيضا، فالنص عندما يمر بمراحل من الإنتاج إلى التداول ثم التدوين، و التلقي، والتحليل، يتغير لذلك يرى الكثيرون أن النصوص المدونة إما مغسولة، أو مشوهة، أو ناقصة. وقد تلحق هذه التغييرات مقدمات الكتب، وعتبات النصوص، وأسانيدها، فتظهر استهلالات نمطية مسكوكة جاهزة لا تفيد القارئ، أو الدارس، ولا تعكس أمانة النقل، أو سلامة المنقول، ويمكن أن تفقد سياقاتها، إذ تجتث من سياقاتها الأصيلة التي توجه القراءة وتمكن من الفهم الصائب، فلا يستطيع القارئ سبر أغوارها والإمام بأنساقها، وقد تطمس هويتها بالحذف الإرادي أو اللا إرادي، فالراوي يمكنه أن يضيف، أو يحذف حسب ذاكرته، ومرجعيته..، ويقصص التدوين المكونات المقامية، والمشهدية، والمقاصد، والأغراض، وهي أمور تحافظ على سياق النص، وموقعه داخل نسقه الثقافي.

ومن مشاكل التدوين الانتحال والتحوير أي التدخل في النص أثناء عملية كتابته، وتوجيهه لخدمة أغراض معينة، وهناك أيضا التصحيف، وكثرة الأخطاء. وكل هذا يتعارض مع التدوين باعتباره عملية بناء ثقافي موجهة للعقل العربي كما يراها المفكر محمد عابد الجابري.. إن عصر التدوين هو عصر انطلاق العقل العربي، وهو عصر البناء الثقافي، ويرى أن التدوين يجب أن يتم باستقلال عن الفكر، وهو مرحلة هامة تأتي بعدها مراحل أخرى منها القراءة والنقد..، وقد يختلف لسان النصوص المدونة عن لسان مستقبلها، فيمكن أن يكون النص الشفهي بالأمازيغية مثلا، فيدون بالعربية، وقد حدث هذا في تدوين كتاب "المنهاج الواضح حفي تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح"، إذ يوضح مدونه أحمد بن إبراهيم بن أحمد الماجري، أنه سمع مناقب الشيخ أبي محمد صالح بالأمازيغية التي يعبر عنها بلسان الرطانة⁴¹⁶، ثم دونها بالعربية. فيبدو أن إمكانيات التغيير كثيرة، قد تجعلنا أمام نصوص أخرى لا صلة لها بالأصلية.

وأما وظائف ومنافع التدوين فهي كثيرة مفتوحة غير محصورة بزمن ثقافي، وليست محدودة، ولا مؤقتة.. فالتدوين يصون الثقافة الشفوية التي لها حضور قوي سابق في الذاكرة الجماعية من خلال التداول، والانتشار، والشيوخ، يروم حصر النصوص والاحتفاظ بها في مدونات حتى تصان ولا تضيع. وقد صار التدوين معيار التمييز بين النص واللانص، إذ لا تدون إلا النصوص، التي لها وزن ثقافي. وقد عرف عصرنا اليوم تطور الرقمنة والبرمجة ووسائل التواصل، وهذه إمكانيات تساعد على تطور التدوين وتيسير آلياته، ونشر المدونات، وتسهيل وصولها للقارئ. مما يبدد كثيرا من الصعاب التي ظلت زمنا تعرقل عدة عمليات معرفية وعلمية.

ويؤدي التدوين وظائف جمة تتعدد بتعدد المدون ومجالاته، فالمدونات الشعرية ساعدت في استمرار تفاخر القبائل بأنسابها وإنجازاتها، والتصدي لكل ما يمس تاريخ أو شرف أو

⁴¹⁶ - المنوني محمد ، تقديم التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي -1- منشورات عكاظ

،1989، ص13.

عرض القبيلة عبر الأجيال، ويصير النص قابلا للتعليم والتلقين⁴¹⁷. فالمادة المعرفية تصير متاحة للقارئ والباحث، فتدوين التراجم والأخبار يساعد على التأريخ للمناطق والبلدان في الفترة التاريخية التي تعبر عنها، وتوثق أحداثها. وهذه أمور قد تغير النظرة إلى الأشياء والكون، وهذا ما يوضحه محمد عابد الجابري⁴¹⁸ في قوله: ".أن التدوين العربي في حقيقته، عملية إعادة بناء ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه تراثا أي إطارا مرجعيا لنظرة العربي إلى الأشياء وإلى الكون، والإنسان، والمجتمع، والتاريخ..". فالتدوين يحقق وظائفه الحقيقية عند توفير جل الشروط والوسائل العلمية التي تؤمن سلامة النص المدون، وتحسنه، فلا تحرفه أو تشوهه.

وتكمن أهمية التدوين في الثقافة الصحراوية، وبخاصة الصوفية والكرامية في ارتباطها بمظان هامة تنتمي لحقول معرفية عديدة منها المصادر المنقبية، والسير، والرحلات، والشعر، وتولد المدونات الكرامية من رحم التصوف، نعثر على الكرامات في تراجم الشيوخ، وسيرهم، ومناقبهم، ورحلاتهم، وأخبارهم، ورسائلهم وأشعارهم وغيرها..، فبزوغ النص الكرامي رهين بتدوين نصوص أخرى قريبة منه تجاوره، وتشاركه غالبا نفس الوعاء المعرفي، بحيث تربطها نفس سياقاتها التاريخية.

وتشترك مختلف الكتابات في عدة خصائص أهمها؛ الموسوعية وهي سمة ثقافة الصحراء عموما، فهي تتناول أكثر من مجال معرفي، كما تحرص على تخليد شيوخها، وإبراز مكانتهم، وقيمة الطريقة التي يتبعوها، كما تتداخل الأنواع الأدبية في المؤلف الواحد، رغم طغيان الطابع الصوفي على جلها، وتجمع جلها بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، وتعج بالمعلومات التاريخية المرتبطة بالشيوخ، وهي في ظاهرها تبدو تقليدا للسير النبوية والصوفية، ولكنها في العمق تخدم قضية استقرار وأمن الصحراء، وتصد الأخطار الأجنبية المحيطة بها⁴¹⁹، فهي ذات أبعاد كثيرة.

⁴¹⁷ - السيد محمد رشيد، الشعر المغربي الصحراوي فيما بين القرنين 10-20، القبيلة السباعية بحوز مراكش أنموذجا، النادي الأدبي بمراكش، أفريقيا الشرق، 2014، ص 79.

⁴¹⁸ -الدكتور محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي، ص 64.

⁴¹⁹ - الظريف محمد، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص 433.

ونذكر من أهم مدوني الكرامات الصحراوية، اليدالي ومحمد ولد بن خالنا، ومحمد محمود بن سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم، ومحمد الكنتي، والمختار بن أحمد أبي بكر الوافي الكنتي، وابن المثري، ومحمد التيجاني، ومحمد الأمين، والنابغة الغلاوي، وبدي بن سيدنا، وميلود بن المختار خي، ومحمد بن الحبيب اليعقوبي، ومحمد عبد الله بن البخاري، ومحمد تقي الله، ومحمد العاقب الجكني، وعبد القادر الكملي، ومحمد بن أمينو بن الفراء التندغي، ومريه ربه، وبونانا بن الطالب أخيار، وماء العينين بن عتيق، ومحمد الأمين بن بدي، وابويا بن ماهي، والراجل بن أحمد سالم، ومحمد بن أجدود، والشيخ أحمد الحسن بن الشيخ محمد حامد بن آل الحسني.

ثانياً: أسانيد الكرامات الصحراوية

اتخذت الكرامة الصوفية السند وسيلة لإبراز الصدق، والثقة، والواقعية، وتعزيز سلطة السلف، على شاکلة الحديث الشريف، ويحضر السند في أنواع أدبية قديمة، أبرزها المقامة، وصار السند عرفاً وعادة له وظيفة استهلاكية في نصوص الكرامات، وبخاصة الأصلية منها، إذ يستهل به النص ويمهد لمتته، غير أن النصوص مختلفة بخصوصه، فمنها التي حافظت عليه، ومنها التي تخلت عنه.

وقد ارتبط السند بنزول القرآن وتدوينه، إذ نهى الرسول عن تدوين أحاديثه مخافة اختلاطها بالقرآن، واعتماد السند في الحديث الشريف، فائتته تجنب الوضع والكذب. وقد وجد من يقلد الرسول مثل النظرين الحارث، لذلك تخضع رواية الحديث لشروط للحفاظ على صحة الحديث، وصدقه منها الصدق والثقة وشهرة وأخلاق الراوي، فأعلى مراتب الحديث ما اتصل سنده وصح وكانت روايته عن الثقات الصادقين مع الصرامة فتدوين الحديث عناية بقداسته وأهميته، فالسند يحمي النص من الكذب والضعف، فهودليل على صدق القول وانتسابه للواقع، وانتقلت الأسانيد بعد ذلك إلى القصص والأخبار بسبب تراجع مكانة القصاصين والاهتمام بأحاديث الرسول. ويبدو من خلال فصول الباب الأول من هذا البحث أن بعض أحاديث الرسول تتضمن كرامات، لذلك كانت بعض أحاديث الرسول كرامات، وأما

محاكاته في بنائه النصي سندا وامتتا فجاءت لاحقا لذلك. سند الكرامة ضرورة فرضتها ظروف تدوينها، حتى لا تختلط الصادقة بالمزيفة والمنسوبة، ولا تكون مثار عبث أو جدل بين المتخاصمين. والتخلي عن السند يدل على أن الكرامة لم تعد تحافظ على سيرتها التي كانت عليها لدى السلف ولم تعد للنص حرمة تمنع الزيادة والنقصان، لذلك بدأت تخرج من دائرة المقدس وتدخل في دائرة التداول الشعبي.

وللسند علاقة قوية بنوع النص إذا نظر له نظرة أدبية، ويوجد نقاد على رأسهم عبد الفتاح كيليطو، وسعيد يقطين، جعلوا السند معيارا لتجنيس النص، ومقياسا لتحديد نوعه الأدبي، وخاصة أن السند يتردد في أكثر من نوع كالكرامة والمقامة.. ويرى الناقد سعيد يقطين أن هذه الأسانيد وصيغها هامة في التنظير للأجناس الأدبية، كما يرى أن الكلام العريق ولأي متكلم يبلغ ما بنفسه للمخاطب في الأنواع الأدبية التالية؛ الخطبة، والرسالة، والمساجلة..، أو أخبار ينقلها المرسل إلى المخاطب، فهو بصدد الإخبار عما وقع، لجعل المخاطب على علم به، فالعلاقة بين المخبر والمخاطب تقوم على مسافات متعددة الملامح يعبر عنها السند. وتدخل الكرامة حسب يقطين ضمن الأخبار أو الخبر، فالسند يجعل من الكرامات أخبارا منقولة لا أقولا يعرضها قائلها مباشرة. وقد صارت الكرامة من الأشكال البسيطة المنتشرة والشعبية لتأثرها بالتداول العامي الذي يكسبها صفة الحيوية.

ويمكن أن يحضر فتكون له سلطة وقدسية، ويمكن أن يتخلى النص الكرامي عنه في غيب ويتحطم، فتغيب سلطته. وبالتالي يقترب أكثر من دائرة الخوارق والحكايات، ويتحرر من نموذج الكتابة المعروف القريب من الحديث. فالسند نقطة مشتركة بين الكرامة الصوفية والخبر، حين لا تتعدى حيز الشيوخ والمريدين، فتوظيف السند من شأنه مخاطبة المتلقي من زاوية عالية وجعل الكرامة في دائرة المقدس يسمو بها من أدب العامة أي الأدب الشعبي.

ويتنوع سند الكرامات، فمنه السند المركب الذي يتألف من عنونة طويلة أو قصيرة، وهذا ما يؤكد أن الكرامة أخبار واقعة متناقلة، وهذا نموذج سائد في جوامع الكرامات قديما. ومنه السند البسيط الذي يكتفي باستهلال أو ذكر لرواة قليلين، وقد يستغني المدون عن السند

فيحطمه تحطيمًا، فتصير الكرامة من الأشكال البسيطة المنتشرة والشعبية، متأثرة بالتداول العامي فيها حيوية وسهولة في التداول والنقل.

وهكذا يظهر من خلال ما سبق أن السند ينقسم من حيث حجمه إلى المركب البسيط والطويل والبسيط القصير. فالطويل المركب، هو الذي يحرص على ذكر الرواة بالنتابع، للتمويه والإيهام بصدق الحادثة، وإظهار براءة كل أسانيد المعبر عنها في عنعنته، مما يموه القارئ بصدق وبراءة الكرامة وقداستها. وذلك إن كانت مزيفة، حيث يصير السند عادة وتقليداً فنياً لا يعبر عن صدق النقل بل يوهم به، أما كرامات السلف الثابتة الصادقة فسندها ثابت وقصدها صادق لا شبهة فيه. ويعلو قدر الكرامة إن نقلت على السنة الثقات وعبرت عن أرباب المساند. وأما السند البسيط فهو أقل درجة من المركب، يتحرر من الحرفية ويهدف أيضاً إلى التمويه بالصدق. فالكرامة البسيطة ما كان ضمير راويها مفرداً غائباً يعكس الحيادية ويتسم بالتسريع، يتحرر من الحرفية اقتداءً بالأخبار الأدبية، ويخلو من العنونة فيصير فاتحة استهلالية لولوج عالم الحكيم. ويسمح لها بسعة التداول والانتشار في المجتمع. ويتم ذلك كلما زاد البعد الزمني عن النبوة وأغرق التصوف في الابتعاد عن الواقع إذ صار الواحد يأكل كرامات الآخر فتختلط النصوص ويصعب نسبتها لأحد. وقد زعزعت الكرامات الصوفية قدسية السند ومصداقيته⁴²⁰، عندما حطمت⁴²¹، من خلال عدة مظاهر أهمها؛ التحرر من قيد الإسناد المركب أي من سلسلة السند المترابط، وحينئذ نجد صيغاً واردة في مستهل الكرامات مثل "ومن كراماته"، "وأخت هذه الكرامة".

والتحرر من سلطة السند من شأنه تسهيل تداول الكرامات وتكاثرها، وفتح الباب أمام الزيادات والنسج من الخيال واستعارة استهلالات منتشرة من القصص والحكايات، وتلك تجاوزات تغير مكونات النص الحكائي باستمرار وتفقد حصانته، مما يساهم في تأسيس جنس

⁴²⁰ - تحليل الخطاب الصوفي، ص 218.

⁴²¹ - الطرائف الثالثة، ورقة 32.

قصصي قائم بذاته⁴²²، حيث تصبح الحكاية الكرامية قالباً ينسج على منواله بعيد الصلة عن طقوس الولاية والمشيخة وقداسة النص تكتسب حيويتها وتصير شعبية النسج والتداول.

وتوجد بالكرامات الصحراوية أسانيد مركبة طويلة وهي قليلة جداً وقد تعرف تقطعا بحيث لا يرد رواة السند بالتوالي بل يتم ذكر بعضهم (.. مع أصحابنا نتحدث بكرامات الأولياء وما أكرموا به من الفتوح، وسيد الأمين بن سيدي محمد يقص علينا من أمر الشيخ سيدي أحمد بن الرقاد، وصحبته من مشايخه إلى أن بلغ ذلك قول سيدي عبد القادر التاودي⁴²³..)، وقد يتخلل السند ذكر سند مصدري بحيث يتم نقل الكرامة من مدونة أخرى بنفس الرواية، كما يلي: (.. ومن كراماته رضي الله عنه ما أورده ابنه الشيخ مربيه ربه برواية الشيخ بن الشمس في كتابه في كرامة تسبيح شعره رضي الله عنه، .. كما قال حدثنا⁴²⁴..)، وقد تعبر كلمة متواتر أو بلغني متواترا عن سند مركب طويل مغيب بقصد أو بفعل النسيان، أو الإهمال كما في المثال التالي، (.. بلغني متواترا أن الشيخ سيد الحاج أبا بكر بن سيدي محمد بن عمر الوافي⁴²⁵..)، وقد يتم التصريح بصدق المروري عنه، (.. وحدثني سيدي علي بن عمنا سيدي محمد أبي حامية وكان صدوقاً⁴²⁶..)، وأسانيد مركبة قصيرة تكتفي بذكر الراوي والمروري عنه مثال ذلك، (.. وحدثني الطالب أبو بكر أن شيخنا أنه⁴²⁷..). ويمكن أن تكون الصلة قريبة بينهما بحيث نجد أن الراوي هو الابن والمروري عنه هو الأب وهذا هو السند السائد في نصوص كرامات الطوائف بصيغ مقاربة كما يبدو فيما يلي، (.. سمعت شيخنا الوالد رضوان الله عليه يقول⁴²⁸..)، و (.. مما يذكره سيدي محمد

422 - الطوائف الثالثة ، ورقة 221 .

423 - كرامة، ورقة 499-500.

424 - الحركة الصوفية، ص 51.

425 - الطوائف الثالثة ، ورقة 24.

426 - نفسه، ورقة 511.

427 - فاضل محمد ، الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين ، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم د

1067، ورقة 243.

428 - الطوائف الثالثة ، ورقة 72.

الكنتي عن والده سيدي المختار أنه سمعه يقول⁴²⁹، (..وسمعت الشيخ يقول⁴³⁰..)،
 (..وسمعت الشيخ رضي الله عنه يقول⁴³¹..)، (..سمعت الشيخ الوالد يقول⁴³²..)، ومحمد
 الكنتي قد يروي عن والديه معا في نفس الآن (..مما يذكره عنهما ابنيهما الشيخ سيدي
 محمد⁴³³..)، وقد نجد الشيخ يروي عن ابنه لغيره (..يرويهما الشيخ عن ابنه ماء العينين
 لمدون الضياء المستبين⁴³⁴..)، فوسيلة النقل غالبا السمع، وأحيانا كثيرة تكون المشاهدة
 فيكون المدون هو الراوي نفسه ينقل الواقعة لمتلقيه مباشرة، (..ومما رأيت رضي الله
 عنه⁴³⁵..)، وفي كرامات قليلة نجد روايات نساء، (..وأخبرتني ابنتها الولية العارفة بالله
 تعالى صاحبة المكاشفات فاطم شعوانة⁴³⁶..)، وقد يروي الشيخ عن نفسه، (..مما حدث به
 عن نفسه، ..ومما تفضل الله علي به⁴³⁷..) " إذ يمكن أن يكون مرسل الرسالة في الوقت
 نفسه هو أول مستقبل لها.. " ⁴³⁸ ، وأحيانا يظل المروي عنه مجهولا يصرح بالثقة به مثل،
 (..حدثني من أثق به أن شيخنا حفظه الله⁴³⁹..)، أو التصريح بصحة نقله مثل، (..ومن
 ذلك ما تبث وصح بالنقل عن محمد ابن المصطفى⁴⁴⁰..)، نلاحظ في جل الأسانيد
 المعروضة أن السند ثنائي لتقارب أو تزامن حدث الكرامة وتدوينها.

429 - الطرائف التالدة ،الورقتان 261-265.

430 - نفسه ، ورقة 75.

431 - نفسه ، ورقة 98.

432 - نفسه، ورقة 98.

433 - الطرائف التالدة ورقة 35.

434 - الضياء المستبين، ورقة 164.

435 - الطرائف التالدة ، ورقة 501-502.

436 - الضياء المستبين، ورقة 166.

437 - قرّة العينين، ورقة 15.

438 - Catherine kerbrat Orecchioni , l'énonciation de la subjectivité dans le langage , p, 21, ed , Armand Colin , Paris.

439 - الضياء المستبين، ورقة 334.

440 - نفسه، ورقة 329.

وغالبا ما غاب السند لتحل محله عبارات الدعاء والثناء على الشيخ أو عبارات الإشادة بعجائبية الكرامة لتشويق القارىء لتتبعها، (..ومما أخبر به من عجيب ما رواه⁴⁴¹..)، (..من غريب ما اتفق له رضي الله عنه ما قدمنا⁴⁴²..)، و(..ومن أعظم كراماته وأجل تأييداته رضي الله عنه ورزقنا بركات منه⁴⁴³..)، (من كراماته، قدس الله سره، أنه⁴⁴⁴..)، و(ومن كراماته رضي الله عنه ومتعنا ببركاته⁴⁴⁵..)، و(..من كراماته الربانية وأسرارهِ العرفانية قدس الله روضته وأورثه جنته ما وقع⁴⁴⁶.. من الكرامات الباهرات الخارقات للعادات فمن أجل كرامات شيخنا رضي الله عنه.. والتي تمت على يد العلامة الواصل الشيخ محمد العاقب بن الشيخ سيدي⁴⁴⁷..)، و(..غير أن لها كرامة عظيمة⁴⁴⁸..)، و(..ما روى الطالب عبد الله لما أتاه والد الشيخ أعز الله ذكره، وأطال بالعافية عمره⁴⁴⁹..).

ومن وظائف السند تعزيز سلطة السلف على الخلف وإبراز المكانة الثقافية التراثية للنص الكرامي. وإذا بدت الأسانيد لها مرجعية واقعية وتاريخية، فهي تؤكد مصداقية الكرامة، وتؤكد انتماءها الثقافي، كما تبرز الصلة بين الشيخ ورواته. ومن وظائف السند وظيفته الاستهلالية، وهي إبراز طريقة الأخذ، من سماع، أو مشاهدة.. كم اتبين أحياناً معايير انتقاءها، ومصداقيتها ووفائها التراثي لنموذج الكتابة الأصلي. وإذا كان السند غير مرجعي فهو تغليف وتحصين غايته الحفاظ على نص الكرامة وإعطائها طابع الثقة والصدق.

441 - الطرائف التالدة ، ورقة 498..

442 - نفسه ، ورقة 500.

443 - قرة العينين، ورقة 18.

444 - نفسه، ورقة 20-21، مجمع البحرين، ورقة 171.

445 - قرة العينين، ورقة 23، مجمع البحرين، ورقة 174.

446 - قرة العينين، ورقة 200.

447 - سحر البيان، ورقة 50.

448 - الضياء المستبين، ورقة 167.

449 - نفسه، ورقة 199.

ويمكن أن تستهل الكرامة بسند، يجعل المتلقي متأهبا لدخول عالم النص، إذ يمكن أن يضعه في سياقها، ويحيله إلى مرجعها، وقد يشهد بعض مناقب الولي و يدعوله، فيفتح شهية القارئ وفضوله لتتبع المحكي، والوقوف عند بؤرة الأحداث، وهذه محطة أولى قد تتم باختزال فتمر سريعة، أو بتروى فتكون أفسح، وأرى أن الراوي أو الناقل هو متلقي أو لسابق لرواية الحكاية، وهو إما متفاعل وهذا حاله في الغالب، أو محايد. وأجده مدافعا عن الكرامة وأصحابها في مدونة النبھاني و"قرة العينين .." و "سحر البيان..".

وقد حظي الراوي بمكانة هامة في السرديات التراثية القديمة لكونه وسيطا مبلغا للنص، يقوم بالإصغاء ثم الإرسال، فهو يصغي ويستمع وينتقي قبل أن يروي ويرسل.

وقد يكون الشيخ نفسه راويا لكراماته، ويكثر هذا في نصوص كثيرة في "الطرائف.." وقد يروي عنه غيره، فينقل مريد الشيخ لكراماته ويكثر هذا غير بعيد عن عالمها وعن حياة الشيخ، وقد يكون الراوي يشاهدا حضر صدفة أحداثها ونقلها، وقد يكون بعيدا عن عالم الكرامة، ويمكن أن يكون أحد أفرادها شاهدا على المحكي مشاركا فيها مذكورا اسمه داخل نصها.

ويشارك الراوي غالبا الشيخ ثقافته ومكانه، ينتمي إلى نفس القبيلة ويعرف أفخاذها، وتحقق الكرامات المدروسة أنواعا أخرى من السرد منها، السرد الذاتي، والسرد غير الذاتي، ويحضر الراوي في "القرة.." باسمه أو أسماء بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم مباشرة أو من خلال تأليفهم، وإن كان الراوي مجهولا اكتفى بذكر أسماء عامة له مثل (التلميذ).

ويتعدد ضمير الراوي أو الرواة أحيانا عديدة في "القرة.."، وجل الضمائر تسم الكرامات بالواقعية. وقد يكون الراوي محايدا أو مشاركا متماهيا في أحداث الكرامة. فهذا هو الراوي الخارجي الذي نجده قبل النص، غالبا راوي صوفيا، لأن فئة المريدين تشكل فئة الرواة، وعلاقته بالشيخ غالبا روحية أو تبعية، أو خدمة، فهي علاقة من نوع خاص. وتتعكس علاقة الراوي بالشيخ في النص من خلال عدة مؤشرات أهمها، وظائفه فمريبه ربه في القرة، يتفاعل ويتعاطف مع المحكي، يطلب البركة باستمرار، ويطمع في رضاه، يدعوله ويبيجله، يعبر عن

ولائه وتبعيته له، فالولي يرسم نموذج البطل المثالي عبر جل كراماته المدونة، ويستعرض غالبا رصيده الثقافي، أو تجربته العرفانية.

ويحضر الراوي في كرامات "القرة.." باسمه، أو يستدعي سلسلة سند بذكر أسماء من أخذ عنهم بالتتابع، أو من خلال اطلاعه على تأليفهم، وقد يجهل الراوي، فيكتفى بذكر أسماء عامة دالة عليه مثل "التلميذ" أو أحد أخوته، ومن أهم رواة كرامات القرة نذكر الشيخ "ابن الشمس"، وابنه "عثمان"، و"مريبه ربه"، ويستعين المدون بضمير الغائب المفرد غالبا للدلالة على الراوي، وإبراز تماهيه، ويجعل الكرامة، وتأكيد صحة الخبر.

وقد يأتي السند بسيطاً مفرداً على لسان الشيخ نفسه "سمعت شيخنا الوالد رضوان الله عليه.." ⁴⁵⁰، ينقل عن نفسه، أو عن غيره، "وسمعت رضي الله عنه يقول ⁴⁵¹.."، "سمعت رضي الله عنه يقول: أتاني.. ⁴⁵²"، وهنا يبدو اعتماد السماع، أساسي عند الشيخ فهو مصدر معرفي هام، معروف بـ "النقل عن الشيخ" كرامة وقد تتواتر الكرامات شفويا في مجلس يحضره الشيخ "كنت مع أصحابنا نتحدث بكرامات الأولياء وما أكرموا به من الفتوح، وسيد الأمين بن سيدي محمد يقص علينا من أمر الشيخ سيدي أحمد بن الرقاد.." ⁴⁵³، وقد تستهل الكرامة بانطباع الشيخ الذي يعد جزءاً من تلقيه لكرامة غيره "ومن غريب ما اتفق له رضي الله.. التوجي بمشهد جم ⁴⁵⁴"، وقد يستهل الكرامة بشهادته "ومما رأيته رضي الله.. أني كنت في إبل لنا عزوب.." ⁴⁵⁵، ويكثر النقل بالسماع عن الشيخ المختار الكنتي، وسمعت رضي الله عنه ⁴⁵⁶، ومن السند الثنائي الذي يتصل فيه الراوي بالمروي عنه عن

450 - الضياء المستبين، ورقة 72.

451 - نفسه، ورقة 102.

452 - الضياء المستبين، ورقة 498.

453 - نفسه، ورقة 499-500.

454 - الطرائف الثالثة، ورقة 501-502.

455 - نفسه، ورقة 504.

456 - نفسه، ورقة 511.

457 - نفسه .

طريق النسب، وحدثني سيدي علي بن عمنا سيدي محمد بن أبي حامية⁴⁵⁷، الذي يتصل فيه الراوي بالمروي فنه عن طريق النسب.

ثالثا : جمهور الكرامة الصحراوية

يمكن النظر إلى متلقي الكرامة باعتبار المسافة بينه وبينها، لذلك فهو أنواع. وتلقيه مستويات. فهناك الولي المتلقي الأول الذي قد يكون منعزلا أو مع غيره وقت وقوعها، لننتقل إلى متلقي ثاني تلقى الكرامة مباشرة بمشاهدتها والمشاركة في أحداثها وتتبعها هو وحده أو مع غيره من الشهود مع الولي، وقد يكون المتلقي الثاني سمعها عن الأول وهنا تتسع دائرة التلقي في مستواها الأولي ثم تتوسع دوائر انتشارها حسب أهمية الولي في وسطه، أو بقدر تأثيرها في الجمهور. ولا تقطع كل الكرامات نفس المراحل لأن شرط تلقيها تختلف، فكرامة لرؤيا والمعراج مثلا تخص الولي وكرامات الشفاء، وجلب المطر، واحضار الطعام، وتتم غالبا أمام الشهود.

وتمر الكرامة من مرحلة المشافهة حيث تتكرر عمليات التبليغ باستمرار، فالمستمع يتحول إلى راوي عند لقائه بسامع آخر يتحول هو أيضا إلى راو، وهكذا تتوالى عملية الانتقال من التلقي إلى الرواية في المرحلة الشفوية من عمر الكرامة، ويسهل الوسط الصحراوي انتشارها لأنه يميل إلى الشفهي والسماع، ولكثرة مجالسه الصوفية والشعرية والعلمية وغيرها، فهو مجتمع يستأنس بالسماع ويهتم بالأخبار ويقدر رجالته وشيوخه، لذلك فهو متتبع لنصوص الكرامات بشكل كبير، زد على ذلك ما تخلقه الطرق الصوفية من جلب للمريدين والتلاميذ المنتبعين لحياة الولي ومناقبه وكراماته، فهو يشكل لهم زعيما روحيا، ومنبعا معرفيا، وقائدا سياسيا أحيانا، وحتى على مستوى الأهل والأقارب تنتشر الكرامات، وتنتشر، فنتسج شهرة الولي، ويزيد أتباعه، فالمتلقي الصحراوي من بيئة الكرامة قريب من ظروف إنتاجها وتأثيرها، يكثر تداولها في الزوايا، وقبور الأولياء، ومجالس الذكر، ويشتهر صنف منها بعد وفاة الولي فتصير سببا لإقامة مواسم الزيارات، ولحداث طقوس القرب،

وتوافد الزوار، إذ ترتبط زيارات قبور الأولياء، بكرامات بعدية أي بعد وفاتهم، لذلك يسهل تسريبها داخل المجتمع، فهو يجد فيها ذاته، وانتظاراته، والعالم الذي يعيش فيه لذلك يتعلق الصحراويون بأوليائهم.

وتؤدي الكرامة وظائف في جمهورها كما سنبين في موضع لاحق، يصير المجتمع صانعا لكرامات هو في حاجتها لبلوغ أغراضه، فيصبح فاعلا يقيم الكرامة مقام الخبر الشائع لبلوغ مآربه، والتخفيف من أزماته.

فالجمهورالصحراوي كان ومازال حاضنا للكرامة، مستعدا متأهبا لتتبعها، "فلا يصلح النص الكرامي لكل المتلقين، ولا يصلح كل المتلقين لكل النصوص، وهذا ما عبر عنه إيزر ب" التقبل الخاص للنص" فالنص يفترض متلقي ضمني قريب من بناء النص ومعانيه ومرجعه ولا يناقضه⁴⁵⁸. منتج لها إذا كانت له بواعث لذلك، فهو يصنع نصوصا يحتاجها يجد فيها بدائل وحلولا لمشاكل تستعصي عليه، فالصحراوي يرى في الكرامة، أنيسا في وحشته وصحرائه، يتعلق بآمالها، ويرى الولي قادرا على تغيير أحواله الصعبة.

وهنا يمكن أن نشير إلى الكرامات التي تعبر عن نزاعات سياسية، أو طرقية، فلها متلقي سلبي يراها وسيلة تحاربه، فهو ضد تلك الكرامات يحاربها ويكره انتشارها لأنه متضرر منها. تعلق الصحراويين بالأولياء وتنافسهم لضم العلماء القادمين إلى القبيلة لتقويتها.

وعندما يتم تدوين الكرامة تصير نصا موثقا محفوظا له قدر من الاعتراف، يعلو شأنه فيصير له عمر جديد، وجمهور قارئ يختلف تلقيه وتتغير نظرتة للنص. فهو قادر على إعادة القراءة والتأمل متى شاء. فمتلقي الكرامة يرتبط بشروط القراءة وبمرجعياته الثقافية التلقي، وعلاقته بالتصوف، فالمتلقي المتصوف يختلف عن المتلقي العابر، وعن المتلقي الدارس المحلل، كما أن تلقي الكرامة شعرا يختلف عن تلقيها نثرا.

وينظر المتلقي الصوفي بعين القبول والتسليم لأحداثها إن كان مطلعاً على مفاهيمها، وله دراية بخبايا التلقي والتلقي، وتستميله إلى ذلك عدة مشيرات نصية منها دعاء الراوي

⁴⁵⁸ - Iser wolfgang ;l acte de lecture de l effet esthetique ;presse Mergada Editeur ;p 74 .

للشيخ، وهو نوع من استمالة المريدين والأتباع للطريقة. فالمتلقي المتصوف متأثر دائما بالنموذج الولائي، محترم له، يتأسى به، وبإنجازاته.

وأما إذا كان المتلقي بعيدا عن الكرامة زمنيا وثقافيا فهو يراها بعين العقل، يبهر، ويندهش، ثم يتساءل، فيقبل أو يرفض وبالتالي قد تميل عقيدته وعقيدته متردد مجادل غالبا، تنزل وتصدد درجة تأثره، يعرض الكرامة على ثنائية المنطق والعقل، والممكن وغير الممكن، والمعقول، وغير المعقول، فهذا المتلقي كثير التردد والجدل، أو ينسلخ من جل المرجعيات فيعامله معاملة النص الأدبي الذي به تخيل فيستمتع ويتتبع وينتقل لنصوص أخرى، وهذا حال المتلقي في حاضرنا. إذ يغيب المرید الصوفي، والشيخ، وتراجعت حركة الطرق الصوفية.

ولا تخلو عملية التلقي من ربط الممكن بغير الممكن، والمقبول بغير المقبول، والمألوف بالغريب، والمعقول باللامعقول، والواقع باللاواقع، وهي ثنائيات يحركها منطق المقارنة الذي يفرضه محتوى النص الكرامي. . فالمتلقي في حالة انتظار دائم يطرح فرضيات متعددة حول العالم الممكن.. "459". الخرق في البنية السردية الكرامية كبير جدا يخلق ترددا متواصلًا لدى المتلقي "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير قوانين الطبيعة، فيما يواجه حدثًا فوق طبيعي حسب الظاهر"460.

459 - آمنة بنعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص 229.

460 - ترفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، مكتبة الأدب المغربي، الطبعة الأولى،

1994، ص 44.

الفصل الثاني : المدونات الكرامية الصحراوية

يتعذر علينا تعيين المدونات الكرامية الصحراوية الأولى، وبالتالي تحديد مرحلة الانطلاقة الأولى، الأمر الذي يمكن معرفته مع تطور البحث في هذا المجال، وتحقيق المؤلفات وكشف المصادر المكتوبة المغمورة، فأقدم ما يمكن اعتباره نموذجا مؤسسا هو كتاب ابن رازكة لمناقب الشيخ المختار بن الأعمش العلوي، ويبرز تأليف بن سعيد اليدالي في هذا الباب وهو كتابيه "شيم الزوايا" و "أمر الولي".

أولا : مرحلة التأسيس، ق 12.

يمكن اعتبار القرن الثاني عشر مرحلة تدوين الكرامات، على يد سعيد اليدالي من خلال كتابيه المذكورين، وبذلك يكون مؤسسا رائدا في هذا المجال، أقبل النساخ والشيخ والمريدون على كتابيه، فاعتنوا بهما عن طريق الاستنساخ، والنظم، والتعليق، والقراءة، والتأليف على منهجهما. كما نلاحظ أن الكتابين انصبا على منطقة تشمشة من خلال قبائل الزوايا، إذ ركز اليدالي على تخليد كرامات ومناقب نماذج ولائية بالمنطقة أحدها يمثل كتابة كرامية فردية هو "أمر الولي"، والآخر كتابة كرامية جماعية هو "شيم الزوايا". وقد حفزت عدة دوافع اليدالي على التأليف، أهمها الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية بالمنطقة، إذ عرفت صراعات كثيرة وحروبا بين الزوايا وحسان، أجمت نفسية الفرد وجعلته مهزوما مأزوما، وشكلت هذه المؤلفات اقتراحا علاجيا يرصد نماذج ولائية تتسم بالصمود والصبر وحسن العبادة، فتتال بذلك كرامات خيرة تنسيه الأزمات. وتدخل هذه الكتابات في النثر الفني الذي يشي بثقافة المؤلف الأدبية وانفتاحه على الأدب العربي بمختلف مشاريعه شرقا وغربا، وتتسم هذه الكتابات بالبساطة والوضوح غرضها التبليغ والإبلاغ. وينطلق تصنيف الكتابين من الحديث عن النموذج البشري الكامل وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم الانتهاء بنموذج ولائي وسياسي يفتدي به، وهو ناصر الدين الذي أطلق مشروعه السياسي من خلال كرامة أذيعت بين الناس، وسعت لجذبهم، وتبعيتهم له، فكان المتلقي الأول للكتابين هو المجتمع الزاوي، ثم المجتمع الصحراوي، ويتسع المتلقي كلما زادت قراءاته والإطلاع عليه.

وكانت نهاية كتاب "أمر الولي" غريبة لأنها تنتهي بعزاء وتسلية. ويكرس كتاب شيم الزوايا مبدأ الإحسان في المعاملات بحيث تواجه السيئة بالحسنة والشر بالخير. وسعى المؤلف من وراء كتاب شيم الزوايا للصلح بين المتخاصمين من القبائل، مركزا على المناقب والكرامات، مختتما بالصلاة وبالسلم على الرسول. فقد انطلق الكتابان من دوافع واقعية صعبة تبحث عن حلول ثقافية من خلال كرامات أولياء حققوا نجاحا قريبا من المثالي. وكان اليدالي في هذه المرحلة التأسيسية اليد الطولى في المبادرة، والتصنيف، والتأليف في الكرامات والمناقب في مجتمع متعطش لرجال مصلحين يبثون الأمل في النفوس ويتفوقون على واقعهم من خلال واقع أقوى منه يرى أن الجزاء هو الجنة. وسمت تلك المدونات بالاختصار والإيجاز وصغر الحجم وعلو قيمتها المعرفية.

- **أمر الولي ناصر الدين** ، كتاب "أمر الولي ناصر الدين"⁴⁶¹، أو "مناقب الإمام ناصر الدين" أو "مغازي ناصر الدين"، كلها عناوين لكتاب واحد صغير الحجم من اثني وستين صفحة، عرض سيرة ناصر الدين البطولية، وأهم مناقب هذا الزعيم الروحي والسياسي، مستعينا بكرامات وخوارق كثيرة له، ساهمت في توجيه حركته الجهادية التي قادها، مستعرضا انتصاراته ومبايعة قبائل عديدة له، ويتناول نواقص وضعف هذه الحركة أيضا⁴⁶²، في مرحلة تاريخية مأزومة غير مستقرة خلال القرن الحادي عشر. وقد جعل المؤلف كتابه في تسع مطالب هي إرهابات بشائر قبل الولاية، ومناقبه، وإقامة دولة إسلامية، وفتوحات الولي، وكراماته ومبايعة الأتباع له، وحرية مع المغفرة، وأسباب هزيمة الزوايا. وقد استهل تقديمه بالصلاة على الرسول (ص) والحديث عن الخضر، ثم تناول مفهوم الكرامة والمكاشفة، ليقف عند شيم الناصر الشكلية والخلقية، مبرزًا بعض مناقبه من تقوى، وجهاد، وصبر، وأمانة، وعفة.. وحرصه على إرشاد الناس، ووعظهم، وتعليمهم. عرض في أكثر من نصف الكتاب أربعين كرامة من كرامات الإمام ناصر المعروفة في عدة موضوعات منها؛ إبراء العلل والمكاشفات، وخواطر القلوب، وانتصاراته على الأعداء، ثم وقف عند وقائع

⁴⁶¹ -اليدالي بن سعيد، أمر الولي، تحقيق محمد بن باباه، ضمن مجموع، نصوص من التاريخ الموريتاني، تونس 1990، ص 115 - 195.

⁴⁶² - ولد عبد الله عبد الودود، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن 12هـ. (18م)، ص 26.

تاريخية عديدة أيام الحرب، وفي آخر الكتاب عزاء وتسلية يرفه بها اليدالي عن المجتمع الزاوي المتلقي الأول الذي يوجه إليه تأليفه. وكانت نهاية كتاب أمر الولي غريبة لأنها تنتهي بعزاء وتسلية. ويتصف أسلوب اليدالي في هذا التأليف ببساطته، ووضوح نثره، مع فنية عند تقديمه الخارق، فهو من الكتابات النثرية الفنية التي تجمع بين الخبر، والسيرة، والمنقبة، والكرامات، والترجمة، والحكاية...

- شيم الزوايا⁴⁶³، يشمل كتاب "شيم الزوايا"⁴⁶⁴، لمؤلفه محمد بن سعيد اليدالي الديماني⁴⁶⁵ (ت1119هـ)، مؤلف صغير⁴⁶⁶ الحجم من عشرين صفحة، غني المضمون، معارف عديدة من تاريخ وتراجم، وسيرة، ومناقب، وكرامات. يجد فيه الباحثون في مختلف تلك الموضوعات ضالتهم. لذلك عرف تصنيفه جدالاً؛ فهناك من جعله ضمن الكتابات التاريخية التقليدية لاحتوائه على الأخبار، ومنهم من أدرجه ضمن الكتابات الهاجيوغرافية التي تحتفي بالمقدس وتمجده. كما يعرض شيم وأخلاق ومناقب وكرامات بعض أولياء "تشمشة" في وسطهم القبلي باعتبار هؤلاء الشيوخ نموذجاً للعامل المتدين المتصالح مع مختلف الظروف السهلة والصعبة، ويدعم اليدالي قصده من هذا التأليف بالوعظ والإرشاد والتأسي بهؤلاء الشيوخ.

ويعد هذا الكتاب مؤسساً هاماً في التدوين الكرامي في مرحلته، نسجت بعده عدة كتابات على منواله، يعرض كرامات أولياء من "الزوايا" و"حسان". ويوجد نظم كتاب "شيم الزوايا" المختار بن جنك (1321هـ).

463 - أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط، ص 49 .

464 - توجد نسخة مخطوطة بخرانة المعهد الموريتاني للبحث العلمي.

465 - اسمه الكامل: محمد بن المختار بن محمد سعيد بن المختار، من قبيلة (إدودي) التي تنتمي لتحالف (تشمشة)، من شيوخه؛ أبي محمد عبد الله بن عمر التونكلي، الوسيط في بلاد شنقيط، ص 223.

466 - اليدالي محمد بن سعيد، شيم الزوايا، تقديم وتحقيق محمد بن ولد باباه، سلسلة المكتبة الثقافية المغربية، منشورات بيت الحكمة، 1990م.

ثانيا: مرحلة التطور، ق13

1- مميزات المدونات الكرامية الصحراوية في القرن الثالث عشر

عرفت المدونات الكرامية وفرة في القرن الثالث عشر، جلها دونت بعد وفاة أصحابها، وكان المدونون من الطلبة أو المريدين أو أبناء الشيوخ. وصار تدوين الكرامات ضربا من ضروب الولاء والإخلاص للشيوخ. وعرفانا لهم بالجميل لأن غرض تدوين الكرامات الأول هو تخليد كرامات هؤلاء الشيوخ وتمجيدهم، أو استجابة لطلب أحد المريدين. وقد أقبل المجتمع الصحراوي على تداول الكرامات وترويجها، وشجع المدونين على جمعها وكتابتها. وتجلت أهم مصادر تدوين الكرامات في الرواية الشفوية عن رواة منتقين تم وصفهم بـ "الثقة" و "العدول" من خلال مشاهدتهم ومعاينتهم للكرامات، أو سماعها عن الشيوخ أنفسهم، وتم اعتماد الأمالي أحيانا ..ومن المدونات ما اهتم بكرامات عدة أولياء ينتسبون لمنطقة معينة، ومنها ما اختص بتدوين كرامات ولي واحد. ويبدو أن المنافسة دفعت عدة مدونين لتدوين كرامات شيوخ بعينهم، أو شيخ واحد ينتمي لمنطقتهم. وتتشابه جل المدونات في منهج أو كيفية تصنيفها، إذ تنطلق من مقدمة فيها الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتناول مفاهيم تمهيدية كالولاية والكرامة، وتدعو إلى عدم إنكار الكرامة، ثم تنتقل لسيرة الشيخ وجوانب من حياته العلمية وعبادته، وعلاقته بمريديه وطلابه، ورحلته إلى الحج لتنقل نماذج من كراماته ومناقبه، ثم تنتقل إلى الخاتمة. وتختلف المدونات حجما فمنها القصيرة التي لا تكتفي بحجم صغير أو متوسط، ومنها الطويلة التي احتاجت إلى مئات الصفحات لعرض مادتها المعرفية. وتعد الكرامات المدونة نماذج ولائية لها أثرها في مجتمعها وأدوار طلائعية من مثل زعامة طريقة أو زاوية أو زعامة سياسية. وتروج جل المدونات لخطاب واحد مفاده أن الصحراوي عليه الاقتداء بأوليائه في التعامل مع الأزمات، وقوة الجأش، والإرادة والصمود، والتعامل مع السيئة بالحسنة، ومواجهة الشر بالخير، والتفاؤل، والعمل، وكل ذلك إرضاء لله، ونيل الجنة التي تعد حياة حقيقية بديلة عن الدنيا في اعتقادهم..

وصارت نماذج منها مثالا احتذاه العديدون تأليفاً ومنهجاً، وأسست أخرى منهاجاً جديداً في التأليف مغايراً لتقليدي المعروف. وجل المدونات التي قدمتها تتال فيها الكرامة حظاً يسيراً إلى جانب معارف أخرى ذات طابع صوفي تاريخي. وتتسم جلها بالاسترسال، والإطناب، وطول نفس المصنفين، وتتضمن جلها مادة شعرية هامة، وقدمت بعضها كرامات منظومة شعراً. وتعكس جلها طابعاً محلياً في المعلومات المرجعية التي تضمها، وسندا ثقافياً عربياً ومغربياً يدل على انفتاح المصنف المدون الصحراوي على أصول التصوف الإسلامي، وعلى تثاقف الصحراويين مع المغاربة والمشاركة، ويبدو هذا من خلال أسانيد الكتب الواردة في مقدمات الكتب الكرامية الصحراوية. وتتسم مادتها بالموسوعية مما يجعل تصنيفها متعذراً، لأن فيها تداخلاً ودمجاً لمعلومات ومعطيات من مجالات عدة متقاربة أهمها؛ السيرة، والتراجم، والكرامات، والمناقب. مصبوغة بطابع صوفي تاريخي.

وتناولت جل المدونات تناولت الكرامة مفاهيمياً، وعرضت جانباً أدبياً غزيراً تمثل في النصوص الكرامية.

وهكذا يعد القرن الثالث عشر مرحلة ازدهار وتطور تدوين الكرامات الصحراوية إذ برزت عشرات الكتابات الكرامية وبرز الوعي بهذا النوع من الكتابات. وارتبط تطور الكتابة الكرامية بتطور الحركة الصوفية والأدبية الثقافية بالصحراء. وكان المثقف الصحراوي واعياً بأهمية الكتابة عكس التدوين الكرامي ووعي الصحراوي المثقف بأهمية الكتابة ووظائفها الفاعلة في تطور حضارة الشعوب. ثم أسهمت الرحلات الداخلية والخارجية، العلمية، والدينية، والسياسية، بدور كبير في انفتاح علماء الصحراء على جل الثقافات، ولقاء العلماء والشيخ، والتعرف على المصادر وجلب الكتب وتأسيس المكتبات الخاصة والعامة، والتعرف على المصادر وجلب الكتب وتأسيس المكتبات الخاصة والعامة، ومن المؤلفات في القرن الثالث عشر نذكر؛ الرحلات الصحراوية تضم الكرامات وهي ثلاث أنواع: الحجازية، والدبلوماسية، والجهادية، وأهمها:

. رحلة الشيخ ماء العينين إلى الديار المقدسة، 1856م اق13هـ.

. رحلة الشيخ مربيه ربه من كردوس إلى الساقية الحمراء، 1934م اق14هـ.

. رحلة محمد بن عبد الله الغلاوي إلى تطوان 1947م اق 14هـ.
. رحلة محمد بن أبوة.

. رحلة الرصافي محمد معروف إلى طنطان⁴⁶⁷.

ونذكر من السير التي تضم كرامات ما يلي:

. سيرة محمد سيدنا بن مولود من آل الفخ الخطاط.

. سيرة محمد بن تكرر اليعقوبي.

. سيرة محمد الأمين بن عبداتي.

مذكر المواردفي سيرة ماء العينين ذي الفوائد، لمحمد تقي الله.

. سراج كل سار في سيرة الوارث المختار لمحمد تقي الله.

. مجمع البحرين في مناقب الشيخ ماء العينين، لشيخ محمد العاقب بن الشيخ

سيدي عبد الله بن مايايا الجكني.

. النفحة الأحمدية للشيخ أحمد بن الشمس.

. الفواكه لشيخ النعمة .

. إفادة الأقربين في التعريف بذرية الشيخ ماء العينين ، لماء العينين بن

الشيخ الحضرام

. سحر البيان في شمائل الشيخ ماء العينين الحسان، لماء العينين بن العتيق.

. مفيد الملويين في التعريف بالشيخ ماء العينين، لشيخ بونانا بن الشيخ الطالب

أخيار .

وسنعرض بعد هذا أهم المدونات التي تمكنا من الوقوف بها .

⁴⁶⁷ - الظريف محمد ، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص 406.

2- أهم مدونات القرن 13.

- **كرامات أولياء تشمشة** ، ألف محمد والد بن خالنا (ت1212هـ) كتاب "كرامات أولياء تشمشة"⁴⁶⁸، وسار فيه على نهج شيخه اليدالي في "شيم الزوايا"، وهو كتاب من الحجم الصغير، عدد صفحاته ثمان ونعرض في أوله مفهوم الكرامة مبرزاً أنها فرع للمعجزة، وبين أن دافع تأليفه هو الاستجابة لطلب بعض من أهله، كما أبرز أن مصدر تدوينه الأساس هو سماع رواية الثقة، متجنباً معاصريه، علماً أنه يدون لأولياء سبقوه بقرن من الزمن، وقد عرض نماذج من كرامات بعض أولياء تشمشة، ولم يقدم جرداً شاملاً لهم، بل اكتفى بانتقاء بعضهم وأهمهم، أحمد أبي زيد⁴⁶⁹، واستغرقت كراماته عشرين صفحة، منها تكثير القليل، وطي المسافات، ثم عرض كرامات الولي باب أحمد بن يعقوب، وسيد الفال بن محنض بن ديمان، ومحنض المعروف بصاحب الرسول، وبني ديمان، وأهمهم شيخه اليدالي، وهؤلاء نماذج من المجتمع الزاوي، وجلهم من أهل بارك الله وأولاد ديمان، وقد سعى المؤلف إلى الإصلاح بين هاتين الفئتين، وتقوية الروابط بينها.

- **الدر الخالد في معرفة الوالد** ، ألف محمد محمود بن سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم (ت1235هـ) كتاب "الدر الخالد في معرفة الوالد"⁴⁷⁰، من ستين صفحة في الحجم الصغير، يترجم فيه والده، وقد وقف في بدايته عند أهمية تدوين سير العلماء، والدوافع التي حفزته على هذا التأليف، وتحدث في الباب الأول عن علم والده، وموسوعيته، وثناء تأليفه، وكثرة طلابه، ثم وقف عند رحلته الحجازية التي سنحت له بتوطيد الصلة بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله⁴⁷¹، وخصص الباب الثاني للحديث عن زهد وورع والده، وتعلقه بالعلم ومحافظة على الكتب، والمخطوطات، وتحدث في الباب الثالث عن حسن عبادته، وأثنى على كراماته،

⁴⁶⁸ - عالي والد بن خالنا، تحقيق الداه بن محمد، كرامات أولياء تشمشة، المدرسة العليا للاساتذة، 1981، نواكشوط.

⁴⁶⁹ - أدب المناقب والكرامات، ص 52.

⁴⁷⁰ - محمد محمود بن سيد عبد الله، الدر الخالد في معرفة الوالد، تحقيق محمد ولد سيد محمد، جامعة نواكشوط، 1995.

⁴⁷¹ - هو يزيد بن بن سيد محمد بن عبد الله ولي الخلافة ما بين 1204هـ - 1238هـ.

وكثرتها، واقتصر على عرض بعض النماذج منها، ووصف حبه للذكر، وحسن أخلاقه ومعاملته الناس، وعلاقته بعلماء عصره، ثم يؤكد في آخر مدونته ميله للاختصار⁴⁷².

- الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة⁴⁷³، الكتاب في أصله موسوم بـ "الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة" سيدي محمد الكنتي⁴⁷⁴، ويستعمل الباحثون عنوانا مختزلا هو "الطرائف والتلائد"، وهذا ما وظفه الدكتور محمد مهداوي في دراسته لـ "جنة المرید دون المرید"⁴⁷⁵، والباحث محمذن بن أحمد بن المحبوب⁴⁷⁶ في رسالته، وهو من أهم المظان الصحراوية، موسوعة تتضمن تراجم، وسيرا، ومناقب، وكرامات، وأخبارا، وحكايات، ورسائل، وأشعارا.. ومادة تاريخية تبرز أدوار الكنتيين السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية في النصف الثاني من القرن 18م، وبداية القرن 19م. ويعد من أهم مصادر الكرامات من حيث قيمة وعدد الشيوخ الكنتيين الذين دونت كراماتهم، ومن حيث أهمية مرحلة التدوين في التاريخ الصحراوي، والثقافي والكرامي، ومن حيث عرضه كرامات وفيرة عن رواة لهم مكانة علمية وصوفية مميزة، وأهم الشيوخ الذين ترجم لهم وعرض كراماتهم عاشوا في القرن العاشر الهجري والحادي عشر والثاني عشر، وتتجلى أهميته أيضا في مصادر التدوين المعتمدة وهي الرواية عن شيوخ ثقة على رأسهم المختار الكنتي الذي يروي لابنه بنفسه، والمشاهدة والمعاناة، وخصص النصيب الأوفر من تراجم وكرامات الكتاب للقطب الشيخ المختار الكنتي، وكان ينوي عرض كرامات الوالدة في حيز واسع آخر

⁴⁷² - أدب المناقب والكرامات، ص 54.

⁴⁷³ - الطرائف التالدة ، ورقة

⁴⁷⁴ - الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دارالعلم

للملايين بيروت لبنان الطبعة، 17-2007، ج 7 ص 29.

⁴⁷⁵ - جنة المرید دون المرید، ص 93.

⁴⁷⁶ - أدب المناقب والكرامات، ص 57.

تأليفه غير أن ما وعد به في المقدمة لم يحققه .. وفقدنا بذلك كثيرا من كرامات الوالدة، ومع ذلك ترجمها وبسط إحدى كراماتها في مواضع سابقة من الكتاب. ويتكون المخطوط الذي بين أيدينا من مقدمة مطولة وسبعة أبواب وخاتمة وقد نوه محمد الكنتي في مقدمة كتابه بوالديه، وقدم بعض مناقبهما فتحدث في مقدمته المطولة على مفاهيم كثيرة؛ منها إثبات الكرامة، وحكمها، وشروطها، من خلال دلائل نقلية من الكتاب والسنة.. وعقلية ويرد بشدة على منكري الكرامات باعتماد مصادر موثوقة قوية، ويلح على ضرورة التصديق والتسليم بها، كما بين الاختلاف بين الكرامة والشعوذة والسحر، والفرق بينها وبين المعجزة وسائر الخوارق، ثم أوجز الحديث عن دوافع تأليفه التي تتجلى في تقديره للسلف الصالح، ومكانة والده، ومعرفته بقيمته العلمية، وتكريمه الوالدة، وأما الأبواب المسطرة في المقدمة فهي كالتالي على ترتيبها؛ الباب الأول وفيه جوانب هي ترجمة والده ووالدته من حيث النشأة وحياتهما وتربيتهما ونبوغهما، وعرض كرامات كثيرة منها كرامات الوالد، وإحدى كرامات الوالدة في صغرها، وعرض نسب كل منهما، المتصل بعقبة بن نافع الفهري، ويلفت الانتباه إلى اهتمام النساء بالعلم والتصوف في زمنه، ثم يقف عند رحلة الشيخ لطلب العلم، وهو في الثالثة عشرة من عمره، وأشاد بالطريقة القادرية وزعامتها، وإشاعها، ثم ترجم لاثنتين وثلاثين من رجالها من أصول مشرقية ومغربية، وتناول موضوعات أخرى منها، موضوع طلب العلم ووجوه أخذه، وأهمية السند في الإقراء، والمناولة، والإجازة، وتحدث عن تعاطي أحد الكنتيين للتبغ أمام الشيخ ابن ناصر الدرعي.

وقسم الباب الثاني قسمه إلى خمسة فصول، تناول فيها مناقب المختار الكنتي، من ورع، وصبر، ووقار، وشجاعة، وزهد في الملبس والمأكل.. وعرض موقفه من القضاء وكيفية تعامله مع أعدائه، ثم تحدث عن مواقف الشيخ بخصوص عدة مواضيع منها؛ المزاح، والضيافة، والتجارة، والرعي، والرعاة، والحج، والإيثار، والهدايا، والإنفاق.. ثم بين علاقته بمريديه وعرض عشر رسائل متبادلة بين الطرفين.

ويضم الباب الثالث ثلاثة فصول ذك رفيها علوم الشيخ وفضله وأشكال تربيته لمريديه.

وقد بدأت قديمه الفصل بالحديث عن علوم الشيخ النقلية والعقلية التي برع فيها، ومواضيع العلم من حيث شروطها وأهدافها، وفصل بين العلوم المذمومة والمحمودة، ثم وقف عند علم الأوفاق والأشكال والطلاسم والرقى والعزائم والكيمياء والتوقيت وغيرها..

وذكر في الفصلين الأخيرين من الباب، تصوف والده، وواجبات الشيخ نحو مريديه، وعنايته بهم، وواجبات المريدين تجاه الشيخ، وعرض الرسائل المتبادلة بينهما وعددها ثلاثة وعشرون..

ويضم الباب الرابع كثيرا بالمعطيات التاريخية المرتبطة بمنطقة الصحراء والسودان الأوسط والغربي، وأدوار الشيخ في شتى المجالات باعتباره زعيما روحيا وسياسيا. وقد عرض في الفصل الأول من هذا الباب اثنتي عشرة رسالة تبادلها الشيخ أو ابنه وزعماء القبائل، وتبين سعيه لتحقيق الصلح بين المتنازعين.

وتناول في الفصل الثاني من هذا الباب علاقة الشيخ بمريديه وأولاده وجيرانه وخدمه وقد عرض بهذا الخصوص سبعة عشر رسالة..

وكرس الباب الخامس لغرر كرامات الشيخ الاتفاقية، ودور خوارقه الخالدة الباقية، وقد مهد لها بمقدمة عن كرامات الأولياء، وفوائد تدوينها، وعرض أمثلة لها من القرآن والسنة والأثر، وقد عرض ست عشر كرامة، إذ ترتبط كل كرامة بحدث سياسي أو اجتماعي معين، فتغطي جغرافية الطريقة القادرية، كما تنقل معلومات تاريخية هامة عن الصحراء والسودان الأوسط، والصراع حول المجال بين رماة تنبكت، وقبائل التوارك، والكننتيين، والبرابيش⁴⁷⁷.

وأما البابان اللذان تعذر اتمامهما فقد ذكر في المقدمة أن السادس سيكون في الإجماع على نفوذه في التصوف، والباطن، والسنة، والسابع في وصاياه، ورسائله، والخاتمة في شرح كرامات الشیخة الوالدة، وذكر سيرتها وأحوالها وآدابها وحبها لربها.

وهناك تآليف أخرى تؤرخ للتدوين الكرامي نذكر منها:

477 - جنة المرید دون المرید، ص 97.

. المنهج المختار والكوثر المدرار في مناقب الشيخ المختار وأشياخه الأخيار الأبرار⁴⁷⁸،
للمختار بن أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي المتوفى 1811م.

- مناقب الشيخ سيدي أحمد التيجاني⁴⁷⁹، لابن المثيري محمد بن محمد السايح السباعي
التكرتي الشنجيبي الحسني توفي 1221هـ، تلميذ أحمد التجاني 1809م.

- غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني⁴⁸⁰، محمد
التيجاني.

. إفادة الغيب و الجلاس في مناقب شيخنا ووالدنا أبي العباس، محمد الأمين بن بدي.

- **النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب**⁴⁸¹ ، ألف محمد النابغة الغلاوي
(1150هـ - 1245هـ) "النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من مناقب"⁴⁸²، وهو كتاب من
الحجم الصغير، يقع في ثلاثين صفحة محقق مطبوع، يدون حياة محمد اليدالي من خلال
مناقبه وكراماته التي قدم منها ثمان وعشرين كرامة تبرز انتصاراته المتواصلة على الأزمات،
معتمدا على مصادر شفوية تجلت في الرواة الثقافات من أهل العلم والمعرفة، الموصوفين
بالأمانة، والصدق، والموضوعية، ولا يخلو من أخبار تاريخية هامة، وتضم الكرامات
المعروضة موضوعات منها المكاشفة، ومعرفة الخواطر، وموافاة الماء عند العطش، ويشيد
بتأليف اليدالي، وكثرتها، وأدوارها في التربية الروحية، وقد جمع المؤلف في هذه الرسالة
جملة من عناوين مؤلفاته⁴⁸³.

⁴⁷⁸ - النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص317.

⁴⁷⁹ - الحركة الصوفية، ص446.

⁴⁸⁰ - التيجاني محمد، غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني، ط2 دار العلم للجميع
بدون تاريخ.

⁴⁸¹ - الغلاوي النابغة، النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من المناقب، تحقيق محمذن بن باباه، المعهد التربوي الوطني،
نواكشوط 1994.

⁴⁸² - توجد منه نسخ مخطوطة في خزانة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وصورة الميكروفيلم بخزانة المعهد الموريتاني
للبحث العلمي، نواكشوط تحت رقم 672.

⁴⁸³ - الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص26-27.

- **نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ**⁴⁸⁴ ، ألف بدي بن سيدينا (ت1264هـ-1845م) "نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ"، ويقع المخطوط في إحدى وستين صفحة من الحجم الكبير، يبسط فيها المؤلف حياة الشيخ من الولادة إلى الوفاة، استهل مقدمته بشكل تقليدي بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم تحديد موضوع الكتاب، ومنهجه وأبوابه، وقد وقف عند مفهوم الولي والولاية، والفقه والتصوف، ويراها صاحبه كتاب تصوف وأدب، وهو يتكون من مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة.

- **عيون الإصابة في مناقب الشيخ محض بابه**⁴⁸⁵ ، ألف ميلود بن المختار خي الذي كان معاصرا لشيخه محض بابه المتوفى في (1277هـ) "عيون الإصابة في مناقب الشيخ محض بابه"⁴⁸⁶، وهو كتاب مطبوع محقق من الحجم المتوسط يقع في ست عشرة ومائة صفحة، ينقل حياة أبرز علماء بني ديمان في القرن الثالث عشر الهجري، غني بمادة منقبية، وكرامية، وتاريخية عن منطقة الترارزة، استهله بالثناء على الله والتحية والتسليم، ثم بين دوافع وظروف التأليف، ثم أبرز أهمية ترجمة الشيوخ والعلماء، ثم ترجم الشيخ، فبسط مناقبه الأخلاقية والعلمية والدينية، ووقف عند جهوده القيمة في القضاء والتدريس والتأليف، وخصص خمسة عشر صفحة لعرض كرامات بعض أولياء أسرة آل الطالب؛ ومنهم الفقيه الولي حمدي، وذكر أن كراماتهم كثيرة انتقى بعضها قصد التبرك، ووقف في خاتمة المؤلف وقف عند أخبار تشمشة والإمام ناصر الدين والشيخ محمد اليدالي ونسب بني ديمان، ثم عرض كرامات بني برك الله في تسع عشرة صفحة.

- **الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد فاضل بن الشيخ محمد الأمين**⁴⁸⁷ ، ألف محمد فاضل بن الحبيب اليعقوبي (ت1287هـ-1867م) "الضياء المستبين بكرامات الشيخ

484 - بلاد شنقيط والمنارة، ص502.

485 - محض بابه بن ابيالديمانى (ت1277هـ).

486 - بلاد شنقيط والمنارة، ص502.

487 - توجد منه نسخة بخزانة يحجب ماء العينين بتارودانت، ونسخة واحدة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم "1067"، مصنف في "فن التراجم والمناقب"، الخط مغربي شنقيطي جيد محلى بالألوان، الناسخ محمد بن المختار بن الطالب بن المختار بن الهيبة، تاريخ النسخ 1318هـ، أوله: حمدا لمن فتح ببركة أوليائه أفعال مقفلات القلوب... صفحات المخطوط عددها 243...

محمد فاضل بن الشيخ محمد الأمين⁴⁸⁸، وكان الفراغ من تأليفه سنة 1281هـ، وهو مجلد ضخم في أربع وستين وأربعمئة صفحة من الحجم المتوسط مكتوب بخط مغربي واضح مقروء. استهله مؤلفه بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله وهذا ديدنهم في مقدمات هذا النمط من التأليف، وعرج بعد ذلك على موضوع الكتاب ومنهجه وطبيعة تأليفه، ورتبه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، فالمقدمة في التعريف بالشيخ، والباب الأول في سيرته وآدابه القرآنية، والباب الثاني عن طريقته الصوفية، والثالث في علومه، والرابع في عرض كراماته، والخاتمة فيما ينبغي استجلابه مما لم يكشفه.

لقد غطت المقدمة الطويلة سبع وعشرين صفحة أولها في تعريف الولي والتحذير من إنكار الولاية إذ يقول: ".ولو تتبع أخبار الأولياء وبياناتهم قبل ميلاده لوسعت الوقت حتى ما أمكنني غيرها، ومن بشاراتهم به بعد ميلاده.."⁴⁸⁹، ويقع الباب الأول في "سيرة الشيخ المحمدية وآدابه القرآنية"، في مائة صفحة تحدث فيها عن سيرة الشيخ التي تنتهي إلى السلف الصالح، وتحدث عن حسن عبادته واجتهاده في الصلاة. ويغطي الباب الثاني تسعا ومائة صفحة تناول فيها طريقة الشيخ ومنهجه في التعبد، ويقف عند مفهوم التصوف، وتأسيس فروعه على أصوله، وتحدث عند الورد القادري، وسلسلة أشياخ طريقته.

ويقع الباب الثالث في سبعة وعشرين صفحة يتحدث فيه المؤلف عن علوم الشيخ، وتكوينه العلمي والصوفي، ويغطي الباب الرابع ثلاث وثمانين ومائة صفحة بسط فيها كرامات الشيخ بعد أن مهد لها بدلائل لإثبات الكرامة، مهاجما منكريها، محذرا من الجحود بها، موردا أدلة على ذلك، ومن زمرة كراماته المرآئي والمبشرات وحسن الاقتداء بالنبوي، وتناول في الخاتمة خلوات الشيخ وسند قصصه الواردة في المؤلف، وختمها بتوثيق تاريخ تأليفه، وهو الواحد والثمانين بعد المائتين والألف من الهجرة، أي في أواخر القرن الثالث

⁴⁸⁸ - توجد منه نسخة بخزانة بحجب ماء العينين بتارودانت، ونسخة واحدة بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم "1067". مصنف في "فن التراجم والمناقب" الخط مغربي شنجيطي جيد محلى بالألوان، الناسخ محمد بن المختار بن الطالب بن المختار بن الهيبة، تاريخ النسخ 1318هـ، أوله: حمدا لمن فتح ببركة أوليائه أفعال مقفلات القلوب...، صفحات المخطوط عددها 243...

⁴⁸⁹ - الضياء المستبين بكرامات الشيخ فاضل بن الأمين، ورقة 199.

عشر الهجري، وخصص الباب الرابع⁴⁹⁰ لعرض كراماته وهو غرض هذا الكتاب، وقد ذكر بعض كرامات الشيخ محمد فاضل وأولياء آخرين في سياقات كثيرة قبله.

ثالثا : مرحلة الإشعاع، ق14.

1- مميزات الكتابة الكرامية الصحراوية في القرن الرابع عشر

تطورت الكتابة الكرامية في هذه الفترة وتوسعت، وعرفت غزارة التأليف، ومواصلة الاهتمام بالشيوخ، واستأثرت الكرامات المتعلقة بالشيخ ماء العينين بالنصيب الأوفر حيث انكب عدد من المريدين والطلاب من أبنائه ومن غيرهم على الاهتمام بهذه الشخصية الفذة فانكبوا على الترجمة له وعرض كراماته، وكتبه، ومناقبه، وأدواره السياسية والدينية لأنه مجدد الطريقة القادرية، ومرجعها في مناطق انتشارها. وقد برزت عدة كتب أهمها "قرة العينين..". عرفت بغزارة نصوصها، وتخصصها في كرامات الشيخ، وعرضها شعرا ونثرا، والذي يلفت انتباه القارئ لها هو فرادة هذه المدونة، ففيها موازنة بين الكرامات والمعجزات، وهو الأمر الذي يعكس تصورا رائجا في أدبيات الكرامة وتأصيلها في مصادرها الصحراوية، مفاده أن الكرامات هي فروع المعجزات، لذلك بذل المدون مجهودات جمة في البحث، قصد بلورة هذا التصور عبر نصوص من القرآن والسنة، وهذا يعطي من شأن النموذج الولائي أي الشيخ ماء العينين، ويقربه من النموذج النبوي وهو الرسول الكريم، فاستراتيجية التدوين قلصت المسافات بينهما، وألغت العديدة من النماذج الولائية المتميزة عبر تاريخ التصوف الإسلامي، كما تقوي أسانيد التصوف هذا الطرح، لأنها تركز على ذكر النموذج النبوي وبعده نموذج القطب ماء العينين مباشرة، مغيبة نماذج ولائية شتى مغربية ومشرقية. وأصبح أدب الكرامات أكثر نضجا على مستوى التأليف، وأكثر تخصصا، وتعكس عناوين المدونات هذا لأنها تعلن تخصصها في الكرامة، وتسمي شيوخها. وقد عبرت هذه المرحلة عن نضج التدوين الكرامي، وقد ساهمت عدة عوامل في ذلك أهمها: إقبال المجتمع الصحراوي على الكرامات، وقصر

⁴⁹⁰ - يبدأ الباب الرابع من ص 193 إلى آخر الكتاب.

المسافة الزمنية بين فترة حدوث الكرامات وفترة تدوينها، وإقبال المدونين على كرامات القطب ماء العينين، وإصرار جمهوره المتزايد على تتبع كراماته وسيرته ومناقبه، وإسهام كراماته في نجاح مساره الصوفي وأدواره السياسية والاجتماعية، كما ساعدت في مواجهة المستعمر، وتقوية صف المقاومين الوطنيين، ووجد فيها الطلاب والمريدون كرامات أجوبة على أسئلتهم، وملاذا لتتبع شخصية الشيخ الصوفي، الذي يجسد قيم السلام والحب والإخلاص والتسامح والكرم.

وكانت كرامات الشيخ لسان حال الصحرابي الذي يجد فيه ملاذا لأزماته ونكباته، كما ومثل الشيخ لجمهوره مرجعا صوفيا، وسندا ثقافيا، وسياسيا محنكا مرنا، يزوج بين الشدة والليونة، وأديبا ناطقا بحال أهله وبيئته.

وقد عكست كرامات هذه المرحلة التوازن الطريقي الذي سعى الشيخ ماء العينين إلى تحقيقه.

بل وأراد الشيخ أن يجعل حدا لتضارب أهل الطرق في الأسماء والسلوك، ويفرق بين أهل الحق وغيرهم؛ ألف كتاب "إظهار الطريق المشتهر"، ردا منه على ما كان سائدا من خلافات في عصره. فقد عرفت المنطقة طرقا متنوعة بمسميات مختلفة، يدعي أصحابها أنها الطريق الموصل إلى الله، وتظاهر عدة مشعوذين بالتصوف بغرض الكسب، والنيل من العلماء والانغماس في الملذات. وألف الشيخ كتاب "مفيد الراوي.."، وكتاب "إني مؤاخ.."، أو "إني مخاوي لجميع الطرق.."⁴⁹¹.

وقد عبر الشيخ عن موقفه من تعدد الطرق الصوفية في كتابه "المخاوي..". إذ يقول: "كان والدي رضي الله عنه يحدثني عن ملازمة الطاعة، وتلاوة القرآن، وأسماء الله الحسنى حسب الفضائل الواردة في كتب الحديث، وما قال لي يوما، هذه طريقة فلان،.. فنشأت على هذا الحال،.. فلما قدمت على شمال المغرب،.. وجدت جماعات كلها ينتمي إلى طريقة،.. وتبين لي أن مصدرها واحد؛ هو الكتاب والسنة،.. ومن ثم فلا داعي لخلاف، ولا

⁴⁹¹ - أدب المناقب والكرامات ، ص 100.

مسميات، .. وإنما هو سلوك سني حفظه السلف الصالح. ودأب عليه العلماء ولقنوه تلاميذهم، في الزوايا، والرباطات، والمدارس والمساجد...⁴⁹².

ولم يعرف اتجاه الشيخ شطحات، ولا مجاذيب، ولا سوق الذبائح ولا زيارة القبور، ولم يقيم أي موسم في السمارة لممارسة أي طقوس⁴⁹³.

وقد كتب الزعيم علال الفاسي بحثاً عن طريقة الشيخ ماء العينين، نشره في جريدة "صحراء المغرب" سنة 1959م، وسماه "الطريقة المعينية الفاضلية..". بين فيه أن الرجل ظل مدافعاً عن السنة، وحارب البدع، وقال في أول لقاء الأحزاب 1958. أن الشيخ ماء العينين، كان أول من حذر من حركة البهائية، وأنه العالم الوحيد الذي نادى بجمع الطرق تحت اسم "السلفية"⁴⁹⁴.

2- أهم مدونات القرن الرابع عشر الهجري

- "العمران" أو "المآثر"، ألف محمد عبد الله بن البخاري (ت 1318هـ - 1898م)⁴⁹⁵، وهو كتاب محقق يتكون من ست وثمانين صفحة من الحجم المتوسط، تحدث فيها المؤلف عن قبيلة "أهل باركل" من حيث حياتهم الجغرافية، وبين كيفية إقامتهم ومنابع الماء لديهم.. ثم ترجم أهم علمائها الأحياء منهم والأموات، وجلهم آباؤه وشيوخه، نذكر منهم: أحمد بزيد. وسلط الضوء على أشهر مناقبهم التي تتصل معظمها بكراماتهم وخوارقهم التي تخدم حياتهم، وتتصل بجغرافيتهم، وتهون الصعاب، ومنها إحياء الموتى، وتفجير العيون، وحفر الآبار، ونزول الغيث وغيرها..، كما عرض العديد من كرامات أبي زيد مذكراً ببطل مقامات الهمذاني، وقد وظف مصطلح "الضفنى" الذي

⁴⁹²-أدب المناقب والكرامات، ص 101.

⁴⁹³- نفسه، ص 102-103.

⁴⁹⁴- نفسه، ص 112.

⁴⁹⁵- الظريف محمد، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، ص 407.

يعبر على نوع من الكرامة هو تقوية المستضعفين ضد الظلم، والظلمة، وهذا مصطلح غير عربي⁴⁹⁶.

- سراج كل من سار في سيرة الوارث المختار⁴⁹⁷، لمحمد تقي الله (ولد 1287هـ - توفي 1320هـ)⁴⁹⁸، توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة الشيخ محمد تقي الله بوي ماء العينين بالرباط.

. مذكر الموارد د في سيرة ماء العينين ذي الفوائد⁴⁹⁹، لمحمد تقي الله توفي 1320هـ، ماء العينين طبعت على الحجر بفاس، وتوجد منها نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ محمد تقي الله بوي ماء العينين.

. نظم كتاب كرامات أولياء تشمشة.

. نظم المختار بن جنك (ت 1321هـ)، ذات ألواح ودرس سيد أحمد..

. خاتمة في مناقب الشيخ ماء العينين⁵⁰⁰، صاحبه غير معروف.

. مجمع البحرين في كرامات شيخنا الشيخ ماء العينين⁵⁰¹، للشيخ محمد العاقب الجكني⁵⁰² (1275-1327هـ، 1858-1909م)، وهو مخطوط يغطي اثنتين وتسعين ومائة صفحة، ويتكون من مقدمة واثني عشر بابا وخاتمة؛ تتكون المقدمة من أربع صفحات فيها استهلال يذكر فيه بقيمة صحبة شيوخ التصوف، ودوافع التأليف، وقد وضع صاحبه منهجه في التأليف الذي

496 - أدب المناقب والكرامات، ص 73.

497 - توجد له عدة نسخ، واحدة منها بخزانة الشيخ محمد تقي الله بوي ماء العينين بالرباط.

498 - توجد نسخة منه في خزانة الشيخ محمد تقي الله بوي ماء العينين بالرباط.

499 - طبعت على الحجر بفاس، وتوجد منها نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ محمد تقي الله بوي ماء العينين بالرباط.

500 - مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 2322، د 1616.

501 - الشيخ محمد تقي الله، مذكر الموارد في سيرة ماء العينين ذي الفوائد، الشيخ محمد تقي الله، طبعة حجرية، فاس 1310 هـ .

502 - محمد العاقب بن سيدي عبد الله مايايا الجكني، ولد بمدينة تكبة الحوض الغربي بموريتانيا، توفي بفاس، والده سيدي عبد الله .

مثله بنظام العسكر، فكأن الصوفية تحتاج لميمنة وميسرة تدافع عنها، وعدد فصوله هو عدد شهور السنة؛ الباب الأول في التعريف بالشيخ من حيث نسبه وحسبه ثم عرف الولي وميزه عن النبي، ثم ذكر معارضي ومنكري ولاية الشيخ، كما نوه بجدوى الاشتغال بقصص الأنبياء، ويقع الباب الثاني في سبع صفحات تحدث فيها عن طفولة الشيخ، وأما البابان الثالث والرابع فخصصهما للحديث عن تربيته ودراسته، ورحلته إلى الحج، وأورد حكايات تبين حسن تلمذة الشيخ على أبيه، وكثير من رحلاته وأسفاره مما قوى تجربته العلمية وتربيته الروحية.

ووضح في البابين الخامس والسادس أسس ومميزات الطريقة القادرية التي تتصف بالإعتدال والوسطية، ووقف في الباب السابع عند مظهر وهيئة الشيخ، وأما البابان الثامن والتاسع فقد سقطا من النسخة التي لدينا، وبين في الأبواب الثلاثة الأخيرة استقامة الشيخ، وعرض فيها جانبا من كراماته ومناقب أبنائه، ولاحظت كثرة الأشعار في هذه الموسوعة المنقبية التي شملت الشعر، والأخبار، والكرامات، وقصص الصوفية، وسيرة الشيخ، ليكون مصدرا هاما لكل ما عرضه من علم وأدب.

. المواهب العندية في المناقب الحمديّة⁵⁰³ ، تأليف عبد القادر الكمليلي (ت1335هـ).

مناقب أولاد أحمد من دامان⁵⁰⁴ ، تأليف محمد بن أمين بن الفراء التتدغي (1344هـ).

كتاب النسب في أخبار الزوايا والعرب⁵⁰⁵ ، يضم هذا الكتاب الأخبار، والتاريخ، وبعض نصوص الكرامات التي ترد في متن الكتاب ، وفي هامش المحقق، وقدتم تأليفه في 1338هـ، 1920م، وه ومن أهم مصادر التاريخ الاجتماعي الموريتاني، يعبر عن ثقافة المناقب وما يتصل بها من ألقاب وحكايات، كما يضم تراجم عدة أولياء صحراويين. ولم تحافظ الكرامات

⁵⁰³ - أدب المناقب والكرامات، ص86.

⁵⁰⁴ - سيدي بن الزين العلوي (ت1354هـ -1936م)، النسب في أخبار الزوايا العرب، تحقيق ودراسة أ.د. حماد الله ولد

السالم، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر -الرباط، طبعة 2014.

⁵⁰⁵ - نفسه ، ص21،93.

التي ذكرها على بنائها الشكلي، إذ بدأت ب (يحكى) فهي مشهورة، نقلها عن الذاكرة، وتعبّر عن زمنها⁵⁰⁶.

- **قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين**⁵⁰⁷، للشيخ مربيه ربه⁵⁰⁸، توفي سنة 1361هـ، يتكون هذا المخطوط في صيغته المخطوطة من عشر صفحات وثلاثمائة، ويضم مقدمة تحدث فيها عن ثبوت كرامات الأولياء، وذكر في مؤلفات صوفية مغربية وصحراوية ومشرقية هامة جدا منها "مجمع البحرين"، وعرض في المقدمة أصول الكرامة من القرآن، والحديث، وما نقل عن القوم، وعرض في جل منته ما تيسر من كرامات شيخنا ماء العينين محمد فاضل بن مامين، رضي الله عنه، وهي موضوع الكتاب، وقد حرص المدون حرصا شديدا على إيراد معجزة بعد كل كرامة لأن المدون يرى أن الكرامات هي فروع المعجزات، وهو يقول بهذا الخصوص: "وكراماتهم رضي الله عنهم هي فروع معجزاته صلى الله عليه وسلم، كما أنهم هم بمنزلة فروعه، ولأجل ذلك سأضع إن شاء الله أصل كل معجزة على فروعها من كل كرامة ما استطعت⁵⁰⁹. وتناول في خاتمة الكتاب بعض سيرة الشيخ من خلال ما قدمه شيوخه؛ سعد أبيه، ومحمد فاضل بن الحبيب، والشيخ محمد تقي الله، والشيخ بن الشمس، ومحمد العاقب، ومحمد عبد الله بن التكرور، والشيخ محمد سيدين. وقد خصص للكرامات بابا من أربعة عشر ومائة صفحة.

وذكر صاحب قرة العينين مؤلفات ثرة، وكثيرا من أسماء الأعلام مما جعل هذا السفر يقدم مكتبة التصوف والكرامات المغربية، والعربية، نذكر منها؛ "نزهة المستبين"، و"نزهة الراوي"، و"الذهب الابريز" لليدالي و "الارشاد" للشيخ السيد المختار، و"الفتوحات المكية" لابن عربي، و"حاشية العلامة الأمير على عبد السلام" و "الفتح" للعسقلاني، و"لطائف المنى"

⁵⁰⁶ - الظريف محمد، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، ص446.

⁵⁰⁷ - ترجمه المختار السوسي في المعسول.

أخبار الطالب، علماء وأمرأ في مواجهة الإستعمار الأروبي.

⁵⁰⁸ - قرة العينين، ورقة 7.

⁵⁰⁹ - وردت الكرامات في "قرة العينين.." في النسخة المخطوطة من آخر ص14 وبداية ص15 إلى ص229.

لابن عطاء الله، و"الطبقات" للتاج السبكي. وذكر من الشيوخ؛ المختار بن بون، والشيخ سعد أبيه، والإمام ابن حنبل، والجنيد، والبسطامي، وأبو عباد، وأبو حنيفة والشافعي.

وقد نفى مربيه ربه أن يكون هو الآخر قد أفرد لكرامات الشيخ كتابا خاصا آخر، كما فعل هو في "القرة.."، ويقول عن منهجه في تدوينه، "وقد لبثت برهة من الزمن يتلجج في خاطر كلما عاينت كرامة له أو ثبتت عندي بالتواتر أن أضع عليها توليفا مستقلا، وأما غير هذا فلا أتعرض له لكونه كثيرا، .. ولا أذكر فيه إن شاء الله إلا ما شاهدته بالعيان أو ما ثبت عندي بالتواتر وما قاربه..، وأذكر بعد كل كرامة ما يناسبها من المعجزات أو ما يقاربها كي تسهل المطالعة وتيسر المراجعة.. وباعي قصير.. لكن التشييد بالقوم محمود والإنتماء إلى أهل الأفاضل⁵¹⁰، مقصود. ويقول عن التدوين: "فإن كرامات الأولياء من أجل ما اعتنى بحفظه السابقون وتنافس في تدوينه المتنافسون"⁵¹¹، وللشيخ يوسف النبهاني كتاب شبيه في عنوانه بهذا الذي نحن بصدده هو "قرة العينين على منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين"⁵¹²، و"قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين"، للشيخ ماء العينين⁵¹³.

ونلاحظ أيضا أنه استهل عرض الكرامات بكرامة منقبية للشيخ تمهد لكرامات أخرى موضوعية، وهنا يمكنني أن أميز بين الكرامات المنقبية وغيرها، كما لاحظت أنه ختم بما بدأ به، أي كرامة منقبية، كما يعرض كرامات متشابهة لها نفس الموضوع في نفس الموضع قبل أن يوازئها بمعجزة.

- مفيد الملون في التعريف بالشيخ ماء العينين⁵¹⁴، للشيخ بونانا بن الشيخ الطالب أخيار (1291هـ-1362هـ)، توجد نسخة منه لدى أحفاد الشيخ الطالب أخيار بموريتانيا.

⁵¹⁰ - مربيه ربه ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، ورقة 4.

⁵¹¹ - قرة العينين ، ورقة 2.

⁵¹² - أحمد فريد المزيدي

⁵¹³ - الشيخ ماء العينين قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين، طبعة فاس 1321.

⁵¹⁴ - توجد نسخة منه مخطوطة لدى أحد أحفاد الشيخ الطالب أخيار بموريتانيا.

. سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان⁵¹⁵، لماء العينين عتيق⁵¹⁶، (ولد 1306هـ-1889م)، وتوفي (1376هـ-1957م)، أدرجه الأستاذ محمد الظريف ضمن السير، يتضمن هذا الكتاب مقدمة في إثبات الكرامات الأولياء، وبعض أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخلاقه النبوية، كما يذكر أسماء بعض تأليفه، وكرامات الشيخ ماء العينين، وجملة أحواله ومدة حياته، وأولاده وصفاتهم، وذكر بعض من وصل على يديه من مشايخ وموارد، وبعض أمداحه الشاهدة له بمقام القطبانية⁵¹⁷. يقول ".وسميته سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان وجعلت أبوابه ثمانية عشر، الحسان وافتتحته بمقدمة⁵¹⁸ تدلي التقدم في يد الرحمان، وأتممته بخاتمة أسئلة تدلي حسن الخاتمة والغفران. تناول في المقدمة إثبات الكرامات لأولياء الله تعالى بصحيح الاستدل وعرض في الباب الأول بعض أوصافه رضي الله عنه، وما تيسر من ذكر أخلاقه النبوية الجليلة. وذكر في الباب الثاني بعض أسماء تأليفه العديدة، ومقتطفات من كلماته الحكيمة، ومنظوماته المفيدة. وسرد في الباب الثالث بعضاً من سيرته المعتادة المعهودة من أحواله العبادية والعادية في أوقاته المحمودة، وخصص الباب الرابع⁵¹⁹ لعرض ما منحه الله من الكرامات الظاهرة في خمس وعشرين، وأجل كراماته شدة استقامته على طريقته صلى الله عليه وسلم..، وأما الباب الخامس فيشمل جملة من أحواله في حياته وسلوكه الشريف إلى وقت وفاته، ويقف في الباب السادس عند نسبه الشريف الكريم وسلسلة آباءه وأشياخه التي تتصل بالنبى عليه أزكى صلاة. وذكر في الباب السابع أولاده الأبرار وبعض صفاته على سبيل الإختصار، وذكر في الباب الثامن بعض من وصل على يده وصدره من أتباعه لينفع الله به البلاد. وختم كتابه بنصوص شعرية صادرة من أكابر العلماء الشعراء والأئمة الذين شهدوا له بمقام القطبانية،

⁵¹⁵ - توجد نسخة منه بخزانة حمداتي شبيها ماء العينين، وواحدة بخزانة لاريارس ماء العينين ،وأخرى مصورة بالميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط.

⁵¹⁶ - عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، مطابع سلا، 2004، ص52.

⁵¹⁷ - الحياة الادبية، ص430 .

⁵¹⁸ - سحر البيان، ورقة2.

⁵¹⁹ - نفسه ورقة 50.

والتحلي بالأخلاق النبوية الربانية. وقد اطلع مؤلفه على كتاب "القرة.."، وأشاد به وأفاد من منهجه وسار عليه، ويؤكد هذا قوله: "ومن أحسن ما ألف.. كتاب ابنه العلامة الأستاذ الشيخ مربيه ربه.. وسماه قرة العينين..، وهو كتاب جليل لا شبيه له في مجاله..". هذا يؤكد أن تأليف "قرة العينين" سبق "سحر البيان" وأن صاحب هذا الأخير وافقه الجمع بين الكرامة والمعجزة..

. عقود اللآلي في كرامات الشيخ أحمد أبي المعالي⁵²⁰، ألف كتاب عقود اللآلي في كرامات الشيخ أحمد أبي المعالي، الشيخ العربي بن اليماني (ت1416هـ)، وهو مخطوط يقع في خمس عشرة ومائة صفحة، خصص ثلثه أي ست وعشرين منها لعرض كرامات الشيخ "أحمد أبي المعالي"، وعددها خمسين كرامة متنوعة المضمون تبرز دور الشيخ وتأثيره الإيجابي في مجتمعه.

للشيخ أحمد الحسن بن الشيخ محمد حامد بن آلا الحسني كتب ترجم فيها والده و ترجم الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أشفغ الحمد، رحمهم الله. و نظم الشيخ محمد الحسن بن اللّو حفظه الله ترجمة جده محمد عالي بن دود رحمه الله.

وتوجد مدونات أخرى كتبت في نفس المرحلة، نقل المعلومات المتعلقة بها، وهي:

. إفادة الغيب والجلال في مناقب شيخنا ووالدنا أبي العباس، تأليف محمد الأمين بن بدي الملقب "حميين" (ت1383هـ/1963م)⁵²¹، وأبي العباس هي كنية أحمد التيجاني.

⁵²⁰ - بن عتيق ، سحر البيان، ورقة 169.

⁵²¹ - أدب المناقب والكرامات، ص 95.

. القبس الثاقب في بعض ما لابن ألما من المناقب، تأليف ابويا بن ماهي (ت1386هـ)⁵²²

عرف الغوالي الطيبة الهبوب في حياة ومناقب شيخنا المختار بن المحبوب، تأليف بن أحمد سالم⁵²³.

. الدرر المفيدة في مناقب الخليفة الحميدة ، تأليف محمد بن اجدود تلميذ الشيخ محمد فال بن ألما⁵²⁴.

⁵²² - نفسه، ص 99.

⁵²³ - أدب المناقب والكرامات ، ص 113.

⁵²⁴ - نفسه، ص 117.

الفصل الثالث : أولياء ووليات الكرامات الصحراوية

تعد الصحراء المغربية دار ولاية وصلاح، إنها تزخر بوجود أولياء ووليات أغلبهم من أسر علمية تندرج تحتها سلسلة من الشيوخ ممتدة لقرون، توارثت مشيخة العلم والطريقة، تجمعها علاقات النسب، والعلم، والمكان، والثقافة، والتصوف..ومن الأسر الكبيرة أسرة الكنتيين، والفاضليين، والمعينييين.. نسيت إليهم القادرية، والفاضلية، والكنتية. وعليه يمكن الوقوف عند شيوخ هذه الأسر، وأيضا كثير من الشيوخ الذين ربطتهم بهم صلة المشيخة العلمية والروحية، ويمكن أن ننبه على التقصير الذي عرفه التأليف الصحراوي بخصوص النساء، رغم تواجدهن بقوة، وتأثيرهن وتأثرهن بمسار الشيوخ الريادي، لذلك ظل التدوين في كرامات النساء ضئيلا، وبقين مغمورات بقصد أو دونه. ولا ندعي أن كل الشيوخ لهم كرامات، ولكن الرائز في هذا هو أن توجد نصوص كرامية مدونة، تؤكد فعلا أن لهؤلاء الشيوخ كرامات، علما أنه يمكن أن تكون للشيوخ كرامات غير مدونة، يتفادى الحديث عنها، ويكتمها لغاية في نفسه، أوليست حياتها شفوية، ونحن نروم في هذا المقام الوقوف عند الشيوخ المتاح البحث عنهم، لأن الإمام والحصر غاية لا تدرك. ونذهب أيضا إلى أن المصادر الكرامية الصحراوية، وتميز ذوي الكرامات من غيرهم أمر عصي أيضا. وهؤلاء لهم مناقب ووظائف عديدة دينية، واجتماعية، وروحية، وعلمية، ووطنية.. لذلك كان الانكباب على تدوين كراماتهم ومناقبهم مسعى ملحا وميدانا لتنافس المدونين، لأن الشيوخ علماء أغلبهم مؤلفون لهم مؤلفات، ومنهم مدونون مخلصون لشيوخهم جمعوا مناقبهم وكراماتهم. وصاروا بعد ذلك موضوعا لمدونات طلابهم أو أبنائهم، وهكذا يتواصل التأليف جيلا بعد جيل.

ويمكنني، من خلال مصادر الكرامات المعروضة في مواضع من هذا البحث، جرد لائحة من أولياء الكرامات الصحراوية، سأعرض ترجماتهم وفق ترتيب تتابعي يوافق تسلسل الخط الزمني التاريخي التقليدي الذي يسعفنا كثيرا في بسط خيوط المشيخة غالبا بين الشيوخ.

ويلاحظ المتتبع لمدونات الشيوخ إقبالا كبيرا على كرامات القطبين المختار الكنتي وماء العينين حفظا وجمعا وترويجا؛ إذ جمع عدة مدونين كراماتهم، فكان لهما حظ وافر، وشأن علي بين الناس، وشهرة بين أهل العلم والأدب والتصوف، لما حققاه من إشعاع في مختلف المجالات النافعة بالصحراء المغربية. وريادة وتأسيس لأهم الطرق الصوفية بالصحراء، وأغلب الأولياء المترجمين شيوخ من الطرق الصوفية التالية؛ القادرية والكنتية والفاضلية لهم مكانة في قبائلهم، وقد صاروا رموزا معروفين في الصحراء، وأضحت أسماءهم موسومة بالمكان، إذ نجد مثلا "الشنقيطي"، و"التبكتي"، و"الجكني"، و"الكنتي"... وأهم أماكن، ومعظمهم ينتسب للطرق التالية؛ القادرية، والكنتية، والفاضلية، والتيجانية، والشاذلية، والناصرية. وأهم المناطق التي ينتسبون إليها كنتة، وتشمشة، وتوات، وتكالت، وشنقيط، وولاتة، وغيرها. وتسعنا المدونات وكتب التراجم العامة، والخاصة، والسير، والرحلات، التي تمثل الثقافة الصحراوية، في تحديد أسماء هؤلاء الشيوخ، الذين حققوا حركة كرامية كانت جزءا من حركة صوفية أكبر بالصحراء، ويوجد شيوخ ترجماتهم مفقودة في كتب التراجم.

أولا : أولياء القرن العاشر

1- مميزات شيوخ القرن العاشر

جل شيوخ الكرامات الصحراوية في القرن العاشر كنتيون، من أسانيد الطبقة الأولى لشيوخ القادرية الذين جددوا بها حتى تفرعت عنها الكنتية، لهم أدوار صوفية كبيرة بالصحراء في تعليم الطريقة ونشرها، وقراءة وتحفيظ أورادها، سادت في هذه المرحلة كرامات الشيوخ المؤسسين بشكل كبير، فهي مرحلة روحية قوية، سادت فيها الكرامات الشفهية في غياب الاهتمام بتدوينها لأن المرحلة عرفت اهتماما بكتابات أخرى صوفية وفقهية وشعرية، وانكبوا على حفظ المتون والانفتاح على العلوم والمعارف المشرقية بشكل كبير. وقد ارتبطت الحركة الصوفية، والروحية الكرامية في هاته المرحلة بالرحلات الداخلية والخارجية العلمية والدينية، كما اتضح في هذه المرحلة غياب الوليات بشكل كبير، وعبرت عدة كرامات على وقائع صارت قرينة بالأولياء، فصاروا يلقبون بها، ومن هذه الألقاب "البكاي" بعد بكائه في كرامة

اشتهرت باسمه البكاي، والرقاد" بعد انتشار كرامة رقود الولي، و "الفيرم" بعد أن فقد الولي الولي سنة. وقد انتعش تدوال الكرامات مع توالي تأسيس الرباطات والزوايا، ويعود فضل تحديد أهم شيوخ الكرامات الصحراوية في القرن العاشر لكتاب "الطرائف.." الذي يعد رائدا وموثقا لكرامات هذه المرحلة، بالرغم من غياب مدونات مختصة بهؤلاء الشيوخ، وكانت نصوص الكرامات ترد في هذه الموسوعة في سياق الترجمة والمنقبة، وتعد ذاكرة المختار الكنتي خزانا لمادة الكتاب التي سمعها ابنه ونقلها في المدونة، لذلك يعد السماع المصدر الأهم المعتمد في الطرائف لأغلب النصوص المدونة فيه، وتتسم هذه الكرامات على قلتها بالاعتضاب والشهرة وقربها من حياة وسير الشيوخ، تخلد مآثرهم وتشهد على علمهم وتصوفهم وأدوارهم القيادية بالصحراء في عهدهم، هي كرامات مشهورة معروفة لأهم شيوخ المرحلة ممن حظوا بأعلى مراتب العلم والعبادة، وتنقل الكرامات المذكورة العلاقات القوية بين الشيوخ، وتتم عن قوة ذاكرة المختار الكنتي، وتتبعه لسير الشيوخ سبقوه زمنا وخبرة فكانوا له ولابنه قدوة، وتبدو الفترة الزمنية الفاصلة بين تدوين الطرائف ووفاء هؤلاء الشيوخ هي ثلاثة قرون عاشت خلالها الكرامات حياة شفوية منحتها شهرة كبيرة ارتبطت بتداول الكرامات بوصفها جزءا من الثقافة الصحراوية. كما ألاحظ ارتباط ألقاب عدة شيوخ بكرامات وقعت لهم فاشتهروا بها فصارت سببا لكنيتهم وشهرتهم.

ويظهر من خلال ما سبق أن هذه المرحلة أساسية تنقل حياة الكرامة في المجتمع الصحراوي المتصلة بالثقافة الشعبية والروحية الصوفية، كما تنقل أدوار هؤلاء الشيوخ في مجتمعهم، وتبرز الدور الهام لكتاب "الطرائف.." الذي يعد مصدرا كراميا بامتياز إلى جانب "الرسالة الغلاوية.."، و "الإرشاد.."، و "الجنة.." فدوره ريادي في التدوين والتوثيق، بفضل اهتمام صاحبه وحرصه على نقل نصوص الكنتيين، وهم أزيد من خمسة، وتدوينها مما صنع مرحلة تاريخية كرامية راسخة وقوية.

2- أهم شيوخ القرن العاشر

أحمد البكاي⁵²⁵

يعد أحمد البكاي من أشهر أولياء القرن العاشر، وقد ساهم بقوة في الإشعاع الديني بالصحراء، وهو من رواد السلسلة القادرية الأولى، عاش بمنطقة واد نون ببلاد المغرب تلقى تعليمه الأولي على يد والدته الجكنية، والعلم على يد عدة شيوخ أبرزهم المغيلي، والده سيدي محمد الكنتي الكبير، وزوجته بنت يعقوب الرضائية، أبنائه؛ سيدي محمد الكنتي الصغير، وسيدي بويكر الحاج، وسيدي عمر الملقب "الشيخ"، توفي سنة 920هـ-1514م. وكانت كراماته متواترة بين أهل الصحراء في عصره، لقب بـ "البكاي" و"بدمعة"، لأنه تواتر عنه، وصح أنه لبث مائة عام لم ترقأ دمعته، وذلك من أجل صلاة واحدة فانتته في الجماعة⁵²⁶. من كراماته⁵²⁷، طاعة السباع له وخضوعها رابضة، وإكرامه في قبره بعد الموت ببقاء جسده محفوظاً. ولا توجد مدونة تجمع كراماته، لكن أشهرها عرضها محمد الكنتي أخذاً عن والده في الطرائف، والإرشاد، والرسالة الغلاوية، وتعد كراماته من أقدم كرامات شيوخ الكنتيين القادريين.

عبد الكريم المغيلي⁵²⁸

حفظ المغيلي كتاب الله، ودرس العلم، عن أهم مشايخ تلمسان وبجاية، فجمع بين علمي الظاهر والباطن، ثم ارتحل إلى التوات بالصحراء، فأغنى الحياة الثقافية والصوفية

⁵²⁵ - البرتلي الولاتي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق د.محمد حجي ود. محمد ابراهيم الكتاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 30 - 31.

الخليفة محمد بن المختار الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق، حماه الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط1، 2003م. ذكره في الباب الثاني، ص 153.

الكنتي المختار، الإرشاد في الهداية إلى السداد وحسن الاعتقاد، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 935ك، ورقة 189-190.

⁵²⁶ - نفسه، ص 153.

⁵²⁷ - بعض كراماته في الطرائف الثالثة، ورقة 103-10 - 52. وفي الرسالة الغلاوية ص 15 - 159 - 160.

⁵²⁸ - الإرشاد ورقة 442-444. الطرائف الثالثة، ورقة 8.

بها، هو القطب الكامل، المربي الواصل، الذي يشد الرحال إليه طلاب العلم والمريدون، للتعلم والتربية على يديه، ومن أشهر هؤلاء عمر الشيخ الذي لازمه ثلاثين سنة حتى توفي سنة 940هـ - 1533م، فتولى تجهيزه ودفنه. له كرامات⁵²⁹ مشهورة، غير مجموعة في مدونة، أبرزها ما ذكره محمد الكنتي في "الطرائف.." عند رحلتها إلى الحج مروراً بمصر ولقائهما السيوطي، فهي كرامات لم تقع في الصحراء لكنها لولي أقام بالصحراء، وله أثر راسخ في نفوس أهلها.

أحمد الملقب بـ "الفيرم"⁵³⁰

الشيخ سيدي أحمد الملقب بـ "الفيرم" بن سيدي عمر الشيخ بن سيدي أحمد البكاي الكنتي، أمه إديشية اسمها فاطمة، وتدعى "تمخلصت"، له أخوان هما؛ سيد المختار الشيخ وسيد الوافي، يعد من أسانيد التصوف القادري بالصحراء المغربية، توفي 950هـ⁵³¹، وقد ورد تاريخ آخر لوفاته في "معلمة المغرب" هو 971، مزاره بمنطقة الحبشي بالساقية الحمراء غير بعيد عن ضريح سيدي أحمد الرقيبي، بإقليم السمارة، يعد الجد الجامع لبطن الرقايدة، وقد انتقلت الزعامة الروحية للطريقة الكنتية من نسله إلى حدود القرن 18م. ولي صالح عالم عامل له كرامات كثيرة متواترة، أشهرها انكسار سنه، وسبب تسميته "الفيرم" أو "الأثرم"، ومن أشهر كراماته أيضاً أنه يقري الجن والإنس، ولا يفتر عن تلاوة القرآن إلا في حالة التدريس، فكراماته كثيرة عرفت بين أهل زمانه من مريديه وطلاب العلم وعائلته، ذكر بعضها محمد الكنتي في الطرائف نقلاً عن أبيه عن طريق السماع، وتناقلتها عنه عدة مصادر أخرى منها "الرسالة الغلاوية"، و"الإعلام بمن حل..".

⁵²⁹ - له كرامات في الطرائف الثالثة ، ورقة 106-107.

⁵³⁰ - السملالي العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج 2، ط2، 1993، المطبعة الملكية، بالرباط، ص241.

ترجمته وبعض كراماته في الطرائف الثالثة ، ورقة 105، 106. الإرشاد، ورقة 185 - 186.

⁵³¹ - دحمان محمد، معلمة المغرب، دار الأمان الرباط، ط1، 2014، ج 27، ص547.

سيدي عمر بن أحمد البكاي⁵³²

سيدي عمر بن أحمد البكاي الملقب بـ "الشيخ"، هو ابن أحمد البكاي هو أصغر الأبناء الثلاثة للشيخ أحمد البكاي، أخوه أبو بكر الحاج، وسيدي محمد الكنتي الصغير، أبناءه الشيخ أحمد الفيرم، وسيدي المختار الشيخ، وسيدي الوافي جد أولاد الوافي، من سلسلة الشرفاء الكنتيين⁵³³. قال عنه محمد الكنتي: "القطب الجامع والغوث المغيث الهامع، سيدي عمر الشيخ، قال شيخنا في الإرشاد معرفا به، هو من الأولياء المشهورين بالعلم والولاية.. تواتر عنه أنه حفظ قبل بلوغه أحد عشر ألف مجلد في أنواع فنون العلم.."⁵³⁴، رحل إلى الشام لطلب العلم وجاء بلاد التكرور حتى لقي القطب عبد الكريم المغيلي فلازمه ثلاثين سنة حتى امتص علوم شيخه، وقد رحل إلى المشرق حيث لقي عدة علماء منهم السيوطي، أخذ عن شيخه المغيلي الطريقة القادرية وسعى في نشرها وتثبيت دعائمها في عدة مناطق بالصحراء وبغيرها. كان من الأولياء المعمرين، عاش مائة وأربعين عاما إلى أن توفي مقتولا، وهو يصلي على رأس جبل من جبال سوس سنة 958هـ⁵³⁵، اشتهر بالعلم والولاية، له كرامات جلها غير مدون عرض بعضها صاحب الطرائف⁵³⁶، من الكرامات المتواترة، عنه أنه ينظر فيما بين العرش والفرش، كما ينظر إلى الناس من حوله⁵³⁷، وأبرز كراماته حدثت في مرحلة ملازمته للمغيلي، وبحضوره أحيانا.

⁵³² - الإعلام بمن حل مراكش، ص 242. الإرشاد ورقة 170-442-445، الطرائف التالدة، ورقة 106.

⁵³³ - الشنقيطي أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا، وعاداتهم وأخلاقهم، وما يتعلق بذلك، ط 4، بعناية فؤاد السيد، مطبعة المدني، ص 361.

⁵³⁴ - الطرائف التالدة، ورقة 106-107.

⁵³⁵ - ذكرت سنة أخرى للوفاة 960هـ، في الرسالة الغلاوية ص 154.

⁵³⁶ - الطرائف التالدة، ورقة 108.

⁵³⁷ - أحمد شيخي، معلمة المغرب، ج 27، ص 548-549.

الشيخ سيدي محمد الرقاد بن سيدي أحمد لقبه "الفيرم" و "الأثرم"، جد الفخذ المعروف بالرقادة، عالم متقن عابد متمكن توفي سنة 994هـ. أمه بنت سيدي أحمد بن سيدي أبي بكر بن سيدي أحمد البكاي، خلفه ولده سيدي أحمد بن محمد الرقاد بن الفيرم، من خلفه سبع بنين كلهم أولياء علماء نجباء وباب مدينة العلم وسلسلة الذهب في بني الرقاد⁵³⁹، توارثوا العلم والزعامة الدينية. ولي صالح عابد عامل⁵⁴⁰ وكان يعزى إليه من العلوم ما يعزى لجدته سيدي عمر الشيخ، له كرامات متواترة مشهورة معظمها غير مدونة، منها ما رواه المختار الكنتي لابنه، وإحداها تتعلق بسبب تلقيه بالرقاد أنه أتاه قوم يختصمون في معضلة فوجدوه نائماً ففضى بينهم، وهو نائم، ثم جاءه تلاميذه ففسر لهم وهو نائم نومته تلك، ومن كراماته أنه ".تواتر عنه أنه إذا نام يخرج النور من منخرية وفمه، حتى يشاهده الخاص والعام.. ". ومن سلالاته أولياء منهم، أحمد بن محمد الرقاد 1063هـ، علي بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد 1119هـ.

ثانياً: أولياء القرن الحادي عشر

1-أهمية المرحلة

تمتد في هذه المرحلة كرامات سلسلة الكنتيين مع أبناء الرقاد، وتتوسع مع الدرعيين، إذ برز تأثير كرامات ناصر الدرعي على أتباعه، وجمهوره من الشهود، ويؤكد ناصر الدرعي أن الشيخ "باد" شاهد بعض كراماته، ويأتي في طبقة تالية بعد المؤسسين من أبنائهم وطلابهم، وهم من مشرب قادري، ورثة علم ومشخة تتوالى كراماتهم، بلغ أغلبهم مقام القطبية. وقد أسس ناصر الدرعي حركته السياسية على عمود صوفي، فانطلقت حملته

538 - الإرشاد ورقة 186، ترجمته وبعض كراماته في الطرائف، ورقة 105 - 106.

539 - الإعلام بمن حل في مراكز وأغامت من الأعلام، ص 242.

540 - الطرائف الثالثة، ورقة 105.

بكرامات واستمرت بها، فارتبطت بمشروعه السياسي، وبانتظارات أتباعه تحقيق الاستقرار في الأرض والثبات على الحق، وهي مرحلة شفوية قوية، حركها شيوخ صنعوا التاريخ والطريقة.

2- أهم شيوخ المرحلة

أحمد بن محمد الرقاد

أحمد بن سيدي محمد الرقاد، أمه جكنية، من العلماء العالمين، عرف عنه زهده وسخاؤه وانفاقه في سبيل الله، هو الذي بنى زاوية كنته بالتوات، توفي رحمه الله يوم الثلاثاء أول شوال سنة 1063هـ. يعدمن أولياء الله الصالحين. له كرامات كثيرة مشهورة غير مدونة في كتاب مخصوص بها، وردت نماذج منها في "الطرائف.." ⁵⁴¹.

الشيخ سيدي أحمد بن الخليفة

توفي الشيخ سيدي أحمد بن الخليفة ⁵⁴²، بن سيدي عمر بن سيدي أحمد بن الرقاد سنة 1092هـ. أمه هاملية بنت سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحاج أبي بكر، من أعيان تلامذته؛ أخوه الشيخ سيدي الأمين، والسيد الحاج أبو بكر بن محمد بن عمر بن الوافي، والسيد عروة بن سيدي محمد أبو نعامة، بلغ القطبانية العظمى، من كراماته استجابة الدعاء، ومنها ما شهدته تلميذه عروة.

محمد ناصر الدين الدرعي

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسين بن ناصر ولد بأغلان بواحة "ترناتة" (منطقة زاكورة حاليا) توجد شمال واحة "فزواطة" التي تنتمي إليها زاوية "تامكروت" التي أسسها هذا الشيخ في القرن الحادي عشر الهجري. يرتبط نسب الشيخ بالطريقة الشاذلية

⁵⁴¹ - الطرائف الثالثة ، ورقة 104.

⁵⁴² - ترجمته وبعض كراماته في الطرائف الثالثة، ورقة 99.

والزروقية، كما يتصل بالقادرية عن طريق أبي مدين الغوث، له زاوية زارها كثيرا الشيخ باد⁵⁴³، توفي سنة 1085 هـ -1674م، ودفن بضريحه "روضة الأشياخ".

أبو بكر بن أبهم الشمشوي⁵⁴⁴، له ألقاب كثيرة أشهرها؛ ناصر الدين، سيدنا، إمامنا، مشيع الدين، الإمام الكبير، والولي القدوة، له كرامات مشهورة، كان الشيخ باد شاهدا على بعضها. بدت عليه علامات الكشف والصلاح، وذاعت كراماته وهو شاب، حج إليه الناس من بعيد بغية بركته، دعاهم للتوبة، فاستجابوا، وأقاموا معه، ثم بايعوه. ينتمي ناصر الدين إلى الصحراء. نجح في مد حركته إلى السودان، حيث فتح عدة ممالك، قتل في حرب بعد رفض أمراء مبايعته. وله كرامات وفيرة شهيرة أغلبها مشاهدات، واكبت حياته الدينية والسياسية منذ شبابه إلى أن مات، واستمرت بعد وفاته، كانت وسيلة قوية لإرساء زعامته، وتأسيس حركته الإصلاحية السياسية، واستقطاب مناصريه، وشهرته، وكان غالبا ما يرويها بنفسه بلسان قوي بليغ. حرص اليدالي تلميذه ومريده على جمع وتدوين كراماته بعد وفاته في كتاب؛ "أمر الولي الصالح" لليدالي. ولهذا الأخير فضل كبير في تدوين كرامات في القرن الثاني عشر، وهي كرامات تم تداولها في القرن الحادي عشر، وإن كان الكتاب يتعلق بسيرة الرجل وحياته، للكرامات نصيب كبير من مادة الكتاب، فقد أورد أكبر كراماته التي انطلق منها أمره رؤياه المشهورة منبع كشوفاته، وللكرامات حظ وافر من مادة الكتاب إذ فاقت النصف، من موضوعاتها المكاشفات وإبراء العلل، والرؤيا الصالحة الصادقة، وهو لا يقصد منه تدوين الكرامات بقدر سعيه لترجمة الرجل وبث سيرته.

⁵⁴³ - الناصري محمد مكي، الدرر المرصعة، تحقيق محمد النوحى رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا الرباط 1988، ج 1، ص 75.

⁵⁴⁴ -اليدالي محمد، أمر الولي ناصر الدين، تحقيق محمذن بن باباه، وذلك ضمن كتاب الشيخ اليدالي، بيت الحكمة 1990، ص 59.
الطرائف الثالثة ، ورقة 75.

أحمد بن عمر

أحمد بن عمر بن الشيخ سيدي أحمد بن الرقاد، ذكره محمد بن المختار الكنتي⁵⁴⁵، من أهم مريديه سيدي الحاج حبيب الله بن المصطفى، من سلسلة الكنتيين من ذرية أحمد البكيا الذي يعود نسبه الى عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب من الأولياء⁵⁴⁶ العاملين الصالحين له كرامات، عاش في القرن الحادي عشر.

أحمد بزید

جد محمد عبد الله بن البخاري مؤلف كتاب العمران، الذي يتحدث فيه عنه ويعرض له كرامات كثيرة⁵⁴⁷. قيل عنه: ".كان أحمد بزید مستغنيا بشهرته عن ذكر مآثره وبشهرة ولايته وعلمه وكراماته.. لذلك حكم له محمد اليداليب القطبانية، ولا يعرف الولي إلا الولي.."⁵⁴⁸.

مريم بنت أحمد بزید⁵⁴⁹

يعود نسبها إلى آل باريك الله، في المجال البيضاني، عاشت في القرن الحادي عشر للهجرة، من أهل العلم والأدب والتصوف، من أوائل الشواعر في منطقتها، من كراماتها المشهورة عنها نثرا وشعرا، اختبأؤها وراء شجرة وبناتها خوفا من بطش الغزاة فتحققت لها الكرامة بأن حماها الله ولم يراها الغزاة.

ثالثا : أولياء القرن الثاني عشر

1-أهمية المرحلة

تستمر في هذا القرن الكرامات مع جيل من أحفاد سلسلة الكنتيين، وفيهم أولياء من الأتواج. فهي مرحلة استمرار زاد فيها الاهتمام بكرامات الشيوخ، حيث دون اليدالي والنايعة

⁵⁴⁵ - الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، ص 242 .

⁵⁴⁶ - جنة المرید دون المرید، ج، 2 ص 479 .

⁵⁴⁷ - ابن البخاري محمد عبد الله ، العمران، تحقيق مريم بنت آده، جامعة نواكشوط، 1994، ص 73.

⁵⁴⁸ - نفسه.

⁵⁴⁹ - العتيق أحمد بابا ولد عبد الله، تاريخ حياة الشرفاء أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم، نواكشوط، ط2، 2008، ص 89.

الغلاوي كرامات شيوخهما، وتستمر شهرة كرامات صارت ألقابا لأصحابها، نذكر مثلا "أبو حامية" و "صاحب الوقت" كما نسجل ظهور أسماء بعض الصالحات في تراجم هؤلاء الأولياء، وهم من نسل أولياء آخرين نشأوا في نفس الوسط على نفس طرق شيوخهم وأجدادهم.

كما نلاحظ تعدد شيوخ هذه الفترة، واستمرار الحياة الكرامية بقوة مع الكنتين، وانتقل اليوالي من مرحلة المدون الذي يكتب عن غيره إلى شيخ له مناقبه وكراماته يكتب عنه غيره. وأغلب شيوخ هذه المرحلة لهم شهرة كبيرة، فقد عرف القرن الثاني عشر ازدهار الدراسات الفقهية والكلامية، وأصبح لشيوخ المحاضر الكبرى، من أمثال المختار بن بونا الجكني⁵⁵⁰، نفوذ كبير بين القبائل ولدى الحكام.

2- أهم شيوخ المرحلة

اليوالي⁵⁵¹

محمد بن المختار بن محمد السعيد، بن المختار بن عمر بن علي بن يحيى بن يدال، فهو من علماء وأولياء تشمشة، بمنطقة القبلة، أمه الصالحة امبيكلة واسمها فاطمة بنت سيد الأمين الديمانية، ولد 1096هـ سنة، وتوفي سنة 1166هـ، عند بئر "تد كسم" بولاية الترارزة من كراماته صدق الكشف، والحديث عن خاطر، وموافاة الماء في حال العطش...، له كرامات مدونة في عدة كتب منها "النجم الثاقب"⁵⁵² الذي يضم كرامات كثيرة نقلها النابغة الغلاوي عن أعلام ثقافت زمانه؛ هم أحمد بن العاقل وأحمد بن والد، وزين بن أواه بن محمد اليوالي، وقد اعتمد كثيرا عن أماليهم عليه، وتوجد كرامات له في "السند العالي في مناقب اليوالي" للنابغة أيضا.

⁵⁵⁰ - الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، ص 121.

الفائق بن أحمد منيري، دراسة بجامعة نواكشوط، قسم التاريخ، 2010م.

⁵⁵¹ - ترجمته في، نصوص من التاريخ الموريتاني، تقديم وتحقيق، محمد بن ولد باباه، إصدار سنة 1990هـ، منشورات بيت الحكمة، سلسلة المكتبة الثقافية المغربية.

⁵⁵² - الغلاوي النابغة، النجم الثاقب فيما لليوالي من مناقب، تحقيق محمد بن باباه، المطبعة المدرسية، 1994، ص 55.

أبو نعامة الكنتي⁵⁵³

قال عنه الزبيدي: "أحمد بن محمد بن عبد الرحمان أبي نعامة التواتي، صاحب النير والسير والمدد والكرامات، منازلهم في أقبلي من عمالة توات وزاويتهم محترمة وقد تولى مشيخة ركب الحج كعادة أبيه وجده، وكنت قد سمعت به ووصلت إلى أخباره وكاتبته وعقدت معه عقدة الأخوة ثم ورد علينا حاجا سنة 1197هـ.."⁵⁵⁴.

السيد أحمد التوجي⁵⁵⁵

من الأولياء الأتواج، ابن الولي الصالح أحمد التوجي الكبير، كان مشهورا في القرن الثاني عشر، عاصر الشيخ المختار الكنتي الذي يصغره سنا، والشيخ أبا بكر الحاج الذي شاهد إحدى كراماته، يقول عنه المختار الكنتي: "أدركت سيدي عمر بن سيدي أحمد التوجي وكان من المجاذيب الصحاح"⁵⁵⁶.

سيدي علي بن الحبيب

ابن الشيخ الحبيب من أهل الكرامات⁵⁵⁷، ذكر محمد الكنتي إحدى كراماته في الطرائف، ويقول "وكان رحمه الله غاية في الكرم..". مما يظهر أنه عاش قبل الشيخ المختار الكبير بفترة، وقد زامن سيدي الأمين ذي النقاب.

سيدي محمد الملقب "أبو حامية"

أخ الشيخ المختار الكنتي وكافله أي أن "أبو حامية" تكفل بالشيخ المختار الكنتي، وهو أخوه أكبر منه، أمه "اللالية" بنت سيدي أبي بكر بن المصطفى بن المختار بن الوافي،

553 - الزبيدي، معجم المشايخ، ص18.

554 - نفسه.

555 - ترجمته وبعض كراماته في الطرائف الثالثة، ورقة 24.

556 - نفسه، ص 71-72-500.

557 - له كرامات في الطرائف الثالثة، ورقة 102.

شقيقته "خديجة" و "المسيمية"، أخوه سيدي أبو بكر، له في الطرائف كرامة⁵⁵⁸، أخوه الحاج سيدي أبو بكر، جده الشيخ "باد"، لقبه "أبو حامية"، عاش أربع وثمانين سنة، في القرن الثاني عشر.

سيدي علي بن النجيب⁵⁵⁹

يعد الشيخ سيدي علي بن النجيب بن محمد بن شعيب الشريف التكروري المعلم الأكبر لأزود، وعلم من أعلام المدرسة الرقادية الكنتية، توفي سنة 1170 هـ، عن نيف وثمانين عاما، ولي صالح من أعلام زمانه، معروف بألقاب عديدة منها؛ "صاحب الوقت" و "صاحب البركة"، أخوه "اللود"، شيخه سيدي الأمين ذو النقاب، كراماته كثيرة أثيرة، توجد نماذج منها في الطرائف⁵⁶⁰، شيخ المختار الكنتي لفته العلوم الشرعية، تربي الشيخ المختار الكنتي على يديه، ودون القرآن والحديث.

سيدي الأمين بن سيدي محمد

سيدي الأمين بن المختار بن سيدي محمد بن أبي حامية، من أصحاب الكرامات⁵⁶¹، روى كرامات عن سيدي عبد القادر التاودي، وأحمد بن الرقاد، مما يبين أنهم عاشوا في نفس الفترة.

رابعاً : القرن الثالث عشر

1-أهمية المرحلة

تعد هذه المرحلة مرحلة التميز والنضج والتوسع في الحركة الكرامية، مرحلة غزارة الكرامات، عرفت أوجها مع القطب المختار الكنتي، إذ تجاوزنا مرحلة الشفوية، فأصبحنا في

558 - الكنتي محمد ، الطرائف الثالثة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة، ورقة 78.

559 - نفسه، ورقة 96.

560 - نفسه، ورقة 97.

561 - نفسه، ورقة 520.

مرحلة الوعي بالكرامات كنص، كمدونات، ككتابة، تم الإعراف بولاية النساء وكراماتهن، بل بمشيخة النساء من خلال كتاب الطرائف مضمونا وعنوانا، وتبلور الوعي بأهمية المرحلة تاريخيا، فتم تقديم كثير من أخبار المناطق الصحراوية، إلى جانب الكرامات الاجتماعية والتاريخية والسياسية.. في مختلف سير ومدونات هذه المرحلة، كما عرفت الحركة الكرامية أوجها مع القطب المختار الكنتي، وبرزت أهم أسانيد الكنتيين معه. وهذا كله يوازي تجديد وامتداد الطريقة القادرية البكائية الكنتية في مناطق كثيرة، وتوسع جمهورها من مریدين وطلبة وأتباع، كما عرفت المحظرات والزوايا توسعا في مجالها، مما سهل احتضان الكرامات وانتشارها، وتميزت هذه الفترة بتدخل الشيخ نفسه في التدوين عبر سرده وروايته المباشرة لابنه، ووازت ذلك حركة تأليفية شملت مختلف العلوم والمعارف، وعرفت المرحلة ذبوع وشهرة كرامات الشيخ الكنتي، وأقبالا كبيرا على ترجمة الشيخ مما يستدعي الوقوف عند مناقبه وكراماته، يقول سيدي محمد الكنتي: .. لا شيء أنفع للمريدين من مطالعة الكتب المؤلفة حول القوم وكراماتهم وما فتحوا به..⁵⁶².

وصار كثير من تلاميذ هـ شيوخا بعده لهم كراماتهم أيضا، وأبرزهم ابنه، والشيخ سيديا، إذن تميزت المرحلة بنشاط حركة كرامية شفوية بسبب التداول وأخرى كتابية بفعل التدوين، مما فتح أعمارا جديدة لهذه النصوص، وأتاح لها جمهورا إضافيا يتراكم عبر الزمن. فهي مرحلة قوية من حيث الحركة الكرامية التي تعد جزءا من الحركة الصوفية، مما يبرز بقوة أن الكرامة جزء من الكيان الثقافي الصحراوي لها جميع المؤنثات التي توفر لها أسباب التجلي والحياة والذبوع. في فضاءات عدة منها الرباطات والزوايا والأضرحة التي تعد حاضنا يتواصل فيه أهل الطرق، من كنتيين وذرعيين وأتواج، وممن وجدوا في جمع الكرامات وتدوينها إحدى وسائل دفاعهم عن طرقهم في ظل التنزع حول زعامة روحية أو مصلحة مادية؛ ومن ذلك، الصراع بين أتباع التيجانية والكنتية والفاضلية؛ إذ هاجم التجانيون

⁵⁶² - خي ميلود بن المختار، عيون الإصابة، تحقيق محمد بن محمد فال، جامعة نواكشوط، ص 95.

القادرية، وعارض الكنتيون المعينيين، فكانت الكرامة وسيلة للدفاع والمنافسة بينهم. كما كان تأليف الكتب شكلا من أشكال التعبير عن الخلاف بين أهل الظاهر والصوفية، فقد تصدى ابن بون الجكني للمختار الكنتي وعارضه بشدة، ووصفه بالغرور المضل للناس. وأنكر محمد الخضر بن مايبا الجكني ما ينسب إلى الشيخ سيدي أحمد التيجاني في كتابه "مشتهى الخارق الجاني في إنكار ما ينسب إلى الشيخ سيدي أحمد التيجاني".

2- أهم أولياء المرحلة

الفائق بن أحمد منيري

الفائق بن أحمد منيري، بن حبيب الله بن سيد أحمد العلوي شقيق اليدالي، ولي صالح له كرامات، معروف له شهرة واشعاع في منطقة الصحراء، عاش في منتصف القرن 12هـ، وأوائل القرن 13هـ، بولاية "الترارزة"، كتبت عنه عدة دراسات.

كان المختار الكنتي الكبير معارضا لابن بونا الجكني الذي كان على رأس المدرسة الفقهية، ومذهبه الكلامي، فقد أنكر بن بونا عصمة الأولياء وكراماتهم، ومنهم المختار الكنتي. لذلك ألف المختار الكنتي كتابه: "جذوة الأنوار في الذب من مناصب أولياء الله الأخيار" ردا على منظومة ابن بونا "وسيلة السعادة"، وقد سعى المختار الكنتي إلى إثبات ولاية فقهاء المالكية منذ مالك والأشعري، وقد سادت معارضة الكلاميين لأهل التصوف في هذه الفترة، لذلك بذل المختار الكنتي جهدا كبيرا للجمع بين أقوال المتكلمين والفقهاء والصوفية.

الشيخ المختار الكنتي الكبير

الشيخ سيدي المختار⁵⁶³ بن أحمد، بن أبي بكر بن محمد حبيب الله بن الوافي، بن الشيخ سيدي عمر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي، بن سيدي محمد الكنتي بن سيدي علي بن يحيى بن عثمان بن يهس بن دومان، بن ورد بن العاقب بن عقبة بن نافع، الصحابي الجليل

⁵⁶³ - العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الاعلام، ص 241.

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 361.

فاتح المغرب⁵⁶⁴، ولد سنة 1142هـ. من أكابر مشايخ التصوف، وعلماء وشعراء الصحراء، وسياسي محنك⁵⁶⁵، له أدوار طلائعية في تسيير الزاوية الكنتية، نشر الإسلام والفكر الصوفي من خلال زعامته للطريقة القادرية البكائية التي امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا.

ترجمه وعرض مناقبه وكراماته وشيوخه، ابنه المختار الكنتي الخليفة⁵⁶⁶ في الطرائف، وتوالت العشرات من ترجماته⁵⁶⁷ بمختلف الألسن، تناولت حياته وسيرته ومكانته التاريخية والعلمية ومؤلفاته في جل فنون العلم والمعرفة، توفي سنة 1226هـ، 1809م، رثاه العديد من تلاميذه ومريديه منهم الشيخ سيديا في ديوانه⁵⁶⁸.

ولي مشهود له بالقطبية، له كرامات غزيرة متواترة، منها التي وقعت له في صغره، وجلها حصلت له في باقي مراحل حياته إلى أن توفي، كما ذكر محقق الجزء الخامس من الطرائف في مقدمته، أن الكرامات المنسوبة للشيخ عددها ستة عشر كرامة، ويمكن حصر مضامينها في اجتماعه بالخضر عليه السلام، وطوافه بمشارك الأرض ومغارها... وأهم كراماته مدونة في الطرائف، الذي يعد مصدرا هاما لها ولسيرة الشيخ، كما يعكس عنوانه، "الطرائف التالدة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة"، فغرضه عرض كراماته التي رواها على لسانه، أو شاهدها ابنه ومريده محمد الكنتي أو أحد الشيوخ، أو الطلاب المقربين منه.

564 - الطهطاوي رفاة في تخلص الإبريز في تلخيص باريز، القاهرة، ط 1990، ص 37.

565 - ولد الحسن أحمد، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الطبعة الأولى 1996، ص 123.

566 - أغلب كراماته في الطرائف التالدة، في الباب الخامس من الورقة 499 إلى الورقة 556.

567 - نفسه.

568 - الطرائف التالدة، ورقة 100.

سيدي عمر التوجي

ابن الشيخ أحمد التوجي، ذكره صاحب الطرائف وعرض إحدى كراماته⁵⁶⁹، عاش زمن القطب المختار الكنتي.

محمد الكنتي⁵⁷⁰

هو سيدي محمد الملقب "الشيخ سيدي محمد الخليفة" بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي الوافي الفهري، ينتمي إلى بطن أولاد الوافي من قبيلة كنتة الشنقيطية المنحدرة من الفاتح المعروف عقبة بن نافع الفهري، وهو الابن الخامس لأبيه القطب المختار الكنتي، ولأمه لالة عيشة بنت الأزرق الكنتية⁵⁷¹، توفي سنة 1242هـ 1826م⁵⁷².

ولي من أولياء الله تعالى العارفين⁵⁷³، كان ورعا زاهدا كامل العبادة، عالما فقيها جمع بين الشريعة والحقيقة، عالم متصوف وشاعر، تولى قيادة الزاوية الكنتية بعد وفاة والده، له كرامات كثيرة وخوارق عادات⁵⁷⁴، له الفضل في تأليف عدة مصادر كرامية، وتدوين كرامات والده وكثير من شيوخه ووالدته في الطرائف.

الشيخ محمد الحافظ

الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن الحبيب العلوي توفي 1247هـ، أول من نشر التيجانية في شنقيط وغرب إفريقيا، كراماته في "نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ

⁵⁶⁹ - الولاتي المحجوبي الطالب بكر بن أحمد المصطفى، فتح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تحقيق محمد الأمين بن حمادي، أطروحة بكلية الآداب نواكشوط، قسم التاريخ، 1993، ص 69.

⁵⁷⁰ - الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 29.

⁵⁷¹ - الكنتي محمد الخليفة بن المختار الوافي، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط، 2003، ص 8- 9- 10.

⁵⁷² - ماء العينين بن فاضل، الرسالة الحجازية، تحقيق ماء العينين مريبه ربه، منشورات مؤسسة الشيخ مريبه ربه لاهياء التراث والتنمية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، ص 89.

⁵⁷³ - الحركة الصوفية، ص 515 .

⁵⁷⁴ - منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب الفتح الشكور، ص 69.

محمد الحافظ⁵⁷⁵ لمريده محمد بن سيدنا العلوي، نلاحظ أن تدوين كرامات الشيخ ومريده تم في القرن الثالث عشر.

سيدي محمود بن المختار الحاجي⁵⁷⁶

سيدي محمود بن المختار بن عبد الله بن بابا هندی بن ابج الحاجي، ولي من أولياء الله له كرامات، توفي سنة 1200هـ - 1786م.

عائشة الأزرقية

هي عائشة بنت سيدي المختار بن سيد الأمين الأزرق⁵⁷⁷، بن سيدي أحمد بن الحاج أبي بكر بن الشيخ أحمد البكاي أمها لال "آسية" بنت الشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمان بن سيدي محمد أبي نعامة، أكبر أخواتها وأصغر إخوانها، أختها فاطمة زوج سيدي العالم، ابنها سيد الأمين، وأختها خديجة زوجة ابن عمها سيدي محمد، وأختها ميعة زوج سيدي أحمد بن محمد بن المير وولدت له محمد وخديجة والمختار، والفقير محمد والبيكار وفاطمة، إخوان الشيخة سيدي محمد، سيدي الأمين، سيدي الحبيب. ولدت سنة 1160هـ، توفيت سنة 1224هـ، زوج القطب المختار الكنتي، وأم الشيخ محمد بن المختار الكنتي. لها كرامات⁵⁷⁸ ذكر بعضها ابنها في "الطرائف..". وكان ينوي عرضها في آخر الكتاب، لكنه لم يتم تأليفه، وهي المقصودة بـ "الوالدة" في العنوان: "الطرائف الثالثة في كرامات الشيخين الوالد والوالدة".

اواه بن زيد بن محمد اليدالي

كراماته واردة في "كرامات وخوارق اواه بن زيد بن محمد اليدالي" توفي سنة 1235هـ.

⁵⁷⁵ - العلوي محمد بن سيدنا، نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ، راجعه محمد ولد نيا ولد الطلبة، مركز نيجبويه للمخطوطات وحفظ التراث.

⁵⁷⁶ - البرتلي، فتح الشكور ص 86، 137. الرسالة الغلاوية، ص 62.

⁵⁷⁷ - ترجمتها ولحدي كراماتها في الطرائف الثالثة، ورقة 76.

⁵⁷⁸ - الطرائف الثالثة، ورقة 77.

الشيخ محمد الحافظ

هو أبو عبد الله محمد الحافظ⁵⁷⁹ بن المختار بن حبيب العلوي توفي 1247هـ، حافظ للقرآن الكريم إمام صوفي تيجاني، أجازته العلامة شيخ الفلاني في رواية الحديث أثناء رحلته للحج، مناقبه وكراماته في "نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ.. لابن بدي سيدينا.

سيدي الكبير⁵⁸⁰

يعد قطبا من أقطاب التصوف والعلم في الصحراء، جاء أزود قصد التلمذة عن المختار الكنتي لكنه توفي بعد وصوله بقليل، فأخذ عن ابنه سيدي محمد إلى حين وفاته، وقد أصبح زعيما دينيا بالصحراء ومجددا للقادرية⁵⁸¹، توفي سنة 1258هـ - 1869م. له كرامات بعضها ذكرها صاحب الوسيط بقوله⁵⁸²: ..وحدثني الفاضل ابن عبد الرحمان الجزولي، وكان أبوه كاتباً للمولى عبد الرحمان، أنه لما قدم الشيخ سيديا إلى مراكش، وجد المولى سيدي محمد بن عبد الرحمان لكن لا يبين الكلام فتقل في فمه فانطلق بالكلام..

الشيخ محنض بابيه

الشيخ امحنض بابيه بن اعييد الديماني، توفي سنة 1277هـ، من أولياء أسرة "آل الطالب" الفقيه الولي "حمدي" وبني برك الله كراماته مدونة في "عيون الإصابة في مناقب الشيخ محنض بابيه"⁵⁸³، لتلميذه ميلود بن المختار خي.

⁵⁷⁹ - الإعلام بمن حل أغمات ومراكش من الأعلام، ج 8، ص 192.

الطرائف الثالثة ، ورقة 76-541 .

⁵⁸⁰ - الكنتي محمد بن المختار، جنة المرید، ص 143.

النحوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 516.

⁵⁸¹ - جنة المرید دون المرید، ج 1، ص 15-143.

⁵⁸² - نفسه.

⁵⁸³ - الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 240.

خامسا :القرن الرابع عشر

1- أهمية المرحلة

تستمر الكرامة بقوة في هذه المرحلة، إذ امتدت الكرامات وانتشرت بالمجتمع الصحراوي، وكثر شيوخها، ونلاحظ الحضور القوي للولايات من آل ماء العينين ممن حظين بعناية وتوجيه علميين من الشيخ نفسه، إذ كان يخصص لهن مجالسا للعلم، واستطاع أن يسم المشرب الفاضلي بميسم معيني، تشي به كراماته التي صارت متداولة في مجالس العلم، وفضاءات العبادة من زوايا ورباطات..، وتخللت رحلاته.

عرفت هذه المرحلة حركة كرامية قوية، بفضل غزارة كراماتها، ونشاط شيوخها، والدور الريادي الذي قام به القطب ماء العينين الذي ذاع صيته محليا وعربيا، فتنافست أقلام أبنائه وطلبتة في تدوين سيرته، ومناقبه، ورحلاته، وعلومه، وفيها كرامات متناثرة إلى جانب المضان التي خصصت للنصوص الكرامية. وساهم في هذا الإقبال اضطراب أحوال الصحراء، وانتشار الفساد في ربوعها؛ وعجز عدة قبائل عن مواجهة جور قبائل حسان، مما جعل الكرامة سلاحا روحيا، لمقاومة الظلم وتحقيق نوع من التوازن الاجتماعي، وأحيانا انتصارات عسكرية. وعرفت هذه المرحلة حضور وليات ذوات كرامات، تواريخ وفاتهن غير محددة وغير معروفة، سأعرض أهمهن فيما يلي.

الشيخ بابا حمدي

هو باب بن محمد بن حمدي بن المختار بن الطالب أجود الشريف، توفي سنة 1316هـ، من شيوخ الشاذلية⁵⁸⁴، عالم متمكن من علوم القرآن والنحو واللغة، ولي صالح وشيخ محظرة، وردت بعض كراماته في "المواهب العنودية"⁵⁸⁵.

584 - الكنتي محمد ، الطرائف التالدة، ورقة 246 .

585 - الكليلي عبد القادر، المواهب العنودية في المناقب الحمديّة، توجد نسخة منه في خزانة.

ايجو بنت بيهي تاكرومت التزنيية⁵⁸⁶

ولية من آل علي بن بحمان، نشأت زاهدة سالحة، كانت حافظة للقرآن كثيرة تلاوته، خيرة فاضلة، رويت عنها كثير من الكرامات، والأخبار العجبية، كانت ذات أثر طيب بين أهل زمانها، وبخاصة الشيوخ... ومنهم، الشيخ الالغي الذي زارها، وأثنى عليها قال: إن هذه السيدة وضعت رجلها على كل من يستدير عليه سور تيزنيت، توفيت سنة 1320هـ.

ربيعة ماء العينين⁵⁸⁷

ربيعة بنت الشيخ ماء العينين، من زوجه مليكة بنت الدرجة، العروسية، ولدت سنة 1293-1875، ولية سالحة، رويت لها كرامات، مشهود لها بالخير، ذات إمام واسع بعلمي الظاهر والباطن، تضاهي الرجال في الإجابة عن المسائل المطروحة عليها، توفيت سنة 1326-1875، و دفنت بصحراء تيرس.

محمد فاضل بن مامين⁵⁸⁸

القطب العلامة شيخ التصوف القادري له طريقة خاصة، سميت بالفاضلية، ولد سنة 1246هـ، وتوفي سنة 1328هـ، له مريدون كثير، مؤهل منذ صغره للزعامة الدينية، إذ حفظ القرآن الكريم، ونهل من علوم شتى، أهمها علوم الحديث، والبلاغة، والشعر، والنحو والطب، والفلك، والحساب، والمنطق، والفقه، وعلوم الأسرار،.. غزير التأليف؛ من مؤلفاته؛ "سيف السكة المعترض لنا في الصلاة أول الوقت"، و"حكم الجعل أو الأجرة"، و"مطية المجد كشف الحجاب"..

دونت كراماته في عدة مصادر أهمها: "الضياء المستبين في كرامات الشيخ فاضل بن مامين" في الباب الرابع، وذكر أحدها عباس الجراري في "ثقافة الصحراء"، وذكرها صاحب

⁵⁸⁶ - السوسي المختار ، المعسول، من أفواه الرجال، مطبعة النجاح البيضاء 1961 ، مطبعة المهديّة تطوان، ص 58.
⁵⁸⁷ - الزهراوي زهراء ناجية، معجم شهيرات المغرب، منشورات المجلس العلمي بمراكش عدد 7، ط1، 2008. ص 58 - 59.

⁵⁸⁸ - السوسي محمد المختار المعسول من أفواه الرجال، ص 65.

ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 583.

"علماء وأمرء"⁵⁸⁹ .. وألف كتابي مناقب الشيخ عنوانه: "الفتح المبين في ذكر مناقب الشيخ محمد فاضل بن مامين" و "ذكر بعض مناقب أهل الفتح والتمكين" صاحبه، العالم الفقيه الطالب أبو بكر المحجوبي الولاتي.

عائشة زوج الشيخ محمد فاضل بن مامين⁵⁹⁰

عائشة زوج الشيخ محمد فاضل بن مامين، ولية سالحة، ذات فضل ودين، وعلم وأدب، رويت عنها كرامات ترد بعضها في "الضياء المستبين"، اشتهرت بلقب "الشيخة" لما لها من الكفاءة العلمية والأهلية السلوكية.

خديجة بنت الطالب أبي بكر⁵⁹¹

زوج الشيخ محمد فاضل بن مامين، ولية سالحة، زاهدة فاضلة، نهلت من معين الشيخ، العلم والصلاح، ونقلته إلى أهلها، وأولادها، فكانت خير الناس عطاءً، ووقاراً..

فاطم شعوانة⁵⁹²

فاطم شعوانة، بنت الشيخ، محمد فاضل بن مامين، ولية سالحة، عابدة عاملة، خيرة فاضلة، مشهود لها بالتعاون والتصدق، والنوائل، ذات كرامات.

محمد المصطفى ماء العينين

محمد المصطفى بن محمد فاضل بن مامين القلقمي⁵⁹³، ولد سنة 1246هـ - 1830م، توفي 1328 سنة هـ - 1910م، قطب صوفي عالم شاعر علامة متمكن من علوم الظاهر والباطن، كان زعيماً روحياً وسياسياً وطيد الصلة بسلاطين الحكم المركزي، مجاهداً ضد

⁵⁸⁹ - توجد منظومة تضم نسبه في نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص4.

عبد العزيز بن عبد الله، معلمة المغرب، ص 164.

⁵⁹⁰ - علماء وأمرء، ص 18.

⁵⁹¹ - اليعقوبي محمد فاضل بن الحبيب، الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد فاضل بن محمد الامين، ورقة 166.

⁵⁹² - اليعقوبي محمد فاضل بن الحبيب، الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد فاضل بن محمد الامين، ورقة 166.

⁵⁹³ - نفسه.

الإستعمار وأعوانه، له الفضل الكبير في إجازة عدة شيوخ وتعليم أفواج الطلبة، غزير التأليف، رحل إلى المشرق للحج، اتصل بأبرز أعلام التصوف والعلم بالمشرق، له الفضل في إحياء حركة صوفية أدبية في عصره بالصحراء في زاويته وفي جل المناطق التي أقام بها، مشهود الولاية مشهور الكرامات، ذو المناقب الكمل والمعارف الأكمل..، قدم سيرته ونسبه نشرًا ونظمًا⁵⁹⁴ عدد من الشيوخ والباحثين العرب والأجانب أبرزهم؛ سعد أبيه ومحمد فاضل بن الحبيب والشيخ محمد تقي الله والشيخ ابن الشمس، ومحمد العاقب، ومحمد عبد الله بن، والتكرور، ومحمد سيدين، وعباس الجراري، والمختار السوسي، وعباس بن ابراهيم المراكشي، وسركيس، وبروكلمان، وأوديت دويكوبو، وأوتيلوكوديو وكراماته مدونة في عدة مصادر أهمها⁵⁹⁵؛ "قرة العينين.." و "سحر البيان.." و "مجمع البحرين.." في الأبواب الثلاثة الأخيرة منه، وترد كراماته أيضا في "الفواكه". تراجمه كثيرة، ويوجد كتاب في مناقب الشيخ ماء العينين وذريته هو "إثبات علماء الصحراء على ما للنسب من محاسن غراء" صاحبه مربيه ربه بن الشيخ سيدي محمد بن عبد العزيز بن حامن.

ميمونة بنت أحمد بن علي⁵⁹⁶

ميمونة بنت أحمد بن علي، أم العالم العلامة المربيه ربه، ولية سالحة، لها كرامات، وهي زوج الشيخ العلامة ماء العينين بن فاضل بن مامين.

لالة بنت عبد الله ولد الحسين⁵⁹⁷

لالة بنت عبد الله ولد الحسين، زوجة معينة، معرفة بالصلاح، من أهل الخير، لها نصيبها من العلم، مشهود لها بالولاية، مزارها بمقبرة العيون.

⁵⁹⁴ - الزركلي، الأعلام، ص 243.

الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص 365.

ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 4.

⁵⁹⁵ - ابن منصور عبد الوهاب، حفريات صحراوية مغربية، المطبعة الملكية، الرباط، 1975، ص 83.

⁵⁹⁶ - شداد مولاي ادريس، معلمة المغرب، ج 26، ص 70.

⁵⁹⁷ - نفسه.

أحمد أبي المعالي⁵⁹⁸

هو الشيخ أبو المعالي بن الشيخ أحمد الحضرمي، توفي والده في 1319هـ، عالم وشيخ محاضرة صوفية قادرية، درس في عدة محظرات أهمها لآل الطالب إبراهيم، نهل من علوم القرآن والفقه والتصوف واللغة، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ سعد أبيه، تولى سياسة أمور قبيلته فنجح، له فضل كبير في الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي بمنطقته، له مؤلفات منها: "الأدلة الشافية والكافية من رد حجج مدعي المعية الذاتية"، وله كثير من الأشعار جمعت بعد وفاته. وله مناقب وكرامات وفيرة في "عقود اللآلي في كرامات أبي المعالي للعربي اليماني"، من كراماته المشهورة إشفائه المرضى.

ميمونة ماء العينين⁵⁹⁹

بنت الشيخ ماء العينين، وأمها هي مليكة بنت الدرج، العروسية، ولدت سنة 1290هـ - 1872م، ولية سالحة زاهدة، ملمة بعلوم الحديث والفقه والشرع، والشعر معروفة بالخير والبركة، ومراعاة الله في جميع الأوقات، محافظة على مكارم الأخلاق، توفيت سنة 1329هـ - 1911م.

أم الفضل ماء العينين⁶⁰⁰

أم الفضل بنت الشيخ ماء العينين، من زوجها، الفاضلة أمام بنت حبيب، ولدت في الحوض سنة 1270هـ - 1852م، كانت ولية سالحة، طيبة عابدة، خيرة زاهدة، شديدة الرغبة في الخير، لها نصيب وافر من العلم، عابدة مفضلة عند أبيها الشيخ ماء العينين، توفيت شرق تيزنيت سنة 1332هـ 1914م.

⁵⁹⁸ - شداد مولاي ادريس، معلمة المغرب، ج 26، ص 70.

⁵⁹⁹ - أدب المناقب والكرامات، ص 308. عقود اللآلي من كرامات الشيخ أحمد أبي المعالي.

⁶⁰⁰ - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 614.

العالية ماء العينين⁶⁰¹

العالية بنت الشيخ ماء العينين، أمها هي العزة بنت الكور من قبيلة العروسيين، أم ماء العينين بن العتيق، ولدت سنة 1283 - ولية زاهدة، رويت عنها كرامات كثيرة، ذات فضل وصلاح، وحسن خلق، وحب للخير، عالمة حاذقة، مشاركة، توفيت سنة 1339هـ 1921م.

الأديبة ماء العينين⁶⁰²

ابنة الشيخ ماء العينين، من زوجه السيدة عيشة بنت محمد الجكني، ولدت سنة 1300هـ 1882م، نشأت زاهدة سالحة، مشهود لها بالولاية، كانت حافظة لكثير من متون الحديث والشعر عالمة حافظة للمتون، توفيت سنة 1341هـ-1923هـ، بقرية كردوس، ودفنت فيها بجامع الرحمة، ابنها هو الشاعر الأديب ماء العينين الملقب بالأديب وعيني أيضا⁶⁰³.

آمنة بنت يوسف⁶⁰⁴

السيدة آمنة بنت يوسف واد اخويبر، توفيت سنة 1344هـ، كانت ولية سالحة، ترعرعت في بيت علم وصلاح، تحفظ القرآن، وتقوم بتحفيظه لتلاميذها، تلقنهم العلم، بمنطقة أدرار سطف، لدى قبائل أولاد دليم، وأبناء أبي السباع، والقرع، وأهل بارك الله.

خديجت ماء العينين⁶⁰⁵

بنت الشيخ ماء العينين، ولية سالحة، عابدة تقية، عالمة متقنة، ملتزمة، أمها فاكمة بنت محمد المصطفى من قبيلة آل الطالب مختار، ولدت سنة 1273هـ 1855م، عرفت ببركتها ودعواتها المستجابة، ورويت لها كرامات في ذلك، توفيت سنة 1344هـ-1926م، بقرية كردوس، شرق تيزنيت.

601 - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 579. نفسه، ص 588.

602 - نفسه، ج 27 ص 588.

603 - نفسه، ج 27، ص 578.

604 - ناعمي مصطفى، معلمة المغرب، ج 27، ص 464.

605 - نفسه.

الطالب أخيار بن الشيخ مامينا

ولد سنة 1291 هـ - 1874م بالساقية الحمراء، استوطن آخر حياته بلاد القبلة، وظل بها ينشر الطريقة المعينية إلى أن توفي في مدينة أندر من بلاد السينغال سنة 1362 هـ - 1943م، بلغ مريدوه أزيد من عشر آلاف، له مؤلفات⁶⁰⁶، عديدة وأشعار كثيرة، له العديد من الكرامات المتواترة بين أهل زمانه.

مريم الطاهرة ماء العينين

ولدت مريم الطاهرة⁶⁰⁷، بنت القطب العينين سنة 1296 هـ - 1878م، أمها ميمون بنت أحمد علي، وهي ولية صفية محسنة، حفظت القرآن الكريم، متمكنة من علوم اللغة، والدين، لها دراية بعلوم شتى كالفلك، والطب، فائقة الخلق بارة بالوالدين محسنة للجيران، توفيت سنة 1366 هـ 1947 م، دفنت بموضع "تافودارت" بالساقية الحمراء.

سعدان ماء العينين⁶⁰⁸

هي لالة سعدان بنت الشيخ ماء العينين، أمها ميمون بنت أحمد العلي، ولدت سنة 1285-1867م، تزوجت الحضرمي بن محمد الأمين، هي ولية صالحة، حافظة للقرآن، أديبة، مذكورة بالأدب لها كرامات، مشهور عنها الدعاء المستجاب، وحضور البركة، وكثرة الصدقات، معروفة بحسن الخلق، توفيت سنة 1369 هـ - 1950م، بمدينة العيون، ودفنت بها حيث أصبح قبرها مزارا.

⁶⁰⁶ - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 582. الأبحر المعينية ورقة 134. سحر البيان ورقة 125 .

⁶⁰⁷ - ماء العينين النعمة علي، معلمة الصحراء، ج 27، ص 613.

⁶⁰⁸ - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 584.

السيدم ماء العينين⁶⁰⁹

السيدم بنت الشيخ ماء العينين، من زوجها الفاضلة مارية بنت إبراهيم، ولدت سنة 1325هـ-1906م، تكفل بها أخوها، محمد الغيث النعمة، مشهور عنها الشرف، والعفة، وطيب الخلق، مذكورة بالبركة، واستجابة الدعاء، والتيسير، والتسخير، والقبول، معروفة بفتوحاتها العديدة، توفيت سنة 1374 هـ 1955.

يوحانيدو⁶¹⁰

هي واحدة من بنات الشيخ ماء العينين، وأمها الحافظة المقرئة، السيدة هند بنت الأديب العالم، عبد الله بن أحمد بن محمد سالم، ولدت في 1304هـ-1886م، صالحة وأديبة محسنة، حافظة لكتاب الله، أجازها والدها، حافظة لكثير من المتون، أنشأت جنوب تيزنيت، زاوية دينية وعلمية، يأتي إليها كبار العلماء، وتتلذذ عليها كثير من المتخرجين، الحافظين الدارسين، يأتي إلى الزاوية كثير من القاصدين من مختلف بقاع المغرب، للتبرك، والتماس الدعاء منها، كانت مكاشفة بالمغيبات، عرف عنها أنها تنظر من غير حجاب، توفيت 1388 هـ - 1969م، بآيت الرخا، ودفنت بزوايتها هناك.

السنية ماء العينين⁶¹¹

بنت الشيخ ماء العينين، من زوجها، السيدة عزيزة بنت أبي زيد السباعية، ولدت سنة 1320 هـ 1901م، ولية صالحة، من بيت علم وصيانة، عالمة صائبة الرأي، ذات زهد ونسك، مشهورة بين العلماء مبارزة لهم، أثبتت جدارتها في قضايا علمية عديدة، توفيت سنة 1389 هـ - 1969م..

⁶⁰⁹ - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 585

⁶¹⁰ - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج 27، ص 616.

⁶¹¹ - نفسه.

المرابط محمد سالم بن ألما

هو محمد سالم بن المختار بن ألما⁶¹² بن بياه بن الفقيه الفخ، المختار باب بن محمد الأمين، بن المختار بن عمر بن علي بن يحيى بن يداج خامس المشهورين بتشمشة، حفظ القرآن الكريم، وسبر علومه وعلوم اللغة والفقه، درس على يد عدة علماء أهمهم؛ المختار بن جنك، ويحظيه عبد الودود، ومحمد فال بن محمذن، ربي المريدين على تعاليم الصوفية وفق الطريقة الشاذلية، ودرس طلابه مختلف العلوم له مؤلفات عديدة، وكثير من كراماته واردة في "القبس الثاقب..".

2-وليات صحراويات

تتتمي جل الصالحات للقرن الرابع الهجري، وعددهن القليل يشي بمحدودية المتون المنسوبة لهن، _ ومن أعرض ترجمتهن لم أعثر فيما عدت إليه من مان على تواريخ وفاتهن ، لذلك خصصت لهن المطلب التالي ، ومحدودية الأدوار والوظائف التي قمن بها في وسطهن، وقلة كراماتهن وتراجمهن، ارتبطت أسماؤهن بشيوخ مشهورين وبأسر علمية صوفية ساهمت في الرقي بالمجتمع علميا وتربويا وسياسيا، وكان موضوع كرامات الصالحات غالبا شفاء المرض، والرؤيا الصالحة، ومساعدة الأطفال والمحتاجين.. وتحضر الوليات منذ البدايات الأولى للتصوف بالصحراء، ويرد ذكرهن في سير الشيوخ، وهذا اعتراف بالمرأة الأم أو الزوجة أو الأخت التي نالت مكانة روحية، لأنها فرضت ذاتها في مجتمع يحتفي ويفتخر غالبا بالولاية الذكورية.

⁶¹² - ماء العينين النعمة علي، معلمة المغرب، ج27، ص 584.

أم فاطمة الفيلاي 613

تنتمي أم فاطمة الفيلاي لمنطقة الساقية الحمراء، من الوليات الصالحات، عرفت بـ "فاطمة المجاطية" من أصول فيلاية، لها كرامات معروفة بكرامات كثيرة، تناقلها الأجيال عن أجدادهم، وسم باسمها واد يوجد بين طانطان و أخفنيير "واد أم فاطمة".

غلا الفيلاي 614

بنت محمد المختار بن خليفة، عرفت بالصلاح والولاية، توفيت أواخر القرن العشرين، من قبيلة فيلالة بمنطقة الساقية الحمراء، لها كرامات معروفة منها شفاء المجانين على يدها، قبرها مزار موجود بجانب قبة "سيدي حمود التوبالي" يحجه كثير من الزوار.

عزيزة بنت أبين 615

الولية الصالحة عزيزة بنت أبين، تنتمي إلى قبيلة إذا وعل، والتي يرتبط نسبها بأصول عربية محققة، هي أم الفقيه القاضي محمد بن عبد العزيز حامن، عرفت بصلاحها، ذات كرامات.

عائشة منت احميدة 616

الولية الصالحة، عائشة منت احميدة، زاهدة عابدة عاملة، من فخذ أولاد احميدة، يوجد مزارها في تشلا إقليم أوسرد.

عائشة منت أحمد بابا 617

بنت العالم بابا أحمد بن البخاري بن الفيلاي بن مسكة بن برك الله اليعقوبي، من آل برك الله، ولي صالحه، من كراماتها المشهورة عنها الرؤيا الصالحة.

613 - أدب المناقب والكرامات ، ص99-315.

614 - الغالية بلعمش، معلمة المغرب، ج 27، ص 514-515.

615 - الغالية بلعمش، معلمة المغرب، ج27، ص 515 .

616 - الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، ص 477.

617 - شداد مولاي ادريس ، معلمة المغرب، ج26،ص71.

خديجة بنت محمد⁶¹⁸

وليدة صالحة، حافظة للقرآن الكريم، درست الفقه وعلوم القرآن بالساقية الحمراء والعيون، عملت على تدريس العلم وتحفيظ القرآن لطلبتها، نهلت ونهجت المشرب الصوفي القادري، وأخلصت له، توفيت 1964م، بطرفاية ودفنت بها.

صفية بنت بابها⁶¹⁹

من أهل برك الله، وليدة صالحة، حفظت القرآن الكريم، وحفظته للأطفال بمنطقتي تيرس والداخلية، وليدة صالحة ذات كرامات، تبرك بها الناس في حياتها وبعد مماتها.

بشرى بنت بابها⁶²⁰

وليدة صالحة، عالمة عاملة، حافظة لكتاب الله، لها كرامات قرآنية؛ منها أنها كانت تستظهر القرآن الذي توقفت عنده دون أن تقرأه.

فاطمة بنت سيد ابراهيم ولد مفتاح⁶²¹

وليدة صالحة، من قبيلة الركييات من فرع أهل بلاوي بالساقية الحمراء، من كراماتها المعروفة تحقق كل رؤاها، توفيت 1974م، بطرفاية ودفنت بها.

السالكة بنت سليمان⁶²²

من قبيلة أولاد الدليم، وليدة صالحة، مشهورة الولاية والكرامة، كان يقصدها الناس للتبرك بها في حياتها وبعدها، توفيت بالداخلية ودفنت بمنطقة العركوب.

⁶¹⁸ - الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن زهر أكادير، شعبة التاريخ، إشراف المازوني محمد، 2010، ص 91.

⁶¹⁹ - الغالية بلعمش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 92.

⁶²⁰ - نفسه.

⁶²¹ - نفسه، ص 96.

⁶²² - نفسه، ص 97.

غلا منت محمد المختار ولد خليفة⁶²³

أمها الولية الصالحة "فاطمتو منت سيد ابراهيم"، من قبيلة فيلالة بالساقية الحمراء، ولية مشهورة، كانت عمياء تقودها نعجتان حيث شاءت، من كراماتها معالجة المجانين، وإبراء العرج، كانت تقصدها الحشود الغفيرة، للتبرك والشفاء، عاشت آخر عمرها بطرفاية، توفيت أواخر التسعينات.

⁶²³ - الغالية بلعش، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، ص 97.

القسم الثاني

تحليل الكرامات الصوفية الصحراوية المغربية

الباب الأول
حكائية الكرامة

الفصل الأول: أدبية الكرامة الصوفية

أولا : الكرامة والنص

نروم في هذا الموضوع الجواب عن سؤال هام هو هل تعد الكرامة نصا أم لا؟ هل تعد الكرامة نصا؟ .. طرح هذا السؤال عدة نقاد عندما بدأوا البحث في نصوص تأخر الاعتراف بنصيتها، ومنها المقامة، والسيرة الشعبية، ومن هؤلاء د. سعيد يقطين الذي انكب على دراسة السيرة، والأستاذ عبد الفتاح كيليطو الذي أحيا درس المقامات. والكرامة أيضا بدأت تتال حظها من الاهتمام والدراسة لتبرز معالمها وهويتها من خلالاثبات نصيتها. ومن المسلم به أن النص يتكون من عدة جمل لها معنى بلسان محدد ودلالة وثقافة معينتين. فإذا عرضنا الكرامة على تصور عبد الفتاح كيليطو الذي يرى أن ما يعتبر نصا في ثقافة لا يعتبر نصا في ثقافة أخرى⁶²⁴، وأن الثقافة تتكون من عدة نصوص لها مواصفات⁶²⁵، أهمها أن يكون له مدلول ثقافي، وأن يكون منظما ومدونا خشية الضياع وقابلا للتعليم والتدريس والتأويل، ودلالاته غامضة، ومؤلفه حجة؛ أي التقى بالشيخ فاعترفوا به وأجازوه. فالكرامة عند عرضها على ما ذكر من الشروط نجدتها تتجاوز معها لأنها تنتج من صميم الثقافة فلا يمكن أن تنتج خارجها، ولأنها تعرف حياة شفوية بين عدة فئات اجتماعية من طلبة ومريدين وشيوخ وأتباع، فهي من صميم الثقافة أيضا لارتباطها بالطرق الصوفية وطلب العلم. وتتحقق الشروط العلمية في مدونها لأنه غالبا شيخ متمكن من العلوم الشرعية وعلوم الآلة. والكرامة قابلة للتدريس لأنها تؤدي عدة وظائف أدبية وعلمية وثقافية واجتماعية، سنفصل فيها القول عند تناول أبعادها أو وظائفها، ولأن لغتها عربية تزخر بالاستشهادات، والأساليب.. تحدث سعيد يقطين في كتابه "الكلام والخبر"، وفي مقدمة "قال الراوي" عن مسألة تصنيف الكلام العربي. وميز بين قديمه وحديثه، ومن خلال ذلك تبين أن الكرامة نص ثقافي يندرج ضمن

⁶²⁴ - كيليطو عبد الفتاح، الأدب والغرابية، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر ط 6، 2009، ص 16-

.17

⁶²⁵ - نفسه ص 18-19.

الكلام العربي القديم أي ضمن جنس الخبر من السرد، وهو نص يقدم مادة لها خصوصيات جمالية. ومع مرور الزمن وتكاثر الدراسات أصبح ينال حظه من الاعتراف، ولم يكن قبل ذلك نصاً، وأصبح المهتمش المهمل معترفاً به، وأصبحت النصوص الشعبية لها حظها من الاهتمام، وبالتالي فرضت عجلة التاريخ الأدبي والدرس العلمي والنقدي التغيير، وزرعت الحركة والأمل في ساحة الكرامة التي بقيت ناقصة من حيث الإقبال عليها والاهتمام بها زمناً طويلاً. فقد شكلت الكرامة ذاتها، إذن، داخل منظومة الكلام العربي والثقافة العربية منذ القديم، وبقيت كذلك. وتتجلى أسباب التهميش الأخلاقية والإيديولوجية؛ أن البعد الثقافي كان مؤسساً على قواعد وتقاليد أخلاقية كالصدق والكذب، ومطابقة الواقع من عدم مطابقته، والجد والهزل.. ومن أسباب التهميش أيضاً انحياز الكرامة إلى طبقة من المتلقين (العوام - الشعب) فهذه التقاليد كانت سبباً لإقصاء عدة نصوص من المنظومة الثقافية. وسنرى أن الكرامة نص مجنس ومتميز بنوعه الخاص. ونلاحظ من خلال قراءتنا للكرامات أن الكرامة من النصوص القصيرة التي تكرر مبدأ الاختزال، فهي لا تتجاوز صفتين أو ثلاثة في أقصى حجمها على خلاف السيرة مثلاً التي تحتاج للمؤلفات الطوال. ها هنا نطرح سؤالاً آخر هو ما محل الكرامة من هذا التصنيف الذي يتحدث عنه محمد مفتاح، إذ يميز بين النص واللانص، والنص الكوني والنص الطبيعي، وشبه النص، والتناص، والنصنصة، إنني أريد أن ألفت الانتباه إلى أمر هام لم أقف عنده من قبل، بل عاينته من خلال قراءاتي المتوالية للكرامة في القرآن والسنة، وهو كون الكرامة كنص فهي نص وارد في القرآن أي أن نصوص الكرامات هي نصوص صغرى جزء من النص القرآني العام والشامل، وهو نص يغيب فيه السند لأنه عز وجل، ولا يحتاج لذلك، ومن جهة أخرى الكرامات هي أحاديث نبوية تامة للرسول صلى الله عليه وسلم درجات صحتها متفاوتة، ومنها الصحيحة والثابتة وسندها قوي، كما توجد في درجة لاحقة أحاديث الصحابة والتابعين وكلها بسند الرواة، وهي موثقة في المراجع القوية، وبالتالي فمرحلة السلف هي مرحلة النصوص الكرامية القوية الصحيحة الثابتة. وأما النصوص الكرامية في المراحل اللاحقة فكانت على منوال السلف، إذ

عرفت مرحلة ما قبل التدوين ثم مرحلة التدوين. إن أهم ما أردت أن أنبه عليه هو كون الكرامة موجودة في النص القرآني، والنص الحديثي، وأقوال التابعين، إذن هي ابنة شرعية للنص التشريعي التأصيلي قبل أن تكون مناصلا له، أو محاكيا أو اقتباسا منه، لذلك فالكرامة بنيت نصيا منذ نزول القرآن الكريم واتخذت أهم عناصرها مع الحديث، وصارت بناء يحتذى فيما بعد، لذلك يجب أن لا نغفل هذه الحقائق النصية في تعاملنا مع الكرامة في مختلف تكويناتها النصية عبر التاريخ. يرى أبو الفضل بدران أن معظم الدراسات تأخرت أو عجزت عن تصنيف الكرامة كنص سردي مستقل له مكوناته البلاغية والأسلوبية، والقيمية والوجدانية⁶²⁶.

ثانيا: الكرامة والأدب

لم يتوقف المهتمون عن تعريف الأدب، وقد انصرف النظر عن التعريف بالماهية إلى التعريف بالعلاقة، أي ما يندرج ضمنه وما يبتعد عنه، فهل يجوز لنا، بناء على ذلك، أن ندرج الكرامة في الأدب أم لا؟ فنحن نجد من تعريفات الأدب أنه يحيل على عالم الأشياء، والشخصيات، والأحداث الخيالية.. ويرى ماء العينين بن فاضل يرى أن الأدب هو ما طبع عليه الإنسان في جبلته، وكان في أصل خلقه وفطن يكتسبه الفرد بالحفظ، والتذكر، والنظر بالتأمل، والاستبصار.. وحفظ الحواس ومراعاة الأنفاس⁶²⁷. فالأدب بالمعنى القديم هو ما يجب التحلي به من أخلاق⁶²⁸.. ومن جهة أخرى يسلكه "جاكسون" في الوظيفة الشعرية⁶²⁹، الأمر الذي يجعل الكرامة عنصرا أدبيا.. وقد اعتبر الباحثون الكرامة من الأدب الصوفي باعتبار الأدب جزءا من منظومة دينية اجتماعية سياسية نفسية تاريخية فكرية.. وذكرت الباحثة ناهضة ستار ثلاثة أنماط من الأدب الصوفي هي: الذاتي، والموضوعي،

626 - أدبيات الكرامة الصوفية، ص 20.

627 - نفسه، ص 20.

628 - الأدب والغربة، ص 21.

629 - نفسه، ص 23.

والاسترجاعي. وقد يمزج الأدب المعقول باللامعقول والواقعي بالإيهامي كما هو الحال في أدب الكرامات، أو يمزج الكلام الجزل بالسوقي كما هو الحال في تعريف "شكسبير" لأدب، أو يمزج الجد بالهزل كما هو الأمر لدى أفلاطون، كما قد يستوعب النوع الأدبي الواحد أنواعا أخرى.. فالرواية تستوعب الشعر، والسيرة، والمذكرات، والحوار⁶³⁰. وتمزج الكرامات أيضا بين الشعر والنثر وتشبه الحديث والمقامة في الإسناد، وتشبه السيرة القصة في عناصر عدة، وتتقاطع مع عدة أنواع في مكوناتها، ويراهما فائز طه من الأدب الرفيع⁶³¹، على الرغم من التهميش الذي طالها، فلقد انحاز الدارسون والمصنفون زمتا طويلا لأدب القمم المعروفة من الأدباء الفرسان والأفذاذ، فصنفوه وترجموه ودرسوه ليصير أدب النخبة، كما اعتنى العديد من الباحثين بالأدب التعبيري الذي يكون مرآة للعصر، فأهملوا الأدب الشعبي، والمدون، ومنه أدب الكرامات أيضا، وهو تعبيري أدب كما أنه أدب ارتبط بقمم علماء التصوف. لكن الوضع تغير مؤخرا إذ تنبه الدارسون على المهمل من الأنواع لأن الاهتمام بالأنواع يحييها، ويغير وضعها، فالعديد من الأنواع كانت مهمشة في زمن وأعيد لها الاعتبار لاحقا مثل الرواية. فالكرامة تستجيب لمفهوم الأدب وغاياته، لذلك سلك عدد من الباحثين أبحاثهم تحت مسمى "أدب الكرامات"، لكن تصنيف هذا الأدب ظل مطروحا لأنه غني متعدد الانتماءات، نابت في عدة حقول معرفية قليلا ما نجده مستقلا في كتب خاصة به، لذلك فهو أدب غني مفتوح أمام عدة تصنيفات. فمن المؤلفين من أدرجه ضمن أدب الزوايا، ومنهم من جعله ضمن أدب المناقب. ومنهم من أدرجه ضمن أدب الصحراء، والأدب المغربي، ومن تم العربي، وأيضا الصوفي، وأدب الخوارق والأساطير، فأدب الكرامات يحتل أكثر من تصنيف بأكثر من مقياس، لأنه ينتمي لأكثر من أدب وأكثر من حقل... وأقدم هذه التصنيفات في جداول موضحة كالتالي:

⁶³⁰ - كيليطو عبد الفتاح ، الأدب والغربة 22.

⁶³¹ - ناهضة ستار ، بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والبنيات، منشورات اتحاد الكتاب العرب،

دمشق 2003، ص 53.

الكرامات الصحراوية يعيون بتصانيف مختلفة:

المقياس الجغرافي: تندرج الكرامات الصحراوية ضمن	الأدب العربي
	أدب الغرب الإسلامي
	الأدب الإفريقي
	أدب المغرب العربي
	الأدب المغربي
	الأدب الصحراوي: الصحراء الغربية - شنقيط

المقياس الروحي تندرج الكرامات عامة ضمن	الأدب الديني
	الأدب الإسلامي
	الأدب الصوفي
	أدب الأولياء
	أدب المناقب
	أدب الزوايا

المقياس المعرفي تندرج الكرامات ضمن	أدب المدونات
	أدب التراجم
	أدب السير
	أدب المناقب
	أدب الرحلات

المقياس الفني الخيالي	الأدب العجائبي
	الأدب الخارق

وظفت الكرامات في الأدب العربي، ولاسيما في الرواية والمسرح والشعر والقصة القصيرة والسيرة الذاتية والشعبية. وغدت ظاهرة أدبية، أفادت الأدب العربي، وعملت على

تغذيته برافد متميز، عمل على تفرده بين الآداب العالمية، ووظفت كبديل عن النبوءة في الأدب العربي داخل الرحلة، لذلك فقد فتحت آفاقا، ويمكن أن نتناولها ضمن دراسة مقارنة مع الآداب العالمية⁶³². إن الكرامة أدب من حيث كونها نصوصا تعبر عن مكونات أدبية حاضرة في أنواع أدبية كثيرة، وهي من الأدب لأنها قابلة للدراسة بأكثر من منهج، وقابلة للمقاربة وفق أكثر من مدرسة نقدية. وهي من الأدب لأنها متداخلة ومشابهة مع أنواع أدبية كثيرة، وهي من الأدب لتفاعلها مع نصوص أدبية كثيرة.. لذلك فهي تحمل مقوما أدبيا عالميا في جانبها الخيالي الخارق، وقوما قوميا في عروبتها ومقوما ثقافيا، ومقومات محلية لتوثيقها.. وترتكز الكرامة على معطيات تاريخية وتراثية لحواضر صوفية معينة، لأنها محلمة بفكر صوفي عريق، وهي أيضا وجه غني من وجوه الحياة الاجتماعية داخل حقل جغرافي معين. وإذا أردنا أن ندقق في تجنيسها سلكنها في أدب الخوارق أو الأدب العجائبي، وهما مسميان بارزان في الدراسات الغربية والعربية، ألقت عدة أبحاث بخصوصهما وكلاهما دالان على نفس الأمر أي خرق المعقول في عالم الناس داخل أنواع أدبية بعينها أهمها الرواية والقصة والأسطورة والخرافة والحكايات العجيبة.. ومن المعروف في الأدب العربي حكايات ألف ليلة وليلة، وكليلا ودمنة، وحكايات السندباد، وغيرها.. فالأدب العربي زاخر بمادة هامة أقبل عليها الباحثون وما زالوا لإبراز تجلياتها وأبعادها، والكرامة من هذا التراث الزاخر بالخارق والعجائبي مما يجعلها قريبة من الأدب العالمي. وقد تناول العديد من النقاد تعاريف العجائبي والخارق، ومنهم من خصص لذلك تأليفا خاصا، كما هو الحال مع "تودوروف" في "مدخل للأدب العجائبي" الذي يعد من أهم وأول الأبحاث التي سعت لبسط نظرية عامة ممنهجة بهذا الخصوص. ومن تلك التعاريف ما كان شاملا، إذ يرى "كاتسكس" في مؤلفه "الحكاية الشعبية في فرنسا" أن أدب الخوارق يتميز بتدخل عنيف لسر خفي في إطار الحياة الواقعية ويرى "كايو" في "قلب العجائبي" أن العجائبي قطيعة لتصدع نظام المعترف به، واقتحام اللامقبول لصميم الشرعية التي لا تبدل، ومن الباحثين من سلط الضوء على عنصر من

⁶³² - الأدب والغربة، ص 48.

عناصر التعريف العجائبي والخارق، يقول "تودوروف" "هو علم يقوم أساسا على بروز حدث يثير حيرة القارىء أو حيرة شخصيات الرواية، وهذا الحدث يخل بالقوانين التي تسير عالم الناس.. وفجأة يقع.. ويفقده الإطمئنان". ويربطه "أولفاريجان" بالبطل إذ يقول عن مفهوم الخارق: البطل يشعر بشكل متواصل بجلاء التناقض بين العالمين؛ عالم الواقع وعالم العجائب وهو مدهش أمام الأشياء الخارقة. ويرى الأستاذ جبر البيتاوي عند المقارنة بين أدب الخوارق عند الغربيين وبين الخوارق والكرامات عند العرب المسلمين أن العرب هم أول من أبدعوا في هذا الجانب وليس الغرب.

ويمكننا قبل ذلك الوقوف عند الائتلاف والاختلاف بين الأدب العجائبي والكرامة. إن أهم اختلاف بينهما يرتبط بالشكل؛ فنصوص الأدب العجائبي تتميز بطولها النسبي، والكرامة شكل قصصي قصير يلخص تجربة صوفية أو موقف أو واقعة حدثت لشيخ، واختلاف بخصوص الباث.. فالكرامة تلتزم بنظام إسنادي صارم أما الحكاية العجائبية فتتقرر لذلك، وأما المروي له فمرتبط بسلسلة السند موجه لطائفة من السالكين المريدين، وأما العجائبية في الحكايات فهي أوسع من ذلك، وهي ترتبط في الكرامات بالقدرات الإيمانية، وعوالم الشيخ الروحية الغيبية والوجودية لارتباط الشيخ الدائم باعتقاد أتباعه. ويظهر المشترك بينهما في عدة أمور منها ما يلي: اتساع القاعدة الشعبية وانفتاحها على فئات من مختلف المستويات، والخلود، والتداول، والانتشار، وبساطة الأسلوب، وقربهما من الأدب العامي، ووجود حياة شفوية قبل التدوين.. ويمكن أن تتفصل ثنائية الكرامة والأدب إلى ثنائيات فرعية كثيرة من مثل الكرامة والحكي، إذ يرتبط الحكي ارتباطا وثيقا بالانتقاء، والحكي كما نفهمه يعني المحتوى المادة الأولية الثابتة لأي عمل سردي يعكس رؤية أو تصورا للعالم، تتحقق من خلال تجربة خاصة في الواقع أو الخيال، فمهما توفر ذلك كان الإنتاج حكايا، إذن فالحكي مقولة كلية تضم مقولات فرعية إذا حضرت كان العمل من "الخبر" أو "السردي". فالحكي عام يمكن أن نجده في الأعمال التخيلية، وفي الصورة، والسردي خاص، والحكايات ميدان شمولي موضوعه الحكي، والحكاية طابع تشترك فيه مختلف الأنواع التي تتدرج ضمن

السرد⁶³³. ولا تتحقق حكاية العمل الحكائي إلا من خلال حكيه، أي نقله إلى مستوى التجلي، بانتمائه إلى جنس السرد أو الخبر. وقد نحت الكرامات نحو الخيالي، فهي واقعية مجنحة، وتلك صفة الأدب الرفيع. لذلك عدّها فائز طه من الحكايات الصوفية الناضجة لأنها حملت خصائص الفن القصصي المثير⁶³⁴، كما سنرى ولأنها تحقق الحكي والحكاية. إن الحكائية طابع تشترك فيه مختلف الأنواع التي تتدرج ضمن السرد، العنصر الثابت الذي ينظم أي كلام ويلحقه بجنس السرد⁶³⁵. ومن هذه الثنائيات الفرعية الكرامة، والجنس الأدبي، إذ تعتبر السرديات حقلاً عاماً، وإذا اهتمت بالأفعال فهي سرديات (جيرار جنيت)⁶³⁶. وهكذا فتحديد جنس الكرامة أمر هام يكسبها هويتها، ويحدد مكانتها بين الأنواع التي تتدرج ضمن نفس الجنس؛ فهو اسم جامع لأنواع متعددة مشتركة والجنسية هي الخاصية الثابتة التي تجعل أنواعاً⁶³⁷، تتدرج ضمن نوع معين، فهو يحافظ على النوع الأدبي، ويرصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الانزياح والخرق النوعي. إن المحتوى الواحد يقدم من خلال خطابات متعددة، إذ تتعدد الخطابات بتعدد الصيغ التمثيلية⁶³⁸، التي هي صيغ السرد، فالسرديون يهتمون بالتعبير، والسرد لا يمكن أن يتحقق إلا في الأعمال اللفظية، لأن الخاصية الأساسية في السردية توجد في الصيغة، وليس في المحتوى، والخطابات تتعدد بتعدد الصيغ التمثيلية، صيغة السرد (الخطاب). وقد ظلت جوانب من السرد القديم مهمشة مغيبة من دائرة الاهتمام⁶³⁹، على نحو الحكايات العجيبة، والأساطير، والقصص الديني، والأشكال البسيطة، والسرد الحديث منه الرواية والقصة.. وهكذا تتدرج الكرامة ضمن السرد القديم من القصص الصوفي، إذ لم يوظف سعيد يقطين مصطلح "كرامة" في كتابه: "قال الراوي"، لكنه وظف

633 - يقطين سعيد، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1997، ص 12.

634 - بنية السرد في القصص الصوفي، ص 53.

635 - قال الراوي، ص 12 .

636 - نفسه، ص 14 .

637 - قال الراوي، ص 9.

638 - نفسه، ص 15.

639 - قال الراوي، ص 9.

"القصص الديني"، وجعله ضمن السرد القديم⁶⁴⁰، أو الخبر.. ويذهب عديد من الباحثين هذا المذهب بحيث يدعون إلى الاهتمام بالكرامة ضمن السرديات القديمة. لأنها تتوفر على بنيات حكاية سردية تراثية لا يليق بها إلا هذا التجنيس، فمن مكونات السرد، باختصار، أنه فعل أو حدث قابل للحكي له رهان يرتبط بمكان وفضاء، فاعله له دور في الفعل، فالكرامة، اعتبارا لما قيل، نص أدبي حكاية سردي.

ثالثا: الكرامة والنوع الأدبي

يرى الدكتور محمد أنقار أن الجنس الأدبي له ما يميزه أيضا على مستوى الصورة والتصوير.. يقول بهذا الصدد: "اللغة تتاطب بها مهام تجسيد الأفكار بواسطة كتل من الصور المتفاعلة فيما بينها تفاعلا مشروطا، وينتج عن هذا الافتراض إمكانية تخصيص كل جنس أدبي بصيغ تصويرية مندرجة في تشكيلات لها من سمات الفن ما يجعلها في وضعية تمايز.."⁶⁴¹، وبالتالي يمكن أن نفترض مسبقا، انطلاقا من هذا، أن الكرامة لها خصوصيات تصويرية مميزة، وبالتالي هي تفتح آفاقا نحو التحليل الذي يعتني بالصورة ووظائفها ودلالاتها، والقيم البلاغية التي تحملها من خلال تطبيق مناهج الدرس الأسلوبي والدرس البلاغي أيضا. وهكذا يتكون النوع عندما تشترك مجموعة من النصوص في إبراز العناصر نفسها؛ الأساسية والثانوية، إذا لم تحترم الثانوية فإن النوع لا يتضرر، وخصائص النوع تبرز من خلال تعارضه مع خصائص نوع آخر، ودراسة النوع تكون في الوقت نفسه دراسة لأنواع المجاورة⁶⁴²، وكل نوع يفتح أفق الانتظار (ياوس)⁶⁴³. وهكذا فالكرامة فن كتابي مدون له حياة شفوية شعبية قبل التدوين، وحياة أدبية بعد التدوين، وحياة أوسع عند تحقيق المدونات ونشرها، وإطلاع الأجيال عليها، فهذا الارتقاء شاهد على أهميته ومكانته التراثية الثقافية، وارتباطه بالواقع من حيث المكونات أو ظروف التدوين والنشر، وهو نص له

⁶⁴⁰ - كيليطو عبد الفتاح، قال الراوي، ص 14.

⁶⁴¹ - أنقار محمد، بناء الصورة في الرواية الإستعمارية، بناء المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى يناير 1994، ص 7.

⁶⁴² - الأدب والغربة، ص 26-27.

⁶⁴³ - نفسه، ص 25.

بناء متكرر سائد معروف يتجلى في حضور السند غالبا، واستهلال أو مطلع وبعده المتن ثم الخاتمة، يتكون حكايا من عناصر سردية لها خصوصيات منها أنها نمط إنساني متكامل. يتوفر الشيخ البطل الذي ينتصر على الشر ويتجاوز كل الأزمات على قدرات خارقة تتحدى الموت، والجفاف، والزلازل، والسباع، والأعداء والسفر الروحي أو المادي، وتنوع الموضوعات الصحية والطبيعية والدينية والعلمية والسياسية، تجدد الشهود من الشيخ والتلاميذ والعامّة، وحدث الخرق باستمرار، الشخصيات والفضاءات واقعية، المزج بين النثر والشعر، المزج بين أشكال الخطاب؛ السرد والوصف والحوار. إن الكرامة نص أدبي قائم بذاته له هوية ثقافية عريقة، وهو نص به حجاج خفي أو ظاهر، ويكون غرض الكرامات إقناعيا، إذ إن الكرامة ابنة التصوف وشاهدة على زمنها وعصرها.. وهكذا فقد حملت هذه الخصائص عددا من الباحثين كي يجعلوها قريبة من القصة، فمحمد أبو الفضل بدران يرى أن الكرامة جنس أدبي مستقل يقترب من القصة، بل ربما يكون أساسها. ويتفق العلماء على أن القصة تقوم على عناصر أساسية؛ الموضوع، والشخصيات، والحوار.. ويجب أن تحقق قواعد فنية هي أن تشكل وحدة فنية، وأن يراعى في عرضها جانب التلميح، وأن تعنى برسم الشخص، وأن تتوفر على هدف ومغزى، وألا تخلو من عنصر التشويق، وأن يكون أسلوبها طبيعيا، لا هو بالمتهافت البسيط، ولا بالمبالغ في الصعوبة والتعقيد.. فهذه الخصائص بالفعل حاضرة في الكرامة، وبالنظر إلى حجمها فالكرامة قريبة من الأقصوصة، إذ ينقسم الفن القصصي إلى حكاية، وقصة، وأقصوصة، ورواية، وخبر.. تقول ناهضة ستار في "بنية السرد": "الكرامة أقصوصة تحكي بالرمز إيمان البطل الديني بقدرته على الإقتراب التدريجي والشديد من الله، ومن ثمة أخذ طبيعة إلهية توفر له إمكانية التشبيه بالله من حيث الإرادة الحرة المطلقة"⁶⁴⁴. والكرامة قصص سردية تصل بالأحداث حدود الإيهام والخرافة اللامعقولة، وتتضمن أدعية ومناجاة ووصايا وحكما، وتتميز الكرامة بارتباطها الدائم بصفة القداسة، فيما تتحرر القصة من هذه الصفة، وبناء على ذلك فالكرامة قصة صوفية، إنها جنس أدبي موصوف بمذهب فكري وديني ومعرفي، زج تجربته في القصص

⁶⁴⁴ - بنية السرد في القصص الصوفي، ص 18 .

في الوقت الذي كان ممكنا أن يزجها في أشكال تعبيرية أخرى⁶⁴⁵. ومن مميزات هذا القصص؛ - التردد والحيرة والشك على مستوى التأثير والاستجابة، والصراع بين القوانين الطبيعية (العقل - الواقع - المنطق - المؤلف)، ووجود حدث خارق يثير الاندهاش، والانزياح عن عالم المواضع والأعراف والقوانين الطبيعية والعقلية والمنطقية. أما نقط الاختلاف فهي: الاختلاف في المصدر والمرجعية والتاريخ: فالمصدر الديني الإسلامي هو المحرك للقصص والأدب الصوفي. ويذكر بكري شيخ أمين في كتابه: "التعبير الفني في القرآن" أن قصص الصوفية متأثرة بقصص القرآن. فمن خصائص القصص الصوفي أي الكرامة تكرار القصة الواحدة أكثر من مرة، وانتخاب أجزاء القصة، فأحيانا يعرض أولها وأحيانا آخرها، وذلك للتأثير في المتلقي، والموعظة الواضحة، فهو يخدم البعد الديني أكثر من الغاية القصصية الفنية. ومن صفاته تعدد مصادره وهو جزء من الموروث الشعبي للمجتمعات يتصل بالمعتقدات، والأساطير، والتأملات فهي تجوب الزمان والمكان دون حدود.. وهكذا تجعل ناهضة ستار في بحثها: "بنية السرد في القصص الصوفي" الكرامة من القصص الصوفي، وصنفتها إلى ثلاثة أصناف هي: ذاتي: مروى بلسان البطل نفسه عن نفسه، فهو الراوي والبطل معا، ومروى عن شيوخ البطل يكون فيها الراوي شاهدا على حدث أو مشاركا فيه، أو مخبرا عن مضمونه، وتدخل ضمن الذاتي قصص (الكرامات) التي أجد أنها على كونها تشمل فعلا خارقا إلا أنها ذات طابع فردي ذاتي أو منقول عن ذوات الجنس اسم جامع لأنواع متعددة مشتركة، الجنسية الخاصة الثابتة التي تجعل أنواعا تتدرج ضمن نوع معين⁶⁴⁶. والكرامة نوع له أشباه ونظائر عجيبة، ومن ذلك القصص القرآني، إذ لهذا الأخير عناصر هي: الشخصية، والحوار الداخلي ذاتي أو خارجي بين الشخصية وجن أو ملك أو.. والصراع؛ بين الخير والشر، والمفاجأة، والتصميم: البدء بملخص، أو البدء بالعاقبة، وذكر القصة دون تقديم، وهناك أيضا القصص الصوفي. فالصوفي هو الولي، والتصوف أي الجانب الروحي الأحداث، والشخص، والفضاء.. ويختلفان في جانب الواقعية في القصص الصوفي والخرق في الكرامة، كما يختلفان أيضا في الحجم.. ويمكن الحديث

⁶⁴⁵ - بنية السرد في القصص الصوفي، ص 19.

⁶⁴⁶ - قال الراوي، ص 9.

أيضا عن ثنائيات فرعية أخرى مثل: الكرامة والمسرح؛ إذ إن الكرامة تحقق الفرجة بوجود مشاهدة وشهود وعرض (الخرق)، وجمهور، كما تحضر الاحتفالية باعتبار العرض يكسر الحدود بين العرض والجمهور، بل يشركه كثيرا في الأحداث في إحدى مراحلها، ويجتمعان في وجود حوار أيضا. وهناك أيضا الكرامة والغربة، فالغربة كما يقول ابن رشد معلقا على فن الشعر: "إخراج القول غير مخرج العادة.. العجيبات من البعيدات"⁶⁴⁷. وتحدث الغربة للمتلقي المتعود على صنف من التصورات؛ فإذا به يصادف أشياء مخالفة لما تعود عليه⁶⁴⁸، فالغربة لا تبرز إلا من خلال المؤلف، إذ تمكن الغربة في الخطاب الكرامي في قدرة الفاعل على تحقيق الغريب الخارق للواقع، فالغربة ترتبط بقدرات الشيخ وتحقيقه للخوارق في فضاءات عديدة متنوعة، ومع شهود يؤكدون وقوع الغريب بوسائل بسيطة ترتبط بالوحيات والتعبد، لتوثق الصلة بين الغريب والتصوف، فيتحقق الاستثناء، ويؤثر في معتقدات المثلي، وحواسه وإدراكه.. فالغربة لا تحملها لغة الكرامة لأنها بسيطة، بل تحملها المعاني والأحداث وشخصية البطل الصوفي الشيخ العالم. ومنها الكرامة والرواية إذ إن كليهما يشتركان في المحتوى الحكائي، ويختلفان في الصيغة والحجم، وهناك الكرامة والمقامة. وقد تحدث كيليطو عن خصائص نوع المقامة في "الأدب والغربة"⁶⁴⁹. من ذلك السند: عدة متكلمين، والسفر: جولات ورحلات. نمطان إنسانيان متناقضان الأديب والمكدي، والحكاية: مبنية على التعرف هي فن كتابي يشير إلى الأسلوب الرفيع: هو مزيج من الشعر والنثر و من الأنواع الأدبية ومن الجد والهزل، و السجع والمحسنات، والبنىات الانشائية: النداء، والأمر، والنهي، والاستفهام والاطناب يؤدي وظيفة تنميقية، ووظيفة اقناعية، والاستهلال في المطلع، تشابه في عدة عناصر، والسفر والبطل والفرجة، والجمهور، وانتصار البطل، ووجود السند، والمتن، وأيضا الجمع بين الشعر والنثر.. وهناك أيضا الثنائية الفرعية الكرامة والسيرة الشعبية تشابه في وجود النص في وجوده السمعي الشفهي قبل التدوين، كما يتشابهان في الجانب الواقعي: الجمهور أسماء الأماكن والشخص.. لكن

⁶⁴⁷ - الأدب والغربة، ص 67-68.

⁶⁴⁸ - نفسه ص 73.

⁶⁴⁹ - الأدب والغربة، ص 90-93-94.

الشخصية في المقامة "براقشية" أي لا يمكن تركيب أجزائها، لأن كل مقامة مستقلة بذاتها⁶⁵⁰. ومن مميزات هذا القصص: التردد والحيرة، والشك على مستوى التأثير والإستجابة، الصراع بين القوانين الطبيعية (العقل، والواقع، والمنطق، والمألوف) - وجود حدث خارق يثير الاندهاش، والانزياح عن عالم المواضع والأعراف والقوانين الطبيعية والعقلية والمنطقية. وأما نقط الاختلاف فهي الاختلاف في المصدر، والمرجعية، والتاريخ: فالمصدر الديني الإسلامي هو المحرك للقصص والأدب الصوفي. يذكر بكري شيخ أمين في كتابه: "التعبير الفني في القرآن أن ققصص الصوفية متأثرة بقصص القرآن، فمن خصائص الققصص الصوفي - وهنا نتحدث عن الكرامة - تكرار القصة الواحدة أكثر من مرة، وانتخاب أجزاء القصة، فأحيانا يعرض أولها، وأحيانا آخرها، وذلك للتأثير في المتلقي، والموعظة الواضحة، فهو يخدم البعد الديني أكثر من الغاية القصصية الفنية. ومن صفاته تعدد مصادره وهو جزء من الموروث الشعبي للمجتمعات يتصل بالمعتقدات والأساطير والتأملات فهي تجوب الزمان والمكان دون حدود. تقول ناهضة ستار في "بنية السرد": "أقصصة تحكي بالرمز إيمان البطل الديني بقدرته على الاقتراب التدريجي والشديد من الله، ومن ثمة أخذ طبيعة الهيئة توفر له إمكانية التشبيه بالله من حيث الإرادة الحرة المطلقة"⁶⁵¹ .. ومن هذه الثنائيات أيضا. الكرامة والمثل: يتشابهان في وجود العبرة الحكمة الدرس الكرامة والرحلة: يتشابهان في الاهتمام بالمكان، ووقوع السفر بشكل مطرد في كليهما كرامة. والكرامة والخطبة، إذ تتشابه شخصية البطل الكرامي مع الخطيب في المهمة الوعظية التي يقوم بها كلاهما، وقدرتهما على التأثير، وكونهما نموذجين دينيين مثاليين فاعلين في المجتمع، وفي وجود الخطاب الديني الدعوي الغني بالدعاء والنصوص الدينية، والإستشهادات، وغرضها التأثيري في المخاطب، والغرض البعيد هو الإصلاح. فالتشابه حاصل في مكونات النص وفي أبعاده. والكرامة والرسالة: تشترك الكرامة والرسالة في وجود أطراف تواصلية متفاعلة يؤثر أحدها في الآخر كما يتشابه نص الكرامة والرسالة في والاستهلال والخاتمة التي تكون غالبا الدعاء الكرامة والخرافة: الخرافة قصة حيوانية لها

⁶⁵⁰ - الأدب والغربة، ص 85.

⁶⁵¹ - بنية السرد، ص 18.

مغزى وعندئذ تساوي موعظة⁶⁵². وهنا تلتقي الخرافة بالكرامة في الحكى ووجود رسالة، الخرافة جنس أدبي قائم بذاته له خصائصه الفنية التي تميزه عما سواه ومقياس البراعة فيه مراعاة النسبة بين الرموز التي يتخذها المؤلف من حيوان وغيره، وبين ما ترمز إليه من أشخاص حقيقيين بحيث يكون القناع الذي تتستر وراءه هذه الاشخاص غير كثيف، حتى لا تنطمس الغاية الرمزية من القصة⁶⁵³. وردت بعدة أسماء؛ الخرافة - المثل - الموعظة - الاسطورة. وقد تمايزت مواقف أدباء العربية من خرافات لا فونتين إلى ثلاثة مواقف هي النقل بالتصرف، والاقْتباس، والترجمة⁶⁵⁴. ونشأة الخرافة في الفنون الأدبية فطرية في أدب الشعب ثم تأخذ في الارتقاء إلى المرتبة الأدبية، فتتبادل الصلات مع الآداب الأخرى، ويكاد يجمع الدارسون على أن الشرق هو مجمع الخرافة⁶⁵⁵. وهكذا ترد الخرافات في نظم النابغة الذبياني، والقصة شعرا ونثرا من قصص المواعظ التي رويت على ألسن الحيوان، وهي جاهلية كما يبدو في صورتها وفي بيئتها أيضا⁶⁵⁶. والخرافة لون من ألوان القصة في أدبنا العربي. وتحضر في شعر أحمد شوقي، ولا نستبعد قراءته لهذا النوع من القصص في أدبنا العربي، وأنها كانت مصدرا من مصادر الشاعر الفرنسي، وخاصة لدى لا فونتين. وترد الخرافة نثرا وشعرا في أدبنا العربي، وهذا هام جدا إذ ترد الكرامة أيضا في الأدب العربي نثرا وشعرا⁶⁵⁷.

من الأمور الهامة عندنا أن توظيف الحيوان كرمز أمر وارد بقوة في الخرافات في "كليلة ودمنة"، وفي النصوص التي تأثرت بالخرافات الفرنسية لـ "لافونتين"، ومنهم الشاعر أحمد شوقي، ومحمد عثمان جلال، وإبراهيم العرب، ولافونتين كانت مثار اهتمام شعراء مصريين فقط، لكن اللبنانيين لهم سهم في ذلك. فالشاعر الأب نقولا أحد هؤلاء حرس على ترجمة لافونتين ترجمة وافية. إذ تزخر خرافات لافونتين بخرافات أخرى من الأدب الكلاسيكي

⁶⁵² - سعيد زكريا، خرافات لافونتين في الادب العربي، 1976 مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية، ص 118.

⁶⁵³ - نفسه ص3- 4 .

⁶⁵⁴ - نفسه، ص 118 .

⁶⁵⁵ - نفسه، ص 8 .

⁶⁵⁶ - نفسه، ص9.

⁶⁵⁷ - نفسه، ص24 .

اليوناني والروماني، إنه نموذج خرافي دخيل على العربية يحترم النثر والشعر. وتحدث محمد مفتاح عن الرمز الحيواني في سياق آخر من خلال نماذج من كرامات أبي يعزى، ووقف عند هذا في "التلقي والتأويل"، فقد كانت الحيوانات رمزا للسلطة في حالة الصراع مع الشيخ، فتسند للحيوانات صفات ذميمة سيئة تخدم سياق التوتر والصراع، ولما تتحسن الأوضاع تصير الحيوانات إيجابية متجاوبة مع السلطة لتعكس سياق التوازن بين الولي والسلطة. فقد وجدت الرمز الحيوان موظفا في الخرافات والكرامات، وهذا الجانب يمكنني التوسع فيه في مطلب مخصوص بالرمز أو الصورة داخل الكرامات الصوفية الصحراوية.

خصائص الكرامة	الأنواع الحديثة	الأنواع القديمة
السند		الحديث النبوي
		المقامات
الإستهلال		المثل - الخطبة - الرسالة
الحكي	القصة	
	الرواية	
الدعاء		الخطبة
البطولة	الرواية	الخرافة - الأسطورة - السير الشعبية
العجائبية	الرواية	الخرافة - الحكايات العجيبية - الأساطير

تتشابه الكرامة وتتقاطع في خصائصها مع عدة أنواع أخرى، وتحفظ لنفسها بخصائص مميزة، لذلك فهي نص من الأدب الحكائي من جنس السرد، فيستحق مسمى "نص الكرامة، أو أدب الكرامة، أو حكايات الكرامة، أو سرديات الكرامة، أو قصص الكرامات.. وهو نص مستقل بذاته أحيانا تحتضنه نصوص أخرى في كثير من الأحيان، قريب معرفيا من حقول شتى؛ منها التاريخ، والتصوف، والتراجم، والأدب، وعلم الاجتماع، والسير، وغيرها..

لذلك يمكن النظر إليه باعتباره نصا ينتمي لأنماط مختلفة ، لكنها متقاربة.

النص الكرامي :

➤ نص قرآني

➤ نص حديثي

➤ نص من الخبر (أخبار الصحابة والتابعين)

➤ نص أدبي صوفي

➤ نص أدبي عجيب

➤ نص حكائي

➤ نص سردي ، وصفي ، حوارى

➤ نص قصصي

رابعاً : الكرامة وإسناد الخطاب

يرى عبد الفتاح كيليطو أن الأنماط الخطابية أربعة بالنظر إلى السند⁶⁵⁸؛ 1. متكلم يتحدث باسمه (الرسائل - الخطب - الأنواع الشعرية التقليدية) 2. متكلم يروي لغيره (الحديث - كتب الأخبار) 3. متكلم ينسب لنفسه خطاب لغيره 4. متكلم ينسب لغيره خطابا هو منشئه. وتكون الكرامة، من هذا المنطلق، خطابا مرويا بنسبة غالبا صحيحة حقيقية واقعية. والراوي قد يروي لغيره أو لنفسه، أو يقدم ما رواه غيره لنفسه، لأن شخصياتها في السند والمتن واقعية لها مرجعية ثقافية أو دينية أو تاريخية تعيش داخل النص على الورق وخارجه، ويتحقق هذا في سند الحديث⁶⁵⁹، ويظهر جليا في الكرامات والمقامات أيضا..

⁶⁵⁸ - الأدب والغربة، ص 30.

⁶⁵⁹ - كيليطو عبد الفتاح ، الأدب والغربة ، ص 32 .

فالاستشهاد بخطاب الماضي، وذكر الوسطاء أي سند الرواة عادتان فكريتان متكاملتان⁶⁶⁰،
لهما أهمية كبيرة في بناء النص الكرامي. وقد تكون الكرامة من النوع الرابع إذا كانت مزيفة
أو منسوبة، وهذا يتحقق أكثر في الشفوية منها.

660 - نفسه، ص 34 .

الفصل الثاني : الوظائف الكرامية

أسس "فلاديمير بروب" رائد الشكلانيين الروس في أوائل القرن التاسع عشر لعلم السرد، في كتابه "مورفولوجية الخرافة"، حيث درس الخرافة من حيث مكوناتها البنيوية الثابتة، بعزل عناصرها الثابتة عن المتغيرة، ليكشف عن النسق البنيوي الذي يحكمها، مفعلاً مرجعية لسانية، يبحث عن الاسناد الفعلي الثابت، ويتخلى عن المكملات. وكانت الوظائف أفعالاً لها دلالة في المسار السردى للحبكة، تقوم بها شخصيات فاعلة، وتتربط في متواليات داخل نفس الحكاية. عدد "بروب" إحدى وثلاثين وظيفة، تتألف داخل ثلاث متواليات متتابعة، تكون في تركيبها حكاية، وقد أفاد كريماس وكورتيس من مجهودات بروب وطورها في دراسة العوامل، كما اختصر كريماس الوظائف، واختزلها في بنية رباعية، لذلك فالشكلانيون الروس مهدوا جيداً للدراسات السردية والسيمايائية التي تطورت فيما بعد. وقد قارن بروب الأجزاء الثابتة بالمتغيرة في بناء الحكاية، فالوظائف أجزاء ثابتة، تحقق نسقاً بنيوياً، يتحكم في معظم الحكايات، تحدد الوظائف من خلال دلالتها في سيرورة حبكة الحكاية، وتتألف في متواليات سردية، الوحدات السردية الأساسية التي تندرج ضمنها الشخصيات، الوظيفة لها معنى في الفعل الذي تقوم به الشخصية في مسار الحبكة السردية، لها فاعل يقوم بها، وكل ذلك له معنى عندما يضمه خطاب له قوانين تحكمه. ولا يمكن إسقاط الوظائف كما وردت في منهج "بروب" على النموذج الكرامي، الذي له خصوصياته، لذلك تتسم الوظائف الكرامية بمحدوديتها التي تترسخ في جل النماذج، لأن أغلبها مقاربية، إذ يمكن تجميعها في وظائف قليلة هي الأبرز في مختلف النماذج الكرامية، وبخاصة منها الصحراوية، فعدد من الوظائف تتسجم مع الشخصية والثقافة الصحراوية التي تحتضنها، وتتجه. وتكون عدة وظائف منها متوالية، أي مقطع سردى، فالمتوالية مجموعة من الوظائف المتألفة، وعدة عناصر مساعدة، تتوزع حسب الشخصيات، ويكسر نسق التوازي والتكرار ثوابت الحكاية. حدد بروب إحدى وثلاثين وظيفة، تتوزعها ثلاث متواليات، ورتبها على التوالي، تكون عند تفاعلها سبع دوائر تصنف حسب شخصيتها الفاعلة، إلى سبع شخصيات هي: - المعتدي، والواهب، والمانح،

والمساعد، والمساعد، وموضوع البحث، والمرسل، والبطل، والبطل الزائف. وعدد بروب إحدى وثلاثين وظيفة لما درس الحكاية الخرافية، ورتبها على التوالي، تكون عند تفاعلها سبع دوائر تصنف حسب شخوصها الفاعلة، ومن الوظائف، التحري مقابل الإخبار، والخداع ضد الخضوع، والنقص ضد تعويضه، والإساءة ضد تعويض الإساءة، والتكليف ضد إصرار البطل، والذهاب ضد العودة، والخضوع ضد مجابهة التجربة، والحصول على المساعدة، والانتقال، والصراع، والاضطهاد، وادعاء المسيء، وتقنع البطل، والخضوع لمهمة صعبة، والقصاص مقابل الزواج. أما المتغير فهو المتحول في البنية الحكائية، ويتعلق بالشخصية من حيث جنسها وسنها ووضعيتها ومظاهرها الخارجية. تحقق الكرامة عدة وظائف، تتفاوت من حيث حضورها، فمنها البارزة ومنها الباهتة، وأهمها؛ الاستبدال، والنأي، والمنع، وانتهاك المنع، والإختبار، ورد فعل البطل، وعقاب البطل الزائف، ومكافأة البطل الحقيقي، والحاجة وسد الحاجة، والخطر والتجاوز، والإساءة وإصلاح الإساءة. له كرامات منها، أو "من كراماته". وتأتي الوظائف بعد الوضعية البدئية أو التمهيدية؛ وهي وضعية هادئة يتم فيها ذكر السند أو تفتح بعبارات من مثل". وقد عرفت نظرية بروب امتدادات مع ليفي ستروس الفرنسي، الذي اختزل الوظائف الثنائية إلى أزواج رباعية، على اعتبار أن الوظائف هي تحولات لوظيفة واحدة، وقد عرض بنيات الوظائف ومجال تحولاتها، واشتغل سوريو على العوامل بخلفية سيميائية فلكية، بمفاهيم فلكية (الاسد - الشمس - الارض - المريخ - الميزان - القمر)، وقد حدد سوريو العناصر العاملة: الموضوع - البطل - البطل المضاد - المرسل - المرسل إليه. أما كريماص وقبلة شارل فيلمور، فقد حدد العوامل الستة والمحاور الثلاثة؛ التواصل، والرغبة، والصراع. وألف كريماص "علم الدلالة البنيوي" 1966. واشتغل بالنحو السردي، وأما كورتيس فاشتغل بمفهوم العامل. وهكذا نقول إن الوظيفة لها معنى في الفعل، والوظيفة لها فاعل يقوم بها، وكل ذلك له معنى عندما يضمه خطاب له قوانين تحكمه. وقد عدد بروب إحدى وثلاثين وظيفة لما درس الحكاية الخرافية، ورتبها على التوالي، تكون عند تفاعلها سبع دوائر تصنف حسب شخوصها الفاعلة. وقد جرب عدد من

الدارسين الذين دعوا إلى جعل النص منطلقا للوظائف تطبيق الوظائف على الكرامات، كما دعوا إلى انتقاء الملائم منها، حسب ما يقتضيه السياق، ويحضر في النص، علما أن الخرافة نوع قريب من الكرامة في عناصرها المكونة.

وتحقق الكرامة عدة وظائف، نجد نصيبا منها، يتفاوت في حضوره بين الكرامات فمنها ما يحضر بقوة ومنها ما يظهر باهتا. فأهمها تلك التي سنبسط تجلياتها في النص الكرامي الصحراوي وهي؛ الاستبدال، والنأي، والمنع، وانتهاك المنع، والإختبار ورد فعل البطل، وعقاب البطل الزائف، ومكافأة البطل الحقيقي، والحاجة وسد الحاجة، والخطر والتجاوز، والإساءة وإصلاح الإساءة،.. فهذه أهم الوظائف التي تتجلى في الكرامات الصحراوية.

"الاستبدال" تحدث محمد أبو الفضل بدران عن نظرية "الاستبدال" في الكرامات الصوفية سيرا على خطى بروب، وهذا وارد في كرامات القرة؛ فالشيخ يعيد ميتا إلى الحياة، وينقذ الإبل من العطش و يخرج الجن من زوجه..

أولا :وظيفة النأي

المعنى النووي للنأي هو التنقل، تحمله كلمات أخرى مذكورة في الكرامات الصحراوية من مثل السفر، والارتحال، والزيارة.. وتتصدر هذه الوظيفة أحداث الكرامة في أغلب نصوصها، لتكون إشارة بانطلاق خيط الأحداث، التي تتحول من وضعية بدئية لوضعيات مختلفة. يحرك الشيخ النأي باستمرار، منتقلا عبر أماكن متنوعة متعددة، متوصلا مع الآخر الله والناس، منفتحاً عليه مقبل على الاكتشاف، له قدرة وحكمة وتواصل وإقبال على الاكتشاف والمعرفة باستمرار، وتعج النصوص الكرامية بأفعال تعبر عن النأي منها (سافر، ورحل، وارتحل، وحج، وزار، ونأي، وسار، وقدم، وذهب، وجاء...وعرج، واختلى بنفسه)، إذا وقفنا عند وجهة النأي وجدناه عموديا روحيا، عبر العبادة أثناء خلوة الولي، أو عبر الطيران حيث يزور أماكن عديدة، وتقع له أحداث بها، ويلتقي بشخصيات في مدة قصيرة، وجسده مازال في مكانه، أو أفقيا في الواقع. ومن الكلمات الدالة عليها أيضا "الارتحال"،

وغالبا ما تتصدر هذه الوظيفة أحداث الكرامة، التي تنتقل من وضعية بدئية لوضعيات لاحقة، فهي تعطي إشارة بانطلاق خيط الأحداث. إذ يحرك الشيخ النأي في الكرامة، وله صفات تؤهله لذلك من قدرة، وحكمة، وتواصل، وإقبال على الاكتشاف، والمعرفة باستمرار، لذلك نجد النص حافلا بأفعال الحركة والتنقل من مثل؛ سافر، ورحل، وارتحل، وحج وزار، نأى وسار وقدم، وذهب، وجاء. ويبيث النأي الحركة في محتوى الكرامة بمكوناتها، وهذا حاصل متكرر في جل كرامات قرة العينين، داخل الصحراء، وداخل الوطن وخارجه، أينما حل وارتحل الشيخ فهو دائم التأثير والتغيير، إذ كلما حصل الانتقال حصلت ظروف يتفاعل معها الشيخ، فتقع الكرامة. وارتبط التنقل والترحال بالإنسان منذ وجوده على وجه الأرض، فالحياة والمعرفة تتحقق بالسفر بالانتقال من السكون للحركة. فالنأي حاجة في الضمير الجمعي للإنسان تحقق رغباته وأهدافه تدفعه إلى الحركة والرقي الدائم. وتعتبر الرحلة عن النأي بقوة، فهي سلوك متجذر في الثقافة الصحراوية، وحياة البدو، ومجالها قد يضيق أو يتسع حسب وجهتها. وتتعدد أشكال النأي في الكرامة الصحراوية إلى ما يلي: نأي الزيارة ويكون نحو الأهل، والأقارب، والأصحاب، والشيخوخ، والتلاميذ "...أنه كان في سفر مع أظرف تلاميذه..."⁶⁶¹، ويتجلى هذا في القرة في أمثلة عديدة من قبيل؛ (ان زيارته يسار لها)⁶⁶²، (أنه كان مسافرا إلى أبيه)⁶⁶³، (...أنه، كان في بعض أسفاره، ...لما نزل بمحلة ابن عمه)⁶⁶⁴، (...أنه لما سافر من عند...)⁶⁶⁵، سفر إلى الأهل (أنه لما سافر من عند أهله إلى بلاد الساحل بعد مجيئه من الحج)⁶⁶⁶، (إذا أراد أهله الرجيل)⁶⁶⁷. ومن النأي؛ سفر الشيخ أو مريده إلى الحج (مريده الشيخ الأمجد، لما قدم من الحج أهدى له سبحة حسنة

661 - الكنتي محمد، قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين، ورقة 37-38.

662 - قرة العينين، ورقة 16.

663 - نفسه ورقة 128.

664 - نفسه ورقة 30.

665 - نفسه ورقة 125.

666 - قرة العينين، ورقة 125.

667 - نفسه، ورقة 127.

أخذها من المشرق)⁶⁶⁸، وقد تترادف عدة جمل تعبر عن استمرار وتوالي النأي؛ .. أنه لما سافر من عند أهله، راجعا إلى بلاد الساحل، بعد مجيئه من الحج..⁶⁶⁹. قد يأتي النأي روحيا معنويا دون جسد يتصف بالقدسية، كما هو الحال في العروج إلى السماء العليا، أو ما يعرف المعراج الولائي، نأي غير محدد الوجهة والغرض، نأي روحي فيه ارتقاء نحو الأعلى. نأي عبر الرؤية الصالحة (فرأى النبي في المنام)⁶⁷⁰، (كان مسافرا مع شيخنا)⁶⁷¹، وقد ينأى الولي بنفسه لخلوة التعبد والذكر، والصلاة. وتعكس قوة حضور الأماكن الصحراوية المرجعية في النص، يعكس قوة حضور وظيفة السفر في هذا النطاق، كما يظهر في جمل عدة من نصوص القرّة؛ (زمن إقامته بتاجكانت؛ أو قدومه إلى تلك البلاد)⁶⁷²، (فلما سمع بقدومه إليه سمع بتهييء الكرامة وتحصيل قراه)⁶⁷³، (..أنهم كانوا في البادية)⁶⁷⁴، (أنه لما نزل بقرية داغريجيت بعد مسيره عن شيت)⁶⁷⁵، (...الرحيل إلى بئر أنزران)⁶⁷⁶، (عند مجيئهم له بالسمارة)⁶⁷⁷، (..أنه غاب عن أهله بالساقية الحمراء)⁶⁷⁸، (شيخنا أرسله إلى والدته .. في الحوض)⁶⁷⁹، " ..أنه سافر في غير إلى بلاد السودان أيام ..النصارى.."⁶⁸⁰. ويتم السفر غالبا مع الجماعة، وفيها الولي وأتباعه؛ كما ورد في ما يلي؛ (عند الساقية الحمراء.. قال لهم الرحيل فارتحلوا وقطع بهم الوادي..)⁶⁸¹، (كان في سفر من أظرف تلاميذه وأليقهم بالمرافقة)⁶⁸²، (أنه كان في بعض أسفاره)، (..فألح عليه التلاميذ يطلبون الرحيل إلى بئر

668 - الكنتي محمد ، قرّة العينين، ورقة 189.

669 - قرّة العينين، ورقة 125.

670 - نفسه ، ورقة 209.

671 - نفسه ، ورقة 211.

72 - نفسه ورقة 18.

673 - نفسه، ورقة 23.

674 - نفسه، ورقة 25.

675 - نفسه، ورقة 57.

676 - قرّة العينين ، ورقة 52.

677 - نفسه، ورقة 139.

678 - نفسه، ورقة 198.

679 - نفسه، ورقة 197.

680 - نفسه، ورقة 208.

681 - قرّة العينين ، ورقة 32.

682 - نفسه، ورقة 37-38.

أنزران)⁶⁸³، (مرحبا بك)⁶⁸⁴، (كان مسافرا مع شيخنا)⁶⁸⁵، (أنه قدم عليه .. كان مسافرا ومعه رفقته)⁶⁸⁶، (سرا .. كلما دنوا)⁶⁸⁷، (فأتاه لزيارته)⁶⁸⁸، (عند مجيئهم له بالسامرة)⁶⁸⁹، (فقدم عليهم بعض قبيلة إدويلال)⁶⁹⁰، (ومن ذلك أنه كان مسافرا ومعه قوم من الدهامشة)⁶⁹¹، (في السفر الجماعي نجد حضورا لأسماء القبائل الصحراوية، والنأي قد يتم بصحبة نسائية، (فسارتا مع شيخنا .. ليوصلهما لمحل أمنهما)⁶⁹² . وقد يكون السفر سياسيا فالولي يسافر للقاء سلطان البلاد (أنه قدم إلى السلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان بعد إرساله إليه)⁶⁹³، و (حين قدومه إلى السلطان مولاي الحسن)⁶⁹⁴، " . قدم على مراكش، قافلا من عند السلطان، مولاي عبد العزيز بفاس، ومولاي عبد الحفيظ، إذ ذاك خليفة لأخيه بمراكش .."⁶⁹⁵ . وقد يكون النأي عكسيا يقوم به قادم إلى الشيخ من وجهة عكسية بسبب حرب عند قدوم جيش من الشرق مثلا؛ (جيشهم نزل بناحيتنا بالساقية الحمراء .. فجاء الندير إلى شيخنا هؤلاء أعاجم الشرق)⁶⁹⁶، (لا يفارقه حضرا ولا سفرا)⁶⁹⁷، (وصلت إليه في أرضه ثلاثة)⁶⁹⁸ . وهو سفر داخل البلاد (ونحن حينئذ في أرض زمور)⁶⁹⁹، (أتاهم رجالان من

683 - الكنتي محمد ، قرّة العينين ، ورقة 52.

684 - نفسه، ورقة 54.

685 - نفسه، ورقة 211.

686 - نفسه، ورقة 135 .

687 - نفسه، ورقة 137.

688 - نفسه، ورقة 138.

689 - نفسه، ورقة 139.

690 - نفسه، ورقة 141.

691 - نفسه، ورقة 144.

692 - نفسه، ورقة 130.

693 - نفسه، ورقة 56.

694 - قرّة العينين ، ورقة 49.

695 - نفسه، ورقة 135.

696 - نفسه، ورقة 184.

697 - نفسه، ورقة 193.

698 - نفسه، ورقة 194.

699 - نفسه، ورقة 195.

قبيلة الرقيبات (700)، (شيخنا أرسله إلى والدته . في الحوض) 701. أو خارجها في أحيان قليلة؛ (سافر في غير إلى بلاد السودان) 702، محدد الوجهة أو غير محدد (أنه قدم من بعض أسفاره) 703. فالسفر محفز لتحريك وتفعيل الحكي، ينقل حركة روحية ومكانية، توازيها دينامية وتجدد في مكونات المحكي، وخاصة بعد وصول الولي المسافر، يحضر في الكرامة بقوة، كما في السيرة النبوية، وعديد من القصص القرآنية، وأجناس أدبية أخرى أهمها الرحلة والمقامة، والشعر القديم أيضا، فالسفر يلفت الأنظار إليه في النص من خلال وسائله وأهدافه، إذ يحقق إرتواء روحيا ونفسيا وفكريا ومعرفيا، ومن خلاله تتحقق غايات أخرى سياسية وعلمية..، فالشيخ المسافر يفتح أبواب التواصل مع الآخر، بالصحراء والمغرب والعالم العربي والافريقي.

ثانيا : وظيفة المنع

ويعني وجود احتياج وافتقار يمهد لحدوث الكرامة، وهنا يبدو المنع حالة احتياج، بعض أفعالها تسند إلى الطبيعة، ففي بعض كرامات قرة العينين يتجلى المنع في توقف المطر، والمرض والجفاف وتدهور الطقس، كما يرد في أفعال مسيئة للولي تدفعه لكبح الضرر عنه. فهي وظيفة تحرك كفاءة الشيخ، وقدراته على تجاوز المنع، وبلورته إلى تيسير. وللمنع أشكال أهمها أن يطلب الولي أمرا يحقق له الخلوة كعدم الدخول عليه أثناء خلوته. أو يطلب الشيخ من أحد المنكرين أو الأعداء كف ضرره عنه أو عن أحد أتباعه. أو يمنع مردييه أو بعضا من أهله القيام بشيء رغم أن ظاهره فيه خير، (. فلما أجمعوا على الأفول عند ربهم صاحب القرية، فسجنهم ونهب جميع ما بأيديهم) 704، وأن يمنع الشيخ أحدا من فعل معين، "أتاه شيخنا الشيخ ماء العينين، ووضع يده فوق صدره، وأخذ بمجامع قوته وهدده وقال له:

700 - الكنتي محمد ، قرة العينين في كرامات الشيخ ماء العينين، ورقة 196.

701 - نفسه، ورقة 197.

702 - نفسه، ورقة 208.

703 - نفسه، ورقة 191.

704 - الطرائف، ورقة 24.

إن لم تسرحه..⁷⁰⁵ . وألاحظ وجود الامتناع أيضا في الكرامات الصحراوية: ". وأن شيخنا دعاهما أن يكونا معه، في محله فأبيا ذلك، وامتنعا منه، فقام شيخنا رضي الله عنه ونفض عليهما ثيابه...⁷⁰⁶ . " وكان من أهل القرية حسدة للشيخ، فجاءوا إلى التجار فقالو لهم تجاهلا ممن بعثر أموالكم⁷⁰⁷ ، ". وضافت نفسي للإطلاع على حال الحاج أبي بكر فذهب إليه فاتني بخبره، فقال لا أذهب حتى يذبح كبش سمين...⁷⁰⁸ . وقد يبدو المنع فيه إصرار ". دعواني وقالوا سر معنا فامتعت من إجابتها، ثم دعواني فامتعت عملا بمقتضى ما التزمت..⁷⁰⁹ ". وقد أجلنهم شهرا فإن ارعوا عفونا عنهم، وإن أقرؤا على ما هم عليه فأخر يوم من الشهر..⁷¹⁰ ، ". أنه لا يدعو على القبيلة إلا بعد تما لها هتك حرمة الله فإذا دعا عليها استحالت دعوته، وليس هو كمن يتحرك لأدنى محرك..⁷¹¹ . ليكفاه من يده فقال لا يخرج الكبل من رجليه ولا يخلص من حبسه إلا بعد دفع آخر قراط من ديني على سائر كنانة..⁷¹² ، ". ستصل إليه مني دعوة لا يعصمها مني سور، ولا معقل فجاءه عماء، "فالتفت إليهم الشيخ رضي الله عنه وقال إن قتلوا ابنا قتلناكم به وأوقدنا عليكم باروات الحمير وإن لم نفرنا إليهم فقتلنا إليهم من حم أجله ومننا على من بقي..⁷¹³ ، ". وذلك أنه أخذ إبلا .. لشيخنا، فأخبر بعض المريدين بذلك، فقال رضي الله عنه: لم يأخذ بعدنا لأحد شيئا إن شاء الله..⁷¹⁴ ، ". أرسل له شيخنا يريد لها فنكث ومنعها مقام شيخنا من حينه..⁷¹⁵ ،

⁷⁰⁵ - بن عتيق ، سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان ، ورقة 36.

⁷⁰⁶ - محمد العاقب ، مجمع البحرين في مناقب شيخنا الشيخ ماء العينين ، ورقة 66-67.

⁷⁰⁷ - الكنتي محمد ، الطرائف الثالثة ، ورقة 98.

⁷⁰⁸ - نفسه ، ورقة 24.

⁷⁰⁹ - نفسه ، ورقة 504.

⁷¹⁰ - نفسه ، ورقة 526.

⁷¹¹ - نفسه ، ورقة 529.

⁷¹² - نفسه ، ورقة 520.

⁷¹³ - نفسه ، ورقة 541.

⁷¹⁴ - قرّة العينين ، ورقة 20.

⁷¹⁵ - نفسه ، ورقة 147.

"..قال للأمة إذا أتيت من عند المسجد بعد هذا لا تتزعي الثياب دفعة حتى ألبث هنيهة.."⁷¹⁶، ".قلت لا بد من وجود المكيال، والحجة عليه فقال لي دع عنك هذا فإنه من شبه المحال.."⁷¹⁷ ".فقال أحدهما إنه لم يرض البيع إنه لا يقبل إلا عين تمره.."⁷¹⁸ . ويبدو وأن المنع أو الامتناع وظيفتان تسندان لغير الشيخ، تدفعه إلى الفعل العكسي الإيجابي، الذي يثبت كفاءته. وهذا ما تبينه الوظيفة الموالية. يأتي تابعا للمنع ولا يحضر في جل الكرامات، لأنه قد يأتي بعد المنع الالتزام والتطبيق، ".ذبخوا شاة..وهي كانت أمانة عندهم لبعض اليتامى.."⁷¹⁹، وقد يتم بالاستجابة للولي، أي لإنجازه الكرامة، حتى يعاد التوازن بين الأوضاع المفارقة. ولهذه الوظيفة أشكال منها استجابة المريدين أو الأتباع لرغبة الولي. من مثل أن يرفض طلب الولي باعلان التمرد والتشبث بالإنكار، ولا بد قالوا كنا نرى أنكم لا تجهلون⁷²⁰ ".فقال التجار ماذا تتقاولون فيما بينكم، قالوا خيرا.."⁷²¹ ". فأخذ طائفة فأدعه عند أهلي يادمون به عشاء، فذبح الكبش، وأخذ الطابق.."⁷²² . يذكر محمد الكنتي بعد أن نهاهم الشيخ أبوهم عن امتهان القضاء دون الكفاءة ". وكانوا يأخذون الرشا ويجورون في الأحكام فهم مكبلة مغللة أيديهم.."⁷²³، ".وإذا النار تشتعل في ثيابهم وعصيمهم وأسلحتهم"⁷²⁴، ".فهاج البحر يوما وتلاطمت أمواجه، وتعالق غواربه"⁷²⁵، "وتيقنوا الهلاك وشيخنا غائب في الله لم يشعر بشيء.."⁷²⁶ .

716 - مربيه ربه ، قرّة العينين ، ورقة 183.

717 - نفسه، ورقة 195.

718 - نفسه، ورقة 196.

719 - نفسه، ورقة 126.

720 - الطرائف الثالثة ، ورقة 98.

721 - نفسه، ورقة 98.

722 - نفسه، ورقة 24.

723 - نفسه، ورقة 498.

724 - قرّة العينين ، ورقة 18.

725 - قرّة العينين ، ورقة 34، مجمع البحرين ، ورقة 179.

726 - نفسه، ورقة 34.

ثالثا :وظيفة إساءة

هي وظيفة تحدث ضد الولي، إذ يسيء له منكروه أو أعداؤه، وهي شبيهة بالمنع غير أنها موجهة ضد الولي، تحضر بقوة في الكرامات تحرك أحداثا هامة تؤكد مناقب عبر أحداث كثيرة، ولها أشكال أهمها: يمكن أن يسيء الولي لأحد قصد تأديبه. كما يمكن أن يكون المسيء طرف آخر يلحق الإساءة بالولي. ويمكن أن يكون مصدر الإساءة هو افتقار طبيعي: جفاف، أو ارتفاع حرارة.. أو اقتصادي: غلاء، أو صحي: مرض أو وعكة صحية، أو يكون افتعاليا، يحتده أحد المعتدين، "وإذا الإبل ابتلعتها سبخة إلى الأكتاف.."727، ..فأغاروا على الإبل، وأخذوها بما عليها.."728، ..توعد بنتي مكي، وحلف بالأيمان المغلظة أن يمثل بهما ..وبين القبيلتين العداوة من قديم.."729، "أنه قدم عليه أحمد بن سيد أحمد، ..وقد طرده بن عمه أحمد بن محمد.."730، "فأرأو إيلا من حي شيخنا وعزموا على أخذها.."731، بعض نسائه كانت لها جوهرة مثمرة فأتقى تكسرها إلى خمسة أجزاء، فحزنت.."732، "ما وقع سنة ثلاث وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، لما نزل وباء الجدري بأرضه.."733، "كلما حضرت ولادتها عسرت عليها، ولا يخرج منها الجنين.."734.

رابعا : وظيفة اختبار

توجد كرامات يوضع فيها الولي تحت الاختبار والتجربة، عن طريق تحديه، أو اتهامه بالكذب، أو مواجهته، مما يصعب مهمته ويدفعه إلى تحقيق الكرامة بغرض الإقناع. يوضع الشيخ الولي في اختبار للتحقق من ولايته وكفائته، ومدى قدرته على تدبير الأمور. وقد

727 - مجمع البحرين، ورقة 33.

728 - نفسه، ورقة 128.

729 - نفسه، ورقة 130.

730 - نفسه، ورقة 134.

731 - نفسه، ورقة 135.

732 - مجمع البحرين، ورقة ص 169.

733 - نفسه، ورقة 199.

734 - الضياء المستبين، ورقة 259.

يكون الاختبار هو مدى توفيق الولي في مجاهداته النفسية، وصبره للمحن. وقد يأتي الاختبار في شكل استغاثة فردية أو جماعية للخروج من أزمة. وقد يكون الاختبار ربانيا جوانيا يكشفه الولي عن نفسه. "فمن تولى القضاء بعدي فقد سفه نفسه.."735، "لا بد أن نختبر أينا أشد بطشا.."736، "شرح في تهيئة الكرامة وتحصيل قراه وتمهيد البناء، وتطهير الفراش.."737. "فانقلب إليه رجل، وقال له إن لم تغث هذا الخلق ضمنته، فقال له: لماذا، فقال له كأنك قادر على تخليصه من الغرق.."738، و "كأنه يمازحه باستبعاد الشفاء. إن اشفاني الله مشيت معك،.. فقال له شيخنا: قم نفعل ذلك.. فطأعه"739، فاتاه أحد التلاميذ يريد أن يفسر عليه أبياتا من "قصيدة البوصيري.."740، "توفي حتى تيقن من حضره وفاته،.. وقالت له: مستشفعة بكم لله أن يحييه لي،.."741، "أن ابنته العالي، كانت جالسة معه،.. فقالت له: أرني إحياء الموتى مشاهدة.."742، "فأرني شيئا أعرف به شرف الإسلام.."743، "إني مستشفعة بك أيحييه.."744، "وأتوه رضي الله عنه به محمولا في ثوب وقد أغمي عليه.."745.

خامسا : وظيفة مكافأة البطل الحقيقي وعقاب الزائف

ترد هذه الوظيفة في بعض الكرامات بحيث يتقصد منكر ولاية الشيخ إذابته، لكنه يفشل، ويعاقب، ويسخر ذلك لتأكيد قوة الشيخ أمام الجمهور، فيعاقب المنكر المؤذي معاقبة

735 - الطرائف الثالثة، ص 498.

736 - مجمع البحرين، ورقة 174. قرّة العينين ورقة 23.

737 - نفسه، ورقة 174.

738 - نفسه، ورقة 34.

739 - نفسه، ورقة 56.

740 - نفسه، ورقة 138.

741 - نفسه، ورقة 142.

742 - قرّة العينين ، ورقة 142.

743 - نفسه، ورقة 200.

744 - سحر البيان، ورقة 52.

745 - نفسه، ورقة 53.

البطل الزائف. وأشكالها هي: فشل البطل الزائف، المعتدي. إلحاق العقاب بالبطل الزائف، و"أن مات بعد ذلك بأعوام مقتولا.."⁷⁴⁶، و"وقرأ سرا بنية الانتقام من أبيها، فأخذها الله في الوقت، وماتت من غير مرض.."⁷⁴⁷، و"فما لبث الرجل إلا قليلا، وإذا الغارة الشعواء، فرحلت به فاكتسحت إليه نسأل الله السلامة.."⁷⁴⁸، و"فأنتهما ضيع وأخذت مدفع الرجل الذي نقض البيعة، وكان ثمينا عند صاحبه.."⁷⁴⁹، و"فاستحال الجمل وصاحبه تريا.."⁷⁵⁰.
تعلو قيمة الشيخ، وتتأكد ولايته، وترقى مكانته عندما ينتصر على جل المعاكسات، وهذا ما تسعى لإثباته الكرامات، والمناقب، والتراجم، وبالتالي يؤكد مقولة الإنسان الكامل النموذج الذي يسمو لأعلى الدرجات الروحية، والمقامات التعبدية. ولهذه الوظيفة أشكال في النص الكرامي: اعتراف المنكر بولاية الشيخ، أن يتشبت الشهود بالولي، ازدياد عدد المريدين والأتباع، و"فقال له السلطان أنت أحسنهم.."⁷⁵¹، و"فكان من قدر الله أنها ولدت ابنته سعاد وكانت تقية نقية برة.."⁷⁵²، و"ولم يبق إلا الثوب المتولى جسده الشريف إذا بأضواء تخرج منه مع العرق بادية.."⁷⁵³، و"أن شيخنا حس عن جنبيه وأضاء البيت نورا.."⁷⁵⁴، و"وما رزقه الله من الفتح والنجح بسبب لا يعلمه إلا الله تفضل عليه به.."⁷⁵⁵ "وما حكاه شيخنا تحدثا بنعمة الله تعالى، أنه وصلت إليه في أرضه ثلاثة كتب بلا واسطة،.. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.."⁷⁵⁶، و"فصدق الله ببركاته وأجاب دعواته.. ضرره عن تلك البلاد جميعا.."⁷⁵⁷، و"كان يشتكى عينيه، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

746 - قرّة العينين، ورقة 134.

747 - نفسه، ورقة 147.

748 - نفسه، ورقة 191، مجمع البحرين، ورقة 170.

749 - نفسه ورقة 191، مجمع البحرين، ورقة 196.

750 - الطرائف الثالثة، ورقة 500،499.

751 - قرّة العينين، ورقة 93.

752 - قرّة العينين، ورقة 147.

753 - نفسه، ورقة 183.

754 - نفسه، ورقة 190.

755 - قرّة العينين، ص 193.

756 - نفسه، ورقة 194.

757 - نفسه، ورقة 199.

ومعه أبوه..⁷⁵⁸ . فجل كرامات البطل تتضمن هذه الوظيفة ". جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة . وكل عدل ومن الورع والتقى والاستقامة مالم يكن عند أحد..⁷⁵⁹ ، و". وجل كراماته شدة استقامته..⁷⁶⁰ ، و". تسبيح شعره رضي الله عنه..⁷⁶¹ ، و". فإذا هو على حاله . الكرامة التي أوتيتها ابنك الصبي، لا يوتها إلا أكابر أولياء الله ..⁷⁶² .

سادسا : الافتقار

يلبي الولي رغبات وحوائج الناس، فالقدرة الخارقة تسد الحاجات وتصحح وضعيات، لتحقيق المدد. مات أبو الأذنير في خيمة ضيقا⁷⁶³، و.. وقد تم ظمأ الإبل..⁷⁶⁴ . الافتقار إلى الماء ". فاتفق يوما أنه لم يجد إداما⁷⁶⁵، و.. أرسلوا راوية فأبطأت عليهم، واشتد حر النهار حتى أيقنوا بالهلاك، وكادت الإبل تنقطع أعناقها⁷⁶⁶، و "قد حل بأهلها من القحط ما لا يطاق، حتى كادت الأنعام تهلك، والجنان تهيج"⁷⁶⁷، وسال من ذلك المطر سيلا شديدا احتمل فيها الأشجار، وملاً البلاد جميعا⁷⁶⁸، و ". فانكسرت رجل تلميذ له..⁷⁶⁹، و ". يحفرون بيرا، .. وكلما نقل الحافر شيئا .. انهالت جوانبها إليه .. إذ تعرضت لهم صخرة عظيمة .. فضاق بهم الخناق..⁷⁷⁰، و ". أنه أدخله في بيت في ليلة شديدة السواد، ولم يجد

758 - قرّة العينين ، ورقة 211.

759 - نفسه، ورقة 215.

760 - سحر البيان، ورقة 50.

761 - نفسه، ورقة 51.

762 - الضياء المستبين، ورقة 246.

763 - قرّة العينين، ورقة 20-21، مجمع البحرين، ورقة 171.

764 - قرّة العينين، ورقة 25.

765 - نفسه، ورقة 25.

766 - قرّة العينين، و 30.

767 - نفسه، و 30.

768 - نفسه، و 32.

769 - نفسه، و 38.

770 - نفسه، و 40.

سراجا، ولا ناراً..⁷⁷¹، و..أنت رياح شديدة عمت الأفق..⁷⁷²..ويفتقرون معها قبل أن يمسوها، وذلك أنه يأخذها إغماء عند دخولهم عليها..⁷⁷³..وكان بعض قواده مجذوماً..⁷⁷⁴..كان لنا مكيال من نحاس..فنسيناه في بلاد أدرار، ونحن في أرض أزمور..⁷⁷⁵..أنت رياح شديدة عمت الآفاق..⁷⁷⁶..سقط وهو صبي من فوق جبل من أعلى جبال تيرس يسمى بوقطاي فأدمت الحجارة أكثر أعضائه، وكادت أن ترضها حتى إن إحدى عينيه سال مأوها..⁷⁷⁷..وكانت السباع لا ترعى لها بقرا ولا عجولا وربما دفعوا عن المحلة وأخذوا منها الصيد..⁷⁷⁸..فأنته فرس عظيمة تستق، فوضعت رجليها على بطنه..⁷⁷⁹..أن أخاه محمد ناجح كان مألوماً بمرض شديد، مات منه حتى انقطعت روحه، وفارق الدنيا..⁷⁸⁰.. وهكذا لا يمكن النظر إلى وظائف الكرامات بعيداً عن الخطاطة السردية العملية التي تبرز أهمية الذات الفاعلة الشيخ الولي التي لها أهلية تميزها، وتجعلها قادرة على القيام بأفعال كثيرة ووظائف عديدة.

سابعا : الإنجاز

لحظة مكونة من سلسلة ملفوظات: المواجهة، الهيمنة، المنح، الإنجاز اللفظي، ومنه تكليم الله، وتكليم الحيوان، وتكليم الجن، وتكليم الرسول والدعاء..

⁷⁷¹ - مربيه ربه ، قرّة العينين ، و 42.

⁷⁷² - نفسه، و 42.

⁷⁷³ - نفسه، و 54.

⁷⁷⁴ - نفسه، و 56.

⁷⁷⁵ - نفسه، و 195.

⁷⁷⁶ - سحر البيان، و 52.

⁷⁷⁷ - نفسه، و 53.

⁷⁷⁸ - الضياء المستبين، و 165.

⁷⁷⁹ - نفسه، و 246.

⁷⁸⁰ - نفسه، و 326.

يثبت الشيخ قدراته وكفاءته دائماً، ويتغلب على المعاكس والمعرقل، فينجز أفعالاً كرامية ليحقق نجاحه وانتصاره، تفادياً للتهمة والانتكار، وغالباً ما تيسر له الوسائل من دعاء وذكر ورقية شرعية تساعده في إنجاز الكرامة. ويمكن أن نسميها "حل الاختبار وتفسيره"، وغالباً ما يكون رد الشيخ إيجابياً، وهذه الوظيفة تشمل وظائف أخرى منها "تلقي واستلام الشيء" و "الانتصار وانهزام الخصم" و "إصلاح الافتقار" و "النجدة" و "إنجاز البطل للمهام". ولهذه الوظيفة أشكال أهمها، نجاح الولي في الاختبار، وارتقاؤه في المقامات، ومعرفة الولي بالمنح الربانية التي نالها، وتراجع الاعداء عن إيذاء الولي. و "وأمسكها بيده الكريمة ساعة خفيفة، فقال قم.. واستقل قائماً.."⁷⁸¹، و "كانت مريضة، لم تقم.. وعند مجيئه وقفت حتى اعتدلت،.. وأبصرت،.. ورجعت على حالها.."⁷⁸²، و "ويقول: الآن استجاب الله دعاء.."⁷⁸³.. هاتان المرأتان دخلتا علي بلا علم مني، وأنا على جناح سفر، وهما في حرمي.."⁷⁸⁴، و "فضمن له الإمارة، وشرط عليه ألا يهتم بغدر ابن عمه.."⁷⁸⁵، و "فقال لي شيخنا: من لا يضمن على الله، فإني ضمننت له ما أراد.. فبويع له العلم الفذ.."⁷⁸⁶، و "لا يأتيك أحد، يريد قراءة شيء من العلم، إلا قرأته إياه، فعلم أن شيخنا اطلع على ما قال.."⁷⁸⁷، و "فقال له شيخنا: "لابأس ولا يكون إلا الخير.. وإذا بالأمة تغسل جسدها، وما بها من علة.."⁷⁸⁸، و "فرقاه شيخنا وضمن له الذرية.."⁷⁸⁹، و "فما لبث أن خرج له شيخنا من المكان المبني له بشراب من عسل فشربه.."⁷⁹⁰، و "سمع ذلك الصوت من

⁷⁸¹ - قرّة العينين، و 37-38. مجمع البحرين، و 179.

⁷⁸² - قرّة العينين، و 57. مجمع البحرين، و 173.

⁷⁸³ - قرّة العينين، و 61.

⁷⁸⁴ - نفسه، و 130.

⁷⁸⁵ - نفسه، و 134.

⁷⁸⁶ - قرّة العينين، و 135.

⁷⁸⁷ - نفسه، و 138.

⁷⁸⁸ - نفسه، و 139.

⁷⁸⁹ - نفسه، و 147.

⁷⁹⁰ - نفسه، و 211.

الإبريق مرات، وقد نقل ذكر الإبريق نقلا مستقيضا..⁷⁹¹، و "أحياؤه لابن بنت عبد السلام ابن أخيه السيد بتاج بن الشيخ الطالب.."⁷⁹²، و "فرد إليه شيخنا ماء العينين.. بصر عينيه.."⁷⁹³، و "أصبحوا رابضين بنواحي خيمتها لا يذعرون لها عجلا ولا بقرا ولا حملا.."⁷⁹⁴، و "كان يأتي النار العيمة الشديدة الوفيرة فيجلس فيها ثابتا ساكنا حتى تطفأ.."⁷⁹⁵ و "دعا زوجها وأمره أن لا يطلقها، وأخبره أن سيقيل الله عثار ذريتها، فما عسرت عليها ولادة بعد.."⁷⁹⁶، و "فوضع يده عليه ثم أهوى اليد، ونفخ في أنفه، فتحرك فجعل ينفخ في أنفه، ويسوق الروح بيده الشريفة إلى سائر البدن فيتحرك.. حتى أحياه الله.."⁷⁹⁷، و "فاطلع الشيخ على خاطره.."⁷⁹⁸، و "دعا الشيخ عبدا وأمره أن يجعل حجابا بينهم مع الناس، وجعل العبد يطلب ويحمل الأقداح..، قال اشربوا.."⁷⁹⁹، و "طيران التوجي ومشيه رضي الله عنه رويدا رويدا.."⁸⁰⁰، و "فتشكل رضي الله عنه شكلا دوريا نورانيا.. فجعل يدور دوران الرحي بالمكان والأنوار تستطيل عنه، وتستطير حتى حفر بالمكان حفرة فذاب ذلك الشكل ماء تتخافى أنواره، فألهمت أنه مدد إلا الأنوار التي منه استتارتها.."⁸⁰¹، و "و طرت مشرقا.. حتى مررت بمصر، والحرمين، والشام، والعراق، وسجستان، وما وراء ذلك إلى صين الصين إلى ما وراءه.."⁸⁰²، "فطار السلف ثم طفنا بمشارك الأرض ومغاريها.."⁸⁰³. يظهر بجلاء من خلال البرامج السردية التي تظهر

791 - سحر البيان، و 51.

792 - سحر البيان، و 52.

793 - نفسه، و 53.

794 - الضياء المستبين، و 165.

795 - نفسه، و 167.

796 - نفسه، و 259.

797 - نفسه، و 326.

798 - نفسه، و 334.

799 - نفسه، و 335.

800 - الطرائف الثالثة، و 500.

801 - نفسه، و 501، 502.

802 - نفسه، و 500.

803 - نفسه، و 500.

الأحداث، والتي لا يمكن توضيحها خارج البرنامج، ومن خلال خطاطات موضحة تضم الحالات السردية، وعناصر العوامل الجزاء، خطوة نهائية في السرد، وتوجد العوامل المساعدة التي تتجلى في أهليته الروحية، وولايته، وإيمانه، وقدراته الخارقة، وأتباع من مريدين وطلبة، والمعاكسة التي تبعده عن تحقيق موضوعه باستمرار، وهي عديدة منها الأحوال الطبيعية المرض والجن والموت، الجغرافية الصعبة، وأعداء الوطن، والمعارضون المنكرون للكرامة اعتقادا وفكرا، والمعادون للولي شخصا وطريقة. وأما المرسل فهو ولاية الشيخ وحاجة مجتمعه، والمرسل إليه المستفيد من الكرامات فهو المجتمع والمريدون والمتضررون الذين تصلح أحوالهم، لذلك فأهم المحاور هي محور الرغبة يجمع بين الذات والموضوع، ومحور الصراع بين المساعد والمعاكس، ومحور الإبلاغ بين المرسل والمرسل إليه.

الفصل الثالث : العوامل الحكائية

بذلت جهود عديدة للبحث عن كيفية دراسة الشخصية، لأنها مكون رئيس في النص الحكائي، فمن النقاد من نظر إليها بمنظور عام، ومنهم تناولها من خلال مفاهيم حكاية أهمها العامل، وقد اجتهد عدد من النقاد الغربيين والعرب في وضع هذه المفاهيم، وتحديد العناصر المسعفة في تفكيك بنياتها، وسبر أغوارها، لاستنتاج دلالاتها. وهكذا يمكن الإفادة من جل تلك المجهودات لدراسة أنماط الشخصية، ثم تفكيك بنياتها باعتبارها عاملاً، وفاعلاً. وتتكون الشخصية في الكرامة مما تتلفظه هي من جمل أو ما يقال عنها⁸⁰⁴. والعوامل السردية شخصيات أسندت لها وظائف سردية، حددها "بروب" في مورفولوجية الخرافة، وعددها سبعة، ووسع الحديث فيها كل من "كورتيس" و "كريماص"، فالعوامل لها أدوار في البنية الحكائية، إذ لا تعمل شخصيات أخرى حاضرة في الحكاية، ففاعليتها أقل وظهورها محدود. وتعد نصوص الكرامات الصحراوية بأصناف وأشكال كثيرة من الشخصيات، تتدرج في بنيات كبرى أو صغر بسيطة أو مركبة، لها تجاربه، وملاحمها، وفكرها، وعلمها. وتدقق كتب التاريخ، والأخبار، وعلوم الحديث والتراجم..، في تحديد في أسماء الشخصيات، وتلك مهمة علمية تاريخية كبيرة تبذل الجهود لأجلها، فهي نماذج بشرية⁸⁰⁵ لها أثرها وتأثيرها عبر التاريخ، وهذا ما جعلنا نقف في مباحث من الباب السابق عند تراجم شيوخ الكرامات الصحراوية ومدونيتها، غير أن الخوض في النص الكرامي يجعل نظرنا للشخصيات المختلفة باعتبارها قوى فاعلة تحرك الأحداث، لها سماتها ووظائفها داخل النص، من هذا المنطلق سنحاول استقراء مجمل شخصيات المتون الحكائية الكرامية، وتصنيفها داخل مجموعات، بحيث تخضع لمعيار انتقائي اجتماعي أو غيره. ومن المطلوب أيضاً تمييز الشخصيات النمطية من غيرها. لذلك يمكن رصد أهم أصناف⁸⁰⁶، الشخصيات السردية الكرامية وهي، المرجعية، والعجائبية، والتخييلية...

⁸⁰⁴ - René WELLEK & Austin WARREN , Théorie de la littérature , éd .Seuil, Paris, 1980, p ; 208.

⁸⁰⁵ - كيليطو ،الأدب والغرابية، ص 85.

⁸⁰⁶ - يقطين سعيد ، قال الراوي، ص 106.

أولا : أنواع الشخصيات الكرامية

1- المرجعية

يطغى على شخصيات الكرامات الصحراوية الطابع المرجعي الواقعي، فهي خزان لشخصيات حقيقية حاضرة في ثقافتها وواقعها، لها وجود خارج النص، يمكن الرجوع إليه، ولها تاريخها الشخصي، داخل النسيج الثقافي الذي تنتمي إليه. تفتح آفاق النص أمام جمهورها، لتصير الكرامة سندا بحثيا وثيق الصلة بحقول معرفية أخرى أهمها السير والأخبار، وبالتالي يمكن للباحث الاطلاع على المعلومات خارج النص، وتتفرع المرجعية إلى أنواع عديدة تتدرج تحتها هي، الصوفية، والسياسية، والعلمية، والتاريخية، ..علما أن هناك تداخلا بين هذه الأصناف وتفرعاتها، إذ يمكن أن تتدرج عدة شخصيات في أزيد من صنف فنجدها مرجعية صوفية وعلمية وسياسية في آن واحد. وقد حافظت الكرامات الصورة على السلامة المرجعية لتلك الشخصيات حتى لا ينتابها أي تحوير أو مغالطات معرفية.

أ-الدينية

من الشخصيات المرجعية في نصوص الكرامات الذات الإلهية وهي شخصية مقدسة، فهي منبع قوة روحية ودينية لجميع الفاعلين، تظهر في النص من خلال صيغ التسبيح (سبحان الله)، والدعاء (حفظه الله)، والتعليق.. والله منبع قوة الولي باستمرار، يتوجه إليه بالعبادة وتلاوة القرآن، فهو عامل مساعد ميسر لتحقيق كرامات الولي. ومن الشخصيات المرجعية في النص الكرامي استحضار الأنبياء، وعلى رأسهم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فهو النموذج البشري الأعلى و مرجع للاقتداء قوي، فكل الأولياء يسرون على خطاه، ومنهم من يعود نسبه إليه، فمعظم الأولياء الكنتين والفاضليين يعودون بنسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا وارد في شجرة نسب الشيخ ماء العينين المتواترة في أكثر من مصدر صوفي، ومن دواعي حضور هذه الشخصيات بشكل لافت في كتاب "القرة.." تأصيل المدون للكرامات، وذلك باعتماد التوازي بين الكرامة والمعجزة في "القرة.." بحيث يستحضر بعد كل كرامة ما يؤصلها ويشترك معها موضوعا، ويستدعى هذا ذكر كثير من الرسل والأنبياء، منهم موسى عليه السلام⁸⁰⁷، وسيدنا ابراهيم، وكثير من السلف الصالح

⁸⁰⁷ - قرة العينين، و 125.

أيضا، منهم مريم، وعمر، وعلي، وأبو بكر، وعائشة، وغيرهم..، لكن حضورها داخل النص الكرامي الصحراوي نفسه هو المقصد في هذا الموضوع. الرسول صلى الله عليهم وسلم⁸⁰⁸ الخضر، الصحابة، أعيان السلف⁸⁰⁹.

ب- الصوفية

- الولي

يعد الولي شخصية مستقاة من الواقع؛ من الوسط الصحراوي، من رحم الحركة الصوفية، مشهورة قبل النص لها موقع في الذاكرة الجماعية، تخضع للإمتلاء الدلالي المسبق⁸¹⁰، والشيخ أعلى نموذج اجتماعي صوفي في الوسط الصحراوي، فهو شخصية غير نمطية، مميزة تتوفر فيها صفات ومناقب عالية، وتحقق وظائف كثيرة، لها تأثير إيجابي فعال ومستمر، فهو المصلح العامل المجد المجتهد العابد المترقي في مدارج الذوق العرفاني، وقد اتصفت واشتهرت عدة شخصيات بولايتهما، غير أن القطبين المختار وماء العينين لهما خصوصيات كثيرة جعلتهما نموذجين مخصوصين متفق بشأنهما، انتزعا ثقة الصحراويين، وتعمقا في العلم، وحققا اشعاعا علميا وصوفيا تعدى الحدود الجغرافية الضيقة، وفتحا أوامر العلم والمحبة الإلهية والمتألفة بين المشاركة والمغاربة الصحراويين في التدوين والتأليف، ولهما أدوار اجتماعية عديدة ساهمت في تثبيت مكانتهما واستمرار اشعاعهما إلى اليوم، وقد وردت أسماء كثيرة لشيوخ وأولياء في نصوص كرامات "القرة" و "الطرائف"، أهمهم من وسم بصفة الشيخ، ومنهم "أحمد بن الشمس"، و "ابن نك"، و "محمد عبد الوهاب"، و "الأخوة"، و "محمد العاقب بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابي"، و "أخ محمد الغيث"، و "أخوه الخضر المريد"، و "محمد فاضل"، و "محمد المامون"، و "سيدي عثمان"، و "محمد فاضل بن مامين"، و "سيدي عثمان"، و "سيدي محمد الكنتي" .. ومن الأولياء رففته "مولاي أحمد الركيبي"، و "محمد بن محمود بن محمد البيضاوي"، وأخوه "السيد محمد"، و "الجيء عن خاله السيد محمد محمود بن محمد"، و "بن الطالب"، و "ابن محمد ابن عبيد" .. ومن صلحاء وأهل الحضرة "الطالب أخيار"، ومريده "الشيخ الأمجد"، ومن التلاميذ وسلسلة المشايخ "السيد

⁸⁰⁸ - قرة العينين، و 504.

⁸⁰⁹ - نفسه، و 492.

⁸¹⁰ - تحليل الخطاب الصوفي، ص 240.

محمد نافع" و "رجل شريف ذو علم ودراية" و "حاكم الله" ومريده "الحاج مح محمد عبد الله بن بوحى بن خذ التيماوي⁸¹¹ محمد بن أبي حامية⁸¹² أبناء الحاج العباس⁸¹³ محمد المختار⁸¹⁴ الشيخ سيدي علي بن النجيب⁸¹⁵ الشيخ مصطفى بن احمد بن عبد الدايم، الطالب اخيار⁸¹⁶، ومحمد الأمين البشير⁸¹⁷، والسيد الحضرام⁸¹⁸، والسيد الشيخ الموسوي، والشيخ سيدي المختار الكنتاوي⁸¹⁹، والحاج محمد بن سيد احمد الرقيبي، وابراهيم⁸²⁰ السيد محمود الدمشقي، والشيخ ماء العينين⁸²¹، والشيخ الحاج المعلوم⁸²²، ومحمد نافع⁸²³، والشيخ الطالب أخيار، والسيد محمد الامام⁸²⁴ الشيخ الجيه⁸²⁵ ومحمد محمود، وعبد الله بن مايابي⁸²⁶، ومحمد مفتاح بن الطالب أبي بكر، ابنه العالي⁸²⁷، وأولاد الامام⁸²⁸، والشيخ عثمان⁸²⁹، ومحمد الحسن، والشيخ الخضر⁸³⁰، ومحمد المامون⁸³¹، ومحمد المامون، ومحمد فاضل⁸³²، والشيخ فاضل، ومحمد العاقب سيدي عبد الله بن مايابي، ومحمد العاقب

811 - الطرائف الثالثة، و 520-521.

812 - نفسه، و 520-511.

813 - نفسه، و 520.

814 - نفسه، و 520.

815 - نفسه، و 504.

816 - الضياء المستبين، و 170.

817 - نفسه، و 166.

818 - قرّة العينين، و 204.

819 - قرّة العينين، و 204.

820 - نفسه، و 200.

821 - نفسه، و 198.

822 - نفسه، و 196.

823 - نفسه، و 195.

824 - نفسه، و 184.

825 - نفسه، و 141.

826 - نفسه، و 141.

827 - نفسه، و 142.

828 - نفسه، و 184.

829 - قرّة العينين، و 126.

830 - نفسه، و 58.

831 - قرّة العينين، و 93.

832 - نفسه، و 125.

بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايا⁸³³، والشيخ ماء العينين⁸³⁴ والشيخ محمد فاضل بن مامين، والشيخ مرييه ربه⁸³⁵ وسيدي الامين ذو النقاب، والجد سيدي باد، المغرورين⁸³⁶ وسيدي علي النجيب، ودولة المغافرة، وأولاد طلح، وأبناء داوود بن محمد، وابن أبي الردي⁸³⁷ ومحمد بن عبد الله بن بوحى بنخ التيماوي نالغنموي، وسيد الامين، وابن محمد المختار بن سيدي محمد بن ابي حامية⁸³⁸، وسيدي علي بن أحمد الملقب "الأحول"⁸³⁹ سيدي أبو بكر، وبني يعلى⁸⁴⁰ وصاحب نعل سيدي علي، وسيدي الامين ذو النقاب، والسيد المختار بن محمد بن عمرو، سيدي الامين⁸⁴¹ وسيد الامين⁸⁴²، وسيدي باد الشيخ، والشيخ سيدي علي⁸⁴³ سيد عمر التوجي، المصطفى بن محمد الحبيب الايبيري⁸⁴⁴ أصحابنا، سيد الأمين بن سيدي محمد، سيدي عبد القادر التاودي، سيد الأمين، الشيخ رضوان الله⁸⁴⁵ سبعة رجال، صالح الأجداد، سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي علي، بن أحمد الملقب "الأحول"⁸⁴⁶ سيدي أحمد البكاي، بعض الأولياء، سيدي عبد الرحمان المحجوب⁸⁴⁷ سيدي علي بن الحبيب⁸⁴⁸ الشيخ سيد الحاج أبا بكر بن سيدي محمد بن عمر الوافي، وأحمد التوجي⁸⁴⁹، ومحمد الكنتي الشيخ رضوان، وسيدي علي، واللود سيدي الأمين ذو النقاب

833 - قرّة العينين ، و 32.

834 - نفسه، ص 23.

835 - الضياء المستبين، و 164.

836 - الطرائف، و 526.

837 - نفسه، و 521.

838 - نفسه، و 521.

839 - نفسه، و 132.

840 - نفسه، و 85.

841 - نفسه، و 102.

842 - نفسه، و 541.

843 - نفسه، و 526.

844 - نفسه، و 500.

845 - الطرائف الثالثة، و 500.

846 - الطرائف الثالثة، و 132.

847 - الطرائف الثالثة ، و 104.

848 - نفسه ، و 102.

849 - نفسه، و 24.

عمر بن سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد، وسيدي علي، والسيد المختار، ومحمد بن عمرو⁸⁵⁰ الشيخ الوالد، وصاحب الوقت، وسيدي علي بن أحمد⁸⁵¹ مد بن سيد أحمد الرقيبي" ومريد سيد المختار و "الكنتاوي" و "السيد الحضرام" وغيرهم كثير.

ويحضر هذا الزخم من الأولياء في المصادر الصحراوية، وله وظائف عرفانية تربية وعلمية، ومنها التي شاركت في الحدث التاريخي السياسي للصحراء، وكانت تقوم بدور البطولة، وتحقيق الفعل الخارق، بحيث ترسم الشخصيات نفسها إيجابا، فهي قادرة على تحقيق الفعل الكرامي الخارق بطلب أو دون طلب، في ظروف عديدة حيث أصبحت رمزا وقوة لتجاوز الصعاب، ومساعدة الناس.. وهنا تتداخل وتتصاحب الكرامة، والسير الشعبية، والأساطير، والقصاص الخرافية. فشخصية الولي نموذج صوفي معروف له صفاته وخصوصياته ودلالات سابقة قبل تحقق الكرامة فعلا ونصا. فالكرامة تكرر مفهوم المدد فهو مصدر إسعاف ومساعدة، وقبلة المحتاجين والمنكوبين، ومن الشيوخ من جمع بين الرواية والتدوين، وقول الشعر، والتدريس، والقضاء، والسياسية، والتربية الروحية والاجتماعية، وكل ذلك يقدم نموذجا إنسانيا صالحا نشيطا، يتحقق الإجماع بخصوصها، وتستمد شرعيتها من الأتباع الذين يعبرون باستمرار على الولاء لها، وقد حافظت على المظاهر الصوفية من لبس الخرق، وحمل السبحة، ولبس العمامة، والإتكاء على العصا، وأفعالها التعبدية التي لا تغيب عن حياتهم؛ من تسبيح، وصلاة، وذكر، وصوم حسب الطريقة في مجالس العلم، والرباطات، والزوايا، والمحضرات، وكان لتلقين وحفظ القرآن نصيب وافر من حياتهم الروحية علما أن الثقافة الشفوية كانت أكثر تأثيرا ورسوخا وتغييرا في حال التلاميذ والمريدين والمجتمع. والولي شخصية كبرى في النص الكرامي، تتعد الذوات التي يحضر بها، فهو ذات بطولية لا تهزم تتلون عبر موضوعات النصوص، وهو مؤهل مستعد دوما للإنتصار، وكسر الصعاب، والأزمات، وجبر جراح المكالمين الخاضعين، يسمو بولايته للنبوذة يحتذي أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقتدي به، له معراج الولاية على غرار معراج النبوذة، فهو خير نموذج بشري يتأسى بالنموذج النبوي. وتهيمن ذات الولي الفردية البطولية على الجماعة، وعلى جميع الشخصيات داخل النص، فهو المتحكم في مسار الحدث المرتقب أي

⁸⁵⁰ - الطرائف الثالثة، و 98 .

⁸⁵¹ - نفسه، و 102.

التحولات وتحقيق الانتظارات، بفضل تكريسه لمفهوم المدد دائما، فهو الذي يمد الآخرين بالمساعدة والعطاء وإصلاح الأحوال. له اشعاع داخل عالم النص، حققه بفضل نجاحه المستمر وإصراره على إرضاء الله، ومساعدة الناس.

فالشيخ يمثل النموذج المتوازن المتصالح مع نفسه، وخالقه، وأهله، ومجتمعه، والعالم، ووجود الشهود يؤكد تلك الأهلية والكفاءة. فهو المصلح الفعال العامل المجد المجتهد العابد المرتقي في مدارج الذوق العرفاني.

-المريدون

المريدون هم أتباع الولي يحضرون مجالسه، يعرفونه عن قرب، حاضرون في كراماته، قريبون من حياته الروحية والعلمية، لهم وظائف كثيرة داخل النص فهم من يقومون غالبا بالرواية وغالبا نجدهم شهود على وقائع الكرامات داخل النص.

ج- السياسية

يقصد بالشخصيات السياسية تلك التي جعلت من السياسة مجالها الأول، ورسخت أسماءها في التاريخ السياسي المغربي، الذي لم يستثن الشيوخ والمريدين الذين أخلصوا للوطن، وعبروا عن حبهم له من خلال علاقتهم بالسلطة المركزية، ومقاومتهم وجهادهم ضد العدو، وتوجيه القبائل للمقاومة وتوحيدهم داخل القبلية المدرجة تحت وحدة الوطن، وعبر هؤلاء عن وطنيتهم عبر تأليف ثقافية سياسية أهمها الرحلات السياسية الداخلية والخارجية المستمرة مما يخدم الهوية الإسلامية الصحراوية، وقد وردت هذه الشخصيات بألقاب أو صفات مهنية ارتبطت بالحكم المغربي عبر فترات تاريخية أو بمهام إدارية حكومية، ومن هؤلاء نذكر؛ صفات عامة غير محددة أو أسماء واقعية مخصوصة بأصحابها، ومن ذلك؛ "قواد السلطان"، و"القائد ادريس"، و"السلطان مولاي الحسن"، و"القائد ابن يعيش"، و"القائد أب أحمد"، و"السلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان"، و"القائد بن الرحموني"، و"بكار بن اسويد أحمد رئيس أهل تكانت"، و"رئيس من قبيلة أولاد غيلان"، و"أحمد بن محمد أمير أدرار"، و"أحمد بن سيد أحمد بن عيد أمير أدرار بعد موت ابن عمه"، و"السلطان

مولاي عبد العزيز بفاس"، و"السلطان مولاي عبد الحفيظ بمراكش"، و"الشيخ مربيه ربه"، و"السلطان مولاي الحسن".

يؤكد هذا الزخم من الأسماء التاريخية السياسية الحضور القوي للثقافة السياسية في الكرامة الصحراوية خاصة في العهد المعيني من خلالها توثيقها أحداث تاريخية زامنت حياة الشيوخ، وارتبطت أيضا بمناطق هي بوئر لأحداث تاريخية معروفة، أو مغمورة لدى باحث التاريخ الذي يجد ضالته في النص الكرامي الذي يقدم له مادة ثرية قابلة للدراسة والتحليل، كما تؤكد الأسماء النزعة الواقعية للكرامة، وخصوصيتها الصحراوية، وثناء أحداثها السياسية والاجتماعية والدينية، ويؤكد اهتمام أهل الصحراء بها تداولاً ووتتبعاً وتدويناً، فهي حاضرة في ذاكرة الصحراويين، بحضور الأسماء التي صنعت الحدث التاريخي. ومن الأسماء الفاعلة بهذا الصدد السلطان مولاي عبد الرحمان، والسلطان سيدي محمد⁸⁵²، والسلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان، وابن الرحموني⁸⁵³، والسلطان مولاي الحسن، وسيد عثمان، والقائد ادريس بن يعيش⁸⁵⁴، والسلطان مولاي الحسن، والقائد ادريس بن يعيش⁸⁵⁵، والسلطان مولاي عبد العزيز⁸⁵⁶، والقائد باحمان⁸⁵⁷ الباش بن بو فريد الرجاني⁸⁵⁸، وغيرهم كثير.

د- العلمية

أطلقت صفة العلمية على أهل الصحراء التي هي دار علم وعلماء، عرف بها أغلب شيوخهم، وهي مثبتة في تراجمهم، يقصدون بها معرفة موسوعية تضمنت علوم القرآن، والحديث، والقراءات، واللغة، والإمام بالأدب شعره ونثره، إلى جانب العلوم البحتة، وتاريخ الصحراء شاهد على ذلك، فهي علوم حية تناقلت بينهم عن طريق التدريس والتلقين في المحاضرات، والزوايا، والمساجد كفضاءات للعلم والعبادة، ويغذي هذا النشاط تلك الرحلات

852 - قرّة العينين، و 93.

853 - نفسه، و 56.

854 - نفسه، و 49.

855 - نفسه، و 49.

856 - نفسه، و 32.

857 - نفسه، و 20.

858 - الطرائف الثالثة، و 521.

العلمية المستمرة نحو الشرق، وكان غرضها لقاء العلماء، وارتياح المكتبات، والدراسة على يد شيوخ التصوف الكبار، لذلك نجدهم مطلعين على فلسفة ابن عربي، وعبد القادر الجيلاني مثلا، كما أجاز شيوخ الشرق شيوخ الصحراء، واعترفوا لهم بالعلمية والكفاءة وأسانيد المؤلفات الكرامية والصوفية تشهد بقوة التقاف والإفتاح والتواصل بين أهل الصحراء وعدة علماء من المشرق العربي. وقد أدى هذا إلى تشابه برامج وطرق التدريس بينهم، وكتبت مؤلفات كثيرة تتناول علاقة الشيوخ بطلابهم، وطرق الأخذ عنه وصفاته، وعلاقة الشيوخ العلمية بأهلهم وأسره. لذلك نجد دائما الامتداد العلمي بين الشيوخ وأبنائهم. وتبرز عدة شخصيات علمية في مصادر الكرامة جلها تقترن ألقاب العلم وأخذه ومنها "التلميذ"، و"الشيخ" "العالم"، و"العلامة"، و"تلميذه السيد الحاج المعلوم"، و"محمد العاقب سيدي عبد الله بن مايبي"، و"مولاي أحمد الرقيبي"، و"الكاتب"، و"كتاب الكتب"، و"السيد محمد الدمشقي"، و"تلميذ الشيخ محمد الدمشقي"، و"السيد محمد المختار" ..

هـ - النساء

تحضر النساء الصحراويات ضمن الشخصيات المرجعية داخل نسيج الكرامة بقوة، إلى جانب الولي، فهي فاعلة تساهم في تحريك مسار السرد، ترد أسماء لها مثل (آمنة الشفا وابنته سعاد، ووالدتها ميمون وأمنا لال..)، أو صفاتها (الشيخة) أو نسبها وعلاقتها بالراوي أو الولي (والدتها ميمون - ابنته السيدة أم الفضل بنت الشيخ، وابنته العالي، وبعض نسائه، والدة الشيخ، و السيدة صالحة ربيع شفيق أخت الشيخ ماء العينين)، أو من خلال الإحالة على وظيفتها الإجتماعية (الأمه الحاملة للصبي، والأمه والزوجة، والابنة والأم، وأمهم، والجاريات، وزوجهم، وراوية الماء) أو جنسها (المرأتين..). ومن الأمور التي سبق التعبير عنها في أكثر من موضع في هذا البحث قلة الاهتمام بالنساء الشيوخات والوليات اللواتي لهن أثر إصلاحي في مجتمعهم ومازال. وقد عرفت الولاية بصيغة المؤنث، وتهميشا وانتقاصا لأسباب كثيرة تناولها رجال بوبريك في مؤلف⁸⁵⁹ له. وقد غابت المرأة الراوية المدونة والشاعرة وبطلنة الكرامات ذات الأتباع في النص الكرامي، وحضرت المرأة المساندة المشاركة للولي الداعمة له الشاهدة على كراماته، وكراماتهن ترتبط غالبا بتقديم المساعدة الطبية للصبيان، أو رؤية صالحة تحققت، ففي الطرائف نجد كرامات عائشة الأزرقية أم

⁸⁵⁹ - رجال بوبريك، بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث، أفريقيا الشرق، ص2010، ص 31.

محمد الكنتي، وقد خصصت مقالا لتناول تراجم عدة وليات صحراويات ثبتت كراماتهن بالنص المدون. تحتاج إلى مجهودات بحثية، تصبو إلى تجاوز التهميش والانتقاص. زوجته عائشة⁸⁶⁰، عائشة بنت الراي⁸⁶¹، فاطم شعوانة، خديجة بنت الطالب أبي بكر⁸⁶² بنت الطالب⁸⁶³، بنت السيد الحضرام سعدان⁸⁶⁴ الأمة⁸⁶⁵، ابنة الشيخ سعاد⁸⁶⁶، إحدى نساء الشيخ ماء العينين⁸⁶⁷ الأمة، النساء⁸⁶⁸ الشيخة، لال عائشة⁸⁶⁹.

و- العسكرية

حضرت الشخصيات العسكرية بشكل باهت في نصوص الكرامات الصحراوية. فنصيبها أقل من الأصناف الأخرى، وهي ترتبط بالصراعات السياسية بين القبائل فيما بينها مما يستدعي تدخلا عسكريا، أو بين أهل الصحراء والمستعمر الأجنبي. وهذا يعبر عن حضور الشخصية العسكرية في المجتمع الصحراوي وتأثيرها فيه لأنها تؤدي وظائف تنظيمية أمنية ترتبط بالأرض والوطن، ونلاحظ اتصال لفظ الجيش بشخصيات صوفية (قوم من جيش سيدي محمد الكنتي)، أو شخصية لها سلطة قبلية (بكار وجنوده)، أو بالقبيلة (جيش الشعابنة)، فقد حرصت القبائل على حماية حدودها الجغرافية سواء كانت مساحة القبيلة صغيرة أو كبيرة. فالصحراوي يرتبط بأرضه ارتباطه بالحياة، وبالانتماء، والذاكرة الجماعية، وانتسابه لثقافته رغم الصعوبات التي كان يواجهها الانسان الصحراوي في بيئته. ومن ذلك استعمال مفردات من قبيل جيش، محمد نافع⁸⁷⁰ الجيش، العدو جيش عرمم.

860 - الضياء المستبين، و 170.

861 - نفسه، و 170.

862 - نفسه، و 165.

863 - الضياء المستبين، و 165.

864 - قرّة العينين، و 204.

865 - نفسه، و 183.

866 - نفسه، و 147.

867 - نفسه، و 52.

868 - نفسه، و 25.

869 - الطرائف الثالثة، و 541.

870 - قرّة العينين، و 23.

ز- القبائل

ترد أسماء قبائل كثيرة في الكرامات الصحراوية منها "قبيلة اغريب"، و "قبيلة الرقيبات"، و "تكانت"، و "إداوعيش"، و "أولاد غيلان"، و "أدوبلال"، و "الدهامشة"، فالقبيلة عمود المجتمع الصحراوي، وركيزته، نظامها ظل ساريا إلى زمن قريب ينتسب لها أهل الصحراء، فتحفظ أواصرهم القوية من دم، ونسب..، فالشيخ، أو المدون، أو الراوي ينتسب لقبيلة يعبر عن ميله لها، وافتخاره بها، فيصفها ب "القبائل العظام" مثلا، وترتبط أسماء غالبيتهم بأسماء قبائلهم، يعرفون بها وتعرف بهم، ومن أبرزهم "المختار الكنتي"، و "محمد الكنتي" نسبة إلى كنتة. وتحفظ القبائل كرامات أوليائها، وتنسب لها كرامات جماعية، فنجد مثلا كرامات "تشمشة" و "كرامات" "كنتة"، حيث صارت الكرامات وسيلة لدفاع القبيلة عن ذاتها، وترسيخ مكانتها بين القبائل الأخرى، التي تتقارب وتتآزر لحمتها، أو تتناحر وتتصارع لتصير في عداوة معها. ومصادر التاريخ غنية بالمعلومات التي تؤرخ للقبائل وتوثق أحداثها. ومن هذه القبائل الدهامشة⁸⁷¹، وقبيلة الركييات⁸⁷²، وأولاد جرير⁸⁷³ قبيلة أداو بلال⁸⁷⁴، وقبائل تكن⁸⁷⁵، قبيلة اداوبلال⁸⁷⁶، واعررب، وأولاد سنان، والزوايا، وأولاد درعة⁸⁷⁷ دولة أربعين قبيلة⁸⁷⁸، اشراف كنانة⁸⁷⁹، وأولاد اعيش، وأولاد عمران، وعرب القبلة، والبرابيش، والمحافظ⁸⁸⁰، وأعررب⁸⁸¹، وشرفاء سال، وعبد الوهاب⁸⁸² واعررب، وكنانة⁸⁸³، وأهل النعال

871 - قرّة العينين، و 142.

872 - نفسه، و 195

873 - نفسه، و 184.

874 - نفسه، و 141.

875 - نفسه، و 20.

876 - نفسه، و 18.

877 - الطرائف الثالثة، و 529.

878 - نفسه، و 542.

879 - نفسه، و 534.

880 - الطرائف الثالثة، و 543.

881 - نفسه، و 542.

882 - نفسه، و 541.

883 - نفسه، و 541.

من أولاد الناصر، والذوائب من الرحامنة، والشواف⁸⁸⁴ قبائل الصحراء، والزوايا، والمساكين، واعريب⁸⁸⁵.

ح- الرواة

تستهل بعض النصوص الكرامية الصحراوية بسند تقليدي مركب من رواة هم شخصيات وسيطة بين النص وجمهوره، أسندت لهم أفعال الحكيم، والرواية، والتولية، والسرد، والدعاء.. نجدهم شديدي الحرص على نقل الكرامة بأمانة وإثبات صدقها وصدق الولي، فهي تنتقل الكرامة من الواقع إلى النص، لذلك تتدخل في بنائه ورضه. فالرواة شخصيات واقعية قريبة من الولي، وظروف تشكل الكرامة واقعا ونصا، هم ركيزة النص يؤكدون شرعيته الثقافية والأدبية، يقومون بمهام تدوينية وتأليفية جمة لصالح الكرامة وأوليائها، لهم دور في تشكيل حركة كرامية في المجتمع الصحراوي الشعبي العامي، والصوفي والعلمي. وقد حضر الرواة في كتاب "القرة.." بأسمائهم التي عرفوا بها في الواقع، وارتبطت بالعلم، والتصوف، وصلتها الوثيقة بالشيوخ نذكر منها؛ السيد محمد نافع، والشيخ الحاج المعلوم، والحبيب المصطفى مريه ربه، وسيد الشيخ الموسوي مريد شيخنا أبينا محمد فاضل بن مامين، وابن أخته السيد محمد المختار بن سيد محمد بن الشريف أحمد، وما حدثني به الفقيه الشيخ ماء العينين بن السيد محمد الأمين بن الشيخ أحمد وهو ابن أخت شيخنا ربيع شفيق السيد الحضرام السيدة سالحة، ومحمد العاقب، والشيخ محمد تقي الله ابن شيخنا في نظمه، والشيخ أحمد بن الشمس، ومحمد نافع الشيخ ماء العينين محمد فاضل بن مامين يحدث أحيانا عن نفسه، والشيخ محمد العاقب بن الشيخ سيدي عبد الله بن ماياي. حدثنا محمود بن محمد البيضاوي⁸⁸⁶ برواية شيخ أحمد بن الشمس⁸⁸⁷. ويمكن الحديث عن الرواة من منظورات عدة حسب غرض تناولها، لذلك تحضر في أكثر من موضع في هذا البحث.

⁸⁸⁴ الطرائف الثالثة ، و 532.

⁸⁸⁵ - نفسه، و 529.

⁸⁸⁶ - قرّة العينين، و 138

⁸⁸⁷ - الضياء المستبين، و 164.

ط - الغرباء

تعد الشخصيات الغربية أجنبية عن الثقافة والأرض الصحراوية، فهي طارئة على الصحراويين غير مخالطة لهم، أتت من أماكن بعيدة غالبا، قدمها الراوي في الكرامة بأسماء عامة تعبر عن الاختلاف الديني أو الثقافي أو المكاني، ونذكر من ذلك "أعاجم الشرق"، و "اليهود"، و "النصارى"، و "النصراني". . فحضور الغرباء يدل على وفود الأجانب للصحراء لدواعي سياسية أو علمية أو اجتماعية، ويظهر أن الصحراء لم تكن فضاء مغلقا بل مفتوحا لاستقبال الآخر المختلف عنه، مما ينم أيضا عن التسامح والتعايش الديني الذي رسخته الثقافة الصحراوية عبر التاريخ. ومن هؤلاء الشخصيات أهل المشرق، وأهل المغرب⁸⁸⁸، واليهودي⁸⁸⁹، وأهل الساحل⁸⁹⁰، وأهل البادية، ورفاق الأعراب⁸⁹¹، ورجل يقال له اغموك⁸⁹² النصراني⁸⁹³.

2 - الشخصيات التخيلية

أ - العادية

بدأت الشخصيات العادية عديدة ومتنوعة من حيث انتمائها لفئات عمرية وثقافية مختلفة، ترد بكثرة في المتون الكرامية الصحراوية، وتساهم في تشكيل البناء السردي لها ورسم شخصياتها المركبة، تأتي غالبا مساعدة للولي، شاهدة على تحقيق الكرامة، وهي في الآن نفسه جزء من جمهورها، تتسم بسهولة ولين ظهورها، وبساطة أدوارها ووظائفها، وتتوزع انتماءاتها الاجتماعية، قدمت بأسماء عامة غير مرجعية، جلتها نمطية قريبة من الواقع، نذكر منها (الصبيان، والناس، والرجل، واليتامى، والنذير، وكثير من الجهلاء، وأهل بلادنا، والصبيان، والنساء، والرجال، والعمال، وعمال البناء، والعبيد...) ⁸⁹⁴. الصبيان، الرجال،

888 - الطرائف، و 504.

889 - قرّة العينين، و 200.

890 - نفسه، و 184.

891 - نفسه، و 50.

892 - نفسه، و 23.

893 - نفسه، و 105.

894 - قرّة العينين، و 32.

النساء⁸⁹⁵، ثلاثة نفر، الجيش، العدو، الطباخون، أطفالهم، نسائهم، أهل القرية الرجل،
التجار، الداعية⁸⁹⁶.

ب - المحتاج

ترد في كرامات "القرة.." شخصيات كثيرة، تحتاج الدعم والمساعدة، تنتظر المطر أو
الشفاء، أو الأمن، أو الرجوع للحياة، أو خروج الجن منها. تتجلى في نساء، ورجال، وأطفال،
وغرباء، وأقارب، منكرون وأتباع، وجمادات وحيوانات، توجد في وضعية أزمة؛ تطلب
كرامات الولي فتجد فيه عوناً ييسر أمورها، ويحسن حالها بكراماته وأفعاله الخارقة، فيعيد لها
التوازن النفسي أو الصحي أو الاقتصادي أو المناخي.. فاعتقادها يجعل آمالها وأحلامها
متعلقة به، فهو قادر على التغيير، وسيط بين وضعيتين متناقضتين؛ التأزم والمدد، أي
الإصلاح وإعادة التوازن، ويزيد التعلق بالولي أهليته فهي دافع لتوالد كراماته وتكثيرها مما
يزيدها تداولاً في الأوساط الشعبية ويزيد الولي شهرة. بعض اليتامى⁸⁹⁷ عبيدهم⁸⁹⁸
الأمة⁸⁹⁹.

ج - العدائية

لم يكن الفضاء المكاني في الكرامات الصحراوية سلمياً آناً تغيب فيه الصراعات، بل
عرف اضطرابات سياسية بين أطراف متنازعة داخلية أو خارجية أو هما معاً، وخلافات
عقدية منها إنكار الولاية والكرامة، لذلك عبرت نصوص الكرامات على جانب من هذا
الصراع الروحي أو الاجتماعي أو السياسي في فترتها. ورصدت انتصارات الولي، الذي
يتعاطف معه المدون والراوي غالباً، في مقابل هزيمة عدو الولي الذي يبدو شخصية شريرة
سلبية ضعيفة تسعى لإذابة الناس باستمرار، ونذكر كمثال على ذلك (ابن العنبر) الذي قدم
باسمه المرجعي، ونجد صفات سلبية عامة غير مرجعية تميل إلى التخيل، تبرز أفعالاً
سلبية واختلافاً دينياً، يسندها الراوي للعدو في النص وظفت بقصد التشهير به وإدانته (رجل

895 - قرّة العينين، و 198.

896 - نفسه، و 98.

897 - قرّة العينين، و 126.

898 - نفسه، و 32.

899 - نفسه، و 25.

متسلط جبار ومدعي الولاية "إغموك"، والعدو المشترك الجبار، العدو المذكور، واللصوص
واللص، اليهودي... العدو⁹⁰⁰، اللصوص⁹⁰¹ دولة أربعين قبيلة، لصوصة⁹⁰².

د - الأهل والعائلة

لا تحدث الكرامة في مسارح بعيدة من الأهل، والعائلة، والأسرة، بل كانت تقع داخل
النسيج الاجتماعي العائلي، الذي يشهد على ثبوتها، ويعرف مناقب وأفعال الولي عن قرب،
قادر على الحكم بصدقه أو إنكاره، وغالبا يكون مساندا مؤيدا يدعمه ويؤكد صدقه، ويروي
كراماته ومناقبه، يظهر له الولاء، ويفتخر به، فالكرامة جزء من الحياة الفردية والعائلية، لا
تميز أو تفصل الحياة الروحية عن الاجتماعية، لذلك ترد هذه الشخصيات في عدة متون
كرامية من خلال أسمائها المردوفة غالبا بصلتها بالولي فنجد مثلا (ابن أخته السيد محمد
نافع، وابن عمه و (الشيخ محمد فاضل بن محمد)، والابن، والأخ الأكبر محمد الحسن،
والأخ، والأب محمد فاضل بن مامين، وأهله، أخوه السيد محمد عبد الوهاب، والمختار أخ
بكار، وابن ابنته عبد السلام ابن ولد أخيه السيد محمد مفتاح ابن الشيخ الطالب بكر،
وبعض أبناء عمه، وأقاربه، وأهله، وأهل صهارته، وابنة ابن عمه، وأهله بالساقية الحمراء،
ومن آله رضي الله عنه، وابنته سعدان، وابن أخته السيد الحضرام وهو زوج ابنته سعدان،
عشيرته⁹⁰³، وأهله، وإخوته نحو خمسين، وعدد أبناء عمه بل عشيرته وتلامذته أكثر وأوفر،
ورعيتي، وابن عمه الشيخ محمد فاضل بن محمد. وأهل إحدى نساء الشيخ ماء العينين⁹⁰⁴

900 - قرّة العينين، و 20.

901 - نفسه، و 18.

902 - الطرائف الثالثة، و 542.

903 - قرّة العينين، و 211.

904 - قرّة العينين، و 52.

اخوة محمد عبد الوهاب⁹⁰⁵ ابن أخته محمد نافع، الحاج ابن نك⁹⁰⁶ إخوته، شقيقه، محمد تقي الله⁹⁰⁷، ابني، وأولاد سيدي المختار، وتميم، وشرفاء⁹⁰⁸ أهلها، رفقتهم⁹⁰⁹ الصبيان⁹¹⁰.

هـ - الشهود

يشهد شاهد مذكور في النص الكرامي أو سنده على وقوع الكرامة، حضرها وأدركها بالمشاهدة والسمع، فالكرامة قد تتوقف عند الولي، فيكون مدرکها الوحيد أو تتعداه إلى غيره ليدركها الشهود حسيًا، فلا تكاد تخلو كرامة من حضور شاهد يؤكد وقوعها، وقد يصير راويها. ويكون حضور الشاهد صدفة فرضتها ظروف تحقق الكرامة، أو بسبب وجود رفقة للولي قليلة أو عديدة، إذ تؤكد نصوص الكرامات كثرة الشهود⁹¹¹، الحاضرين بأسمائهم الحقيقية، تربطهم صلات الدم، والعلم، والتصوف بالولي، والكرامة.. ويحضنهم نفس الفضاء غالبًا، فقد يكون الشاهد الولي نفسه، أو الراوي، أو المحتاج، أو التابع، أو المرید، أو المنكر المسيء، فالشاهد شخصية غير ثابتة المعالم، ليست قالبًا جاهزًا، بل تتوافق وظروف الكرامة.. ونذكر من هؤلاء شهودا حضروا بألقابهم في النص الكرامي مثل "التلميذ" و "تلميذه" أو بأسمائهم من قبيل: "السيد الحاج المعلوم"، و "محمد العاقب سيدي عبد الله بن ماياي"، و "مولاي أحمد الرقيبي"، و "كتاب الكتب"، و "السيد محمد". ويظهر من خلال ما سبق أن الشاهد يمكن أن يكون مفردًا يذكر باسمه، أو لقبه، أو جمعا أي بصيغة الجمع "جيرانه" أو "أهله"، ومن شأن ذلك أن يثبت أهلية الولي، وصدق كراماته، ويدعم مكانته بين الناس، فيزيده شيوعًا وشهرة، وتصير كراماته أكثر حياة ودينامية.

905 - قرّة العينين، ص 30.

906 - نفسه، ص 23.

907 - نفسه، ص 16.

908 - الطرائف الثالثة، و 541.

909 - نفسه، و 132.

910 - نفسه، و 102.

911 - قرّة العينين، و 200.

و- الحيوانات

تحضر الحيوانات في النصوص الكرامية باعتبارها محركا فاعلا في البنية الحكائية. جاءت بصفات مغايرة للطبيعة، إذ تبدو مروضة تحولت من حال الأذى والشراسة إلى حال الخضوع والطاعة، لا تطوع لغير الولي، وليس كل الأولياء قادرين على التعامل مع الحيوانات أو التحكم فيها. ومن الحيوانات المذكورة في الكرامات الصحراوية نجد الحيات والأفاعي التي تبتعد ولا تؤذي الناس بأمر الولي أيضا، والسباع التي لها علاقة خاصة بالبكاي حتى صار مشهورا بها، ووضع الناس رموزا ورسومات لكراماته تعرض في مراكز ثقافية لجمهوره ممن يعرفه، ويعرف كرامات سباعه. والابل⁹¹² والغنم، والفرس، والنياق، وأفاعي، وعفاريت، والحيات⁹¹³ والسباع، والنمور، وحيوان⁹¹⁴ رجلان سمكة⁹¹⁵.

3- العجبية

يحضر الجانب الأدبي العجائبي بقوة في الكرامات الصحراوية، ويظهر أكثر عند الحديث عن التصوير في الكرامات، فعندما نجد في الكرامة "قصعة تذكّر الله"، وشعر الشيخ يسبح"، و "صرعه للجن"، ولحيائه للذباب، يبدو أن الشخصيات هنا قوى فاعلة حركت أحداثا في عدة كرامة، ونسجت مسارا سرديا مؤثرا عبر حبكة مرصوفة، فالجانب التخيلي قوي يبدو لمتلقي اليوم أنه خيالي، ويبدو للمتذوق العرفاني طبيعيا عاديا، يمكن أن تحكمه قوى خفية وهبها الله للولي، وهي تصنع الجانب الأدبي من حيث بناؤها، فهي تعبير أدبي مشابه وقريب من الأنواع النثرية الأدبية الحديثة التي تحقق الإمتاع، وتحفز على إعادة تأمل النص قراءة وتدبرا، وتجعله منفتحا على الأدب في المستقبل، فالشخصيات الأدبية يحركها الممكن وينسجها التعبير، ويؤثر فيها الولي، ويذكرها الراوي، ويستقبلها المتلقي، ويعجب بها المؤمن

⁹¹² - قرّة العينين، و 18.

⁹¹³ - الطرائف الثالثة، و 523.

⁹¹⁴ - نفسه، و 104.

⁹¹⁵ - الطرائف الثالثة، و 102.

بالخارق العجيب والغريب، وهي شخصيات مشابهة لشخصيات عالمية وغرائبية تمتع متلقيها، وتأتي في النص الكرامي غالبا ضبابية مجهولة الاسم، ليست لها مرجعية تنسب إليها، وترد بألفاظ عامة، مثلا "أحد المريدين" و "امراة".. ومن الشخصيات الحاضرة بقوة تأثيرها الخاضعة للولي الذي لا يعصى له فعل أو طلب نجد "الجن". وهنا تميل الكرامة نحو التخيل وتحرك مخيال متلقيها، وتزيغ عن مقصد الواقعية رغما عنها بسبب التداول والنسيان أو طوعا برغبة المدون.

أ - الولي

يبدو الولي بطلا عجيبا تسند له أفعال تفوق قدرة الإنسان العادي، "فالبطل ذات مؤهلة لأفعال خارقة، وكم من ذات مؤهلة لا تمر أبدا بالفعل.."⁹¹⁶. فيبدو الولي قريبا من شخصيات عجيبة في الأدب العالمي، يطوي الزمان والمسافات في وقت وجيز، لا تؤثر فيه طاقة النار، يشفي المرضى على يديه، ويصرع الجن، ويحيي الموتى، فالولي شخصية حقيقية واقعية مرجعية، وهو أيضا شخصية عجيبة تذهل جمهورها، وتجعله مستغربا لأنه يفوق الإنسان العادي قدرة، بخرقه لقوانين الطبيعة، إذ يجعل العوالم المتباعدة متداخلة، عالم الجماد وعالم الحيوان، وعالم الطبيعة وعالم الغيب. لكن الذي يرجع التوازن التأويلي هو المرجعية الصوفية وحسن الاعتقاد بالولي. فالعجائبي تحققه كل تفاصيل الشخصية؛ إذ نجد جسد الولي، وشعره يذكر الله، ويده يخرج منها نور، وعرقه ينبعث منه الطيب، وكل لوازمه من طرف ثوبه وعمامته لها صفات خارقة عجيبة. فحذاؤه يسير لوحده نحو رجل الولي ليلبسه، وعدد من الأواني تذكر، وتسمي الله، بل أكثر من ذلك صار الجن في الكرامة يذبح كالحيوان، والولي يعرف المستقبل، ويلتقي الرسول، يكشف الغيب، له معارجه الولائي،.. فالخرق والعجائبي هو محرك الكرامة المنتظر الذي يضمن انتصار وبطولات الولي، يصير بدون النص حكاية عادية غير مثيرة. فالكرامة صنعت من الشخصيات الآدمية وغيرها عجائبية لما خرقت صفاتها وأفعالها، وخدمت بعجائبيتها وظائف الكرامة ومقاصد المدون.

⁹¹⁶ -H.j ,GREMAS , sémiotique narrative et textuelle , larousse , Paris , 1973, p 27.

ب - الحيوانات والحشرات

تفقد الحيوانات والحشرات العديد من صفاتها المألوفة التي تتسجم مع طبيعتها، فتسند لها صفات وأفعال غريبة عنها، فتصير عجيبة، و يرد هذا في كثير من النصوص، حيث نجد الأسود خاضعة، والثعابين مستسلمة، والذباب يحيى بعد موته، وغير ذلك كثير.. وكل ذلك ببركة الولي الصالح مما يعزز مكانته عند أتباعه.

ج- الجن

يُرد الجن في نصوص قليلة، لا يستتكر وجوده الحقيقي، لأن ذلك ثابت في الدين الاسلامي، تلحقه في النص الكرامي صفات مغايرة، إذ يسكن جسد إحدى زوجات الشيخ ماء العينين، ويمنعها من الزواج، فيصارعه الولي، ويقضي عليه. فالعجائبية هنا تتجلى في جراته وظهوره كعدو يواجه كفاءة الشيخ وقدراته. عفريت محمد الغيث⁹¹⁷، الشياطين⁹¹⁸.

د- الطبيعة

تصير الطبيعة الصحراوية عجيبة، عندما تخضع للولي، وتغير نظامها في وقت وجيز، فيمطر السحاب، وتطوى الأرض وتنبسط، وتبلع الأرض الولي⁹¹⁹.

4- المركبة والبسيطة

يمكن إعادة تصنيف جل أصناف الشخصيات المذكورة سابقا على ضوء مقومات مكونة لها إلى مركبة وبسيطة، والملاحظ أن شخصيات الكرامة الصحراوية بسيطة تحتفظ بمقوماتها الأولى، فالولي شخصية بسيطة آدمية - إسلامية - ثابتة - معمرة. وتبدو عدة شخصيات في كرامات بعينها مركبة حيث تأخذ مقومات أخرى أجنبية عنها، ونجدها واضحة في الحالات التالية؛ السمك الآدمي، وشعر الولي الذاكر، والقصة الآدمية التي تذكر الله، والقبر المضيء، والأصابع التي تشع بالنور، والولي الطائر، والأرض المبتلعة للولي،

⁹¹⁷ - قرّة العينين ، و 52.

⁹¹⁸ - الطرائف الثالثة ، و 504.

⁹¹⁹ - قرّة العينين، و 52.

والجسد الخالد ..وتتحول بنية جل الشخصيات من كرامة لأخرى حيث تبدو بسيطة غالبا، ومركبة أحيانا، تتدمج مقومات جنس في جنس آخر، وهي ذات تركيب واضح غير معقد حيث تكفي بتغيير مقوم واحد أو اثنين غالبا، إذ تظل ثابتة العقل مسلمة دائما، وتصير مركبة عندما تسند اللآدمية صفات ترابية مثل الطيران مثلا أو تسند لترابية صفات آدمية عند نطق الجماد أو الحيوان، وعندما يظل جسد الولي المتوفى على حاله مهما مر من الزمن، وهنا تصبح الشخصية متعددة الوظيفة..

شخصية المنكر، قد يظهر بسمات عامة أو واضحة غالبا هو جاحد أو منكر أو شكك في أهلية الولي يحرك المنكر بوصفه معارضا أحداثا ووقائع في إطار صراعه مع الولي ليكونا طرفي للخير والشر. الولي إنسان عادي، وليس إنسانا عاديا، نبي وليس نبيا، ونصف إله وليس نصف إنسان، هناك مزج بينهما، ..هذا التوتر مصدر استغراب ودهشة، يوحى بالخرق، ويوحى بالتناقض، وماهو بالتناقض. يتحدث محمد مفتاح عن دينامية بين العالم الواقعي والعالم الممكن في الكرامات الصوفية، .."إذ يمكن الذهاب من العالم الواقعي لبناء العالم الممكن، ..ويمكن الانطلاق من معطيات العالم الممكن لتكييفها مع الواقع

ثانيا :البنية العاملية

1-العلاقات بين الشخصيات

ترتبط الشخصيات ببنياتها المختلفة في علاقات هي إما علاقات أفقية هي تبعية أو قرابة، أو علاقات عمودية تتمثل في الصراع المؤقت أو الدائم. وتظهر التبعية بين السلطة المركزية والشيخ وأهالي القبائل. وترتبط بين الولي ومريديه، وبين الشيخ وتلامذتهم، أما القرابة فمنها قرابة النسب؛ فهي تجمع بين عدة شيوخ، وأبنائهم، ورواتهم، ومنها قرابة الدين، وتجمع بين جل شخصيات الكرامة، أما العلاقة العمودية فهي الصراع، وتظهر في الكرامات بين عدة قبائل، وهي صراعات طارئة مؤقتة، وبين الأولياء ومعارضيهم، وبين الشيخ والسلطة المركزية من جهة والاستعمار الأجنبي من ناحية أخرى، وهو صراع قوي مستمر بوسائل شتى.

2- الفواعل

يمكننا النظر للشخصية عند ربطها بالأفعال حتى نتمكن من النظر إلى مقاصد أفعالها باعتبارها فواعل، وإن المتأمل في نصوص الكرامات وكثرة شخصياتها، وقيامهم بأفعال متواترة، يلاحظ وجود فاعل مركزي هو الراوي، والفاعل الأساسي في الكرامات هو الولي، الذي يظهر في النص بصفات ثابتة هي، الانفتاح على الآخرين - عابد مخلص - مصلح - العطاء والرحمة، متفائل، مقبل على الحياة والطبيعة والقدرة على المساعدة، وسعاف الآخرين، وخلق توازن نفسي ذاتي بشكل دائم.. وقد عبرت النصوص الكرامية على ثقافة الولي الجغرافية حيث يتقن التوجه إلى أماكن عديدة داخل الحيز الصحراوي والمغربي والعربي، له ثقافة شعبية محلية، يتقن فن القول والخطابة والشعر، يعقد جلسات الذكر، والعلم، باستمرار.

3 - الشخصية المركزية في النص

يظهر ميلادها من أول النص إلى آخره، إذا تسلمت مهمة الرواية عن نفسها مثل ماجاء في أغلب كرامات المختار الكنتي، وأما إذا كان الراوي مغايرا فيأتي ميلادها بعد السند لأن حركتها تحفز الأحداث وتبنيها. ويرتبط التحول غالبا بالفاعل الأساسي الولي الذي يغير، ويحول كثير من الأحداث والأوضاع إلى الأفضل، وهذا ما سيظهر في البنية العاملة.

4- أسماء الشخصيات الحكائية

قد تنتمي الشخصيات المركبة أو البسيطة، الشخصية الواحدة منها لأكثر من حلقة أي صنف، فتتلون بألوان الصنف الذي توضع فيه، وتتسلم مهامه، وقد تكون بسيطة شاهدة أو وسيطة مسعفة لا تتخلى عن صنفها. وتحضر في الكرامات الصحراوية المدروسة التسميات العامة للشخصيات؛ مثل الزوجة، والقاضي، والأمير، وتدوب الشخصيات الفردية في النماذج البشرية، كما تحضر الشخصيات المبتذلة أحيانا، ومن أهمها الأعداء المنكرين الذين يترصون لإذابة الولي، وهي غالبا تقدم مهزومة يتغلب عليها البطل. وغالبا ما تكون الشخصيات الموازية شاهدة على الحدث، وهي إما مستفيدة أو منكرة جاحدة، فوجودها في النص موازي لوجود الولي رغم قوة فاعليته وتأثيره.

5- أنواع الفواعل

الفاعل	صفاته
الفاعل المركزي	قوي - شجاع - معطاء - طيب - خير - مصلح .
الفاعل الموازي الأول	متابع - شاهد - تابع - طيب
الفاعل الموازي الثاني	متابع - منكر - خبيث - مؤذي

6 - الموجهات

هي التي تبين أدوار العوامل، وتتمثل في الإرادة، والمعرفة، والقدرة، والوجوب، فبنية الفاعل المركزي هي بنية القادر والموازي الأول هو العارف، والموازي الثاني هو المحرك. وتتمثل في بنية الصالح القادر، والمريد المتابع، والمنكر الجاحد. وأهم مقاصد الفواعل هي كالتالي؛ مقصدية الإصلاح والتغيير، وتحركها مقصدية إيمانية باطنية هي حب الله، والترقي والافتداء والإخلاص مستمرة مع الموازي الأول، ومقصدية المنافسة، وبناء بديل مغاير هي مقصدية الموازي الثاني.

7-العوامل والدعوى

يقوم النص الكرامي على دعوى أي وظيفة مركزية، يمكن أن تتحقق أو لا، وهي دعوى خاصة أو عامة، أهمها إثبات الولاية وقدرة الشيخ على التأثير والإصلاح وهذا مرتبط الكرامة، ودعاوى خاصة يحققها المستفيد المحتاج لها الذي يمكن أن يكون مفرداً أو جماعاً. إذن هناك عوامل تعين وتساعد على تحقيق الدعوى، وهي الجمهور والاتباع من المريدين والتلاميذ والسلطة المساندة والقوى الإيمانية الذاتية، وجل ما يتوسل به الولي من أدعية وذكر وقرآن وغيره يسعفه في تحقيق دعواه. وعوامله معاكسة تتجلى في المنكر وجل العراقيل التي تبعد الذات عن موضوعها. إذن لدينا عوالم عاملية متخاصمة، عالم القرين والاتباع وعالم الخصم والأعداء. وهنا نتحدث عن العلاقات العاملية من رغبة وصراع وإرسال.

ثالثا :الفاعل المركزي

1- بطولته

تتجلى الذات فاعلة، إذا توفرت موجّهات في وجوب الفعل، والرغبة في الفعل، ومعرفة الفعل، والقدرة على الفعل، وهي تتحقق مجتمعة في الذات الكرامية الفاعلة الأساسية، ألا وهي الولي، الشيخ الصوفي، الذي يظهر دائما بطلا قادرا على تحقيق أفعال مدركة حسية وأخرى خفية تأثيره ممتد إلى جل الأشياء الكونية من بشر وحيوان وطبيعة، وهو قادر على لقاء الذات الإلهية، وكشف الغيب، والتعريج عبر سبع سماوات، وطى الأرض والنهر والبحر، ومشاهدة الخضر ومجالسة النبي، من خلال هذا نجد أن الفاعل يظهر بسمات بطولية قريبة من بطولات مقدسة هي الأنبياء والرسل، وبطولات أسطورية حاضرة بقوة في القصص العجيبة، والسير الشعبية المدونة والشفهية .فهي ليست فاعلا غريبا عن الثقافة والمخيال البشري العالمي والعربي والإسلامي .فكأنه الصوفي الذي يتقمص شخصيات أخرى سابقة عنه. من صفاته المتواترة إلى جانب البطولة صفة الروحانية التي تجعل الولي يظهر غالبا متعبدا مخلصا يصلي، ويذكر الله، ترافقه سبحته، ويختلي بنفسه لأجل إقواء إيمانه وشحن عالمه الجواني الباطني، وصقل تربيته الروحية، مما ينعكس على سماته فيبدو متأملا متديرا صبورا حكيما في سلوكاته، وهو لا يسعى إلى الغربة في مجتمعه بقدر ما يكرس قيم التواصل العميقة عبر اتجاهات مختلفة، فهو متواصل مع ربه نحو الأعلى، ومتواصل مع مريديه أفقيا يعلمهم العلم ويربيهم، ويجالسهم، إذ نجد الخيط الروحي ممتدا بين الشيخ وتلاميذه ومريديه في حياته وبعد مماته يعبرون عن ولائهم له عبر تدوين تراجمه ومناقبه وكراماته ونظمهم أشعارا في مدحه، وهو متواصل مع مجتمعه، يشارك أهله أزماتهم ونكباتهم، يساعدهم على الخروج منها بما أوتي من قدرات ووسائل، فيبدو الولي الصحراوي دائم التنقل والحركة سواء لمسافات قريبة أو بعيدة، يركب الناقة، ويشرب الحليب، ويسكن الخيمة، ويجلب الماء، مما جعل صفاته الروحية والقيم الراقية تتجسد في شخصيته التي تبدو

عادية بسيطة في الغالب، ومركبة تأخذ أفعالا عارضة عليها من عوالم أخرى كالطيران والاختفاء وغيرها، يبدو الولي فاعلا إيجابيا باستمرار، يعلم الغيب، دعاؤه مستجاب، تخضع له الحيوانات، يجلب المطر، والماء، والطعام، يشفي المسقومين، ويقري الضيف، يبدو خرافيا عندما يسمو عن الزمن العادي فيتحدث عن معرجه وعن إعادته للحياة، وطيранه، ومعرفته بخفايا الإنس والجن، فهنا نجد عوالم صوفية بأبعاد قريبة وبعيدة، فالبطل الولي يجمع بين الملحمة، والخرافية، والرمزية، المتحكمة في مختلف العوالم التي منها عالم أو فضاء الإنس، فهو الضامن لنهايته بتحقيق فعله الإصلاحى وارضائه المحتاجين، مما يكرس باستمرار تفوقه وفرادته.

2- خصوصيات بطولة الولي

تكون بطولة الولي الصحراوي مشابهة لبطولة الأنبياء، قريبة من البطل في القصص الشعبي المدون أو الشفهي، وتتميز بالانطواء، والتدبر والتأمل والصفاء والسكينة، والعلم بالغيب، والدعاء المستجاب، والتحكم في الظواهر، وهي شخصية سكونية ثابتة الصفات والقدرات، ومركز الأحداث، وهي مزيج من البطل الدرامي والملحمي، ومن هذه الخروقات القدرات على الخرق، ومعرفة الشيخ بالمستقبل، وتحقيق رغبات الناس ضمان السلطة، وإطلاعه على الخواطر، ومعرفته بها، وقدرته على الإشفاء والإبراء، وقدرته على نصره المظلومين، وإحياء الشيخ للموتى، وتيسير الذرية لمن يفتقر الإنجاب، وخروج الضوء من بين أصابعه، ومن جسده تقويمه وإصلاحه الجواهر، وهلاك الأعداء، والشاعرية، وإعادة الأشياء الضائعة، وإقامة الحق بين الناس، واحتراق العدو اليهودي، والعلم بالرقية الشرعية. ويكون الموضوع الجامع لمختلف الكرامات الذي يبسط بمظاهر مختلفة هو الإصلاح بمفهومه الفضفاض، إصلاح الذات والأهل والأوضاع المأزومة للآخرين والظروف الصعبة، فهو يسعى إلى التأثير والإصلاح غالبا مما يجعل للكرامة نفس البنية العاملة المتواترة المتكررة فكلها لها نفس البناء العاملي: حاجة، أزمة الولي بوسائله وقدراته وصفاته يؤثر يخرج من

الأزمة بالنهاية السعيدة. لذلك فالفاعل متفائل إيجابي باستمرار؛ يزرع الخير دون انقطاع، ويستثمر الزمن والحياة، لايهاب الموت أو النهايات، لأنه مستعد باستمرار يجد سنده دوماً في اتباعه، وفي تحقيق كراماته. من موضوعات الولي الأبدية إثبات القيم الإسلامية الأخلاقية، ومنها تمجيد الفقر والزهد، فقد يصوم الولي عن الطعام والكلام ويصوم عن الذنوب لمدة طويلة، نبذ قيم التعدي على الآخرين والظلم، والسرقه، وتمجيد التعاون والزهد والتطهر والتسامي، إعادة التوازنات الإجتماعية، المختلة بفعل الحروب والكوارث الاقتصادية والاجتماعية، تغيير النظرة الرؤية إلى الزمن، والحياة، والموت، بحيث يتم غرس قيم التشبث بالعقيدة والطريقة التشبث بالأرض وحبها رغم القساوة والصراعات السياسية والحروب.

3- المساعدون

تتحقق داخليا في صفات الولي، وموجهاته، وفي ظروف خارجية أي في البيئة الاجتماعية المرعبة به، والصوفية الداعمة له، وأيضا في الوسائل التعبدية التي لا تفارقه فهو دائم الدعاء، والذكر، وقراءة القرآن. من صفاته الاجتماعية الداعمة انفتاحه على مجتمعه الفقير إلى الله الذي يسعى إلى الغنى الروحي. ومن الروايات التي تتجمع في هذا الحقل:

- القوة الإلهية
- قوة التجربة الصوفية
- شهرة الولي وشعبيته
- مؤهلاته العلمية وقدرته على الحجاج
- طريقة الولي الصوفية
- انسجامه مع بيئته ومعرفته بحيوانها وعاداتها وأماكنها
- عالم الجن
- عبادته المتواصلة، تسبيحه وذكره ومجاهدة النفس والتربية الروحية المستمرة
- وقوة الشخصية وتفاؤلها ونظرتها الصوفية للعالم والزمن
- أعوانه من السلطة والأتباع والمريدين والتلاميذ

- السلطة المركزية

إذن هناك عوامل ذاتية وأخرى موضوعية.

4-المعارضون

تكون العوامل المعاكسة المعرقلة للذات الفاعلة التي تبعتها عن تحقيق الموضوع هدف
الفاعل في النص الكرامي، ومنها - المنكرون، وأصحاب الطرق المنافسة، والقبائل المعادية
لقبيلة الولي، والنفس المسيئة، والأهواء الخفية في ذات الولي، والسلطة الاستعمارية المعادية
الظروف الجغرافية الصعبة ..وتسير في هذا الاتجاه أساليب تقديم الشخصية الحكائية في
كرامات البستان ..

الفصل الرابع : الفضاءات الكرامية

يعد الفضاء أحد المؤنثات الرئيسة للمحكي الكرامي، ووعاء لأحداث وأفعال الشخصيات وعلاقتها⁹²⁰، وحيزا حاضنا لدلالات النص وأبعاده له دور فني، لأن الكرامة أحد السرود العربية والفضاء من أهم مكوناتها. يمكن النظر إليه من زوايا عديدة، وبطرق كثيرة، لثراء هذه المقولة في النص الكرامي، فهي تقبل تقسيمات مختلفة، غير أن التصنيف الذي ينبثق من النص الكرامي ذاته يكون أكثر إجرائية، لأن الفضاء له خصوصيات ترتبط بالشخصية الكبرى أي الولي، وبسياقات تشكل الكرامة واقعا مدركا بالحواس أو القلب أو العقل، فالدخول في الفضاءات الكرامية هو ولوج لعوالم قريبة و بعيدة، خاصة و عامة، مرجعية و خيالية و عجائبية، ثابتة و متحولة، مجردة و محسوسة ..ويمكن النظر إلى الفضاء في علاقته بالواقع، فنراه مرجعيا وتخيليا وعجيبا، وفي علاقته بالحركة إلى ثابتة وفضاءات الرحلة، وتتعدد أنواعها إذا تم تصنيفها من خلال حقولها المعجمية.

أولا : أنواع الفضاء

1-الفضاء المرجعي

المقصود بالفضاءات المرجعية الأماكن التي لها وجود في الواقع، أو الجغرافية القديمة أو الحديثة، ويمكن الرجوع لها في كتب التاريخ والجغرافية من خلال أسمائها أو صفاتها، وتنقسم إلى كلية وجزئية.

أ - الفضاءات العامة

إنها فضاءات عامة أي مشتركة بين الناس، يتحرك داخلها الولي، برفقة أو دونها، يلتقي شخصيات أخرى، وتتنامي الأحداث فيها. وهذا يبين أن الولي حر في حركته، متصالح مع الآخر المتعدد المشابه له في الثقافة أو المختلف عنه.

⁹²⁰ - قال الراوي ، ص 237 .

ب - فضاءات كلية

تضم الفضاءات الكلية أماكن واسعة، من أسماء دول عربية ينتسب لها أجاناب قدموا إلى الصحراء مثل صبنيول الذي كتب بالطريقة المتداولة عند المغاربة حينئذ، وعربية مشرقية مثل بلاد السودان⁹²¹ التي عرفت الطرق الصوفية الصحراوية امتدادا بها، وبلاد القبلة⁹²² الذي ظل وجهة المسلمين يرتحلون إليه للعبادة والعلم، لذلك نجده بمسميات أخرى منها بلاد الحج⁹²³، ومن الأماكن أيضا مصر، والشام⁹²⁴، والعراق، وسجستان، والصين⁹²⁵.. وقد تحدد جهتها فقط مثل مشارق الأرض، ومنها الجزيرة العربية⁹²⁶، ومغارب الأرض، رحل إليها الولي فعلا في حياته واقعه لأجل الحج أو العلم، فتناولها بحديثه لعرض أحداث تتصل بعلماء أو بكتب أو بأحداث أخرى، وذكر المغرب الأقصى⁹²⁷، الوطن الحاضر للانتماء الثقافي والديني بحدوده المعروفة، وفضاءات إفريقية قريبة من الصحراء منها بلاد شنقيط، وبلاد دند، والقبلة، وتجاكانت، وبلاد السودان. وتكون الفضاءات الكلية ذات طابع عربي وإسلامي ومشرقي، يحضر في نصوص الكرامات الصحراوية من خلال أسمائها أو صفاتها، تدل على المرجعية الروحية والثقافية للولي، وأهم شخصيات النص، وهي فضاءات تنقل فيها الولي روحيا أو جسديا أو ثقافيا فهي غالبا تضي الشرعية على أحداث الكرامات من خلال استراتيجية التدوين التي استدعت التوازي بين الكرامات والمعجزات، أو فضاءات رحل إليها الولي للحج أو ملاقات العلماء والاطلاع على الكتب، فهي ليست فضاءات الحدث الكرامي بل فضاءات تأصيل الكرامة وإثبات شرعيتها. وهذا يؤكد الانفتاح المعرفي للولي على البلاد الإسلامية، وما تزخر به من إرث صوفي روحي، وتضم الفضاءات الكلية أخرى جزئية ثم خاصة وأخص. وملحوظ الطابع الديني الصوفي الذي يسم هذه الفضاءات وهي تبرز حدود

921 - قرة العينين، و 208.

922 - نفسه، و 93.

923 - نفسه، و 125.

924 - الطرائف الثالثة، و 498.

925 - نفسه، و 499-500.

926 - نفسه، و 98.

927 - الطرائف الثالثة، و 542.

عالم الكرامة الإسلامية الواسع العميق في الزمن، وهذا ينسجم مع جغرافية الكرامة التي سبق وأن تناولناها في مبحث سابق في الفصل الأول من هذا البحث. فهذه الأماكن تعكس شساعة النطاق الروحي والتواصل الإيجابي بين أهل الصحراء بالمغرب وأهل التصوف في المشرق. ومعلوم أن الفضاء يحضر من خلال حركة البطل وهذا وثيق الصلة بالوظيفة السردية الأولى للكرامات، وهي التنقل أي الحركة والترحال ومعجم الفضاء (قدم، نزل، رحلنا، مشينا، سعدنا، انتقلنا، أقمنا..). والحدث الكرامي ذاته.

ج - فضاءات جزئية

تضم الفضاءات المرجعية الجزئية أسماء مناطق ومدن عربية أو مغربية تدخل في نطاق الوطن المغرب الأقصى⁹²⁸، الذي يبدو أكثر حضورا لدى المعينيين مع الشيخ ماء العينين الذي يقدم صورة الرجل الوطني المقاوم المجاهد الذي يصون وطنه ويواجه الأعداء، ويبدو ذلك في علاقاته القوية مع السلطة المركزية التي دعمته ويقدم لها الولاء باستمرار. وأسماء مدن ومناطق تدرج ضمن مجالات كلية أوسع نذكر منها مدينة مراكش⁹²⁹ جبل من أعلى جبال تيرس يسمى "بوقطاي"⁹³⁰ بلاد تيرس⁹³¹ أرض زمور⁹³²، البيضاء⁹³³ الصويرة⁹³⁴ مراكش⁹³⁵ الرحامنة⁹³⁶، كاشن، درعة، مدينة مراكش⁹³⁷ أقصى المغرب⁹³⁸. وفي هذا الإطار تأتي الفضاءات الصحراوية التي ينتمي إليها الولي، وهي فضاءات الحدث الكرامي بامتياز، والبؤرة التي نطل من خلالها على مختلف أشكال الفضاء الأخرى، والفضاء

928 - الطرائف الثالثة ، و 542.

929 - مجمع البحرين، و 167.

930 - سحر البيان، و 53.

931 - قرّة العينين، و 211.

932 - نفسه، و 195.

933 - نفسه، و 138.

934 - نفسه، و 93.

935 - مجمع البحرين، و 178.

936 - الطرائف، و 532.

937 - مجمع البحرين، و 167.

938 - الطرائف الثالثة ، و 40.

الذي يعيش فيه جمهور الكرامة، وفضاء التداول والتدوين، والحاضن لهوية الكرامات المدروسة، وخصوصياتها وتفاصيلها، وهي أماكن كثيرة تضم بعضها بعضاً من الأعم إلى الأخص نذكر منها؛ بلاد أدرار⁹³⁹، واعرير⁹⁴⁰، والساقية الحمراء⁹⁴¹ والدهامشة⁹⁴²، وقبيلة ادوابلال⁹⁴³، والترارزة، قرب طرفاية، والداخلة⁹⁴⁴، الصمارة⁹⁴⁵ داغريجت⁹⁴⁶ من أرضنا⁹⁴⁷ قبيلة ادوابلال⁹⁴⁸، واد درعة⁹⁴⁹ ولاتة⁹⁵⁰، قرية ازوان⁹⁵¹، كنانة⁹⁵² كنتة⁹⁵³، توات⁹⁵⁴، قبائل الصحراء، الزوايا، اعرير، المساكين⁹⁵⁵، اولاد طلح، اولاد نخل، اولاد منصور، ازواد، راس الماء⁹⁵⁶، بير من آبار اركشاش، توات⁹⁵⁷، تكانت⁹⁵⁸ قبيلة اداو عيش⁹⁵⁹، الحرمين⁹⁶⁰، قعر البئر⁹⁶¹ بئر تكنيت، تشمشة⁹⁶².. وتضم هذه الأماكن الجزئية فضاءات أخص فضاءات أخص صحراوية أيضا تتقل طبيعة الحياة الصحراوية، وطرق السكن، ونمط العيش، وعلاقة

-
- 939 - قرّة العينين، و 195.
940 - مجمع البحرين، و 170.
941 - قرّة العينين، و 184.
942 - نفسه، و 144.
943 - نفسه، و 141.
944 - نفسه، و 93.
945 - نفسه، و 139.
946 - قرّة العينين و 57، مجمع البحرين، و 173.
947 - نفسه، و 32.
948 - نفسه، و 18.
949 - الطرائف التالدة، و 532.
950 - نفسه، و 133.
951 - الطرائف التالدة، و 98.
952 - الطرائف، و 543.
953 - الاعلام بمن حل مراكزه واغامت من الاعلام، ص 241.
954 - الطرائف التالدة، و 541.
955 - نفسه، و 529.
956 - نفسه، و 521.
957 - نفسه، و 98.
958 - نفسه، و 511.
959 - قرّة العينين، و 130.
960 - الطرائف التالدة، و 25.
961 - نفسه، و 35.
962 - شيم الزوايا للبيدالي، ص 447.

ذلك بالجغرافية والطقس الطبيعي العام بالصحراء، والغطاء النباتي، والماء الخيمة، ونذكر الأماكن الصوفية جانب الخيمة⁹⁶³ القرية⁹⁶⁴ الخيام⁹⁶⁵، والطريق⁹⁶⁶ هذه البلاد⁹⁶⁷، والقبر، وضريح الوالد⁹⁶⁸، وضريح على حافة حفرة الوادي⁹⁶⁹، والمجلس⁹⁷⁰ وأماكن دينية مسجد⁹⁷¹، والقبلة⁹⁷²، والمسجد⁹⁷³، ونواحي البلاد، وأمام المكان⁹⁷⁴ أرض الحرب.

ظلت الفضاءات الصحراوية داخل النص الكرامي مسارحا لاختبار وامتحان كفاءات الولي وقدراته، تتفاعل معها الشخصيات وتعيش داخلها، رغم أنها كانت أرض نزاعات غالبا، إذ تتنازع القبائل على احقيتها في الأرض والانتساب، لأنه ينتمي إليها، وأرض الصحراء والماء، غالبا كان الماء موضوعا للكرامة مبحثا عنه، يعاني أهل الصحراء العطش زمن الجذب والجفاف، فتتحقق الكرامة بنبع أرضي أو نزول الماء من السحاب، كما تبدو وسائل حمل الماء وجلبه متوفرة، فالكرامة تتقل حياة دينامية تتأرجح بين التأزم والتوازن، فالفضاء تظهر الولي منفتحا على فضاءات صحراوية كثيرة، ونلاحظ أن الفضاء كان هو بؤرة الحدث الكرامي يعرف مسارا يعبر عن تغير تم عبر مراحل متوالية الكرامي حضر من خلال أسماء القبائل، وأسماء طبيعية، وأماكن روحية ترتبط بالعبادة. وجل الفضاءات الكرامية صحراوية بها قفار يقل فيها الماء، ويكثر بها الترحل، تتسم بالنزعة المحافظة، فيها حيوانات صحراوية أليفة وعدائية، منها الإبل والأفاعي والأسود نزل بشعب من شعابها خارج القرية وكانت كثيرة السباع والنمور⁹⁷⁵.. وحضرت الفضاءات في النص الكرامي من خلال أسمائها وصفاتها،

963 - قرّة العينين، و 204.

964 - الطرائف الثالثة، و 53.

965 - قرّة العينين، و 137

966 - الطرائف الثالثة، و 500.

967 - سحر البيان، و 36.

968 - مجمع البحرين، و 181.

969 - الطرائف الثالثة، 104.

970 - الضياء المستبين، و 167.

971 - مجمع البحرين، و 170.

972 - الطرائف الثالثة، و 526.

973 - نفسه، و 102.

974 - مجمع البحرين، و 169.

975 - الطرائف الثالثة، و 53.

ومن ذلك نقف عند نسبة فضاءات إلى قبائل مثل، قبيلة ادوابلال⁹⁷⁶، قبيلة اركشاش⁹⁷⁷، نسبة فضاءات إلى شخوص ضريح الوالد⁹⁷⁸، ونسبة فضاءات إلى عبادة بلاد الحج، ونسبة فضاءات إلى حيوانات بلاد السباع⁹⁷⁹، نسبة فضاءات إلى مصادر أو أسماء أو أحداث أرض الحرب⁹⁸⁰، حفرة الجيف⁹⁸¹، أرض الماء⁹⁸²، راس الماء⁹⁸³، وإطلاق هذه التسمية على العيون، ومنابع الماء في عدة مناطق من المغرب من شماله وجنوبه. ونسبة فضاءات إلى فضاءات أخرى، وهذا يعكس إدراك المدون الواسع للمكان، بلاد السودان⁹⁸⁴ بلاد الساحل، بلاد القبلة⁹⁸⁵، أرض زمور⁹⁸⁶ بطحاء السيل، مجرى السيل⁹⁸⁷، وحضرت فضاءات بأسمائها وصفاتها أيضا الكعبة الشريفة⁹⁸⁸، مكة المشرفة⁹⁸⁹.

يبدو بجلاء من خلال ما سبق هيمنة الفضاءات المرجعية، وبخاصة الصحراوية منها، وتبدو أهميتها في النص الكرامي لما لها من مؤهلات وصعوبات تفرض تحديات ترتبط بشخصيات الكرامة وأحداثها والدوافع التي تتطلب تحقق الكرامة، لذلك يبدو الفضاء منسجما مع مكوناتها الحكائية المرجعية ودلالاتها، فجمهور الكرامة يجد فيها مشروعية ومصداقية لأنها غير غريبة عنه فهي قريبة تنطق من فضاءاته، وجغرافيته الحية، مما يؤدي إلى شهرة أماكن بكرامات معينة، ونلاحظ أيضا انسجام الفضاء مع شخوصه الحيوانية التي تناولناها

976 - قرّة العينين، و 141.

977 - الطرائف الثالثة، و 75.

978 - مجمع البحرين، و 181.

979 - الطرائف الثالثة، و 53.

980 - قرّة العينين، و 30.

981 - الطرائف الثالثة، و 25.

982 - الضياء المستبين، و 170.

983 - الطرائف الثالثة، و 521.

984 - قرّة العينين، و 208.

985 - نفسه، و 93.

986 - نفسه، و 195.

987 - الطرائف الثالثة، و 104.

988 - نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 264.

989 - قرّة العينين، و 30.

سابقا من السباع والأفاعي، ومنسجم مع مضامين ودوافع الكرامة كالجفاف، والعطش، وعصيان الحيوانات، والجفاف، وغيرها. ويرتبط بقوة بشخصية الصحراوي القوية التي تتحمل الجفاف، والعطش، وتصر على الحياة والبقاء، وهذه صفات يتقاسمها الولي مع جل شخصيات النص..

2- الفضاء التخيلي

هي تلك الفضاءات الكرامية التي يستعصي الرجوع إليها في الواقع، أو في الكتب المجردة من أي وجود جغرافي، ولكنها رغم ذلك شبيهة بالمرجعية في صفاتها، وهي عامة غير معروفة مثل الصحاري، والمنازل، والأسواق، ويؤكد جود هذه الفضاءات سمة الكرامة الشفوية وينسجم معها، إذ تسقط منها عدة محددات لغوية للفضاء بفعل النسيان، وذلك من شأنه أن يفتح باب التخيل للمتلقي، فهو يتخيل ويختار ما يشاء، وهي شبيهة بالشخصيات التخيلية التي يستبعد تحديدها، وترد بأسماء عامة غالبا، وهذا يبرز تنوعا في الفضاءات الكرامية، وهذا البعد أيضا حاضر في الزمن الكرامي وشخصه، ويبدو من الصعب توظيف مرجعية لعدة فضاءات، وإثبات واقعيته مثل حفرة الجيف⁹⁹⁰، وأرض الحرب⁹⁹¹، وطريق الهرب⁹⁹²، وأرض الماء. إنها تتداخل معها في التسمية، وهي فضاءات قفرية تستدعي الهلع، والفرع، والموت، ترتبط بالأعداء الحيوانات المفترسة المضررة بالبشر، مما يظهر عدم الأمان والخطر، ويتطلب الهجرة والهروب أو تدخل الولي لإصلاح حالها حتى تتحول إلى فضاءات وريدية تحتضن الحياة والأمل، لكن رغم ذلك فهي اختبار للولي حيث لا يتأثر سلبا بأوضاعها، بل يتصف بالاتزان، والثبات، والصمود، ويكون رمزا للإصلاح والاستمرار لجمهوره، فهو يصلح نظرته لهذه الفضاءات قبل أن يتدخل بكراماته لإصلاحها. فتحول

⁹⁹⁰ - الطرائف الثالثة ، و 25.

⁹⁹¹ - قرة العينين، و 30.

⁹⁹² - الطرائف الثالثة ، و 542.

الفضاء رهين بالولي الذي ينقله من حال الموت إلى الحياة، فالفضاءات التخيلية أيضا ذات طابع صحراوي تكرر البعد النفسي والإنساني القوي للكرامة الصحراوية.

3- الفضاء العجائبي

إنها فضاءات تختلف عن طبيعة الفضاءات المرجعية، إذ إنها تتسم بالغرائية، وصفاتها غير مألوفة بحيث تبتعد عن المرجعية وعن التخيلية، لأنها ترتبط بأحداث عجيبة، تتركب من أفعال وصفات مخالفة للعادي، فتركيبها مخالف للفضاءات المرجعية، تزخر كثير من الكرامات بهذا النوع من الفضاءات، من سماتها الشاسعة، تنقلنا إلى عالم الممكن أو العجيب من المعتاد إلى الغريب، وتتجلى العجائية في أفعال من قبيل طي الأرض، وابتلاع الأرض لأعداء الولي، وإشعاع النور من قبر الولي، وهذه العجائية صور من وسائلها الاستعارات والمجازات، وهي أساليب سنتطرق لها في مبحث التصوير الكرامي، ولا يمكن الحديث عن فضاءات عجيبة دون الولي، فهو سبب تحول المكان إلى عجائبي، فهناك فضاءات ظاهرة مثل الأرض، وأخرى باطنة منها بطن الأرض والقبور، والظاهرة مدركة بالبصر يراها الولي والجمهور؛ طيران الولي في فضاءات كثيرة، وعودته في زمن وجيز، ومن الفضاءات الباطنة التي يدركها الولي نفسه، وهي مرئية مباحة أمام الكل، لكن الباطنة مثل القبر لها حرمتها وشروط زيارتها، فجل هذه الفضاءات واقعية مألوفة لكن الصفات والأفعال التي تقع فيها غير مألوفة، لذلك هي تتصل بحقل الطيران، والطي، والنور، فهي حركة تثبت قوة الولي، وتحكمه في المكان، فكأننا أمام فرجة فيها عرض أمام الجمهور، فهي فضاءات غير مهلكة، بل حية صحراوية صعبة لكنها مطيعة ميسرة أمام الولي المسيطر المتحكم. وترتبط الفضاءات العجيبة بالطبيعية الصحراوية المفتوحة، فالعجائبي هو ممكن بقدرة إلهية، محاكاة للمعجزات، هي ليست حاضنة للاحداث بل هي الحدث نفسه الكرامة نفسها موطن إثبات الولاية والقدرة والإلهية. وهناك أيضا فضاءات الطيران وطي المسافات، إذ يصل الولي إلى مسافات بعيدة، ويقطع لآلاف الأميال دون نصب أو تعب أو جهد، يمشي برا أو بحرا إلى عالم بعيد، يطير روحا وجسدا، وقد ينتقل روحا، فيظل جسده في

مكان آخر، حيث يظهر كائنا هوائيا شبيها بالسندباد البحري الذي يسافر كثيرا، تبدو حركته دائرية حيث يرجع لمكان الانطلاق بسهولة لا يعاني المشقة ولا حر الشمس، ولا ثقل المتاع والأرض التي تبتلع الولي حفظا له من الأذى، والبحار والأراضي التي تطوى ثم تبسط في لمح البصر، والسحب في السماء التي تمطر بأمر من الولي، وانفجار الماء بين الصخر استجابة للولي، وغير هذا كثير..

وتكون الفضاءات العجيبة مبهمة في الزمن لا تدرك مدة الحدث فيها، وكذلك الأمر بالنسبة للطي فالفضاء مبهم، والزمن أيضا، وحتى الولي لا يبدو واضحا فهو الوحيد الذي يدرك الأحداث التي تحصل له في هذه الفضاءات، لذلك فالولي له رؤية فضائية خاصة به، عندما يتحكم في الفضاءات المأزومة تكون رؤيته من منطلق القوي المساعد الذي يصلح، وأما إذا حمله فضاء المعراج والطي يكون الفضاء هو المتحكم في الولي زما وحدثا، بحيث لا يعرف الولي متى تعود هذه الفضاءات إلى طبيعتها، ومتى ينتهي الحدث بها، ووظيفة البطل بها مختلفة، فأينما رحل الولي أو حل تبدو وظيفته إيجابية تتعلق بحل الأزمات، وتغيير أحوال الناس. فالولي يكون موضوعا داخل الفضاء، وقد يصير الفضاء موضوع الولي والزمن أيضا قد يتحكم في الفضاء، فالفضاءات الصحراوية في النص الكرامي تكون قاسية لكن الولي قادر على تغيير صفاتها على خلاف النظام الطبيعي الذي كانت عليه، فالبئر الجافة تصير جارية، وتتبع المياه الجوفية بعد انقطاعها، كما تغير الحيوانات المفترسة نظامها من الشراسة إلى الخضوع، ويتحسن الوضع المعرفي والروحي لطلاب ومريدي الولي، في فضاءات مخصوصة تستوعب أحوالهم. ولا تبدو الفضاءات التي يحل بها الولي غريبة عنه، بل مألوفة ولو كانت غير مألوفة لديه في أولها، لأن فلسفة الولاية تفرض الانسجام مع جل الفضاءات بغرض الصلاح، والإصلاح، والسلام، والأمان، فالولي يكون دائما صورة كلية عن الفضاءات هي صورة الانسان المنسجم مع محيطه، الراضي بقضاء الله وقدره. وتوجد فضاءات أخرى غير مكانية للحدث العجيب مثل الإبريق والجفنة. إذ اقترن جسد الولي بها أفعال غريبة غير مألوفة تؤكد مساندتها للولي وانسجامها معه، إناء يذكر الله مما يخلق

الغرابية، ومنها ما يمكن تفسيره، وما لا يمكن تفسيره. وهكذا يتحسن حال الولي، وتحصل لديه الفائدة؛ يدخل عوالم تتسم بالإيهام والإبهام، حركه الاشتياق والإيمان، ويحميه الله برعايته، يرى أموراً لم تكن تدور بخلده، يخبر رفقته عند عودته بما حصل له، فيخلق فضاءً تواصلياً آخر منبثقاً عن فضاءات الحلول والمعراج والطيوان. وتظل لديه أسرار لا يبوح بها تخصه وحده، وجل الفضاءات التي يحل لها الولي تتحول من حال العطش والجفاف إلى حال الخصب والتوازن بعد تأثير الولي فيها. فالرحلة حاضرة في أنواع أدبية ونصوص عريقة، فالعربي رحالة بطل، والولي أيضاً في الكرامة صوفي رحالة بطل، كثير السفر، يبحث عن العلم والحج مما يبرز انسجام الكرامة والنسق الثقافي العربي.

ثانياً : فضاءات الرحلة

1: فضاء الرحلة الواقعية

تحتضن الرحلة في أنواع أدبية ونصوص عريقة، فالعربي رحالة بطل، والولي أيضاً في الكرامة صوفي رحالة بطل، كثير السفر، يبحث عن العلم والحج، يكتشف أماكن جديدة باستمرار، يتعرف على أهلها، ويبني علاقات معهم مما يبرز انسجام الكرامة والنسق الثقافي العربي. وتكون فضاءات الرحلة إما قاحلة أوحية؛ فالولي يحقق الخصب والتوازن بعد العطش أو الجفاف أو فضاء خصب يتحقق بعد المدد. وهي رحلة داخلية أو خارجية أغلبها جماعية يكون الولي مع رفقته.

2: فضاء الرحلة الروحية

وأما الرحلة الروحية فهي معراج الولاية ترد في كرامات عدة، وتتم في فضاءات غير واضحة، تخرق قوانين الزمان والمكان. وترتبط بالخلوة، والاعتكاف، والزهد، بعيداً عن المؤثرات الخارجية، مما ينقي النفس، ويقربها من الله حتى تخلص وتخضع. وتكون في فضاءات العبادة والقداسة، ترتبط البركة بالرزق والوقت، وترتبط الكرامة المقدس بالمبارك، وتتحول عدة أماكن إلى فضاءات مقدسة، بعد أن يسكنها الولي أو يشفي على يديه

المرضى، لذلك نجد عدة أماكن لها قدسية، وقد تسمى بأسماء الأولياء من أضرحة ومساجد، وخلوات، ويحضر هذا الأمر في الثقافة الإسلامية، إذ يرتبط البيت المقدس بمريم، والكعبة بإبراهيم الخليل.

1- فضاء المعراج

يكون فضاء المعراج عادة فضاءً خيالياً بعيداً عن الواقع غير مرجعي، علوي الوجود، مبهم الملامح، بعيد المنال والإدراك، ويحاكي المعراج الولائي المعراج النبوي ارتقاءً علوياً بالبراق، إنه يرتبط بالإسراء والمعراج، وهو تخيلي في ملامحه، مرجعي بحضوره في الكتب وارتباطه بمناسبة دينية كبيرة هي الإسراء والمعراج. وقد كان المعراج مصدر رحلات روحية لعدة أولياء، وذلك يؤكد قدراتهم التي تخرق قوانين الزمان والمكان. وعندما يحل الولي بالمعراج أو الطيران الهوائي.. كائناتاً هوائياً براقشياً ينسجم مع الفضاء الذي يحل به، ولا يتنافر معه.

2- فضاء الرؤية

يبدو هذا الفضاء واسعاً يرتبط بعالم الغيب، غير أن كل متلقٍ يتخيله من منطلقه باعتماد المشيرات النصية والصفات التي ترافقه، فالولي يتحدث عن رؤيا الأولياء والرسول والذات الإلهية، من الصعب أن نفتحم عالماً يبينه النص، ويسعى لإثباته باستمرار، تحضر هذه الفضاءات في كرامات قديمة لدى السلف، تتصف العلو والنقاء الروحي، وتشير إلى القرب من الله، والترقي في مدارج المقامات، والإحسان لله تعالى، لا تتحقق لجميع الأولياء بل للمصطفين منهم، ينقل النموذج الولائي القريب من الأنبياء والرسول، صدق الرؤية من علامات نبوة يوسف عليه السلام والرسول صلى الله عليه وسلم إشارة للنجاة من الشر، ومن فتن الدنيا، وإشارة أيضاً لرضى الله على خلقه. وليس لفضاء الحلم وجود محسوس يتجلى من خلال الرؤى والأحلام، قد يحضر فيه نعيم الجنة والملائكة أو هول السعير، وترد فضاءات كثيرة مبهمة ترتبط بالرؤى والكشوفات ولقاء الرسول.

3- فضاءات الرحلة المنتظرة

أهم الفضاءات الموعودة المنتظرة "الجنة"، وتحضر في النص الكرامي من خلال دعاء الراوي، وترتبط بزمن منتظر غير واضح المعالم، فهو حلم الولي وأتباعه فضاء وردي جميل لأجله يضحى الصوفي ويصبر، وهو مكان اللقاء بالشخصيات المقدسة الطاهرة، يتصوره الصوفي ويتمثله بتقاؤل وانتظار. وهي تفسر استعداد الولي دائما للموت وانتظاره لها، فالدنيا داراستعداد للدار الآخرة الموعودة الأبدية المستمرة تقترن بالجنة والسعادة والخير في فكر الولي والصوفي عموما.

ثالثا : فضاءات التواصل

1- المجلس

فيه تتوق النفوس إلى الاستزادة في العلم والنهل منه، يعد الولي مناره، ونموذجه الواقعي القريب، المجلس فضاء لملء الفراغات، ونهل العلم، وذكر الصالحين، يمارس فيه الولي الخطابة واللقاء، ويقوم الطلبة بالاستماع والإنصات، فالمجلس فضاء الشفهي المسموع أو المنقول، إنه فضاء التلقي المباشر، وفضاء التفسير والإقناع، والتوضيح، والأخبار.. فضاء عاطفي ذهني، وفضاء الإصلاح والصلاح، ومكان الانتظار والتوقع، ومكان الأخذ والتعلم، ومكان التواجد الروحي، وفضاء التناسل، وفضاء إشباع الرغبة العلمية، وفضاء تواصلية بامتياز، ومكان اللقاء بين الولي الشيخ العالم العارف ومريديه وطلابه، وهو مكان لتبليغ العلم والمعرفة والرسالة الروحية للولي. ويكون فضاء النص المحكي فضاء محدود الحيز، لا يتعدى صفحتين أو ثلاثة في أحسن الأحوال، منه المختزل الذي يكثف المحكي، ويبئره، فيسهل تلقيه وذيوعه. فالنص فضاء للحكي، والعمل الحكائي باعتباره فضاء، وفضاءات الولي وحده، وفضاءات الولي وشهوده. وإذا نظرنا للفضاء من زاوية معجمية حيث نرصد الحقول الدلالية للفضاء وجدنا فضاءات صوفية روحية تحتضن العلم والتصوف؛ وهي الزوايا، والرباطات، والمساجد، وخزائن الكتب والمكتبات، والحج، ومكة المكرمة، والزوايا.. فهي أماكن مقدسة تعقد فيها مجالس الذكر والعلم، وتتسم بالطهارة، تسمو فيها الروح بالتربية، والعبادة، والعلم الظاهر والباطن، وحفظ القرآن الكريم، لها طقوسها في الملابس،

والمشرب، وتوقيت الدخول والخروج، وتسود فيها علاقات العلم والتربية بين الشيوخ وأتباعهم، وتطبعها قيم التأخي والتسامح والتعاون. ومن الفضاءات الروحية أيضا المقابر، فهي أماكن تستمر فيها كرامات الولي بعد موته حيث يزوره المريدون والأتباع، ومنها البعيدة، ومنها المحلية. وتتحول فضاءات كثيرة من طابعها العادي إلى القداسة حين تصوير مكانا لنيل البركة، فالكرامة تربط المقدس بالمبارك، فعدة أماكن تتحول إلى فضاءات مقدسة بعد أن يسكنها الولي أو يشفي على يديه المرضى، وتوسم عدة أماكن بأسماء الأولياء من أضرحة وزوايا ومقابر، مما يضفي طابع القدسية على المكان. وفضاءات جغرافية طبيعية كثيرة مثل الواحة، والوادي، والسماء، والأرض، والبحر.. وفضاءات الاقتصاد، مثل السوق والأسواق، والفضاءات الخاصة لها حضور أيضا في النص الكرامي؛ البيت، الفراش، الخيمة، غرفته، المطبخ، مكان الصلاة،.. ويتنوع المكان من خلال ما سبق في جل أنواعه في الكرامات الصحراوية إلى؛ المفتوح (الأرض والوادي)، والمغلق (الزاوية)، والثابت (أرض، بلاد) والمنتقل (جسد، إبريق)، والمتحرك،.. ومنه الفضاءات المادية المحسوسة، مثل القبر والزاوية، وغير المدركة كالجنة، والفضاءات الطبيعية (الصحراء)، والاصطناعية (البيت القبر الزاوية).

رابعا : تحولات الفضاء

هي تلك الفضاءات التي لها بداية ونهاية تتشكل وتتمو، لها صلة بفضاء النص الكرامي، منها فضاءات موجودة قبل الكرامة وأخرى داخل الكرامة (فضاء المعراج، وفضاء الطي، وفضاء البلع، وفضاء الطيران)، فهي فضاءات تتشكل لدواعي خاصة، تتعلق بالولي الذي يعيش داخلها ويعرفها وحده، وقد يراها من الخارج الشهود وقد يدركها وحده. ويتصل الفضاء البؤرة بقوة بالولي لا يفارقه، ينتمي إليه ويؤثر فيه، كل تحركات الولي خارجه هي إغناء له لهذا الفضاء المرجعي الذي يقويه، فهو المنطلق الذي يعود له بعد نهاية الكرامة، يتصل بهوية الشخصية، ولسانها، وتاريخها الشخصي، والعلمي، والاجتماعي، وفي لها. وتتشابه فضاءات الكنتيين مع فضاءات المعينين مع فوارق بسيطة في التسميات، غير

أن المعينية أوسع، وخاصة تلك العجبية الممكنة البعيدة عن الواقع. إذ لم تخرج فضاءات الكرامات الكنتية عن الأنماط المعروفة البسيطة، ويبدو الفضاء الروحي والمرجعي والديني الشرقي أو المشرقي العربي، وجهة الولي باستمرار، يستمد منها النموذج الروحي الولاء من خلال رجالها، فهي أرض الرسل والأنبياء، وموطن التاريخ الاسلامي مكان العبادة بامتياز. إن لم يتمكن من بلوغها بجسده يصلها بروحه من خلال الحلو بها، وطى المسافات، فيكتسي رؤية قوية دينية لها يدعمها بثباته على العبادة، وقراءة القران، والاتصال بالعلماء من خلال الكتب أو البعثات الدينية إلى المغرب. ولم يركز الرواة على تفاصيل أخرى ترتبط بالفضاء مثل الزي، واللباس، والألوان، لكن توجد إشارات كثيرة تبين طابعها النمطي التقليدي الصحراوي، وخاصة ما يتعلق بالولي، عباءة الولي، وعكازه، وسبحته، وعمامته، وهي تتسجم مع الفضاء الأساسي المركزي ونفس الأمر لدى النساء إذ يحضر الزي التقليدي الصحراوي، وكل ذلك يبين الطابع الصحراوي الذي تخلص له الشخصيات الصحراوية. وهذا بيان لتمظهرات الفضاء:

الفضاء	حدود الفضاء
المركز	الصحراء
المحيط	
المحيط القريب	الجوار، الصحراء الكبرى، بلاد شنقيط، المغرب
المحيط البعيد	المشرق والصحراء الكبرى بلاد الاسلام، الرابط هو الدين، والتاريخ، والعرق..

وظل النص الكرامي ينقل نظرة الاحترام والتقدير للمحيط الأصلي، ونظرة التفوق والسبق، وظل نموذجا يحتذى بكل ما يحمله، وكان فضاء لنقل المعارف ومقاصد العبادات، ومكان الزيارات، وهو تعج بالمرآد الشريفة، وينم بالرغبة في وصولها والتواصل معها.

الفصل الخامس: الزمن الكرامي

يبدو الزمن مكونا أساسا في محكي الكرامة إلى جانب الفضاء والشخصيات، والزمن موضوع تدرسه مجالات عدة؛ منها الفزياء، والرياضيات، والفلسفة، من منظورات مختلفة، وهو في النص الكرامي وعاء الحدث يحدده في إطاره، ويسمح بتناميه وتطوره. وإذا نظرنا إلى الكرامة باعتبارها أخبارا، فهي شكل بسيط يركز على الحدث والولي، ويهمل الزمن والفضاء وتفاصيل عديدة مما يقربها من السير الشعبية، والبطولات العربية، فالأشكال البسيطة أو الحكاية البطولية تكون أقل تمركزا في الفضاء والزمن. ويمكن النظر إلى زمن الكرامات الصحراوية من زاويتين؛ إحداهما خارج النص، وثانيهما داخل النص، ولكل واحدة تمفصلاتها. فالأولى تهتم بما قبل النص، أي الزمن الثقافي الذي تم فيه إنتاج النص وزمن تلقيه أيضا، والثانية تعني بالحدث، ويمكننا عرض أهم أنواع الزمن فيما يلي.

أولا: الزمن السردي

يختلف الزمن السردى أو الداخلى عن غيره في كونه يفتح اختيارات عدة يمكن أن يعتمدها السارد، منها الاحتفاظ بالترتيب الواقعي للأحداث، أو يتوسل بآليات، إذ له سلطة التحكم في عرض محكيه فيقدم أو يؤخر. فالاستباق أو الاستشراف قفز من الحاضر إلى المستقبل عن طريق التوقع. والاسترجاع، عود للوراء من الحاضر إلى الماضي عن طريق التذكر أي عرض حدث ماضي سبق حديث الحكاية، فالسارد يغرف من الذاكرة التي تختزن الأهم وتهمل التفاصيل، وأما التعاقبي فيحافظ على تتابع الأحداث بحيث يتعلق اللاحق بالسابق. وكل الآليات تحافظ على اختزال وكثافة النص الكرامي، الذي يعتمد للمح والإيجاز، فيقدم مركزا يجذب قارئه ويثير انتباهه ليكشف آخره.

1- آلياته

أ- قواعد السرد

يحقق النص الكرامي قواعدَ للسرد، فترتيب الحدث يرتبط بنوع النص. فالاستباق يرتبط بالرؤيا والمعراج الولائي، والتعاقب يرتبط بالأحداث التي فيها تطور الحدث من التأزم للإصلاح، والاسترجاع يرد غالبا في كرامات الطي، إذ يعود الولي ساردا ما وقع له في المكان الذي انتقل إليه، وقاعدة العرف والعادة تتجلى في ارتباط أفق انتظار المتلقي بما تعود عليه في النصوص الكرامية التي سمعها أو قرأها، فهي ترسخ لديه بنية نصية تظل ثابتة في ذهنه ومنتظرها في أي نص كرامي أقبل عليه، فهو ينتظر قدوم الولي وتفوقه على العقبات التي تواجهه أو تواجه الناس، فالقارئ جزء من لعبة السرد يشترك في بناء النمط الولائي، والنص، وتغذي انتظاراته عند اطلاعه على النص. ولا يهدم خرق القواعد النص بقدر ما يلفت انتباه القارئ إلى إمكانيات بنائية جديدة للنمط. وتبدو الكرامة الصحراوية في صميم تفعيل هذه القواعد التي صارت التزاما مكرسا في كرامات الشيخين، فالقراءة أنواع أهمها العالمية؛ إذ يحقق القارئ العالم معرفة قبلية باطلاعه على كم هام من النصوص ينتبه بوعي على بنائها، فهو قادر على كشف القواعد ونوع النهاية المنتظرة، وهذا منسجم مع جل التجارب الكرامية السابقة عبر التاريخ، إذ لا تحيد عنها الكرامات الصحراوية، بل تعد مثيلا لها تعيد اللعب بنفس القواعد وفق تنظيمها المعروف.

ب- المدة

والمقصود تحديد مدة الحدث بالنظر إلى مدة الحكاية، وحجم النص السردية، ويطرح الأمر صعوبة لتعذر تحديد نقطة انطلاق الحدث بدقة من الصفر، وهذا يفترض أربع حركات، هي؛ الحذف، والوقفة، والمشهد، والمجمل.

ج-الحذف

يعتبر الحذف أو القفز من التقنيات السردية التي تعني أن الراوي يحذف فترات طويلة من الحدث قد تكون سنوات أو شهورا، أو قصيرة أياما أو ساعات لا يخبر عن محكيها من أحداث أو تفاصيل أو شخوص، فزمن القص هو جزء من زمن المحكي، تحذف منه معطيات قليلة أو كثيرة، وقد يعبر عن هذا الحذف، وقد لا يشار له أو يفهم من السياق.

د- الوقفة أو الاستراحة

يتوقف السرد لصالح الوصف، فتعوض الأفعال والحركات بموصوفات يهتم بها السارد، ينقلها عبر حواسه ينقلها للقارئ بطريقة مجملية أو مفصلة من بعيد أو قريب، يصفها ذاتيا إذا كان معجبا، أو موضوعيا إن كان محايدا، فهو يطيل وقت الوصف على حساب المسرود، ليتبدل السير بالبطء، والحركة بالوقوف، وهي تقنية متواترة لها وظائفها في النص الكرامي، إذ تنقل المشاهد من قلب المحكي، ويحرك من خلالها ذهن متلقيه لعوالم موصوفة.

هـ-المشهد

المقصود بالمشاهد الحوارية التي تنقل السرد عبر مشاهد تعبر فيها الشخصيات عن أحوالها ومواقفها، لتبين تفاعلاتها عبر التوافق أو الصراع، فهذا سرد مباشر تتعالى فيه أصوات الشخوص بحيث تكون قريبة من الواقع، تحرك عجلة التواصل وتعطل السرد الذي يتم عبر لسان الوسيط الذي هو الراوي، فالراوي يختار هذه التقنية لكسر روتين السرد وإضفاء الواقعية عليه.

2-أنواع الزمن السردى

أ-المجمل

هو المكثف أو المختزل تسميات لتقنية واحدة تقوم على التكتيف، فالمجمل أعلى من الحذف، وأقل من التفصيل، تقنية وسطى بين المشهد والحذف، قد يبدو في صورة مجملية أو عناوين غير مفصلة، وهذه التقنية تخفي أحداثا في السرد تم إهمالها غير مرغوب في إظهارها، وهذا ينسجم وحجم المحكي الكرامي الذي يتسم غالبا بالتكتيف. وتتم التقنيات الأربع على انتقائية مقصودة من الراوي، تنسجم مع تقنيات القص الحديثة، وتتحقق هي نفسها في

النص الكرامي والخبر، والنصوص العريقة المؤثثة على الاختزال وهي نصوص الكرامة الأصلية المؤسسة.

ب-الاستباق والاسترجاع

أرى الاستباق والاسترجاع مظهرين حكائيين واقعيين في حكاية الكرامة، قبل أن يكونا آليتين سرديتين يتحكم فيهما الراوي، فزمن الحكاية ليس خطيا أصلا حتى يتم تحويله، إننا بصدد استباق أو استرجاع في الحكاية الأصلية للكرامة يتجلى في الدعاء والحلم والمكاشفة والرؤى .. وهي أمور لا يقوم بها الراوي، وإنما ترتبط بموضوع الكرامة، وتسهل ظهور استباقات واسترجاعات سردية إضافية. فالدعاء استباق يعبر عن صلاح الولي الذي يستجاب له دائما، وبه يغير الأوضاع، ويقترّب من النبوة، ويرتقي لمقامات ربانية كما استجاب الله لذكريا بالولد، وأيوب بالفرج. والرؤيا استباق تمكن الولي من لقاء شخصية مقدسة أو إدراك سر رباني، أو أثر .. وهي أمور تقترب من الحلم والوحي، وهي استباقات تغير مسار الحدث غالبا، ففي إحدى الكرامات يبدأ الولي في مداواة أحد المرضى، ثم يأتي في خاطره ما يخبره بأن يترك هذا الرجل، لأن هناك من هو أحوج إليه، فيتوقف الولي ليشد الرحال لعلاج رجل آخر، فما سيحدث وقع في خاطر الولي، ليسبق الحدث في الحكاية. ويتمظهر الاسترجاع أيضا في استحضار شخصيات مقدسة من الماضي أهمها الرسول صلى الله عليه وسلم، والخضر، وتعرف الكرامة المفارقة الزمنية بشكليها الاستباق والاسترجاع. ويعرف الولي أحوال الناس، وينفرد برؤيتهم في أكثر من مكان، يوقف اللحظة، ويدخل بمفرده في أخرى فهو يلم بزمنين في وقت واحد، ينتقل روحيا إلى مكان آخر، ثم يعود إلى جسده، فهناك زمن الانتقال مبهم أعمى لا يدركه القارئ، وزمن قبل الطيران الروحي وبعده، وهو حدث وقع لعمر بن الخطاب مع سارية الجبل، وإحياء ميت من بشر أو حشرات هو أيضا استرجاع لزمن الحياة واستمرار لها، واستباق للموت، وإيقاف لسيرورة زمنية، وإيقاف لقدرة كان تحققه ممكنا، واستبدال توقف الحياة باستمرارها، وقرب الموت بابتعادها، والحياة الدنيا بالآخرة. وتكون المكاشفة استشرافا واستباقا أي اطلاعا على الغيب

في المستقبل، وتتبئه بولادة ولي أو معرفته بجنس المولود من غير أي وسيلة علمية. والرؤيا استباق، إذ يطلع الولي على سر، أو أثر وهنا تقترب الرؤيا بالحلم.

ثانيا : الزمن الخارجي

ويقصد به الزمن الذي يحتضن النص وهو أنواع؛ زمن إنتاجه، وزمن استقباله، وزمن تلقيه، الذي يرتبط باستمرارية النص، وانفتاحه في المستقبل يحيا عمرا مفتوحا، يحركه تلقيه. وتوجد أشكال لزمن الكرامة الخارجي منها الزمن التاريخي للحدث، وزمن التدوين، وزمن الرواية والتداول، ثم زمن القراءة، ولا تعيش كل الكرامات الأنواع المذكورة، بل إن للمدونة والمشهورة منها لها حظوظ زمنية أكثر من غيرها.

1-الزمن التاريخي

نقصد بالزمن التاريخي المرحلة التاريخية التي احتضنت وقوع الكرامات فعلا أو افتراضا في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين، وهي مرحلة في الصحراء المغربية، وإفريقيا، ما زالت تعرف تشكلا على مختلف الأصعدة حتى اليوم، وقد نقلت الكرامة هذه الأهمية من خلال عدة أحداث تعرض صراعات القبائل الصحراوية فيما بينها أو جهادها ضد المستعمر، كما صورت حياة الإنسان الصحراوي الاجتماعية والثقافية بمختلف أطيافه، لذلك تعد ملاذا خصبا للتقيب والنبش في التاريخ.

وترد بعض المشيرات الزمنية في النصوص الكرامية مثل السنوات الهجرية المحددة 1281هـ، 1323هـ، 1395هـ، وشخصيات أثرت في المشهد السياسي في تلك المرحلة، وينقل معجم الأماكن التقسيم الجغرافي المكاني أيضا.

2-اللازمن

يفقد الصوفي العامل العابد الاحساس بالزمن، فيصير لديه مفتوحا غير محدد، لا يهتم به ولا يريد معرفته مادام يستغله في القرب من الله، والترقي في المقامات، فلما يختار الولي الخلوة بنفسه في زمن مفتوح حتى يسافر روحيا ينفك من قيود التوقيت. ويفصله الإغراق في

العبادة روحيا ونفسيا عن الميقات العادي، فزمن العبادة عند الصوفي يفوق زمن غيره، من العابدين زمن باطني فيه شطح، يخلو من كل المشوشات، إذ يتم في أماكن السكينة في عزلة عن الناس في المغارات أوفي الجبال أو في الصحاري. ولا يجلي معراج الأولياء ميقاتا معينا في كرامات عديدة، فهو سرمدى صاعد نحو الأعلى، حيث يتحقق في الذات الإلهية الاقتراب، ويتلاشى التعامل الدنيوي مع الوقت، إذ يستبدل بمعايير أخرى تتسامى على العد. فلا يمكن لأحد تحديد فترة السمو، والأمر نفسه في الكشف حيث يعلم الولي الغيب، ويستطيع معرفة أمور ستتحقق في المستقبل، يستعصي معرفة وقتها أو مدتها. ويحدث كل ذلك من خلال أفعال خارقة للزمن.

3-الأفعال الخارقة للزمن

تخرق عدة أفعال الزمن في الكرامات، فتأتي مبهمة لا يمكن تعيين وقتها أو عد مدتها، فجائية، لا تخضع لمنطق زمني، لها أبعاد خاصة منها؛ طي الأرض، والنهر، والسماء، وبسطها، وطيران الولي، ومشيه على الماء وفي الهواء، ولبس الجن للبشر، وصرع الولي له.. لذلك يبدو الزمن عجيبا، سحريا بالنظر لما يقع فيه من طي الزمن، وبلوغ أكثر من مكان في وقت وجيز وختم القرآن عدة مرات في مدة وجيزة، فالولي يكسر الزمن ويخضعه إخضاعا، فيطلع الغيب، ويكشف خبايا النفوس، ويدرك بكاء الأرض، وحزن السماء فهو عارف بالزمن متحكم فيه.

4-أزلية الزمن

يتحرر الولي من الزمن، ويحقق ديمومة أزلية، حيث يستمر صلاحه وتأثيره بعد موته، فيظل قبره مزارا، تقام فيه المواسم وفق طقوس مخصوصة، وتشد إليه الرحال، بغية المدد والبركة. ويظل الولاء والإخلاص إليه مستمرا، وترد في كرامات عديدة عبارات تحلية تعكس ذلك مثل زادنا الله من بركته، نفعنا الله ببركته.

ثالثا- الزمن النفسي

يجسد الولي مناقب وقيما عليا، يترجمها في سلوكاته وعبادته وصلاحه ومساعدته الناس. تبدو شخصيته قوية موسومة بالصبر صامدة أمام الأزمات، إرادته مستمرة، عالمه النفسي متوازن، تنتابه رغبات عادية اجتماعية كالزواج وإنجاب الأبناء، ورغبات علمية كالتأليف والتدريس، شعوره الروحي قوي فهو محب عاشق لله دائم القرب منه يسعى للتدرج عبر المقامات حلمه الأكبر دخوله الفردوس الأعلى. هو النموذج الذي يحتذي به أتباعه ومريدوه الذين يستمدون القوة منه، زمن علاقتهم الروحية والمعرفية به مفتوحة لانهم في حاجة دائمة له، يحقق مناقب جمة تتسجم والقيم الاسلامية الانسانية من حب، ورحمة، وتعاون، وتسامح، وتضامن، فهو مصدر توازن نفسي باستمرار.

رابعا : زمن التدوين

تنافس المدونون في جمع وتدوين كرامات الشيوخ الكبار في فترتهم الذين لهم أثر قوي لدى الجمهور الصحراوي، إذ كان تدوين كرامات الشيخين بعد وفاتهما، وبالاحاح من ذويهما وتلاميذهما تعبيرا عن ولائهم لهما، وحفاظا عن هذه الثروة الشفهية من الاندثار، وتعبيرا منهم عن الوعي بأهمية تدوين الكرامات إلى جانب التراجم والمناقب، فزمن التدوين هذا له خصوصياته التاريخية والثقافية التي تقترب من زمن تشكل الكرامات.

خامسا: زمن القراءة

يأتي بعد التدوين الذي تم بعد عمر شفوي طويل أو قصير للكرامات، كتب لها عمر جديد، اكتسبت فيه الكرامات ملامح نصية جديدة تعبر عن جدارة المدون التأليفية، وقدرته على نسج النصوص وبنائها اعتمادا على قدرات وكفاءات ذاتية، فزمن القراءة ليس هو زمن التلقي الأول للكرامة، فهو زمن إضافي مفتوح على فئة جديدة، بعدما كان زمنا شفويا حيا بين فئات مختلفة أوسعها الفئة الشعبية.

سادسا : زمن الأحداث

تهيمن الصبغة الدينية على زمن الحدث، إذ لا يخلو من تلوينه الصوفي، ويحضر الزمن الفلكي في النص، ويتحقق من خلال سيرورات عديدة تؤكد أن الكرامات وقعت في مختلف مظهراته الطبيعية، ولم تستأثر بأوقات مخصوصة بها، فمن المشيرات الزمنية في النص الكرامي الصحراوي نجد؛ الصبح، والليل، وطلوع الشمس، وقبل الغروب، وليلة مظلمة. وبعض المعجمات عكست قسوة الزمن من خلال رؤية ذاتية أو موضوعية للساد (يوم شديد الحر). وهناك الزمن النحوي يظهر الزمن النحوي في النص من خلال زمن الأفعال، وهو غالبا الماضي، سواء في صيغة الأفعال التامة أو الناقصة المزمنة، والفعل المضارع ينسجم والوصف والسفر الذي يترجم حركة فعلية وحركة فكرية ونفسية مستمرة في جل الكرامات، وإن وفي سياق تركيب ماضي أيضا.. وهناك الزمن الصوفي إذ ينتظر المتصوفة زمن الآخرة الدائم، ويرون الدنيا مرحلة إعداد لبلوغ المسعى، فهي دنيئة لا قيمة لها، مرحلة اختبار وعمل محدود منته قابل للتوقف في أي وقت مهما طال فهو قصير منقطع، ليست لها أية قيمة أمام الآخرة زمن الجنة الأبدي الذي لا يعد ولا يحصى، يتحكم الله وحده فيه له مقاييس ومواقيت مخصوصة، تختلف عن المقاييس الدنيوية التي يلغيها الولي والعباد، ويستثمرونها باستمرار في العبادات، والصلاح، والإصلاح قدر الاستطاعة، لأنه يستعد لاستقبال الموت دون خوف أو تردد ليدخل سيرورة زمنية أخرى تتضمن زمن القبر، وزمن البعث، وزمن الحساب، وزمن الجزاء.. فهي رحلة زمنية كبرى نحو الحقيقة الأبدية الخالدة.

سابعا: مشيرات الزمن

تعد الكرامة من الأشكال البسيطة، والحكايات البطولية، وهي تركز على الولي، وتكون أقل تمركزا في الفضاء والزمن. اللذين يمنعاها من الاتساع والتفصيل، ويرد الزمن كنوع من الاستهلال في بعض النصوص الكرامية (ذات ليلة، زمن الحج..) وترد عبارات

وألفاظ كثيرة تنقل قدسية الزمن التعبدية، وقوة علاقة الولي بربه، لذلك نقف على معجم غني (وقت العصر، ليلة القدر، مدة الخلوة، وقت المغرب، صلاة الضحى، بعد صلاة العشاء..)، ويرد الزمن الفلكي من خلال ألفاظ وعبارات منها (الصباح - الليل - طلوع الشمس - قبل الغروب ليلة مظلمة - يوم شديد الحر - زمنه..)، وترد سنوات قليلة محددة منها (1281هـ، 1323هـ، 1395هـ..)، وألفاظ تعبر عن زمن مفتوح غير محدد (الموت، والحياة، والمستقبل..، والزمن..). ويعد الاستشهاد شكلا من أشكال الاسترجاع، يتم عبر الاقتباس، أو التضمين، أو التمثيل بنص قرآني أو حديث نبوي، أو ذكر بيت، أو إشارة إلى قصة مشهورة. والاستشهاد موظف بقوة في نصوص الكرامات المدروسة من خلال الأبيات الشعرية، وعرض المعجزات، وأيضا الاستدلال الآيات القرآنية والأمثال. ويمكن عرض مختلف أشكال الزمن الكرامي من خلال جدول يبين ذلك. ويبدو الزمان مؤهلا يحتضن محتوى كرامات "قوة العينين" و "الطرائف"، وينسجم مع سياقهما، كما يبدو أحيانا كثيرة فضاء، ولكنه لا يخرج عن زمن الرواية أي أنه يسرد في فترة محددة مؤهل فيها للسرد من حياته، أو زمن حياة الشيخ وهو أيضا معروف من بفترة تاريخية معروفة بحمولاتها التاريخية والثقافية، وأما بعض التحديدات الزمنية فهي في عمق مكنون الكرامة وأبعادها الروحية.

الباب الثاني
فنية الكرامة الصوفية الصحراوية المغربية

الفصل الأول : الشعر الكرامي

عرض مدون كرامات الشيخ ماء العينين نصوص الكرامات نثرا في مدونة "القرة.."، وضمن أغلبها مقاطع شعرية تتصل بالشيخ ماء العينين، وأبيه الشيخ محمد فاضل، ومحمد تقي الله، والعاقب الجكني، وغيرهم.. وقد وردت هذه المقاطع الشعرية في كتب صحراوية أخرى أهمها "مذكر الموارد" و "مجمع البحرين" ونعت البدايات والنهايات. في حين لا نجد نصوصا شعرية في مدونة الطرائف. وهذا يبين أن هذا التزاوج بين الشعر والنثر في "القرة.." مقصود إذ يعد من استراتيجية التدوين لدى مربيه ربه الذي اعتنى برسم خطوات مضبوطة في تدوينه لمقاصد وأبعاد هامة جعلت منه محطة مخصوصة في المدونات الكرامية بالصحراء المغربية. وهذه المقطوعات متزامنة لأنها صادرة عن علماء أولياء ومدونين شعراء عاشوا نفس الفترة الزمنية، وساهموا في خلق حركة شعرية كرامية وصوفية بالصحراء المغربية، ولهم نفس المرجعية الثقافية والصوفية. وقد قدم النثر على الشعر وهذا ضروري لأن النثر تكفل بمهمة سرد القصة الكرامية في حين ورد الشعر دعما له وتأكيدا لفقواه، وهذا يعكس أهمية الشعر وقيمته في هذه المرحلة الثقافية من تاريخ الصحراء المغربية، ومدى عناية العلماء والأدباء به، وهو تعبير عن اهتمام المتلقي الصحراوي به، فكلما علت القيمة الأدبية كان الشعر أحد مقاييسها، والشعر زاد الخطاب الكرامي قدرا ووسع من دائرة جمهوره أيضا. لذلك نسعى في ما يلي الوقوف عند مضامينه وشكله. وهو أمر من شأنه تكسير رتابة الجمل النثرية الخالية من الإيقاع لصالح قيمة إمتاعية إضافية تؤكد المعنى وتضيف إليه أساليب فنية تمتع المتلقي الذي تعود على تذوق الشعر وتمعنه.

أولا : معاني وأغراض الشعر الكرامي

ولاشك أن أغراض الشعر التقليدية التي دأب الشعراء على النظم فيها معروفة، وهي "عمليات تغريضية يشارك فيها الباحث بنحو ما يشارك فيها المتلقي، أي أنها حدث تواصلية يتفاعل ضمنه مصدر الرسالة ومقصدها وفق أطر مصطنعة تضمن الفعالية المتوخاة من الرسالة"⁹⁹³.. "في ضوء هذا التصور الناضج الذي يربط الغرض بالقصد الذي يبلغه المرسل

⁹⁹³ - حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس ببيروت، ط 2، 1983، ص 240.

عبل موضوع رسالته، وبالنظر إلى الأغراض التقليدية المعروفة من مدح وثناء وفخر وهجاء ووصف .. نتساءل عن أغراض الشعر الكرامي ماهي؟ هل تقع تحت هذه الطائفة أم لها منحى آخر تتوخى بلوغه، علما أننا لا نتعامل مع نصوص مكتملة تصل لدرجة القصيدة، ولا نتحدث أيضا عن نصوص شعرية مستقلة بذاتها، بقدر ماهي استدلالات حجاجية يقوي بها المدون محتوى النصوص لوظائف حجاجية ترتبط بإقناع المتلقي القارىء، فالمدون باحث مطلع على مصادر كثيرة متتبع لآثار الشيوخ يبحث عن الحجج يقوي الكرامة باستمرار فهو مدون حائك يبني النص بعد وجود النص النثري فيضيف إليه نصوصا شعرية ليس من قبيل الحشوي لكنها تبدو متناسقة معنويا وسياقيا. فالكرامة شجرة وارفة الموضوعات لكل ولي ثمره منها، فهل الشعر الوارد فيها يبسط موضوعاتها أم يتناول موضوعات تتصل بالولي أم قصده التأثير في جمهور الولي، علما أن زمن انتاج النص الشعري والكرامة ليس واحدا لأن المدون هو الذي يجمع بينهما كما وضحت سابقا. ويعد القطب محمد فاضل من أهم من جعل شعرهم داخل النص الكرامي وهو رجل شاعر له قيمته الأدبية، وقد كرر بيته التالي من قصيدته⁹⁹⁴ "النور الساطع" في أزيد من كرامة وهو يقول:

وكسر يا جبار جبره بلى ومتكبر وغالب على أموره

يبدو أنه بيت شهير من قصيدة أشهر للشيخ يتضمن توسلا من الله ليجير كسررجل أحد تلاميذه، الذين لجؤوا إليه، ولد ورد هذا البيت في سياق كرامات الشفاء للشيخ ماء العينين، وهذا يؤكد أن أباه حقق نفس الكرامة وضمنها القصيدة وكونه مثله الذي يسير وفق خطاه، والدعاء غالبا ما يتوسل به الولي قبل تحقق الكرامة فقدم الدعاء شعرا بصيغة الأب الولي الشاعر.

وترد أبيات⁹⁹⁵ على لسان الشيخ ماء العينين نفسه بالحسانية الدارجة في التواصل العامي بين جميع الناس بالصحراء فهو يقول:

استمعت الناس اتكول الطب ال فذبيح لا تشكيك

⁹⁹⁴ - قرة العينين ، و 37 - 38. مجمع البحرين، و 179.

⁹⁹⁵ - قرة، العينين ، و 18.

ألا يمكن فيان يا—رب أن تذبح يكون عليك

لا يبدو البيتان مستعصيين على الفهم لسهولة ألفاظهما، وقربهما من العربية، إذ يتناول البيتان أهمية الطب والتطبيب لدى الناس، وهو أمر مرتبط بأهمية الصحة، وتحقيق كرامات الشفاء، وقد يرتبط باشتراط الولي للذبيحة، فهي وسيلة لتقرب من الله، والدعاء له بالشفاء، وهو أمر شائع بين الناس، يرفضه الشيخ جملة وتفصيلاً، ويظهر ذلك بوضوح في بيتين بالعربية للشيخ. بنفس المعنى إذ يقول: (بحر الوافر)

سَمِعْتُ النَّاسَ قَالَتْ فِي الذَّبِيحَةِ تَرَى طَبَّ الْأَنَامِ هُنَا صَحِيحُهُ
فَقُلْتُ لَهُمْ عَلَى غَيْرِ الْآلِهِ ذَبِيحَتَا أَرَى لَهَا فِي الذَّبِيحَةِ
فَلَمْ أَدْبَحْ عَلَى الْأَكْوَانِ طَرًّا وَمِنَ الْقَوْلِ فَاسْتَمَعُوا صَرِيحَهُ
فَلَا وَاللَّهِ... الْعَظِيمِ وَلَوْ فِي النَّارِ أَجْعَلُ كَالطَّرِيحِهِ
وَلَكُنِّي عَلَى رَبِّ لَكَّالِي وَمَنْ يَكِلِ الْأُمُورَ لَهُ رُبِيحَهُ

فهو يبين رأيه بخصوص سلوك شائع، كما يعبر عن نظرتَه للرزق الذي يكفله الله للإنسان، لذلك فهو راض به، وذلك في الأبيات⁹⁹⁶ التالية: (بحر الكامل)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ رِزْقِي بَأْتِي سِيَانٍ فِيهِ تَحْرُكِي وَسُكُونِي
وَعَلِمْتُ أَنَّ تَحْرِكِي مَعَ خَالِقِي لِلرِّزْقِ جَهْلٌ ثُمَّ ذَاكَ جُنُونِي
وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُوقِنِّي لِأَمِّ يُرْضِيهِ مِنِّي أَنْ تُخَيِّبَ ظَنُونِي
وَعَلَى نَهْرٍ فَضْلُهُ لَا عَدْلُ وَيُدُّ كَمَلِي الْفَنِّ الْجَمِيلِ فَنُونِي

وهو دائم القرب من الله بقلبه وبدعائه وعبادته وتوسله، إذ يقول⁹⁹⁷ أثناء استغاثة الناس به وهم على وشك الغرق في السفينة بالبحر، وهم في رحلتهم للحج قد نجاهم الله. (بحر الطويل).

⁹⁹⁶ - قرة العينين، و 20-21. مجمع البحرين، و 171.

⁹⁹⁷ - قرة العينين، و 34. مجمع البحرين، و 179.

إليه لمن نادى ولو كان في العرشِ وعند انتهاء الخافقين في الفرشِ
بفضلِ إلهي كلِّ يومٍ وليلةٍ ذكورِ إناثِ قاعدين ومن يمشي

ومن شعراء الكرامات الصحراوية نجد محمد تقي الله الذي عرض جلها في كتابه "مذكر
الموارد" إذ يقول⁹⁹⁸ (بحر الرجز).

وفي الضياء المستبين الأجود عن سيدي محمد بن الأسود
قال مخاطبا لشيخنا عسى أن يحصر الله أباك الأقدسا
فيما سيعطيك من النعم لا تحصى ولا تعده تفضلاً
وقال شيخنا الكبير السنِّي نجل ما العينين خير مئِي
وقال قد رأيت أملاك السما تلو لوائي له تكراً
وقال قد عزمت أن أمسكه لكن أرضي لا تطيق ملكه
وقال قد دح في صيتي في لبي ما العينين ذي القدي والأمن
وقال ما العينين لا تقصروا في زوره ولو بعيدا نظروا

يتناول في تلك الأبيات مناقب الشيخ ماء العينين، ويشهد نفسه عليها، وأهمها
الاستقامة، كما يعرض شهادة الأب في ابنه الولي الشيخ، فقد أكد رؤيته له في المنام،
وبعدها إحدى كراماته أنه تشوف قبلا ولاية ابنه، وهو يؤكد استحقاقه لها. وبعن محمد تقي
الله نفسه شاهدا من خلال أشعاره على ولاية الشيخ ماء العينين، فيعرض أهمها في أبياته
التالية: (بحر الرجز).

ومثل ما قحَّ فيمن عجبوا إليه وذاك أيضا عجب
وذاك أن الله من أفعالهم للنار قد أوقد في رجالهم

⁹⁹⁸ - قرة العينين، و 16.

وفي سلاحهم وفي اللباسِ وفي عصيهم وفي الأنفاسِ
ولم يغنهم غير أن قد طلبوا منه استغاثةً وفيه رغبوا
لكنهم عندهم لم يبقَ مثل الإبلِ واللباسِ حقاً

ويسترسل في ذلك حين يتحدث عن كرامة استحالة الماء لبنا في البيتين⁹⁹⁹ التاليين:
(بحر الرجز).

وربما انقلبَ ماء لبناً وربّما يصيرُ سمنًا حسنا
وربما يكثرُ اليسيرا وربّما يقلُّ الكثيرا

وهنا يتحدث عن حمايته لرفيقه: (بحر الطويل).

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ خَلْدِهِ رَفِيقِينَ جَلَاءَ خِيَمَةِ أُمِّ مَعْبُدِ
هُمَّ نَزَلَاهَا بِالْهَدْيِ وَأَهْتَدَتْ بِهِ فَقَدْ فَازَ مَنْ أَمَسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ

كما أشار لحفر البير بقوله في ثلاثة عشر بيتا، وهنا يحيط الشاعر محمد نقي الله بسرد الكرامة وعرض تفاصيلها، الأمر الذي قد يجعلنا نستغني عن الكرامة النثرية التي تعرض حادثة حفر البير: (بحر الرجز).

وكم له في الناس من كرامه تعجز كل سيد علامه
وذاك صخرة رأيتها وقد تعرّضت في قفر بير لا تحد
وأرضها ليست إن ضربت صخرتها من ضعفها تلاقطت
وجاءه الناس وأعطوه الخبر وقال لا بأس ولم يكن ضرر
وسار في الأقوام سيره لهم لينظر الأمر الذي وعظهم
فجاءهم مساعدا من سألأ ومرحبا به ومن له تلالا

⁹⁹⁹ - قرة العينين، و 25-26.

فَأَمَرَ الْعَامِلَ أَنْ يَمَسَّهَا وَحِينَ قَدْ ضَرَبَهَا هَرَسَهَا
وَبَقِيَتْ تِسْعَةٌ أَجْزَاءَ مَتَى ضَرَبَهَا وَأَعْجِبْتُ كُلَّ فَتَى
وَبَعْضُ ذِي الْأَجْزَاءِ رِيماً رَجُلٌ ذُو قُوَّةٍ يَضْرِبُهَا حَتَّى يَكُلُ
بِيَارَةَ مِنَ الْحَدِيدِ ثُمَّ مَا يَسْقُطُ مَا قَلَّ وَمَا عَظَمَا
وَعَلَّظَ حَاشِيَةَ هَذِي الصَّخْرَةِ سَبْعَ أَصَابِعٍ بِغَيْرِ مَرِيَةٍ
وَكُلُّ جِزْءٍ كَانَ مِنْ ذِي التَّسْعَةِ يَتَقَلُّ حَمَلَهُ عَلَى الْأَرْبَعَةِ
وَأَمْرُ ذِي الصَّخْرَةِ أَعْجَبَ الْبَشَرَ وَلَيْسَ مِنْ غَابٍ كَمَثَلٍ مِنْ حَضَرٍ

ويستمر في عرض كرامات تتعلق بالولي ذاته¹⁰⁰⁰، والتي من أبرزها انبعاث الضوء من جسد الولي الشيخ ماء العينين. (بحر الرجز).

وربما يخرج نوراً بأد منه ينير ذا الطريق للعباد
وينتقل للحديث عن تسبيح الإبريق الذي يتخذه الشيخ للطهارة، إذ يقول: (بحر الوافر).
عسى من قَرَّبَ الإبريقَ يَقْضِي لَنَا بِالْقَرْبِ مِنْ بَعْدِ الْبَعَادِ
وَيَرْزُقُنَا بِصَحْبَتِهِ وَدَادًا وَيُرْشِدُنَا إِلَى سَبْلِ الرِّشَادِ
وقد أشار كذلك لتسبيح الإناء في قوله: بحر الرجز
وَرِيماً يَذْكَرُ فِي إِنْاءٍ فَيَذْكَرُ الْإِنَابِلَ مِتْرَاءِ
كسطلة الذي له رأيت وكأسه الذي عنه قد رويتُ

وتتناسل كرامات الشيخ على لسان محمد تقي الله¹⁰⁰¹ في "مذكر الموارد" الذي يصير على إعلان نفسه منتبعا شاهدا لكراماته على غرار مربيه ربه، لكن بصيغة شعرية، كما يبين بجلاء كذلك أن مذكر الموارد من أسانيد "القرة.." ألف قبله ومحمد تقي الله دون قبل مربيه

¹⁰⁰⁰ - قرّة العينين ، و 42.

¹⁰⁰¹ - قرّة العينين ، و 52. مجمع البحرين، و 180.

ربه كرامات الشيخ، وهنا يتناول كرامة بكاء الأرض والسماء على رحيل الشيخ من مكان إقامته أثناء السفر: (بحر الرجز)

وربما بكت عليه الأرض وبكت السماء حكاة البعض
فكلُّ من إرادته بشرٌّ أباد الله بكلُّ ضرٌّ

وقد ذكر رؤية الأولياء بالمشرق للشيخ رغم عدم لقائهم به، وتناول كرامات الطيران وانطواء الأرض في الأبيات التالية¹⁰⁰²: (بحر الرجز)

وبشر النبي الأوليا به لما أتى لحج بيت ربه
إذ كان عند المصطفى يروم بعضهم السر الذي تقوم
به السما والأرض والذي انطوى على جميع سرحاء واحتوى
فقل سيد الأنام قل لمن آيته كذلك إذا أتاك أن
يُعطيك الذي رجوت عندنا فإنَّ عنده الذي سألتنا
فحينَ قالها له أعطاه ما كان يروم عند الكرما

ويعد العاقب الجكني أيضا أحد شعراء الكرامات الصحراوية لأنه أنشد أبياتا كثيرة في كتابه "مجمع البحرين.."، وهو أحد أسانيد القرة أيضا، ضمن شعره كرامات الشيخ ويرز شاهدا عليها، ومنها أبيات ارتجلها يقول فيها¹⁰⁰³: (بحر الوافر)

إلى كم لا تسبح يا فؤادي وقد عاينت تسبيح الجماد
لقد يقظ الجماد وأنت غافٍ فما لك لا تهبُّ من الوادِ
إذا كان الجماد له سموٌ عليك فما أخسك من فؤادِ
بصحبة ذا الولي أصابحظاً وصحبُ الأولياءِ أعزُّ زادِ
ولي الله ما العينين حامي ذمام الدين نبراس الردادِ

¹⁰⁰² - قرّة العينين، و 61. نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 264.

¹⁰⁰³ - قرّة العينين، و 50. مجمع البحرين، و 168 - 169.

عَسَى مَنْ قَرَّبَ الْإِبْرِيْقَ يَقْضِي لَنَا بِالْقَرَبِ مِنْ بَعْدِ الْبَعَادِ
وِيرْزُقْنَا بِصَحْبَتِهِ وَدَادًا وِيرْشِدُنَا إِلَى بُدْلِ الرَّشَادِ

وقد ركز فيها على تسبيح الجماد الذي صحب الشيخ زما وتعلم منه عبادة التسبيح لله، وهي إحدى ثمار التربية الصوفية التي تبلورت في الجماد.

وقال محمد سالم بن بوه اليعقوبي¹⁰⁰⁴، أبياتا شعرية تنقل كرامة تيسير حفر البير على يد الشيخ وانكسار الصخور الصماء، إذ يقول: (بحر البسيط)

يَأْيُهَا النَّاسُ هَذَا الْأَمْرُ ذُو عَجَبٍ تَفْجِيرُ عَيْنٍ لَدَا صَلْدَاءِ صَمَاءِ
كَرَامَةٌ بِفَوْوسِ الْحَقِّ مُحْكَمَةٌ تَصْمِي صِلَابِ الصُّخُورِ كُلِّ أَصْمَاءِ

ويورد مربيه ربه في "القرة.." مقاطع شعرية لا يصرح بقائلها، ولكنه ينوه به، فيقول "لله در القائل"¹⁰⁰⁵، ومن تلك المقاطع الأبيات الأربعة التالية التي تأتي بصيغة غير تقليدية حيث ركب الشطر فوق الآخر، ولم يوازيه فكان شكله غير عمودي بل أشطر متوازية نعرف آخر البيت من قافيته ورويه. وهذه الأبيات لا تتضمن كرامة بل تتضمن وصف أحوال النادمين على المعصية. التي قد تكون دافعا لقرب الشيخ حتى يطلب منه الدعاء بالثواب مثلا. (بحر الكامل)

إِنْ كُنْتَ تَغْدُو فِي الذُّنُوبِ جَلِيدًا
وَتَخَافُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدًا
فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمَهِيْمِ عَفْوُهُ
وَأَتَاكَ مِنْ دَعَمِ عَلَيْكَ مَزِيدًا

¹⁰⁰⁴ - قرّة العينين، و 40، مجمع البحرين، و 180.

¹⁰⁰⁵ - قرّة العينين، و 23. مجمع البحرين، و 174.

وقد تأتي مقاطع شعرية بلسان جماعي يشهد على كفاءة الشيخ، وقدرته، وذلك بعد تحققها، وهي لأهله حين أنشدوا عند شفاء أم الشيخ ووقوفها وإبصارها عند عودته إليها وهي ستة أبيات¹⁰⁰⁶: (بحر الوافر).

أيا من كلاًمذُ ودي أصاباً ومن خلاله بنشي السابا
وكلاًم في الدجا موسى بلطفٍ وكلا ما ثم الهي الخصابا
ويامر رد يوسف بعد بعد ووصل أبوة ينتحب إنتحابا
ويا من خص أجمله واصطفاه وأعطاه الرسالة والكتابا
وقربه وسماه حبيباً وأعتق في شفاعته الرقابا
لك الفضل المبين على عطاء ومننت به وضاعفن الثوابا

لقاء الشيخ بولي بالحج يعرف الشيخ محمد الفاضل دون أن يراه، وإكرامه الشيخ.
وتأتي الأبيات التالية¹⁰⁰⁷ في نفس السياق بنفس الصيغة "لله در القائل"، تعج بمعاني
الثوبة والندم. (بحر الخفيف).

ربّ شخصٍ تسوقه الأقدارُ للمعالي وما لذاك اختيارُ
غافلاً والسعادة احتضتّه وهو منها مستوحشٌ نقأرُ
يتعاطى القبيحَ عمد فيلقاهُ جميل مجلسه دينارُ
كلما فارق الذنوبَ أتته توبة طهرته واستغفارُ

يقول مرید الشيخ محمد فاضل بن الحبيب إن الله كلمه اثنتي عشر مرة عند زيارته
للشيخ ماء العينين. وقد كشفنا من خلال ما سبق الكرامات الشعرية التي برز محمد تقي الله

¹⁰⁰⁶ - قرّة العينين ، و 57. مجمع البحرين، و 173-174.

¹⁰⁰⁷ - قرّة العينين و 125.

في نسجها في مذكر الموارد الذي يمكن عده مدونة كرامية شعرية اعتنت بتتبع كرامات القطب ماء العينين وصياغتها شعرا، وهو أمر مميز من شاعر عالم تجاه كرامات شيخ شاعر أيضا له ديوان ضخم يسبر أسرار الشعر وخفاياه ومعانيه، وما المقاطع الواردة في كرامات "القرة.." المجاورة للنثر إلا حرص على إرساء دعائم الحجاج الكرامة الذي له وسائل شتى، وهو من باب تنويع وسائل تعبير الخطاب الكرامي، وإعلاء من قدره الأدبي، ومعانيه الصوفية، ودلالاته الإنسانية.

فالشعر الكرامي كما تبين اسم على مسمى، حمل معاني الكرامات ومضامينها، ولم يخرج عن دائرتها. لذلك يعد التعامل معه تعسفا من خلال التقسيمات التقليدية المعروفة لأغراض الشعر وموضوعاته، لأن الشعر الكرامي غير مستقل عن سياقه الصوفي ومرجعياته الصحراوية والولي، فقد ظلت المضامين هي نفسها مضامين الكرامات التي وقفنا عندها في أكثر من موضع، وظل غرض الكرامات وتدوينها الرئس هو الحجاج الذي يتجلى في إثبات الكرامات وقبولها وتأكيد ولاية الشيخ، وجدارته، وكفاءته، حتى يستمر جمهور الكرامة في ترويجها وفي تأييد الشيخ ودعمه، وحرص المدونون على صياغة الكرامة شعرا يأتي في سياق الحركة الشعرية الجيدة التي عرفها أدب الصحراء المغربية وبالخصوص الشعر الصوفي، هذا وتجدر الإشارة إلى أن كرامات القطب ماء العينين حظيت بهذا التشريف أكثر من غيرها قديما وحديثا، فنادرا ما نجد الكرامات الشعرية في المدونات الكرامية بنفس القدر والاهتمام، وهذا يعد ميزة وخصيصة يفتخر بها التدوين الكرامي الصحراوي ويحسب ذلك لمربيه ربه ومحمد تقي الله أيضا. وقد وردت المقاطع الشعرية التي ضمتها كرامات الشيخ ماء العينين الواردة في مدونة "القرة.." وفي كتاب "مجمع البحرين" وفي "مذكر الموارد" أيضا، وهي مقطوعات نظمها الشيخ نفسه، أبوه الشيخ محمد فاضل أو محمد تقي الله أو محمد العاقب الجكني، وظلت مضامينها مرتبطة بسياق الكرامات التي وردت ضمنها بحيث تختصرها، أو تؤكد جدارة الشيخ وولايته. فهي وشيجة الصلة بمضمون الكرامات لم تعوض

النثر في عرضه القصة، ولم تغط قصة كرامة، بل ظلت مكملة مساندة شاهدة عليها قدمت معانيها بصيغة الشعر وألحت على وجوده داخل النص النثري.

ثانياً: البناء الهيكلي

1- النص الومضة

شعر الكرامة أبيات منفردة ومنتف ومقطوعات، نصوص قصيرة وليس قصائد طوالاً،

ذاك ما يثبتته الجدول التالي:

عدد الأبيات	عدد النصوص	الشاعر
1	1	محمد فاضل
2	2	ماء العينين
4	1	
5	1	
1	1	محمد تقي الله
2	5	
5	1	
6	1	
8	1	
13	1	
7	1	العاقب الجكني
7	1	بن بوه اليعقوبي

فقد ورد في الجدول حصر لعدد نصوص وأبيات الومضات الواردة في الكرامات من خلال النماذج المدروسة في المبحث السابق، وليس إحاطة بكل كرامات الشيخ، ويظهر أن الغالب حضور البيت اليتيم أي المنفرد، والنتفة أي البيتين والثلاثة، والقطعة بين الأربعة والستة، والقليل أن نجد سبعة أبيات فأكثر، وهذا حجم القصيدة كما عرف عند النقاد، وهو ما وجدناه لدى الشاعر الإبن محمد تقي الله. إن القول بضياح شعر الكرامات بسبب شفهيته وقلة روايته، أو تعرضه للحذف والبتتر تحت ضغط سياقات استشهادية وتمثيلية أجبرت المدون على الانتقاء والاختيار، فجاءت صيغهم دالة على التصرف في النصوص ونسيان

قائبا أحيانا، من مثل "الله در القائل" ..و"أنشد أحدهم" ..فالمدون يكتفي بما يتطلبه سياق استدلاله في الكرامة النثرية، فالقصر خاصة فنية أصيلة لا طائفة، وجوهية لا ثانوية في الكرامة، وحجم الكرامة عموما لا يسمح بالاسترسال الشعري، أو بالتقارب الكمي بين الشعر والنثر، فنص الكرامة نثرا ، وشعرا ، نص مكثف مختزل يعتمد على فن الحذف، وهو ليس حذفاً عشوائياً يحول النص إلى لوحة مبهمة، لكنه الحذف الفني الذي لا يخل بالمعنى ولا يبيح جملاً أو كلمات لا حاجة لها يمكن الاستغناء عنها. فالاختزال والتكثيف يحتفظ بأهم مميزات الكرامة وهو الإدهاش، فغالبا ما تم التركيز على الخرق والعجيب، ليدعو القارى إلى ولوج عالم ممكن يتحكم فيه الولي ليخرجه من عالمه الاعتيادي إلى عالم روعي ممكن مفتوح للتأويل. كما يركز هذا التكثيف الشعري على عرض المفارقة بين عوالم التأزم المستعصية من ألم ومرض وجفاف وعقم ظلام، وعوالم الحياة المفعمة بالماء والولد والضوء والشفاء ..حيث يقف الولي بطلا متحكما في طاقات الحياة الكبرى وهي الماء، والنار، والهواء، ليعيد التوازن، فالومضات الشعرية تنخرط في سلسلة وسائل حاجية تؤكد وتغل مشروعية هذه المفارقات الممكنة. فالنص القصير ذو النفس السريع الاستعجالي، يتجنب هفوات الإطناب المكلف والإسهاب الممل، لينعم بسلطة الرواج والانتشار التي يمتلكها النص الومضة.

2- الوحدة الموضوعية والمقدمات

تستقل النصوص الشعرية بموضوع واحد هو عرض كرامة وهذا هو المهيمن، أو تمجيد ولي، أو دعاء، أو وصف أحوال جوانية روحية لأتباع الولي ومريديه، وهي بذلك تظل في فلك الكرامة والتصوف لا تخرج عنه إلى موضوعات بعيدة، وإن كانت مستقلة بموضوعها عن موضوعات أخرى فهي غير مستقلة عن النص الذي يؤطرها ويضمها فهي من لحمته تساهم في بنائه ولا تناقضه، لهما بؤرة دلالية واحدة. ولا توجد نماذج تكسر هذه الخاصية الموضوعية. ولا تخلو الأشعار الكرامية من قيمتها الإيقاعية التي تثبت كفاءة الشاعر المدون مريبه ربه الذي له ديوان شعري، ومحمد تقي الله ابن الشيخ عالم وشاعر دون سيرته وضمنها كرامات شعرية دونها عن أبيه، والشاعر الولي أيضا الشيخ محمد فاضل وابنه

القطب ماء العينين، لذلك سنقف عند هذا الجانب الموسيقي من خلال نفس النماذج المعروضة في المقاربة الموضوعية للشعر الكرامي التي تناولناها أعلاه.

ثالثاً : موسيقى الشعر الكرامي

إن شعرية النص تبنيتها جملة مكونات متظافرة، منها الموسيقى. وهاته ليست قوالب جاهزة تختزل في البحور الخليلية، يستهلكها الشعراء بشكل ميكانيكي موحد دون تمايز، وإنما هي بنية ذات بعدين إيقاعيين داخلي وخارجي، تؤسس موقعها بين مواقع غيرها داخل الخطاب الشعري الكرامي، متفاعلة وإياها، حيث جسور التواصل الدلالي والجمالي تأثراً وتأثيراً قائمة بينها وسائر البنيات المعجمية والتركيبية والنحوية والبلاغية.. الفاعلة في النص الشعري. ويمكننا النظر إلى نفس المقاطع الشعرية الواردة في المبحث السابق على التوالي بعين إيقاعية، ونقف عند أوزانها وأروائها ومقاطعها حتى نتبين مدى موسيقية هذه المقطوعات، ومدى العناية بها، وسنعرض أبياتاً من تلك المقاطع. وغرضنا استجلاء السلوك الموسيقي لهؤلاء الشعراء فضلاً على تحديد الملامح الإيقاعية للشعر الكرامي.

محمد فاضل: وكسّر أيا جبار جبره بلى ومتكبر وغالب على أموره

البحر	حد القافية	حروفها	اسمها	نوعها	إيقاعه الداخلي
الطويل	مورهي سب خفيف ووتد مجموع	الروي: الراء الوصل الهاء الخروج: الياء الردف: الواو	متدارك	مطلقة	جناس اشتقاق: جبار . جبره ترادف: جبار . متكبر تكرار صوتي: ر . و .

ماء العينين:

إلى لمن نادى ولو كان في العرش وعند إنتهاء الخافقين في الفرش

الطويل	فرشي	الروي الشين، الوصل اليا	متواتر	مطلقة	الفرش
					تصريع وتماتل صيغ صرفية: العرش . تكرار صوتي ن . د . و .

محمد تقي الله:

فكل من أرادهُ بشرُّ أباده اللهُ بكلِّ ضرِّ
 وقال ما العينين لا تقصِّروا في زوره ولو بعيدا تظفروا
 ومثل ما وقع فيمن عصبوا إليه وذاك أيضا عجبوا
 وربما انقلب ماء لبناً وربما يصير سمنا حسنا
 جرى اللهُ ربُّ الناس خير جزائه رفيقين جلا خيمته أم معبد
 وكم له في الناس من كرامةٍ تعجزُ كلَّ سيدٍ علامةٍ
 وربما يخرج نور بادٍ منه ينير الطريق للعباد
 عسى من قرَّب الإبريق يقضي لنا بالقرب من بعد البعاد
 وربما يذكر في إناء فيذكر الانا مل متراء
 وربما بكت عليه الأرض وبكت السما حكاه البعض
 وبشر النبي الأوليا به لما أتى لحج بيت ربّه

	ضري: سببين خفيفين	الروي الراء، الوصل: الياء	متواتر	مطلقة	جناس غير تام: ارادة . ابادة. بشر . ضر . تكرار: كل
الرجز	تظفروا سبب خفيف ووتد مجموع	الروي: الراء الوصل الواو	متدارك مترادف	مطلقة	تصريع وتمائل صرفي: تقصروا . تظفروا تكرار صوت: ر . ع
الرجز	ضا عجبوا	الروي الباء الوصل الواو	متراكب	مطلقة	تصريع وتمائل صرفي: عصبوا . عجبوا تكرار صوت: م . ب .
الرجز	نا حسنا	الروي النون الوصل الألف	متراكب	مطلقة	جناس غير تام: لبنا . سمنا . حسنا تكرار صوت: ب .
الطويل	معبدي	الروي الدال الوصل الياء	متدارك	مطلقة	جناس: جزء . جزاء . ترادف: ناس، رفيق .

الرجز	لامه	الروي الميم الوصل الهاء الخروج الواو الردف الألف	متواتر	مقيدة	جناس وتمنثل صرفي وتصريع كرامه . علامه . تكرار صوت: ك . م . س .
الرجز	باد	الروي الدال الوصل الياء الردف الالف	متواتر	مطلقة	تصريع: باد . عباد .
الرجز	متراء	الروي الهمزة الردف الالف	متواتر	مطلقة	تصريع: إناء . متراء تكرار كلمة: يذكر . جناس: إناء . أنامل .
الرجز	بعض	الروي الضاد الوصل الواو	متواتر	مطلقة	تصريع : الارض، البعض . تكرار : بكت .
الرجز	ريه	الروي الباء الوصل الهاء الخروج الياء	متدارك	مطلقة	تصريع: ريه، به . تكرار أصوات: ب . ي . ا .

محمد العاقب: إلى كم لا تسبح يا فؤادي وقد عاينت تسبيح الجماد

الوافر	مادي سببين خفيفين	الروي الدال، الوصل: الياء الردف الألف	متواتر	مطلقة	اشتقاق وطباق السلب: لا تسبح . تسبيح، تصريع بين آخر الصدر والعجز .
--------	----------------------	---	--------	-------	--

ومحمد سالم بن بوه اليعقوبي¹⁰⁰⁸، قال:

يا أيها الناس هذا الأمر ذو عجب تفجير عين لداصلدء صماء

البسيط	ماعو	الروي الهمزة الوصل الواو	متواتر	مطلقة	تماثل صيغتين صرفتين: صلداء . صماء تكرار: ر . ج . ا .
--------	------	--------------------------	--------	-------	--

نظم الشعر الكرامي في أربعة بحور تامة هي الرجز، والطويل، والبسيط، والوافر، وهي بحور خليلية طويلة، تبين مسار الخط الموسيقي التقليدي الذي يناسب الموضوعات الجادة،

¹⁰⁰⁸ - قرّة العينين ، و 40، مجمع البحرين، و 180.

ويبدو أن لها صلة قوية بخاصية الارتحال وعدم التكلف، أوزانها انسيابية غير مستعصية، تيسرها الزحافات وعلل النقص التي تسهل الاختزال، تهب الشاعر مساحة حرية ليحبر عن تصورهِ ومواقفه دون تكلف أو إجهاد. واستثمر هؤلاء الشعراء تقنيتي التصريح والتفوية. لقد ترتب عن تحريك الروي في هذه الأشعار أن احتلت القافية المطلقة الصدارة، مقابل حضور خجول للقافية المقيدة الساكنة الروي. ومد القافية المطلقة خيار فني دال على طول النفس وعدم اختناقه بالتوقف، وقد غلبت حركة الضمة الموصولة بالواو، تتبعها كسرة موصولة بياء، ثم فتح مشبع بألف، فتوزيع الحركات والوصل كان متقاربا كأنه آهات ممتدة غير منقطعة، تجتذب المتلقي وتأسر سمعه، تتضمن أصوات الغضب، والانكسار، والغضب، والعبث، وأيضا الأمل والطلب، تمتد أفقيا بين العباد ثم من العباد إلى الأعلى نحو الله، فيكون المد والوصل أقوى وأعلى كأنه دعاء مفتوح يصر على الوصول. وقد تجردت أغلب القوافي من الرفع والتأسييس، حيث تتمايز أنغام الأرواء، فيحتل الراء اللساني المخرج القوي الجمهور الصدارة في القوافي، وهو منسجم مع قوة الولي وقوة الأمل الذي يبثها في أتباعه الذي يناسبهم، والباء شفوي قوي أيضا لكنه أقل حضورا من صوت الدال اللساني المنفتح الضعيف صوت المستضعفين الذين تقسو عليهم ظروف الحياة، وتتردد أصوات الميم الشفوي الجمهور، والنون اللساني الجمهور، والهمزة ذات الجهر الحلقي الأشد، بدرجات أقل. نلاحظ أن تلك الأصوات الجهرية المتكررة تنزو إلى التعبير عن الذات المنفعلة المشتكية التي تريد إيصال صوتها إلى الآخر حتى تخرج من انكسارها إلى الرفع والترفع. ونسجل سيادة النمط المتواتر الذي يعبر عن وجود متحرك بين ساكنين، وبعده النمط المتدارك وهو المعبر عن وجود متحركين بين ساكنين، وهما خياران مكنا من توظيف عناصر معجمية سلسلة يسيرة النطق في موقع القافية الأحوج إليها لأنها قفل البيت الشعري. والمتراكب أقل حضورا أثقل على اللسان لتوالي ثلاث حركات بين اللسان مما يجعل الانسياب متعذرا، ولا يساعد على الارتجال والبديهة في التجربة الشعرية. ويضيف الإيقاع الداخلي بتوزيعه الصوتي وأساليبه البلاغية قيمة موسيقية للنصوص الشعرية تنبثق غالبا من دلالاته.

فنحن إذا عرجنا على الشواهد الشعرية المدروسة، والتي وقفنا على إيقاعها الداخلي، نجد النص مشحونا ببطاقات دلالية، في الخانة الأخيرة من الجدول، حيث تبين أن التكرار يضيف جمالا فنيا وثراء دلاليا، وإيقاعا ترنميا يخرج من السطحية، ويبعد من الملل والرتابة، ويؤكد معاني النصوص، وقد استخدم شعراء الكرامة التكرار بأنواعه الثلاثة، الصوت، والكلمة، والعبارة، مما يزيد النص اثلافا نسقيا، وتعد القيمة السمعية لهذا التكرار بصوره المختلفة كبيرة. الأمر الذي له يزكي التداول الشفوي للنصوص، حيث يأتي للتأكيد أو التحريض أو كشف اللبس. ولتصريح الأبيات في المطالع أو أثناء النص فاعليته، فهو موازنة بين آخر الصدر والعجز بين العروض والضرب، يعلن من خلاله الشاعر بداية موضوع هام ينبه عليه، ويجلب أسماع متلقيه، وهو بذلك يعتمد الوفاء لتقليد قديم سارت عليه القصائد العظام، وهو سلوك يثبت فيه الشاعر الصراوي عن قصد ووعي كفاءته الإيقاعية، وبعد نظره، وربطه الإيقاع بالدلالة. وقد اعتنى هؤلاء الشعراء بالجناس في أبياتهم، غير التام على وجه الخصوص، فصار علامة بارزة في أشعارهم، لتقوية الحملات والدلالات المعنوية التي ينشدها المطلب الدلالي الكرامي من جهة، وتزيين أبياتهم وإضفاء الرونق اللفظي عليها بزيادة دقاتها الموسيقية من جهة ثانية.

الفصل الثاني: الصورة الكرامية

يعتبر مكون الصورة عنصرا مشتركا في جميع الخطابات الإنسانية¹⁰⁰⁹، الشفوية والمكتوبة والنصوص الأدبية، والكرامة من الكتابات التي تزخر بالصور، غير أن لها خصوصيات مائزة، إذ تعد الصورة مكونا أساسا من مكونات الحكاية الكرامية، لذلك فالصورة متجذرة في صميم الكرامة لا يمكن أن تقوم دونها. لكن تطرح دراسة هذا المستوى إشكالية هامة هي الآتي: الكرامة نص أدبي، وهو في الآن نفسه نص ثقافي، صوفي له مرجعيته وسماته الخاصة، لذلك نتساءل هل قراءة الصورة في أصلها بعيدا عن سياقها ومرجعيتها قادر على استنطاقها، فالسياق هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة، وتمكن المتلقي من تغيير المقولة، وفهمها، أم هي تحتاج لقراءة تأويلية، تستحضر كل المعطيات التي تتصل بإنتاج النص وسياقه ومقاصده، ".فالقراءة الأدبية تنتج الدلالة، في حين أن القراءة الخطية لا تنتج إلا المعنى .."¹⁰¹⁰. فالنص الكرامي نص مميز مفتوح أمام عدة قراءات، القراءة الخطية، والدلالية والتأويلية، وخاصة إذا كان ذا ملامح صحراوية مغربية.. وهناك سؤال آخر يطرح ذاته، هل الكرامة تتضمن صورا، أو تصويرا تخييلا، أو تعبيريا ووصفا، إذ لا يمكن استبعاد جدلية الإنكار والإثبات، فإذا أنكرنا الكرامة كان ما تتضمنه تخييلا من السارد، وإذا قلنا بثبوتها كان تصويرا وتعبيريا عن واقع، فكرامات السلف ثابتة لا غبار عليها فهي تصوير، وكرامات الأولياء بعدهم فيها خلاف، فإذا كانت حقيقية صادقة ثابتة فهي تصوير أيضا، وأما إن كانت منسوبة لا واقع لها فهي تخييل نابع من الكرامات السابقة عنها. أو هي محاكاة أو تقليد لسابقاتها، والباحث لا يمكنه الحسم في صدقها أو كذبها، " فعلى المستوى الخطابي ليس هناك صدق أو عدم صدق ، بل هناك

¹⁰⁰⁹ - حمداوي جميل ،بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي، منشورات الزمن ، سلسلة شرفات ، مطبعة بني يزناسن سلا ، 2014. الفصل 11، محمد المسعودي والصورة الصوفية، ص 152.

¹⁰¹⁰ - Gerard Genette , Palimpsestes , la littérature au second degré , édition du Seuil , Paris, 1982 , p ; 9/

ذوات تقول ما يمكن قوله من أجل أن تكون أكثر اندماجا..¹⁰¹¹. لكن تبقى كرامات عديدة ممكنة بسيطة من حيث الفعل الإنجازي الذي تتضمنه، ومنها المستبعدة التي تخرق خيال البشر، وتتجاوز كل الممكنات كالمعراج، ورؤية الذات الإلهية، وإحياء الموتى، ونظل الصور ذات وظائف جمة تحققها بقصد أو دون قصد، لذلك على الباحث أن يسبر دلالات وأبعاد الصور بتفكيك ظاهر الصور إن أمكن، وتأويل دلالاتها ومقاصدها، باستحضار سياقها ومرجعيتها كذلك.. ونحن يمكننا أن نميز، إذن، بين الصورة كظاهرة أسلوبية، والصورة كسمات خارجية أو داخلية، شكلية أو معنوية، والصورة الشاملة والكاملة، والصورة الجزئية. وأن نميز بين المعاني الظاهرة للصورة ودلالاتها وأبعادها ووظائفها. وقد سعى كثير من الباحثين لتحديد صور الكرامات وحصرها عددا، ومنهم فضل بدران الذي يرى أن منها ما يوجد في الشفهية ولا يوجد في المدونة، وعددها عشرين لا يمكن تجاوزها، ومنهم من زاد عليه بقليل، غير أنني أرى أن العدد مفتوح مادامت النصوص غير محدودة، فكلما اطلعنا على مخطوطات وجدنا نصوصا جديدة، وصورا أخرى وخاصة حين يتعلق الأمر بالأدب الصحراوي، الذي مازال يحتاج إلى تحقيق وإخراج غير أن الصور متقاربة المضمون والعدد لالتزيم عن إضافة أعداد مفردة، وتجنب الحصر مطلوب في المادة الغنية المفتوحة. إننا إذا تتبعنا الصور التي ترد في الكرامات المدروسة، والتي ترتبط بالشيخ المختار الكنتي، وماء العينين، وبعض النماذج المساوقة لها وجدنا أن لها مركزا نوويا هو الولي الذي لا تخلو منه صورة، فهو مكون عضوي قوي، غير أن تمظهراته تختلف من صور إلى أخرى، إذ منها من يركز على شكله الخارجي وصفاته الإنسانية والشعورية ومظهره، وشعره وعكازه وإنائه.. فتنتقل لأفعال مخصوصة به كالطيران، وتتنامى صورته، وتمتد مع مكونات أخرى، لتتقل الصورة الولي الفاعل المؤثر في عناصر المنظومة، وأتباعه، وأعدائه والمرضى، والحيوانات، والجمادات، والطبيعة.. فيبدو الولي مقتربا من الأرض، والسماء، والأعماق.. مخترقا لحدود

¹⁰¹¹ -Dominique Maingueneau, pragmatique, pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990, p 105.

الزمان والمكان، والمتحكم في الحدث كأنه يحمل سرا أو لغزا يواجهه جل الصعوبات بحلول، فتتحول الصورة من حالة الخلل إلى حالة التوازن، إذ ينسحب الضرر المعيق ويكون المآل إيجابيا، فهو فاعل إيجابي باستمرار، حتى إذا كان الضرر يتجلى في أعدائه، وبدت الصورة تتضمن تنازع الأعداء كان جزاؤهم العقاب والانسحاب أيضا. فيبدو الولي رمزا إذن، يتطلع إليه الجميع بشرا، وحيوانات، وجمادا، وطبيعة،.. وتتركب هذه هي الصورة الشاملة في الكرامات كلها من صور جزئية تعكس نصيبا من مشهدها العام. ويمكن عرض أهمها كالتالي .

أولا :موضوع الصورة

- صورة الشخصية

أ- **الملائكة:** ومن ذلك "رأيت الملائكة تلو لواء له في السماء"¹⁰¹². رؤية الملائكة، تبدو الصورة مركبة من خلفية طبيعة هي السماء، أمام الخلفية الملائكة في حالة وقوف مصطفىين وراء الولي، فهو مشهد تكريم واحتفاء بالولي في العلو ينقله السارد بحاسة البصر فهي مشاهدة ينالها اتباع الولي، وسنده، تؤكد سموه وعلو مكانه خصص له احتفال في السماء اعتراف به وجزاء له وتحفيزا.

- **الخضر:** "أتاني الخضر"¹⁰¹³. رؤية الخضر، تبدو الصورة أسلوبيا استعارة مكنية، تتضمن استحضارا روحيا وارتباطا بالسند الولائي من السلف، مما يضيفي المشروعية الولائية على النموذج الولائي الصحراوي.

- **الصلحاء:** "تراءى الصالحون له في صورة إناء، مملوء مخمر، بغطاء"¹⁰¹⁴. تبرز هذه الصورة ظهور الصالحين السابقين للولي في الإناء، وهو استحضار ولائي يضيفي شرعية

¹⁰¹² - قرّة العينين، و16.

¹⁰¹³ - الطرائف الثالثة، و492.

¹⁰¹⁴ - قرّة العينين، و131، مجمع البحرين، و173.

على الولي، وصلته، ومعرفته بالأولياء، كما تبدو مشهدا ولائيا متسعا يشكل الولي جزءا منه وهذه حاجة روحية اعتبارية للولي.

- **العفريت:** " فإذا بعفريت ينتفض من وراء البحر"¹⁰¹⁵. إن الصورة ها هنا أسطورية تتضح بالعجائبي، فالعفريت لا علاقة له بالروحانيات، بقدر ماله علاقة بالحكايات الشفوية والأساطير، الصورة تظهر العفريت كائنا بحريا، قادرا على المعرفة، يقدر الولي ويحترمه تظهر له الولاء وتدافع عنه.

- **الشيخ:** يتطلع المجتمع الصحراوي إلى رموزه ويصنعها، فالصورة الكرامية تصنع الولي الرمز، البطل الايجابي، القوي بعلمه، ومعرفته، وتأثيره، فهو شخص خاص جسمه لا كالأجسام، صورته لا كالصور، صورة الشخصية: تقدم صورة شخصيته من خلال سمات خارجية وداخلية، وأفعال تعبدية، تنقل صورة الولي الصحراوي المغربي من خلال جوانب عديدة. ويكون الولي فارسا أبيض.. "قرأيت رجلا أبيض لابسا ثيابا بيضا لا شك أنه الشيخ قد اعترض الجمل، .." انتهيت إلى الجمل ثار من موقعه، فإذا به مشكول من خلاف"¹⁰¹⁶. إن صورة الشيخ الذي يلبس الأبيض، هي مظهر بطولة عربية ذكورية متكررة في التراث العربي هو البطل الفارس المنتصر، أو صورة الفائز في الآخرة صورة الذي يقبله الله عنده راضيا، هي صورة العريس الذي يقبل على حياة أسرية بالحلال، في جميع الأحوال صورة تتضمن القوة والايجابية والإقدام والخير. ويظهر الولي في صورة "الميدة" المائدة، فتراءى لهم شيخنا على صورة الميدة، وهي الآلة التي نضع عليها الطعام"¹⁰¹⁷. إن انشغال الناس بالشيخ، وتعلقهم به جعلهم، يرونه قريبا منهم في "الميدة" أي مائدة الطعام، فالميدة تجمع الناس، وتوحدهم، والشيخ كذلك يجمع ويؤلف القلوب باستمرار. ويظهر الولي أيضا على شكل طائر الولي الطائر، فتشكل رضي الله عنه شكلا دوريا نورانيا، طويل من أعلاه فجعل

¹⁰¹⁵ - قرّة العينين، و 54.

¹⁰¹⁶ - الطرائف، و 511.

¹⁰¹⁷ - سحرالبيان، ورقة 41 ..

يدور دوران الرحي بالمكان، والأنوار تستطيل عنه، وتستطير حتى حفر بالمكان حفرة، فذاب ذلك الشكل ماء تتخافى أنواره فألهمت أنه مدد¹⁰¹⁸. إن إسناد فعل الطيران للبشر، استعارة مكنية، لكنه طيران روعي، فالمسافات لا تقطع بالأبدان والأقدام دوماً، وهذا ممكن إيماناً وقدرة الهية لا يستبعد فيها شيء، لأن الله قادر والولي ممنوح من الله يستطيع بفضلله الطيران نحو جميع الجهات إلى الصين وما وراءها، ويستدل على تحقق طيرانه بحدث أو إشارة تؤكد ذلك لمن كان معه، وقد يخبرهم عند عودته بما حدث ومن التقى به، وكل هذا خارج الزمن الواقعي أو المتوقع، فالولي يتفوق على السندباد والرحالة والعمريت الذي يدخل القمقم، يتفوق على الأبطال المعروفين يؤكد حضوره ويكثر اتباعه ويرسخ تأثيره. ويتوج الولي بالنجم، "قمت ورأيت كالنجم.. على رأسه"¹⁰¹⁹. يشهد شاهد من أهل الولي أو رفاقه أو صحبته أنه يرى نجم أو مثله على رأس الولي إشارة منه على حسن قدره وعلوه وتميزه بين الناس وتأثيره فيهم، والنجم المذكور في القرآن إشارة طبيعية بالوجود والحضور في عالم علوي كوني يهتدي به الناس خارج عالمهم المحدود. ويكون جسد الولي منيراً، تكون أثاره معدة للمسجد على العادة، فلما نزعتها ولم يبق إلا الثوب المتولى جسده الشريف إذا بأضواء تخرج منه مع العرق¹⁰²⁰. ويشع جسد الولي نورا بفضل تميزه بين الناس، وعلو مقامه عند الله، يصير الجسد مصدر طاقة تعوض المصادر المعروفة، فهو مصدر طاقة إيمانية، فالنور في واقع الناس ارتبط بالطبيعة النهار والضوء، وبالوسائل التقليدية، من شمع وغيره لكن أن يصير جسد الولي منيراً، فهذا أمر مخالف غير اعتيادي، لا يقبله الإدراك الحسي، ولكن يمكن قبوله عقيدة وإيماناً، وهذا قصر إقناعي كبير تسعى لتحقيقه الكرامات دوماً. ويبدو الثوب الذي يلبسه الولي مخصوصاً تتبعث منه الأضواء، الثوب المنير، والعرق الذي يشبه الزر الضاغط على مركز النور صورة حسية تضم حركة ونورا، فالنور رمز للخير والأمل. وترتبط

¹⁰¹⁸ - الطرائف، و 501-502.

¹⁰¹⁹ - سحر البيان، و 52.

¹⁰²⁰ - قرّة العينين، و 183.

بالولي أمور كثيرة تجلت فيها الكرامات منها الشعر الذاكر، لمتة كل شعرة منها تذكر الله¹⁰²¹. ذكر الله فعل تعبدي روحي من العبد لربه، يسند الفعل لجماد أمر تعودنا عليه في الصور الفنية الأدبية، والصور الالكترونية المتحركة، وقد عرفته الكرامات أيضا، ذكر مخصوص لدواعي إيمانية تبين أن الاناء والشعر قريبان من الولي تعلمنا منه الاخلاص في العبادة والتقرب من الله. ومنها إناء الولي الذاكر سمع ذلك الصوت من الإبريق مرات¹⁰²². ويذكر إناء الشيخ الله لأنه تعلم منه حسن العبادة هذه هي الدلالة التي تبلغها الصورة، فالجماد يعلم من الشيخ بغير قصده أثر فيه فهو مصدر خير للجماد أيضا. ومنها تسبيح الإناء¹⁰²³. ففعل التسبيح وذكر الله ورسوله من العبادات التواصلية بين العبد وربه، وقد أسند الفعل لجمادات فيه مبالغة تريد أن تظهر أن الولي ربي الجمادات على العبادات وعلمها من غير قصد، تبدو الصورة استعارة مكنية تبدو قاصرة على تبليغ المقصد لكن السياق والمرجعية كفيلة بتبليغ ما تريد تبليغه الصور وما تتضح به. نفسه فصاح الشيخ بأخيه أتيت فالتفت مسرعا كالفرع فصادفت العين القصعة كأنما هي رصاصه فتفلقت القصعة فلما عن كاهله وسلم فقال: لولا أنني ناديتك فصادفت القصعة لم تبرح من مكانك بحرف¹⁰²⁴. إن إسناد فعل روحي تعبدي إلي جماد يدل على تأثر الجمادات بالولي وتعلمهم العبادة والاخلاص لله منه. ومن ذلك عكاز الولي المنير، خرج ضوء من رأس عكازه¹⁰²⁵. عكاز الشيخ يضيء لأنه متبرك به، يستمد طاقة ايجابية منه لأنه يأخذه لأماكن طاهرة مقدسة في مهمات خيرية ايجابية باستمرار، فطريق الولي مضيء به وبعكازه وهو أداة للتيسير للاهتمام تسبق صاحبها أو توازيه، لكنه يظل محركه ويظل العكاز رفيقا. ومن ذلك ابنة الولي نفسه، إذ تظهر فيها كرامات مستمدة من الولي، ومن ذلك قلب ابنة الولي المنير، داخل إذا بضوء

1021 - قرّة العينين، و 51،

1022 - سحر البيان، و 51.

1023 - قرّة العينين، و 93.

1024 - الطرائف الثالثة، و 97.

1025 - سحر البيان، و 52.

في جانب الخيمة فعمد إليه فوجد ابنته سعدان نائمة، وقال إن ذلك الضوء هو قلبها¹⁰²⁶. لها من نعم أبيها نصيب، ضياء قلبها، وهي نائمة، تتبعث منها طاقة مستمدة من أبيها الشيخ وهي لا تدري بما حصل لها، لكن الولي فهم فضوء قلب ابنته إشارة لحب قوي، وامتداد نور الإيمان والعرفان والعلم من الأب إلى ابنته في اليقظة والنوم، وذلك يضمن استمرارية الخير والصلاح مع أبناء الولي الجيل اللاحق الذي يواصل رسالة آبائه الخيرين، تواصل قلبي بين التب والابنة وتواصل زمني بين أجيال وامتداد عرفاني. وقد يمتد تأثير الولي إلى جلسائه ".وإذا تكلم أطرف جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير"..¹⁰²⁷. إن تأثير الولي في جلسائه مشهد مسرحي أو حلقة تصوف أو علم يسافر فيها الحضور بعواطفهم وعقولهم وانتباههم إلى عوالم يفتحها الولي في خطابه لهم، تشبيهه وارد في القرآن يظهر الثبات والمتابعة.

- العدو المهزوم

مرا بجبانة بالشام لهما عن بها من الأموات فإذا بهم مغلّين مشتدة أيديهم إلى أعناقهم بسلسلة لوضعت السلسلة منها بالجزيرة لصاقت عنها، وبينهم رجل ذو هيئة غير مغلّ، قال فسأل الخضر ذلك الرجل ما لهؤلاء مغلّين وأنت من بينهم مطلق فقال: كل من تريان قضاة هذه البلدة، وكانوا يأخذون الرشا، ويجورون في الأحكام فهم مغلّة مكبلة أيديهم إلى يوم القيامة، وأما أنا فأنجاني الله من ذلك كرامة¹⁰²⁸. صورة العدو المنهزم تلحقه لعنة الولي، يلقي جزاء شره وإساءته له، فلا يفلح أبدا، هو رمز للشر المهزوم أمام الحق، تتكرر في عدة كرامات صورة تنازع الاضداد حيث يختل التوازن عندما يلحق الضرر الولي ثم تعود الصورة لتوازنها عندما يلقي العارض عذابا شديدا جزاء فعله.

1026 - قرة العينين، و 204.

1027 - نفسه، و 215.

1028 - الطرائف الثالثة، و 498.

- مآل العدو

العدو الممسوخ: ويصيركم نعالا¹⁰²⁹. يصير التحول وسيلة للتصوير. فإذا كان التشابه اشتراكا علائقيا بين طرفين، يصير التحول من حال إلى حال ممسوخا، علاقة جديدة في الكرامات حيث يخرج المكون من طبيعة إلى أخرى، ومن حال لآخر، فالمسخ تغير لطبيعة الجسد، تحول الأعداء نعالا عقابا لهم أمر فيه مسخ وعقاب، والنعل مشحون بدلالة الحركة، والشقاء، والطاعة، والخضوع، كما ترتبط ببسر الوسيلة التي تسهل التنقل بين الأماكن في مختلف أنواعها، فقد تكون النعال وسيلة خير أو شر. العدو المحروق تأكلني النار حيا لا ميتا¹⁰³⁰. فعل الأكل تتجزه كائنات حية قادرة على الأكل عادة، والمأكول قابل للاستهلاك فيه فوائد منته مهلوك، غير أن أكل النار أسرع وأوسع ممتد أكل مدمر انتقامي لجسد عدو يصير وقودا، والقسوة في المشهد إذا تم أكل الحي لا الميت فالفاعل أكثر شراسة وقوة وسلبية وسوءا والنار عقاب جهنم ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾¹⁰³¹. فأصابه السموم فاسود حتى صار كالفحم¹⁰³². تصوير جسد المسموم بالسواد الفاحم مستوى عال من التاذي بالسموم صورة عذاب مؤلمة فيها وصف وتشبيه تحول مسار جسد المسموم من الحياة للعذاب من الراحة للالم من الصحة للموت. الشواف ومن معه عظاما نخرة¹⁰³³. صورة أخرى من صور المسخ وعقاب الاعداء، يتحول الشواف الذي يدعي معرفة أحول ومستقبل الناس، وهذا معنى السياق كأنه سلبي يشعوز له صدى سيء على من حوله تصوره الكرامة جاهلا معريذا، وتصور الولي عارفا محقا عند تصادم الشخصيتين يلحق الضرر الشواف يحول من حال الحياة إلى حال العقاب، حتى العظام لحقها العقاب فصارت نخرة فهناك إذن تراجع وتقهقر للاسوأ. اليهودي رداء

1029 - الطرائف الثالثة ، و 520 - 521.

1030 - قرة العينين، و 20.

1031 - سورة البقرة، آية 23.

1032 - قرة العينين، و 20-21، مجمع البحرين، و 171.

1033 - الطرائف الثالثة ، و 532.

اليهودي قد احترق ورداء ابراهيم لم يحترق¹⁰³⁴. رداء الولي ينعم بالأمان منزه عن النار انتسابه للولي يمنعه من الإحترق لأنه يضم أسباب المناعة من النار هذه دلالة الصورة قوة وتأثير الولي الذي يمتد إلى الثوب.

- السحاب المظل

فأظلتهم سحابة وأمطرت¹⁰³⁵. يسخر الله السحاب ليظل الولي يذكرنا بالسحابة التي حمت الرسول الكريم، وصارت الطبيعة مسخرة له، فاستبدال الحر بالظل والجفاف بالماء تحول وظيفته الرحمة المسندة للسحاب والمطر، وقت الحر، فالسحاب صار غيما يحمل الماء تيسيرا ورحمة بالولي، وهذه صورة طبيعية تضم تحولا إيجابيا تضم مشهدا من الأسفل نحو الأعلى ولي فوقه سحاب فوقه سماء تتخلل المشهد حركة الرطوبة ثم الماء، ويغلب عليه إحساس الرحمة، والولي يفهم ويتدبر الكرامة التي لحقته.

- السمك الناطق

كان رجلا إلى شاطئ البحر القلزم فصعدت سمكة على صاحبها¹⁰³⁶. إسناد فعل ينجز تواعلا صوتيا لحيوان مائي يعرف الولي ويسأل عنه، يبين تأثير الولي في الأسماك تحت البحر.

- البقرة الحلوب

بقرة حلوب كان الشيخ الوالد رضي الله عنه يحلب بقرة حلوبا، فكانوا كلما حلبوها حلبوا دما غبيطا¹⁰³⁷. صورة مقلوبة لعادة البقرة الحلوب، تحلب دما عوض الحليب، حضور اللون الأحمر والأبيض دليل على إنقلاب أحوال البقرة التي ترمز للأرض، للبلد، للأمر، للعطاء.. كيف تحلب دما فينقطع خيرها على العباد غضبها أو حزنها أو ألمها، هناك أمر

¹⁰³⁴ - قرة العينين، و 200.

¹⁰³⁵ - قرة العينين، و 30.

¹⁰³⁶ - الطرائف الثالثة، و 102.

¹⁰³⁷ - نفسه، و 520 - 521.

أثر فيها، فالدم رد فعل حزين، يردها الولي لطبيعتها الأصلية التي جبلت عليها، فهو مصلح حالها مجبر الخواطر يحسن التواصل معها، فيردها لطبيعتها فهو مصدر خير.. والبقرة لها رمزية قوية في الثقافة الإسلامية، وصورة البقرة في سورة البقرة في القرآن تظهر علاقتها بالقوم، وبتغير أحوالهم، فهنا اتصال قوي بالقرآن وبدلالاته المستمرة في واقع صحراوي آخر يسمح للبقرة بالإصلاح والتأثير. يصير التحول وسيلة للتصوير، فإذا كان التشابه اشتراكا علائقيا بين طرفين، يصير التحول من حال إلى حال علاقة جديدة في الكرامات حيث يخرج المكون من طبيعة إلى أخرى ومن حال إلى آخر.

- السباع المتمردة

وكانت السباع والنمور تخطف الناس من خلال الديار¹⁰³⁸. ولعل تسخير الحيوان الأقوى والأشرس للولي، دليل قوة هذا الأخير، يبدو أسلوب الصورة استعارة مكنية، والصورة ترصد تحولا وحركة من العصيان نحو التطويع والتيسير، تسعى لاقناع القارئ بذلك.. وكانت السباع لا ترعى لها بقرا ولا عجولا،.. وأكلوا قريبا من بيتها هي وربما أصبحوا رابضين بنواحي خيمتها لا يذعرون لها عجلا ولا بقرا ولا حملا ولا غير ذلك¹⁰³⁹. تخلد الكرامات صورة الولي الذي يروض السباع فتخرج من صورتها الشرسة لمتوحشة المؤذية للناس إلى حال الخضوع واليسر فتصبح وسيلة للمساعدة فقوة الشيخ وتأثيره تغير أفعال الحيوان وصفاته من شراسة إلى آفة فهي صورة تحول حركة لصفات طبيعية نحو الإيجابية من الاذي إلى الخير من عدم الأمان إلى السلم والراحة. قيل إذا بت هنا أكلتك السباع، فإنها تخطف الناس من بيوت القرية جهارا فقال: ما كان الله ليسلطها علي، فلما كان الليل اجتمعت السباع كلها للتبرك به فلما أصبحوا، وقد تيقنوا أنه يؤكل، ذهبوا إليه، فإذا السباع مجتمعة عنده تتمسح بثيابه، فرأوا ما لم يحتسبوا فقالوا ما هذا إلا ولي من أولياء الله¹⁰⁴⁰. السباع والنمور والذئبة صارت مصدر رعب، وخوف، وفزع، فهي رمز للقوة، تهدد الأمن

¹⁰³⁸ - الطرائف الثالثة ، و 132 - 133.

¹⁰³⁹ - الضياء المستبين، و165.

¹⁰⁴⁰ - الحركة الصوفية، ص24.

تفزع النفوس والسياق. يبرز أنها قد تكون مجازاً ورمزاً لعناصر بشرية تم تعظيمها وتغطيتها تحت رموز حيوانية لأن الراوي يتحاشى التصريح بها لأسباب سياقية، وهذا التأويل، تناوله أستاذنا محمد مفتاح في تلقيه لقسم من كرامات أبي يعزى، فتحدث عن الرمز الحيوان. وأتى النار العظيمة الشديدة الوفيرة فيجلس فيها ثابتاً ساكناً حتى تطفأ¹⁰⁴¹. فتهيّبوا الإقدام عليه لكثرة ما حوله من السباع رابضة، فقال لهم: ما تريدون من هذه السباع أمرها به¹⁰⁴².

2- صورة الموضوع

إحياء الميت: فأحسوا بالروح داخلته حينئذ، فقال رضي الله عنه: لا بأس إحملوه، فإنه برأ بإذن الله.. على قيد الحياة..¹⁰⁴³. فإذا بشيء، من الذباب؛ بإزاء الفراش، ميت متساقطة جثته، هناك، وقال لها: أنظري فرشه من وضوئه، فتطير من حينه¹⁰⁴⁴. الولي والموت ثنائية كبرى صعبة التناول فالحياة والموت أمر آلهي رباني يرتبط بالخالق والمخلوقات يقول تعالى ﴿كَيْفَ تَعْفُرُونَ بِرِ اللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹⁰⁴⁵. ويقول أيضاً ﴿..كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹⁰⁴⁶، وهو أمر بعيد عن البشر فحتى الرسل والأنبياء لا دخل لهم بذلك لكن كرامات الشيوخ تذكر تدخل الولي وعودة الحياة للميت الذي يطلب أهله من الولي ذلك، وتعود له الحياة بعد توقف جسده عن الحياة أمر كيف يمكن لأي أحد تحليله أو إدراكه مستبعد جداً ورغم ذلك تؤكد الكرامات حصوله وتسعى لإثباته بقوة بل قد يكون الأمر شبيهاً باختبار لما تطلب بنت الشيخ منه أن يحيي ذباب فينجز ذلك الولي ويثبت جدارته ليزيد اتباعه وينتشر الخبر بين الناس فالصورة قوية جداً عميقة تضخم قدرات الولي وتحاكي أعظم فعل إلهي كيف يمكن تحليلها باعتماد أساليب بلاغية إنها تتجاوز كل ذلك إنه أمر فيه تدخل في المقدس أمر محير فعلاً بعيد عن

1041 - الضياء الكستين ، و 167.

1042 - الطرائف الثالثة ، ورقة 53 .

1043 - قرّة العينين، ص 142.

1044 - قرّة العينين، ص 142.

1045 - سورة البقرة، آية 27.

1046 - سورة البقرة، الآية 72.

الواقع لكن كيف يجروون على سرد ذلك ولكنها الكرامة تتضح بحاجات الناس وانتظاراتهم الكبرى وأمالهم في التغيير وفي تحقيق المستحيل.

-الشفاء-

ولم يزل يرقى أعضائه حتى شفاه الله ورد عليه بصر عينيه..¹⁰⁴⁷ عاد البصر لمن جاء الشيخ مستشفىا، رد بصره بعد عماه بتدخل الشيخ يظهر قوة هذا الشيخ وتأثيره وقدرته على إشفاء الناس، تستحضر الصورة عودة بصر يعقوب، استحضار صورة قرآنية مشحونة بالأمل عودة يوسف لأبيه اقترنت بعودة بصره يوازها لقاء المبصر بالشيخ وعودة بصره غير أن يعقوب لم يطلب الاستشفاء العمى ورجوع بصره ارتبط بالقميص وفي الحالة الأخرى البصير يطلب الاستشفاء ويلجأ إلى الولي، وفي كلا الحالتين رجوع البصر وارد وتأثير النبي والولي أيضا رغم اختلاف الصلة بين المبصر والمؤثر.

-العظام الملتئمة-

فأحسست بالعظام التأمّت تحت يدي¹⁰⁴⁸. صورة إصلاح ترميم بعد شتات تحول إيجابي من الدمار إلى الإلتئام من الضعف إلى القوة فيها مشهد استشفائي الطبيب المعالج هو الولي يدرك عمليات العلاج وأسبابه يحقق الشفاء والعلاج في وقت سحري وجيز خارج الزمن، في منطق الواقع قد يموت أو يعيش معاقا دائما من تشتت عظامه وعمليات الاستشفاء أن تمت تتطلب توفر إمكانات عديدة وتستغرق وقتا طويلا لكن مع الولي تتيسر جميع الأحوال وتتحقق الأمال باختزال شديد كأنه حل سحري خارج الزمن يفوق الخيال والمنطق.

¹⁰⁴⁷ - سحر البيان، و 53.

¹⁰⁴⁸ - قرّة العينين، و 37-38، مجمع البحرين، و 179.

- كشف النفوس

وكنا جالسين ناحية فكأنه كوشف بما في نفسي فقال: يا علي تشوقت إلى خبر أهلك، قلت نعم وقد تشكلت لهم في صورة ديك ووقعت على الشجرة التي جنب بيتك فإذا بهم قد ذبحوا ثورا أسود وعيالك تمشط رأسها والصبية يلعبون بحرف¹⁰⁴⁹.

الصورة في أسلوبها البلاغي استعارة مكنية، تتقل قدرة الولي على سبر النفوس وكشف خفاياها وأسرارها، يلج عالما الداخلي دون علم صاحبها، فهو كائن تواصلية عارف لمكونات النفوس. وداخل المكونات مشاهد متوالية بصرية مركبة، الولي تجسد لهم ديكا، حاضر معهم ديكا، غائب عنهم بشرا، حاضر روحا غائب جسدا أتى من عالمه البعيد فوقع على الشجرة فهو عنصر منهم في الماضي وهو طارئ مؤقت معهم في حاضر الصورة، وينقل حال الصبية النشيط الحيوي مشط الرأس واللعب أفعال البراءة والفرح كأنها احتفال بقدمه لأهله، فهذه الأحداث يعرفها الرجل الذي تشكل ديكا ويكشفها الولي ويجعلها الأهل وعلى الرغم من ذلك تبدو عليهم إمارات الفرحة والغبطة، صورة مركبة غنية جدا بمشاهد جزئية داخل مشهد أكبر بصرية فيها حركة، تتقل تسلسلا سرديا لوقائع متتالية، مليئة بالطباقات التي تنقل السلطة المعرفية للولي وإعادة التوازن النفسي للرجل الحاضر الغائب أي الطائر المتشكل ديكا.

- الثمر المتحول

فألقى إليهم من جيبه ثمرا فانتبهوا له فحرك سيدي علي بن حبيبي فرسه فألقى الصبيان ما بأيديهم من الثمر وانكبوا على الدراهم يلتقطونها فحرك الشيخ فرسه فألقى بحوافره دنانير مطبوعة فألقى الصبيان ما بأيديهم من الدراهم وانكبوا يلتقطون الدنانير¹⁰⁵⁰.

¹⁰⁴⁹ - الطرائف الثالثة ، و 97.

¹⁰⁵⁰ - الطرائف الثالثة، و 102.

-الزربية المتحولة

فتستحيل الزربية افاعيا وعفاريت فنقع عليهم نياما في فراشهم فيخرجون من البيت فزعا من تلك الحيات¹⁰⁵¹.

تحول التمر إلى نقود والزربية إلى افعى حية هو تحول في طبيعة الشيء من جماد إلى حي أو من طبيعي إلى صناعي.

-الماء المتحول

جعل يغرف فيها الماء فيسحتيل لبنا¹⁰⁵².

تحول الماء لبن تطلبته حاجة الأكل أي الجوع فالماء لا يعوض فوائد اللبن لأنه له دور الرواء فتوفره يمكن أن يؤدي وظيفة جديدة هي الغذاء إذا انقلبت طبيعته للتيسير بفعل تدخل الولي في تغيير طبيعة الطعام.

-البيير المحفور

فحفروا عنه فإذا هو متربع بقعر البيير في فراغ فقالوا ما شأنك فقال لما انهارت البيير ناديت مستغيثا سيدي "باد" فحضر في الحس وحمل عني المنهار من البيير كما ترون¹⁰⁵³.

يتعسر حفر البيير ثم يتيسر بعد تدخل الولي، لتتكسر الصخور التي بداخله وتقل الاتربة المعيقة لذلك، فالمكان الجوفي يتحسن وضعه ويخرج الحفار من أزمتهم وذلك كله طريق للماء والحياة والاستمرارية رغم قلة الأبار في الصحراء.

1051 - الطرائف الثالثة ، و 523 - 524.

1052 - قرة العينين، و 25، مجمع البحرين، و 170.

1053 - الطرائف الثالثة ، و 75.

3-صورة المكان

- الأرض

وضع النعل فأشرف من وراء العتبة فإذا هو بالهواء وسائر الأرض قد انزوت فيما تحت العتبة وإذا بالمؤذن ينادي بالإصباح فرجعوا وصلوا الصبح فلما جاء الشيخ إلى أهله أخذت بنت أبي نعامة تتحال وتقول بتنا طول ليلتنا نطوف على الديار والمساجد نلتمسكم فلم نقع لكم على خبر وهو يقول رسلكم عمى أنا لم يخرج من المسجد إلا في هذه الساعة¹⁰⁵⁴.

يقترن الطي بالطيران، تتأثر الأرض والسماء وتساعد في قطع المسافات فهي تسهل عليه الوصول، فهو كائن فضائي صلته قوية بالكوكب كله وما فيه، يعرف أنه موجود يبسر له الوصول ثم يعود لطبيعته طي ثم انبساط .

-الأرض الحزينة

مجلس فلما افترق المجلس وقمت لأنصرف انزوت الأرض بأسرها¹⁰⁵⁵، تبدو الأرض غير راضية بخروج الولي منها، كانت فرحة منبسطة له، ثم انزوت حزنا على فراقه، وجع الأرض يبدو مشابها لوجع الأم عند فراق أبنائها، فاسناد رد فعل وإسناد للأرض هو قمة في التواصل والتأثير الايجابي للولي في المكان بجوفها بعمقها بظاهرها، من يفهم حركة الأرض يفهم إحساس حزن الأم المرأة عند فراق الأحباب. فإذا الأرض كلها صارت صرفين وجميع عريب يساقون سيفاً فيما بين دنياك الصدفين فتشكلت جبلا راسيا فيما بين الصرفين ساء الطريق¹⁰⁵⁶. وهكذا تبدو الأرض حكما فاصلا بين خصمين، قاضيا اتخذ القرار واقعا منجزا لا كلاما، وفرقت بينهما بجبل بارز، وشبه أهل عريب بالسيف في حدتهم النفسية، وفي انتظامهم وانتظارهم، فهي صورة مركبة تضم استعارة وتشبيها تفوق أفلام الخيال العلمي تغيير حال الطبيعة في وقت وجيز، فكان الطبيعة تتجاوب مع أحوال الناس ونزاعاتهم، وتتدخل في

¹⁰⁵⁴ - الطرائف الثالثة ، و 102.

¹⁰⁵⁵ - نفسه و 502.

¹⁰⁵⁶ - نفسه و 542.

حسم أمورهم. فلما ارتحل زلزلت الأرض زلزلا شديدا، فقال لهم شيخنا: الأول بكاء الأرض، والثاني بكاء¹⁰⁵⁷. إن اسناد فعل البكاء للأرض استعارة مكنية، لكن البكاء لم يتم بدموع، ولكن بزلزال والشيخ هو من فهم لغة الأرض، وكل ذلك يعبر عن حزن الأرض عند سفر الشيخ، فهي تريد بقاءه فيها لما لذلك من خير عليها وأهلها؛ فالأرض لها ردود فعل، وإشارات تتجز، أفعالا تتواصل بها مع الولي وحده.

ثانيا: مميزات الصورة الكرامية

1- أنواع الصورة

يظهر لنا في النظر إلى جميع الصور الكرامية، في شموليتها، أن هناك صورة كلية هي صورة الولي المصلح، المحقق للتوازنات، عبر وسائل عديدة. وتحتها صور عديدة جزئية بسيطة أو مركبة، تنتقل بنا من مشهد إلى مشهد. والجامع بينها وحدة عضوية تخلق جوا نفسيا يتكرر في جل الكرامات، فبعد انتهاء الصورة يحصل التوازن بعد انتظار إصلاح الخلل. وهي جزء من سيرورة لتشكل الصورة الصوفية عموما، والصورة الأدبية العربية بشكل أعم. ويرى محمد الظريف أننا يمكن أن نختزل الصورة الكرامية في نوعين: الأولى تاريخية، وتظهر الولاية من خلالها فعلا تاريخيا لا يختلف عن الإمارة والملك وغيرهما من أنواع الخلافة الزمنية. والثانية: قدسية، وتنبني على إبراز الجوانب الخارقة في حياة الشيخ والأولياء وإظهار تمييزهم عن الخلق وقربهم من الحق¹⁰⁵⁸. وهي التي خضنا غمارها.

¹⁰⁵⁷ - قرّة العينين، و 52، مجمع البحرين، و 180.

¹⁰⁵⁸ - الحركة الصوفية وأثرها على أدب الصحراء المغربية، ص 453-454-455.

3-وظائف الصورة الكرامية

صنف الوظائف في موضع آخر من مؤلفه إلى تجريدية¹⁰⁵⁹، وحسية.. وجعل الأولى دوائر أربعة؛ قرآنية، وحديثية، وشعرية، وحكاية.. وفي هذه الدائرة كما أرى تدخل صور الكرامات باعتبارها نوعا حكايا وأبرز وظيفتين لها إظهار حقائق الصوفية، وإثارة حماس المريدين، وإمتاع المتلقي، وتحقيق الفرجة له. ومن وظائف وأبعاد ودلالات الصورة أيضا توظيف السمة الصوفية لغايات نصية وفنية وجمالية وغايات خارج نصية دينية، وتعليمية، وديولوجية، ونفسية، وفلسفية¹⁰⁶⁰.

4-معجم الصورة الكرامية

تحظى الكرامة الصوفية الصحراوية بثراء معجمها وتنوعه، وهو يعكس تنوع مكونات الصور الكرامية الصحراوية، وأهمها الشخصيات من؛ الخضر، والرسول، والأعداء، والموتى، أو لكفار، والمسلمين، والملائكة،.. والطبيعة تتجلى في؛ النهر، والبحر، والأرض، والجبل، والسماء، والسحاب، والماء، والنجم.. والحيوان؛ من السباع، والأفاعي، والسمك، والفرس، والبقر، والطيور،..والذباب، والفراش..والجمادات التي ترتبط بالحياة الاجتماعية من الزربية، والفحم، والغطاء، والدنانير، والدرهم، والإناء، والضوء، الخيمة، وشعر الولي، وثوبه، والحصير، وعكازه، و "الميدة"، والطعام.. ومعجم الأماكن الواردة في الصور كثيرة كذلك وهي؛ القبور، والمسجد، والشام، والإبريق، والجزيرة..

5-مكونات الصورة الكرامية

وردت في المعجم أغلب مكونات الصور الكرامية، ولا تتعد عن أدوارها العاملة، فالصور هي وحدات المضمون التي تصف الأدوار العاملة، والوظائف التي تقوم بها¹⁰⁶¹. لذلك فالفاعل الرئيس هو الولي شخصية كبرى ومعه شخصيات أساسية قد تأتي فاعلة

¹⁰⁵⁹ - الحركة الصوفية وأثرها على أدب الصحراء المغربية، ص 463.

¹⁰⁶⁰ - الحركة الصوفية وأثرها على أدب الصحراء المغربية، ص 178.

¹⁰⁶¹ - امانة بنعلي، الخطاب الصوفي، ص 216.

كالمريد الطائر، أو موضوعا لفعل ينجزه الولي كأن تصير موضوعا للمرض والاستشفاء، كما تأتي شخصيات غير آدمية موضوعا لفعل الولي إذ يتم ترويض السباع مثلا، وقد تصير الشخصيات عاكسة لفعل الولي، فالإناء الذاكر المسبح يعكس طرفا من تعبد الولي، وتسبيحه، لأنه تعلم منه دون قصد وعكس أفعاله. لذلك يمكن أن نتحدث عن صورة الموضوع، وصورة الفضاء، والشخصية، وصورة الراوي.. وتعج بصور أخرى منها؛ صورة الرجل، والمرأة، والصحراء في مختلف أحوالها.. فالصورة ليست تكوينا متحققا خارج بنية النص، ومكوناته بما فيه البنية الذهنية، بل هي وجود ممتزج عضويا بالفقرة، والمشهد، والمقطوعة، والحوار، والحوادث، وكذا بالإنطباعات الذهني والنفسي الذين يثيرهما ذلك المجموع في المتلقي..¹⁰⁶²، إذن فالصورة الكرامية في مجملها صورة سردية، تحفل بمختلف مكونات الحكاية؛ المذكورة آنفا، نشطة غنية بالحركة، بالتحول، بالتغيير بالفعل الولاوي.. كما رأينا، فلا يمكن الفصل بين الكرامة والصورة أو الغاء أحدهما للآخر إذ هناك انسجام قوي بينهما إذ لا يقوم الموضوع دون الصورة فهي في مجملها حدث مشهدي يتغير من نص كرامي لآخر.

الصور الكرامية لا يمكن النظر إليها أو دراستها خارج إطارها المرجعي الذي يتجسد في الثقافة الصوفية الصحراوية التي انبثقت عنها، ليس لها أثر خارجها، شديدة الصلة بالشحنة الصوفية الروحية التي تحملها، لذلك توصف بالقدسية والروحية، لأن الصورة الكرامية تنقل حالات روحية. فعمق خطاب الصورة يسعى إلى ترسيخ إمكانات قابلة الحدوث، فالله قادر على منح الطاقات، والإنسان بعبادته وتدرجه في المقامات قادر على تيسير منح الله، وتحقيقها وبلورتها في الواقع. فالصورة الكرامية عمقها روحي إصلاح، يعكس مسارا سرديا ينتقل من حال الخلل إلى التوازن عبر الإصلاح، فنتأكد ولاية الشيخ ومناقبه باستمرار، وبالتالي تكرار الصور في التراث الكرامي هو تزكية وإضفاء لمصداقية صور الشيوخ، يزكي الولاية ويدعمها، بحيث تكون نسقا داخل نسق تراثي أعم يتشابه، ينسجم النسقان رغم اختلاف السياقات الحاضرة لكل نموذج كرامي يروم تحقيق وظائف كثيرة، أهمها الوظيفة

¹⁰⁶² - جميل الحمداوي، بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي الجديد، ص 35.

التأثيرية، بحيث توجه الصورة خطاباً لدعم الولي وجلب مردييه. واقناعية حجاجية، وهي إثبات الولاية وتحقق الفعل الكرامي فعلاً في الواقع. ونفسية، إذ ينتقل مسار الحكي من ضيق إلى فرج فيوازيه تحسن المسار النفسي للفاعلين في الكرامة وتحسن نفسية المتلقي أثر ذلك، فيترسخ لديه مبدأ الفرج واليسر بعد العسر في الحياة ككل وأيضاً بفضل حضور نموذج ولائي متماهي مع النموذج النبوي يدرك حاجات المجتمع وانتظاراته، يؤثر في روحه، وفي ذوقه الأدبي من خلال نثر وشعر النص الكرامي، وقد تتقبض نفسه وتوجد عند تلقيه صوراً التي تتضمن الخلاف والتوتر بين أطراف متنازعة من نفس الفترة الزمنية أو من فترتين متباينتين، كما تصر الصور الكرامية على إبراز شخصية الصوفي القوية الصامدة في وجه الأزمات والصعاب فهي تعبر في أغلبها عن جو نفسي ينطلق من المعاناة إلى الترقب إلى التنفيس والاعتدال. التي تنقل عبر الوصف والاختبار لتؤدي الصورة وظيفتها الاخبارية البلاغية فالنص الكرامي غني بالمعلومات المتنوعة التي تعني الرصيد المعرفي للمتلقي وتقدم مادة يمكن استثمارها في مجالات معرفية عدة. فالصورة معلومات جمة، مرآة فكر، شاحن روحي، محرك لخيال المتلقي. وإذا كان المعنى الوارد في الصور مدركاً بالحس كان الجمهور أكثر قرباً وتأثراً، وكلما كان المعنى مجرداً كان المتلقي مستغرباً. وأما الوظيفة الوجدانية تتجلى في التعبير عن تجربة عاشها الولي، تصبح قريبة من وجدانه فيكسب تعاطف الجمهور الذي يتداول النصوص شفها ويقوي إنتشارها ويثيرها لتحيا داخل الموروث المسموع قبل أن تصير نصوصاً مدونة فتفتتح على جمهور جديد.

6- طبيعة الصورة الكرامية

تشبه الصورة الكرامية الصورة الروائية أو القصصية، فهي ذات طابع سردي منها الحسية ومنها التخيلية إبداعية. في حال كانت الكرامات غير صادقة. إنسانية تتجاوز الواقع إلى عوالم خارقة محتملة وممكنة¹⁰⁶³، ويرى محمد المسعودي في كتابه: "اشتعال الذات" أن الصور الصوفية عموماً تتسم بالروحانية والواقعية¹⁰⁶⁴، وإن لم تكن كذلك اتسمت بالإمكان،

¹⁰⁶³ - جميل حمداوي، بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي الجديد، ص 31.

¹⁰⁶⁴ - نفسه، ص 157.

فالمعنى الوارد في الكرامات الصوفية، يتضمن أحداثاً محتملة الوقوع، قد ترد في الواقع فتدرك عبر الحواس، أو تجريدية تدرك عبر الخيال، وفي جل الأحوال هي فوق الطبيعة، وما يمكن الانتباه عليه، هو أن الصورة تأتي في سياق يصر على التأثير، ويحث على التصديق، وحسن الاعتقاد، بمعنى أن المطلوب من المتلقي ربط الخيال والتجريد بالممكن، وبالتالي التفكير في إبداعية الصورة الكرامية، وتخيلها تبقى محدودة، وهنا نتحدث عن تكوين الصورة الكرامية، فالسياق ينفي التكوين، ويكرس مبدأ المحاكاة فما الصورة الكرامية إلا نقل لما حدث فعلا في الواقع، وبالتالي عليه تصديقها، فالله تعالى هو المبدع وهو المحقق لهذه الصور، وليس للمدون يد في ذلك. وهذا أمر مائز يفرق بين الصورة الأدبية الإبداعية عن الكرامية. ويحرص المدون على تأكيد واقعية الصورة، وتعبيرها عن تجربة، وهي غير مفبركة، ومادامت كذلك فهي متكررة سابقا أو لاحقا لدى أولياء آخرين.

7- أساليب الصورة

تتشكل الصورة الكرامية إذا نظرنا لها ظاهريا بعزلها عن مرجعيتها عبر التصوير والنسيج اللغوي، والفني، والجمالي، والمتخيل الإنساني..¹⁰⁶⁵، لذلك يمكننا الوقوف عند الأوصاف، والتشبيهات، والاستعارات، والمجازات، والكنائيات، والرموز، والإشارات، والومضات، والشذرات الموحية¹⁰⁶⁶، كما تتوسل صور كثيرة منها بالتشخيص، وكل ذلك من شأنه أن يبرز سمة الخارق إن ابتعد عن الواقع المعتاد، إن بعض هذه الصور تنتج شيئا ما مفاجئا، شيئا يذهب فيما وراء الانتظار، ويبدو مناقضا للرأي المتعارف عليه..¹⁰⁶⁷. والصور الكرامية بسيطة في تكوينها الفني، معتادة في أساليبها البلاغية، ليست شاقة في التكوين، ولا تفرض مشقة في التأويل، وكل ذلك سيكونا جليا في الجدول الواصف.

¹⁰⁶⁵ - جميل حمداوي، بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي الجديد، ص 31.

¹⁰⁶⁶ - نفسه.

¹⁰⁶⁷ - UMBERTO ECO, la structure absente, introduction à la recherche sémiotique, Mercure de France, Paris, 1972, p, 125.

أرى أن الصورة ليست عاكسة لخيال كما هو الحال في الطرح الدلالي التحليلي، وإن كانت من صنع الخيال فهي تأتي في خضم بناء عالم الإمكان الذي يسعى المرسل عبر مجهودات كثيرة لإقامته داخل النص الكرامي، والحال أن مكونات الصورة ووسائلها تتفاعل مع نصوص أدبية أخرى، كما تتناص مع الكرامات التراثية، فالصور الفنية التي عهدناها في الشعر كانت تكسر التوقعات، غير أن الحال الجديد في الكرامة أن يصير عدم التوقع منتظرا ممكنا، فهي تبني عالما مسموحا به مندمجا، منسجما مع السياق التي تأتي فيه، وكل الاجتهادات التي تدرس صورة الكرامة في عزلة عن مرجعيتها تجعلها تتشابه مع الأنواع الأخرى، فتغسلها وتفصلها عن الشحنات الدلالية الغنية التي تحملها. فالأستاذ عبد الله خضر لم يقدّم هذا الربط الثقافي بين النص وخلفيته في كتابه: "شعرية الخطاب الصوفي .."، لأن شعرية الخطاب لا يمكن فصلها عن شعرية الفكر الصوفي وآفاقه وانفتاحه، فما يتحقق في الشعر من شعرية يتحقق أيضا في الكرامة، ولا ننسى الرموز المتواترة التي تحمل نفس الدلالات المراد تبليغها، فالخضر، والماء والسبع والضوء، والأرض .. لها معاني أولى بسيطة، لكنها تتطوي على دلالات بعيدة يلامسها عن قرب القارئ المؤول الذي ينأى عن حرفية النصوص.

8- الرمز في الصورة الكرامية

تحفل الثقافة الصحراوية بالرموز التي تغني الأدب عند توظيفها، وتفتح أبواب التأويل، من خلال تفاعل المتلقي مع هذه الثقافة، فالتأويل يبحث عن معاني الكلمات التي اكتسبتها داخل ثقافتها، وتبتعد عن معانيها الأولى، وقد اقترنت الرموز بالصورة الكرامية، فمنها رموز حيوانات، فالأسد، والأفعى، والجمل حيوانات صحراوية من صميم البيئة تتسجم مع النص ومرجعيتها، لكنها تتلون بمعاني بعيدة تلبسها. فالأسد قد يدل على السلطة، والأفعى على المكر، والجمل على الإنتقام والجبروت، ومن الرموز أيضا الماء، والولي، والسلطان...، فالماء يدل على الحياة واستمرارها والاستقرار والبقاء، والولي يصير رمزا للإصلاح الدائم

والزعيم الروحي المنقد من الضلال، فدلالاتها قد ترد مشحونة بمعاني إضافية قوية ينقلها التأويل، فيغني النص بحمولة ثقافية إضافية، ويفتح آفاق تأويله بعيدا عن الحرفية..

إننا بصدد نص مرمر كأى نص ثقافي، ونص مرجعي، موجه لمتلقي شعبي وآخر عالم، فكل صنف له قدراته على التأويل.. وتعيد التوازن للاختلالات الموجودة في الواقع السياسي أو الاجتماعي أو النفسي.. ولنا في محمد مفتاح خير نموذج تحليلي للكرامات الصوفية إذ يركز على خصوصيتها التأويلية التي تكشف مكونات النص، المعبر عن أسرار الواقع، المعتمد على الرمز والتمثيل..¹⁰⁶⁸

استنتاج

تتميز الصورة الكرامية بكثافتها واختزالها للدلالات الكثيرة في القول القليل والحجم الصغير، والمعنى الكبير وانتقائها اللغة والموضوع المناسبين لسياقها ومرجعها، ويسهل ذلك سمة التسريع، إذ تتزاحم الأحداث حتى تتصل نهايتها دون تأخير أو بطيء، لأنها تركز على الانطلاق، والعقدة، والحل.. ويستجيب لمنطق الوحدة الموضوعية وبين ذلك تفاصيل كثيرة لا يقف عندها النص لاهتمامه بتصوير الصلاح والفرج في لحظة التنوير، فغياب المشروع الحدتي يجعل الصورة الكرامية سردية تمتاز بالسرعة، والإجمال، والإضمار¹⁰⁶⁹. ومن سماتها الفنية والجمالية والتصويرية؛ سمة الخارق، والخيال، والرمز، واستثمار المعجم القرآني¹⁰⁷⁰. وهي ليست تقليدا أو محاكاة للواقع، رغم أنها أفعال، مؤتثة بمعطيات الواقع الحكائية الفعلية، وإنما الخصوصية التي تميز الصورة الكرامية الصحراوية، تبرز بيئة الكرامة ومحيطها، فالسباع والجمال والخيمة، هي من مكونات الصحراء، من شخصيات وحيوانات وطبيعة وعادات وحاجات وانتظارات ملامح ثقافية صحراوية، وتحقق انسجاما مع الصور الكرامية في التراث النقدي، مما يبرز انبثاقها من الذاكرة، فإن كانت غير ذلك فقدت شرعيتها

¹⁰⁶⁸ - محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1994م، ص 173.

¹⁰⁶⁹ - آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، ص 234.

¹⁰⁷⁰ - بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي الجديد، ص 174.

وبدت مبتكرة مفبركة لا تتسجم ومرجعية الولاية والتصوف، فالمنح الكرامية معروفة لدى الأولياء متكررة. وما يمكن أن يسمى تشابه الصور الكرامية، إنما يعكس امتدادا للصورة الكرامية، وامتدادا للولاية، ولا يعكس أبدا التقليد، لأن الصورة غير منفصلة عن الفكر الذي أنتجها، أو عن حياة الولاية والتصوف.

ويمكن عرض نموذج تحليلي بالاستعانة بجدول واصف لمكونات الصورة وأساليبها ودلالاتها، يستوعب قراءة ظاهرية تمثيلية وأخرى تأويلية لنماذج من صور كرامية صحراوية ولا يغطي جلها كالتالي.

ثالثا - تحليل نماذج من الصور الكرامية

الصورة	مكوناتها	طبيعتها	أسلوبها	دالاتها	وظيفتها
رؤية الرسول	شخصية الرسول الولي	تجريدية		تواصل روحي	حجاجية، القياس والتعليل تبرز امكان حصول الحدث
رؤية الخضر	شخصية الخضر	تجريدية		حب الحياة	حجاجية
إحياء ميت	شخصية الميت	تجريدية		تأثير الولي تدخله لاسترجاع الحياة	حجاجية امكان حصول الحدث
القصة تذكر الله	جماد: القصة	حسية سمعية	استعارة مكنية	قدرة الولي على تربية الجماد روحيا	استمالة نفسية تحبيب الذكر والتسبيح
جسد الولي المضيء	الجسد الضوء	حسية بصرية	استعارة مكنية الرمز: الضوء	تميز جسد الولي: الطهارة والسمو	استمالة نفسية تحبيب الناس في الولي
البقرة تحلب دما	البقرة الدم الحليب	حسية بصرية	الرمز: الدم والحليب	إصلاح اللعنة	حجاجية
السباع الخاضعة	تحول سلوك الحيوان	حسية بصرية	الرمز الوصف	طاعة الحيوان للولي	حجاجية
طيران الولي	حركة روحية	تجريدية	استعارة مكنية	اختراق الولي للحدود المكانية والزمنية	حجاجية
بكاء الأرض	لطبيعة	حسية بصرية	استعارة مكنية	حزن الأرض والسماء	حجاجية: قياسها على

إحساس البشر انفعالية: تعبير عن إحساس	على الولي				بكاء السماء
حاجية: التعليل	تنزيه الولي وما يتعلق به عن النار	الوصف الرمز	حسية بصرية	النار	ثوب الولي لا يحترق
حاجية: التعليل	الإشفاء قدرة الولي على إرجاع البصر	الوصف والرمز	حسية بصرية	البصر	إبصار أعمى
حاجية تعليلية	تحكم الولي في الجن	الوصف الرمز	تجريدية حسية	الجن	إخراج الجن من الجسد
حاجية	تأثير الولي في العفريت	مجازية	تجريدية حسية	العفريت الحركة الصوت	خروج العفريت من البحر
وصفية حاجية	يعرف السمك بالولي	استعارة مكنية	حسية بصرية	الصوت الحركة حيوان	سمكة تتكلم
نفسية	حضور الولي في قلوب أتباعه	استعارة	تجريدية حسية	الميدة	ترأى لهم الولي في شكل ميدة

الفصل الثالث: التناص الكرامي

نقصد بالتناص الكرامي تقاطع نصوص كرامية مع نصوص دينية أو حكاية أو نصوص أخرى داخل نص واحد، فهو نص مرتبط بنصوص سابقة هذه، " .. في علاقة ظاهرة أو خفية.." ¹⁰⁷¹، ويمكن كشف تلك النصوص عند قراءته، فالنص يتضمن ارتدادا واستعادة لماضي سابق، فهو غير منعزل أو منغلق، بل له مشارب نصية أخرى تساهم في بنائه، فنحن يمكن أن نقرأ المكونات الحكائية والسردية في نصوص من نفس النوع أو أنواع سردية قريبة منه، فالنص الكرامي يمتص عدة نصوص بحيث يبلورها حسب خصوصياته، فهو لا يولد من فراغ، ولا يظل وحيدا، إذ له برازخ نصية تعالقه وتوشجه بنصوص أخرى سابقة عليه، أو معاصرة أو لاحقة له، في إطار سياقات اجتماعية وثقافية وتاريخية مشابهة لسياقه أو قريبة منه. ويكشف المتلقي المتمرس الذي يقرأ النص الكرامي النصوص البرازخ المتصلة به، ويدرك مواطن التناص فيه، لأن تعامله مع النص غير سطحي أو أولي، فالتناص في علاقته بالمتلقي هو "ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل.. وأعمال أخرى سابقة أو لاحقة عليه" ¹⁰⁷²، فالقارئ يستحضر نصوصا اطع عليها وعرفها من قبل، وبذلك يصير التناص "ظاهرة توجه قراءة النص وتهيمن عند الاقتضاء على تأويله أثناء هذه القراءة نفسها" ¹⁰⁷³.

وقد صنفت "جنيت" التناص إلى خمسة أنواع ¹⁰⁷⁴، نرى أن النوع الذي يلائم ويحضر في الكرامات هو "النصية المتفرعة" أي العلاقة التي من خلالها يمكن لنص ما أن يشتق

1071 - حميد لحميداني التناص ونتاجية المعاني علامات في النقد 2001، ص 98.

1072 - حميد لحميداني علامات في النقد، ص 72.

1073 - نفسه، ص 98

1074 - بيبير مارك دوبيازي، نظرية التناص، تعريب المختار حسني، مجلة فكر ونقد، عدد 28، أبريل، 2000، ص

من نص سابق عليه بواسطة التحويل البسيط أو المحاكاة ..¹⁰⁷⁵. وهذا الأمر يعكس مبدءا صوفيا أساسا يوجه التناص كما يوجه استراتيجية عرض كرامات القرة، إذ يمكن وسمها باستراتيجية التناص، وهذا المبدأ هو أن الكرامات هي فروع المعجزات، وأن كل ما كان معجزة لنبي يجوز أن تكون كرامة لنبي، من هذا المنطلق اجتهد مريبه ربه في عرض كرامات من الحديث ومن أخبار السلف متوازية مع كرامات الشيخ ماء العينين، فهو دائم البحث عن الصلات النصية البرزخية بين النصوص، وهذه استراتيجية فيها بحث واجتهاد عزم على فعله المدون، وقد ساعدته ثقافته الدينية والصوفية في إنجازه. وقد يعثر على برزخ واحد أو أكثر حسب حضور الكرامة في مصادرها الأصلية. وتحضر في الكرامات الصحراوية أنواع عدة من التناص، أهمها التناص القرآني، والتناص مع الحديث الشريف، والتناص مع كرامات السلف، وهي وجوه لكرامات قديمة سابقة للكرامات الصحراوية، كما أن هناك تناصا بين كرامات متزامنة لشيخو صحراويين، أو لنفس الشيخ.

أولا: تناص الكرامة مع القرآن

يعد القرآن رافدا كراميا أساسا يحفظ معجزات الرسل والأنبياء، فيه آيات خالدة على أخلاقهم، ينقل قصصهم مع عشائرتهم وقبائلهم، يثبت قدراتهم على إقناع الناس بالحجج الثابتة، فهو يظل مصدرا حجاجيا قويا لاستلهاهم قصص الكرامات، لما يرد فيه من التشابه والتوازي بين النموذج النبوي الأعلى ومن في مقام النبوة والرسالة ممن سبقوه، والنموذج الولائي البشري الذي يسعى باستمرار إلى الاقتداء به، لذلك فالتنصص القرآني يظهر من خلال آيات وقصص الأنبياء بشكل لافت، أو من خلال طاقاته الحجاجية والتعبيرية والإيحائية التي تسهم في بناء النص الكرامي. وقد حمل علماء الصحراء من شيوخ ومدونين القرآن الكريم حفظا وتجويدا وتدبرا، وخبروا معانيه ودلالاته، فكان يسيرا عليهم أن يقفوا عند كراماته وحكاياته وكل أسرارها، وقد ثبت هذا في تراجم شيوخ الكرامات في الفصل الثاني من هذا

¹⁰⁷⁵ - بيير مارك دوبيازي، نظرية التناص، تعريب المختار حسني، مجلة فكر ونقد، عدد 28، أبريل، 2000، ص

البحث، إن مقصد المدون من حضور القرآن الكريم في الكرامات يثري النص الكرامي، ويؤثر في متلقيه، ويكسيه بطابع قدسي، كما أن القرآن في الكرامة يمكن أن يكون جزءا من دعاء أو ذكر يتوسل به الولي لتحقيق الكرامة، وذلك من محفوظه وقراءاته وثقافته المكتسبة وهو ما يسميه سعيد يقطين بالمعرفة الخلفية¹⁰⁷⁶. فما ورد من تناس مع آيات القرآن الكريم في الكرامات الصحراوية نجده في أمثلة كثيرة منها ماورد في إحدى كرامات الشيخ التي تتضمن كرامة إحياء ميت: . قال محمد جد بن المختار¹⁰⁷⁷، فأخذت يده ورفعتهما وقلت له لقد توفي رحمه الله منذ ساعة طويلة، فقال له الشيخ أطال الله بقاءه وأكمل في كل المعالي ارتقاءه، أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى قال فقلت بلى، قال: إذا فد عني قال فتركته فوضع يده عليه، ثم أهوى اليد ونفخ في أنفه فتحرك فجعل ينفخ في أنفه ويسوق الروح بيده الشريفة إلى سائر البدن، فيسوقها إلى الذراع..، فيتحرك ثم إلى سائر الأعضاء حتى أحياه الله . ثم جعل يتدرج في أمور الأحياء كما يتدرج الصبي الوليد. ويتخللها اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَبِئْسَ لَكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ..﴾¹⁰⁷⁸ وموضوع إحياء الموتى تحدث عنه الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹⁰⁷⁹. ومن الاقتباس القرآني أيضا ما ورد في كرامات الشيخ السيد أكرام: .. فقيل له هذا السيد أكرام¹⁰⁸⁰ قد حضر فلما مثل بين الخليفة عمد إلى أولئك الأموات، وقد تغيرت أبدانهم، وراحوا وقال أحيي هؤلاء الموتى فتقدم الشيخ إليهم وقال: أحيوا بإذن الله الحي القيوم الذي يحيي العظام وهي رميم، فقاموا ينفضون رؤوسهم كما كانوا نياما.. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾¹⁰⁸¹. وقد تبين مما سبق أن هذا التناس القرآني حافظ على المعاني القرآنية الأصلية، تعصيها للمعنى، واغناء وتأكيدها له. وقد

1076 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص وسياقه، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط.1،

1989، ص 34.

1077 - الطرائف الثالثة، ورقة 523

1078 - سورة القيامة، آية 40.

1079 - سورة البقرة، آية 28.

1080 - الطرائف الثالثة، ورقة 25.

1081 - سورة يس، آية 77.

يستشهد بآيات القرآن على سبيل الاستدال بصيغة، وقال تعالى وهذا ما ورد في هذا المقطع من الكرامة التالية:

حتى أحرقتهم نار الله فلم يشعروا إلا وإذا النار تشتعل في ثيابهم.. واستغاثوا بالشيخ..¹⁰⁸² " ﴿ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيقَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾¹⁰⁸³ . قد تبين مما سبق أن هذا التناسق القرآني حافظ على المعاني القرآنية الأصلية، تعضيدا للمعنى واغناء وتأكيذا له يناسب سياقات توظيفه الكرامي، ويخدمه حاجيا، وهو في غالبه اقتباس أو استشهاد جزئي.

ثانيا : تناسق الكرامة مع الحديث الشريف

ويمكننا الوقوف عند النص الموازي أو النصوص الموازية لنص الكرامي الصحراوي التي انتقاها مربيه ربه، وعرضها بعناية في "القرة"، إذ يمكننا المقارنة بينها من خلال جدول واصف يتضمن جل مكونات النص حتى نتبين التشابه والاختلاف بينها، ولم نتناول جميع النصوص، بل اكتفينا بأبرزها حتى نحترم حيز البحث الذي لا يتسع لعرض نماذج كثيرة. وسنحاول عرض الكرامات الصحراوية في علاقة تشاكلها أو تباينها على مستوى المضمون والشكل مع مختلف النماذج الكرامية التي سبقتها أو تزامنت معها أو لحقتها، من خلال ما توفر لنا من مادة كرامية في المضان المتاحة لنا.

- معراج الولاية

النص الموازي: الأصل	النص الكرامي: الفرع	
..قد بعث إليه يفتح لنا..، عرج. السابعة.. جبريل البيت المعمور ..سبعون ألف ملك.. سدره المنتهى.. ¹⁰⁸⁵	..رأيت الملائكة تلو لواءه في السماء.. ¹⁰⁸⁴	الشاهد
حكاية - خبر - حديث نبوي	حكاية كرامية	نوعه

¹⁰⁸² - قرّة العينين ، ورقة 189 . مجمع البحرين، ورقة 171.

¹⁰⁸³ - سورة الرعد، آية 14.

¹⁰⁸⁴ - قرّة العينين، ورقة 16 .

¹⁰⁸⁵ - قرّة العينين، ورقة 16 .

مصدره	كتاب "مذكر الموارد"	كتاب "الابريز" أحمد بن المبارك عن شيخه غوٲ زمانه سيدي عبد العزيز الدباغ
موضوعه	معراج ولأئي	معراج ولأئي - معراج نبوي
الشخصيات	السارد: الأب محمد فاضل المعرج: الابن الولي: ماء العينين	المعرج: سيدي عبد العزيز الدباغ .. عيسى بن مريم - يوسف - ادريس - محمد - ابراهيم - جبريل - سبعون ألف ملك ..
الفضاء	السماء	السماء، البيت المعمور، سدره المنتهى ..
الزمن	زمن ماء العينين	زمن الرسول
غرضه	حجاجي: اثبات ولاية الشيخ، التأثير في جمهوره ..	حجاجي: اثبات نبوة، غرس قيم، سن عبادة الصلاة، إقناع أمة ...
حجم النص	قصير، تغيب عنه التفاصيل.	أطول يستعرض مراحل المعراج ..
معجمه	روحي: السماء، الملائكة، .. الفرح والتمكين: علو درجته، أجرى الله على يديه ..	روحي: الله .. الانبياء: ادريس .. فضاءات غيبية: سدره المنتهى ..
صوره	صورة الطيران، والعلو	صور سردية حجاجية تعرض تدرج المعراج نحو الأعلى، وتكليمه الله ..
جمله	خبرية، تضم أفعال الحركة، صعود، نزل ..	جمل حركية تنقل الرحلة، تضم أفعال الماضي، مع روابط التسلسل، .. وضماٲرمتصلة دالة على الذوات ..
الأساليب	حوارية: قال - يقول .. الاستدلال بالشعر	الشرط واذا يدخل. لا يعودون، النداء: يا محمد ..، التوكيد: قد بعث ..

تتشاكل الكرامتان في المضمون، والمقصد، والأساليب، ومكونات السرد،
والمعجم، والصورة، وتختلفان من حيث مكونات الحكاية، أي الشخصيات والزمان
والفضاء.

- عفو العدو

نص الحديث	نص الكرامة	
-----------	------------	--

الشاهد	حتى أحرقتهم نار الله فلم يشعروا إلا وإذا النار تشتعل في ثيابهم .. واستثغرتوا بالشيخ.. 1086	فأرسل الله صاعقة من السماء فأحرقتة.. قوله تعالى: "ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء" 1087
الموضوع	سرق العدو الابل وأنكر ولايته مصيره الحرق على يد مظلوم آخر، والولي يعرف العقاب مسبقا.	الشرك بالله وإنكار النبوة، مصيره الحرق بسبب الصواعق، والرسول يعرف العقاب من القرآن.
الشخصيات	السارد الولي - العدو (ابن العنبر) ..	السارد: البيهقي عن أنس الرسول - المشرك
الزمان	زمن الشيخ ماء العينين	زمن الرسول
الفضاء	صحراء المغرب	صحراء
صور	صورة سردية حجاجية: احتراق العدو "وأوقد النار فيها، وصار يقطعه اربا فإربا.. 1088	نفس الصورة، احتراق المشرك فأرسل الله صاعقة من السماء فأحرقتة 1089.
غرض النص	التحذير من ايذاء الولي.	التحذير من الكفر، والشرك، وإنكار النبوة..
الاستدلال	بنصين كراميين لهما نفس المضمون، وبنص الحديث..	الاستدلال بأية من القرآن: " وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ " 1090،

تتشابه الكرامتان في القصة، وحبكتها، ومقاصدها، وتتباين في مكونات الشخصية في الزمن، والمكان، والتفاصيل، وحجم النص.

- المستهزون بالولي

النص الكرامي	حكاية السلف حكاية الصحابة
--------------	-----------------------------

1086 - قرّة العينين، ورقة 18.

1087 - نفسه، ورقة 20.

1088 - نفسه.

1089 - سورة الرعد، آية 13.

1090 - نفسه.

الشاهد	وطلبوا منه الدعاء، وأن يضمن لهم.. السلامة.. بأن رد بيس اللصوص.. ¹⁰⁹¹	خمسة نفر ذوو شأن وخطر.. يببالغون في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فأهلكهم قبل بدر ¹⁰⁹²
الموضوع	عقاب المستهزئين بالولي: طلب اللصوص من الولي ضمان السلامة ثم سرقوا..	هلاك المستهزئين الرسول
الشخصيات	الولي للصوص الثلاثة ابن الأذنير محمد بن بدير دحمان	الرسول الكريم المستهزئون الخمسة: - العاص بن وائل السهمروالد عمرين العاص - الحارث بن القيسبن الطلاطلة - الاسود بن المطلب بن الحارث - الاسود بن عبد يغوث - الوليد بن المغيرة.
الصور	زمن الشيخ بيس نصف الرجل تتاثر أحشاء بطنه خرج صوت رعد من بطنه	قبل غزوة بدر لدغت، فانتفتحت رجله حتى هلك. أكل حوتا مالحا انشق بطنه، فمات. يضرب جبريل رأسه على الشجرة، فمات مكانه.. فأصابه السموم فاسود حتى صار كالفحم. فتعلق سهم في ثوبه.. فأصاب السهم أكمله، لم ينقطع عنه الدم حتى مات..
غرض النص	النهى عن إيذاء الولي	النهى من إيذاء الرسول
المعجم	حقل الهلاك:	حقل الهلاك: العطش - أصابه - مات - رعد - زلزال - صواعق..
الاستدلال	الاخبار بحكاية السلف ذكر شخصيات حقيقية	الاستشهاد بأية من القرآن " تَا كْفَيْتَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ" ¹⁰⁹³ توظيف شخصيات حقيقية.

¹⁰⁹¹ - قرّة العينين ، ورقة 20-21، مجمع البحرين، ورقة 171.

¹⁰⁹² - نفسه .

¹⁰⁹³ - سورة الحجر، الآية 95-96.

تتباين الكرامتان في عدد الشخصيات الفاعلة، ونوعها، وتتشابه في المضمون والقصد.

- منكر الولاية

النص الأول: نص كرامي: فرع المعجزة	النص الموازي الثاني، أصل الكرامة	
لا بد أن نختبر أينا أشد بطشا، .. ولكن سمعت أنك تقول للصلحاء كذا وكذا، فأدرکتني الغيرة.. ¹⁰⁹⁵	يابن أخي، إن كنت تريد ما جئت به من هذا الأمر ما لا، جعلنا لك.. مالا حتى نبريك منه.. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه.. أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها، ويكف عنا ¹⁰⁹⁴	الشاهد
التشكيك في الولاية ومقايضة الولي، ثم اقتناع المنكر.	التشكيك في الرسالة ومقايضة الرسول ثم اقتناع المنكر بخطاب الرسول.	الموضوع
الولي، المنكر: اغموك	السارد: عتبة بن ربيعة	الفواعل
بيت المنكر أغموك	نادي قريش	المكان
إبراز قوة حجج الولي، وقدرته على الاقناع.	ثبات الرسول على الحق، وقوة اقناعه وتأثيره في المعارضين المنكرين للرسالة وهو وجه من توفيق الله له.	القصد
معجزة الرسول، المعروضة في النص الموازي.	القرآن الكريم، أول سورة "حم"، سجود الرسول لله..	الحجج

تتشابه الكرامات أعلاه في الوقائع والنهاية، وتختلف من حيث توظيف الشعر والاستدلال وعرض التفاصيل.

- تحويل الماء لبنا أو حليباً

النص الموازي الثالث	النص الموازي الثاني	النص الموازي الاول	النص الكرامي	
---------------------	---------------------	--------------------	--------------	--

¹⁰⁹⁴ - قرّة العينين ،ورقة 23 ، مجمع البحرين، ورقة 174 .

¹⁰⁹⁵ - نفسه.

الشاهد	ابتتي بماء، ثم تفل فيه، وصبه عن الطعام، فلما رواه قالوا هذا سمن البقر، وأكدوا عليه أن لايادم لهم إلى الإمتلاء ¹⁰⁹⁹ .	يغرف به .. غرفات في إناء صغير .. ¹⁰⁹⁸	فمسح ..الضرع .. ثم حلب فشربوا ¹⁰⁹⁷ .	من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب .. فدعا بها رسول الله ص فمسح بيده ضرعها ..ودعا ودرت حليباً ¹⁰⁹⁶ .
السند		ابن سعد	البيهقي عن العالية	القوي وابن شاهين ..والطبراني والحاكم وصححه البيهقي وأبو النعيم وابن هشام بن حبش بن خالد عن ابنه عن الرسول
الموضوع	جوع العمال، تحويل الماء إداما بواسطة تفل الشيخ في الماء، وتكثير الطعام	تحويل الرسول ص الماء حليباً وفيه زبدة الإدام	در حلب الشاة على يد النبي	در حلب الشاة العازب لما مسح الرسول ضرعها
الفواعل	الولي الشيخ ماء العينين عمال البناء	الراوي: ابن سعيد عن الصحابة الرسول	الرسول، العناق	أبو بكر عامر بن فهيرة، الليثي عبد الله، أم معبد الخرزاعية، زوجها الشاة.
المكان	دار الشيخ بالساقية الحمراء			مكة، دار أم معبد

1096 - مجمع البحرين، ورقة 174 .

1097 - قرّة العينين، ورقة 24، مجمع البحرين، ورقة 170.

1098 - نفسه.

1099 - نفسه.

الزمن	في حياة الشيخ	زمن الرسول	زمن الرسول	زمن الرسول
الحجج	الأحاديث الثلاثة	الشهود	الشهود والرواة	الشهود والرواة
الغرض	قدرته على تحول طبيعة الشيء	قدرة الرسول على تكثير الطعام وتحويله	قدرة الرسول على تكثير الطعام وتحويله	قدرة الرسول على تكثير الطعام وتحويله
الأساليب	الجميل السردي الخبرية التي تعج بأفعال الحركة والإنجاز	الوصف والحوار		

تتقارب الكرامات في الجدول أعلاه في المضمون والقصد، وتتباعد الكرامات في المكونات الحكائية وتفصيل القصة.

ثالثا : التناص مع كرامات الصحابة والتابعين

موضوعها	النص المناص	الكرامة الصوفية الصحراوية
مشاهدة الذات الالهية	الأبدال: السبعة المخصوصون ¹¹⁰⁰ ، مجالسة الله.	كلم الله الشيخ اثني عشر مرة كرامة ¹¹⁰¹
مشاهدة الانبياء	أبو الخير الأقطع ¹¹⁰² ، والأكل من بين يدي النبي وتقبيل رأسه	..إجتمعت بالمصطفى ¹¹⁰³ ، لايفارق شيخنا النبي، يده في يد النبي. ¹¹⁰⁴ شاهد الشيخ النبي في منامه ¹¹⁰⁵ .
مشاهدة الأولياء	عمرو بن قيس الملائي ¹¹⁰⁶ ، لما مات رأو في الصحراء رجالا عليهم ثياب بيض اختفوا لما دفن.	عمرو بن قيس الملائي ¹¹⁰⁷ ، لما مات رأو في الصحراء رجالا عليهم ثياب بيض اختفوا لما

1100 - قرّة العينين ، ورقة 125.

1101 - قرّة العينين، ورقة 15.

1102 - الحجج البيئات، ص 202.

1103 - قرّة العينين ، ورقة 133.

1104 - نفسه.

1105 - قرّة العينين ، ورقة 209.

1106 - اللالكائي أولياء الله .. ، ص 109.

		<p>دفن . . أتاني الخضر¹¹⁰⁸ فرأى صاحب القبر راكبا جملا¹¹⁰⁹ . فرأى صاحب القبر راكبا جملا¹¹¹⁰ . الشيخ محمد دمشقي يعرف الشيخ ماء العينين دون أن يلقاه¹¹¹¹ .</p>
تسييح الجمادات	أبو الدرداء ¹¹¹² ، سبحت القصعة التي أكل فيها هو وسلمان .	<p>بالإناء يذكر الله تعالى¹¹¹³ . إبريق يذكر الله¹¹¹⁴ . ذكر الإبريق¹¹¹⁵ .</p>
إنارة الجمادات	أسيد بن حضير - عباد بن بشر ¹¹¹⁶ إضاءة عصا أحدهما لهما في الليل ثم عصا الآخر عند افتراقهما	<p>خرج ضوء من رأس عكازه¹¹¹⁷ .</p>
استقدام الجماد من مكان بعيد .		<p>حضور مكيال نحاس من أدرار إلى أزمو¹¹¹⁸ .</p>
سلامة جسد الولي		<p>سيدي أحمد البكاي¹¹¹⁹ هو</p>

- 1107 - اللالكائي أولياء الله، ص 109 .
1108 - الطرائف الثالثة ، ورقة 498. قرّة العينين ، ورقة 23 .
1109 - قرّة العينين ، ورقة 23 ، مجمع البحرين ، ورقة 174 .
1110 - نفسه .
1111 - قرّة العينين ، ورقة 197، مجمع البحرين ، ورقة 181 .
1112 - الإلكائي كرامات أولياء الله، ا ص 77 .
1113 - قرّة العينين ، 49، مجمع البحرين ، ورقة 168 .
1114 - قرّة العينين ، ورقة 50. مجمع البحرين ، ورقة 168 .
1115 - سحر البيان، ورقة 51 .
1116 - النبهاني جامع الكرامات، ص 120، العنقري كرامات الأولياء ، ص 149 .
1117 - قرّة العينين ، ورقة 42 .
1118 - قرّة العينين ، ورقة 195 .

		كالنائم لم يتغير شيء من أكفانه فضلا عن جسده.
تسبيح الولي في قبره	العلاء بن الحضرمي ¹¹²⁰ (موته 14 بعد الهجرة)، وجود نور بقبره. سعيد بن جبير ¹¹²¹ لما سقط رأسه على الأرض بعد قتله قال: لا إله إلا الله معروف الكرخي ¹¹²² قبور الأولياء تحصن بغداد من البلايا. عمرو بن الجموح ¹¹²³ وعبد الله بن عمرو، لم يبيل القبر جسدهما بعد ست وأربعين سنة	سمع الشيخ الحاج المعلوم كلام الشيخ محمد فاضل في قبره ¹¹²⁴ .. سيدي أحمد البكاي ¹¹²⁵ هو كالنائم لم يتغير شيء من أكفانه فضلا عن جسده. بعد وفاتها معروفة بفضل حاجة الزوار ¹¹²⁶
	مطرف بن عبد الله ¹¹²⁷ سطع النور من رأسه ومن وسطه ومن رجليه.	.. القربة فانثقت ،.. وفار الماء ¹¹²⁸ . فأظلتهم سحابة وأمطرت ¹¹²⁹ .

1119 - الطرائف الثالثة ، ورقة 1014.

1120 - الحجج البيئات، ص 118.

1121 - الطرائف الثالثة، ورقة 104.

1122 - الحجج البيئات، ص 197.

1123 - الحجج البيئات، ص 109.

1124 - قرّة العينين ، ورقة 197، مجمع البحرين ، ورقة 181.

1125 - الطرائف الثالثة، ورقة 104.

1126 - الضياء المستبين، ورقة 170.

1127 - كرامات أولياء الله، ص 115.

1128 - الطرائف الثالثة ، ورقة 85.

1129 - قرّة العينين ، ورقة 30.

	<p>خبيب بن عدي¹¹³⁰ ابتلعه الأرض حماية من المشركين (ببيع الأرض).</p>	<p>فتشكل رضي الله عنه شكلا دوريا نورانيا¹¹³¹. .. فرأيت رجلا أبيض لابسا ثيابا بيضا لا شك أنه الشيخ محمد أبو حامية¹¹³² .. كل شعرة من رأسه تسبح الله¹¹³³. تخرج أضواء من جسده الشريف¹¹³⁴. كرامة¹¹³⁵ الشيخ محمد فاضل بن مامين تسبيح شعره.</p>
		<p>فلما ارتحل زلزلت الأرض¹¹³⁶ لتبلعنكم الأرض¹¹³⁷ عقابا. قالت الأرض السلام عليكم استودعكم الله¹¹³⁸.</p>

رابعاً: تناص بين كرامات شيوخ صحراويين

تتداخل كرامات عدة شيوخ في الموضوع فيما بينها نصياً، وتختلف باقي مكوناتها الحكائية، منها كرامات كشف الخاطر أو الخواطر وردت لدي المختار الكنتي، "كوشف

1130 - الحجج البيّنات ص 103 ، كرامات الأولياء ص 148.

1131 - الطرائف الثالثة ، ورقة 501.

1132 - الطرائف الثالثة ، ورقة 511.

1133 - قرّة العينين ، ورقة 51.

1134 - قرّة العينين ، ورقة 183.

1135 - نفسه .

1136 - قرّة العينين ، ورقة 51.

1137 - قرّة العينين ، ورقة 128.

1138 - الضياء المستبين ، ورقة 331

سيدي علي¹¹³⁹ بما في نفسي.. "والشيخ ماء العينين، "كشف الشيخ ما في خاطر تلميذه من أمر شرحه للهمزية¹¹⁴⁰". وكشف الولي عبد الرحمان أفندي كشف أحوال وأخبار الشيخ ماء العينين¹¹⁴¹. "و"كشف الشيخ ما بخاطر ابن أخته فسقيه شربة عسل¹¹⁴²". وترد كرامة إحياء ميت لدى الولي محمد أكرام "يحيي الموتى"¹¹⁴³، والشيخ ماء العينين: ".وقال: أحيي هؤلاء الموتى فتقدم الشيخ إليهم، وقال: أحيوا بإذن الله الحي القيوم الذي يحيي العظام، وهي رميم. فقاموا ينفضون رؤوسهم كما كانوا نياما..". وكرامة طيران الولي، وانزواء الأرض له وردت لدى أولياء صحراويين كثر.. من ذلك "فإذا هو بالهواء وسائر الأرض قد انزوت فيما تحت العتبة"، و"..انزوت الأرض بأسرها فيما تحت قدمي"¹¹⁴⁴..، وسيدي علي بن النجيب¹¹⁴⁵، زويت الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها.."، وسيدي عمر التوجي¹¹⁴⁶، وأبو بكر الكنتي انطواء الأرض له¹¹⁴⁷. و"يا أيتها الأرض أمسكيهم فبدأت تجرهم ثم عفا عنهم¹¹⁴⁸...".

1139 - قرّة العينين ، ورقة 61، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 264.

1140 - قرّة العينين ، ورقة 61، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 264.

1141 - قرّة العينين ، ورقة 61، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص 264.

1142 - قرّة العينين ، ورقة 211.

1143 - الطرائف الثالثة ، ورقة 25.

1144 - الطرائف الثالثة ، ورقة 502.

1145 - الطرائف الثالثة ، ورقة 504.

1146 - الطرائف الثالثة ، ورقة 500.

1147 - الطرائف الثالثة ، ورقة 41 .

1148 - ماء العينين بن العتيق ، الرحلة المعينة، تحقيق محمد الطريف ، ط1، المعارف الجديدة ، الرباط ، 1998.

خامسا: تناص بين كرامات نفس الشيخ

تتكرر كرامة الشفاء وإبراء العلل مع الشيخ ماء العينين في سياقات مختلفة، فقد جبر كسر تلميذه "ويجبر كسرهما"¹¹⁴⁹، و "جبر الشيخ كسر ذراع أمة تخدمه"¹¹⁵⁰، و "أشفى الشيخ القائد من الجذام"¹¹⁵¹، ورقى الشيخ المريض فشفي¹¹⁵² وعاد البصر إلى عمياء على يديه "أبصرت على يدي الشيخ"¹¹⁵³. وترد أيضا مرات عديدة كرامة التوفيق في العلم للشيخ ماء العينين، ولها وجوه عدة منها غلبته العلماء ".. ما جاءني أحد من أهل العلم الظاهر يجادلني إلا وغلبته ماء العينين"¹¹⁵⁴، وتوصله بالكتب من غير واسطة، "وصلت الشيخ ماء العينين ثلاثة كتب من غير واسطة"¹¹⁵⁵، ويسرت أليفه الكتب "تأليف الشيخ ماء العينين لكتب أهمها القرّة"¹¹⁵⁶. ومن الكرامات التي تحضر وتكرر لدى الشيخ ماء العينين نفسه حمايته الرفقة، وضمان سلامتهم، كحماية المستضعفين: "حماية الشيخ امرأتين مستضعفتين من بطش بكار"¹¹⁵⁷، وضمانه منصبا لقريب، "ضمن الشيخ الإمارة لابن عمه المستغيث به"¹¹⁵⁸، والسلطة لابن السلطان "ضمن الشيخ السلطة لمولاي عبد الحفيظ أيام كان خليفة أخيه"¹¹⁵⁹، والسلامة من أذى الأعداء، "ضمن الشيخ السلامة لمن أذوا إبله ثم ردها له"¹¹⁶⁰، وقد يحمي أهله من وباء "حمى الشيخ أهل أرضه من الجذري ببركته"¹¹⁶¹. وكرامة

1149 - قرّة العينين ، ورقة 37.

1150 - نفسه ، ورقة 139.

1151 - نفسه.

1152 - قرّة العينين ، ورقة 57.

1153 - نفسه.

1154 - نفسه.

1155 - قرّة العينين ، ورقة 194.

1156 - سحر البيان، ورقة 50.

1157 - قرّة العينين ، ورقة 130.

1158 - نفسه، ورقة 134.

1159 - نفسه، ورقة 135.

1160 - نفسه، ورقة 184.

1161 - نفسه، ورقة 199.

إحياء الميت، وقفنا عندها في التناص القرآني، لأنها تضمنت اقتباسات قرآنية، ووردت لدى أكثر من ولي، وتكررت لدى الشيخ ماء العينين مع فرس "أحييت لي فرسي.. فقبض عليها وقال قومي بإذن الله¹¹⁶².."، ومع الذباب "يحيي الشيخ ذبابا ميتا بطلب من إحدى بناته"¹¹⁶³، ومع طفل: "ضربه الشيخ بسبخته فأحسوا بالروح داخلته"¹¹⁶⁴.. وآخر أيضا: "ونفخ في أنفه فتحرك فجعل ينفخ في أنفه ويسوق الروح بيده الشريفة"¹¹⁶⁵.

تبين من خلال ما تناولناه أن التناص الكرامي هو الاقتداء بما سبق، وهو ما يعرف بالمحاكاة المقتدية¹¹⁶⁶، التي تكرر التكرار والتراكم، وهذا يساعدنا في إحالة النصوص لمرجعيتها وكشف المصادر المؤثرة فيها. وهذا مطلب مشروع، يؤكد عبد الفتاح كيليطو الذي يرى أن النصوص إن لم تتطو على قدر من التقليد فإنه لا يولد إلا غريب الكلام، وإلا سرايا قاتلا وقضاء على الكلام، وبالتالي فهو ظاهرة طبيعية ناتجة عن تفاعلات نصية ناتجة عن رصيد معرفي سابق لدى المدون واتساع إطلاعه على نصوص مشابهة. ويتبين أيضا، أن كرامات شيوخ الصحراء غير منعزلة عن سياق الكرامات الأصيلة والتراثية، بل هي منسجمة معها، وليس التشاكل وجها من وجوه المحاكاة أو الوضع بقدر ما هو تأكيد لشرعيتها وتأكيد إمكان إنتاج حالة روحية عند تحقق ظروفها من جديد مع شيخ في تاريخ آخر وجغرافية أخرى.

¹¹⁶² - قرّة العينين ، ورقة 524.

¹¹⁶³ - نفسه، ورقة 142.

¹¹⁶⁴ - نفسه.

¹¹⁶⁵ - الضياء المستبين، ورقة 326.

¹¹⁶⁶ - مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية 1986، ص

خاتمة عامة

وبعد أن قطعنا مراحل البحث، يمكننا أن نطرح أسئلة كالتالي: ما النتائج التي يمكن أن نخرج بها من قراءتنا للكرامة؟ وإلى أي حد تجيب عن الإشكال الذي طرحناه في المقدمة؟ وهل تتسجم مع الفرضيات التي انطلقنا منها؟ وما قيمة هذا البحث في مجال الأدب الصوفي المغربي العربي؟

إننا وبتتبعنا لمسار الحياة الكرامية بالصحراء المغربية في القرنين 13-14هـ، أي الفترة التي برز فيها عدة شيوخ، أهمهم القطب المختار الكنتي، وماء العينين الذين أسسا حركة صوفية قوية امتدت معالمها جغرافيا وزمنيا. تبين بالفعل أن الصحراء المغربية دار ولاية وكرامة، عرف أهلها جل المفاهيم المتعلقة بها، وعرضوها في مظانهم الصوفية، مبرزين أسانيدهم المصدرية التأصيلية المشرقية، مما يعكس قوة التواصل الروحي والفكري الممتد من الشرق نحو المغرب وهذا تعكسه وشائج التأليف الصوفية الكرامية بينهما. وقد وظف شيوخ الصحراء مختلف مصطلحات الكرامة في مؤلفاتهم، ومنها مصطلح "الضفنطي" الذي ارتبط بالثقافة الصحراوية دون غيرها، وقد تعلق الإنسان الصحراوي نفسيا وروحيا وفكريا بالطرق والشيوخ، فتتبعوا مناقبهم وكراماتهم، وتداولوها شفويا ثم دونوها في مدونات عامة وخاصة، حفاظا عليها.

ويبدو جليا أن الكرامة تتأسس مفهوما وواقعا وتلقيا على مبدأ التشكل، فأولها سعي من الأدنى (العبد المخلص) إلى الأعلى (الله)، ثم استجابة من المكرم (الله) للمكرم (العبد)، فهي عملية عبادة وترقي ثم منحة وعطاء، يظهر للولي في نفسه أو تتبلور واقعا يلبي حاجات الناس، من ولي إلى محتاج، فيتشكل الإصلاح، وتتشكل مكانة الولي بين جمهوره، ويتشكل الإنجاز تعبيرا متداولًا ثم نصا مدونا، ليتشكل تفاعل بين النص والقارئ، قد يصل إلى تشكل نقد كرامي أدبي صوفي، فنحن بإزاء حركات روحية، وفعلية، وثقافية، متوالية. إنها عمليات مركبة في اتجاهات أفقية وعمودية، فيها حركة وتأثير وتأثر وانتقال

متواصل من مستوى إلى آخر. وتعتبر الكرامة نصا أدبيا ثقافيا بامتياز، له بنية منفتحة تشمل عدة مكونات، لها دلالاتها ووظائفها وجمالياتها. فقد أثبتت الكرامات ذاتها داخل جغرافية الأدب، وحفرت موطنها بقوة فيه، وكل مكوناتها وملامحها تعكس انتماءها للسرديات العربية المغربية الصحراوية. فهي من صلب الخبر والحكاية، مغروسة في الثقافة العربية الإسلامية الصوفية، وجل المصادر الصوفية الصحراوية تعج بالنصوص الكرامية، إلى جانب المناقب، والتراجم، والأشعار، والأدعية، والذكر، وقد تخصص لها مصادر مفردة بها. وكونها متعددة الدلالات معناه أنها تقبل قراءات كثيرة ظاهرية، وباطنية، وسطحية، وتأويلية، وسياقية، ومرجعية، فينتقل القارئ من معانيها القصصية، إلى علاقتها بدوافع إنتاجها، وحاجات متلقيها المرجعي والسياقي القريبة منه والمعبرة عنه.

وهكذا تكون الكرامة انعكاس لواقع حقيقي، أو احتمال ممكن الوقوع، أو خيال فردي أو جمعي ينقل رؤية معينة. فهي نوع أدبي قائم بذاته مكتمل قابل للتأويل. ساهم بقوة في استنهاض ممارسات نقدية حديثة، ترنو إلى ملامسته بوسائل نقدية لها مشارب جمة، ومرجعيات مختلفة. لذلك أصبح الباحثون يتهافتون على خوض تجارب كرامية لم تطرق من قبل بوسائل نقدية مختلفة، مما بث روحا جديدة في البحث عن النص الصوفي الكرامي الذي ظل مرتبطا بمناهج تقليدية موضوعية وتاريخية ردحا من الزمن، لينفتح بعد ذلك على اتجاهات جديدة، يستكنه الباحث من خلالها خباياه. وظلت رغم ذلك الجدلية العقدية التي تتجلى في رفض أو قبول الكرامة أي تصديقها أو تكذيبها، تؤثر في تلقيها، وفي القراءة النقدية التحليلية لها، إذ يمكن أن ننظر إليها باعتبارها نصا تعبيريا ينقل الواقع، أو نصا إبداعيا ينقل قدرات تخييل مبدعه. ففعل الخرق ممكن الوقوع، أو هو تخييل أسند لشيوخ واقعيين لحاجات المجتمع وغايات المدونين.

وتتضمن نصوص الكرامات الصحراوية انجازات الولي وأفعاله، فيبدو قادرا على تغيير مصائر الناس فيعدل المأساوية منها إلى أخرى أفضل وأيسر، تطيعه مختلف قوى الكون،

النار والماء والهواء..، لا يفقد توازنه بل يصنع توازنه الذاتي الروحي والنفسي، ويخلق توازنات بين الطبيعة والناس، ينسجم مع القيم الإنسانية فتكثر مناقبه وتقل سيئاته، لا يفجعه الدهر ولا الكرب، متأهب باستمرار لفتك الفساد والظلم. كأنه بطل أسطوري ساحر لكن بسمات صوفية، هو الفاعل الذي يحتاجه الصحرابي للخروج من مأزقه وضيقه. يقوي إحساسه بالوجود مهما كان، و يدفع بالتالي هي أحسن، لا يذم الدهر ولا يشكو منه، ولا يستعمل الرماح والسيوف، بل ينادي بالسلام والإسلام، سلاحه الذكر، والقرآن، والدعاء، ينزع باستمرار للحركة والعطاء، متصلح مع ذاته ومع الآخرين، لا يعيش وحيدا بل يقيم مجتمعا آمنا يؤمن بالخير ويسعى إليه، هكذا تصوره الكرامة. ولا تتأى المرأة الولية عن كل ماذكرناه، لأنها شريكة الولي في الحركة الكرامية، تحضر عاملة مساعدة في أحداث النص، وقد تكون هي الفاعلة المتحكمة في مسار أحداثه أحيانا، لكن مع ذلك يظل حضورها خافتا في النصوص المدونة .

وينجز الولي أفعاله في الصحراء، ويرسم ملامحها المرجعية في عدة نصوص، وفي فضاءات يكسر حدودها، ينتقل في مختلف اتجاهاتها، أفقيا وعموديا، عرضا وطولا،، فيتحرر من المسافات والحدود الجغرافية، في طيرانه، وكشوفاته، ومعراجه الولائي، لتصير حركته حرة في مجال واسع مفتوح، حيث يهيم الولي في نطاقات العشق الإلهي في السماء والأرض، شرقا وغربا، فيظهر الفضاء كل مرة في لون، ويتلون الزمن الكرامي أيضا بين السردى، والنفسي، والفلكي، والتاريخي، يدمج الواقع بالعجيب يسبح في الماضي، والحاضر، وينطفئ أحيانا ليدخلنا في عوالم لا تعترف بالزمن فتكسره لأنها تتجاوزه، ويظل الزمن المنتظر الحقيقي لدى الأولياء والصوفية هو زمن يبدأ ما بعد الموت، يرتبط بسعادة أبدية لا حدود لها.

وقد ظل معجم الكرامة معبرا عن خصوصيات الصحراء في جل خيوط السرد، ينقل عادات أهلها الثقافية البدوية، ومقوماتها، واهتمامات أهلها، وحاجتهم إلى الماء والغيث،

وينقل المعجم وقائع تاريخية بالصحراء ، وأسماء الأماكن، والقبائل، والشخصيات، وحيوانات الصحراء، وأزياء رجالها ونسائها، ومعلومات كثيرة تؤكد كنها كتب التاريخ والتراجم والسير، فالكرامة ديوان الصحراويين، تعبر عن تاريخهم، و حياتهم، تؤكد كينونتهم العريقة بالصحراء المغربية.

ولا تخلو الكرامة التي تعتبر ابنة شرعية للأدب الصوفي العربي، من جماليات فنية تتجلى في الشعر الكرامي الذي يعد جزءا رائسا في أدب الصحراء ، شعر روي يمدح الأولياء، ويتقرب عبره الولي من الله ، ويتغنى بكراماته، ويسعى إلى تبليغ هذه المعاني بكثافة مع الحفاظ على المقومات التقليدية لعمود الشعر، بموسيقى غنية متنوعة تثبت قدرة الأولياء ، والمدونين على فرض الشعر. وبعد إدماج الكرامات للشعر والنثر ميزة ثقافية تعكس ولع أهل الصحراء بالشعر، وسبب من أسباب استمرار الإقبال عليها عبر الأجيال. كما تعد الصورة شكلا فنيا ظاهريا يمكن أن يعبر عن حقيقة، أو يحاكي صور دارجة سابقة يعاد بناؤها عبر الخيال .

ويكسر التناص الحدود بين النصوص الكرامية، فهي متشابهة متداخلة ، تحيا داخل بعضها تتعالق مضمونا، وشكلا، تؤكد تجذر الفكر الكرامي وتمثلات المسلم للولي، وتؤكد الكرامات بعضها داخل نفس النسق الفكري. فيستمد النص الكرامي الصحراوي قوة تأصيلية وشرعية من النصوص الكرامية القرآنية والحديثية، أو من نصوص مزمنة لنفس الشيخ ، أو لشيوخ آخرين. فالكرامة بذلك تجمع جمال الروح، بجمال النص شعرا، ولسانا، وصورة، ومعجما، فالكرامة نص أدبي يحكي في عمقه قصة الإنسان المتشبت بالبقاء، والجمال، والحياة، حياة مفتوحة وحركة إيجابية ، تتأسس على مدلول العطاء، الذي يصل الحياة والخير قبل القبر وبعده ، فهذه فلسفة الأولياء التي تحمل انتظارات واسعة وعالية تتطلع إلى الحياة لأبدية الخالدة . التي عمل لأجلها أعلى نموذج بشري ألا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، بقربه من الله تعالى . وشيوخ الصحراء ساروا على نفس النهج ، وسعدوا بالكرامات التي تزيدهم

قربا، فصارت بمثابة الهواء، والماء، تفتح آمالا وتضمد آلاما وجراحا، تستبدل القسوة بالجمال والضعف بالقوة، فدلالاتها كثيرة، وظائفها عديدة، خاصة في المجتمع الصحراوي، فمنها الروحية، والنفسية، والدبلوماسية، والأدبية، والصوفية، فالصحراء أرض كرامات، وأرض رجال، وقد عكست الكرامة الصحراوية هذا الأمر، إذ لا يمكن إنكار قوة الحركة الكرامية بالصحراء المغربية، فهي جزء من حركة صوفية لها قوتها في بناء وحدة ثقافية مغربية ومازالت. بفضل رجال الصحراء الذين استمر إشعاعهم بعد وفاتهم من خلال مدوناتهم وتآليفهم الغزيرة إلى اليوم، وتستمر أبعاد ودلالات النصوص باستمرار تدوينها وتلقيها .

فالكرامة إذن باعتبارها نصا أدبيا لا تتطلب منا أكثر من اكتشاف ذاتها المغربية الصحراوية المتكاملة، وقد سمت الكرامة المدروسة بسمات صحراوية خاصة جعلتها أقرب من الصحراء العربية، إذ أرى الانسجام متحققا بين الكرامات الصحراوية والمغربية والعربية. فالكرامة بوظائفها وأبعادها ملأت فراغا في مجال الدراسات الأدبية الصحراوية المغربية العربية بقوة، فهي محملة بمعالم الثقافة المغربية العربية التي دعنتنا لدراستها بقوة، لاستجلاء أحد مواقع جغرافية الأدب الهامة الصامدة والأبدية الحافظة لهويتنا المغربية.

وستظل الكرامة وثيقة الصلة بالحركة الصوفية الممتدة في حاضرنا ، وبممارسات اجتماعية في مزارات الأولياء، ومواسم لها وقتها وطقوسها الخاصة، فتصير محركا اقتصاديا وانعكاسا نفسيا. لذلك تظل موضوعا حيا يحتاج لدراسات كثيرة اقتصادية، ونفسية، واجتماعية تتصل بتداول الكرامات في مختلف المجتمعات العربية، وغير العربية على اختلاف مرجعياتها وعقيدتها.

ومازال الإقبال على مصادر الكرامة الصحراوية، وكشف خصوصياتها مفتوحا، لأن النصوص المغمورة تفتح آفاق البحث فيها، وفي موضوعات أخرى قريبة منها. إذ أرى في هذا البحث البسيط صلة بمشروعات بحثية هامة ممكنة، تتصل بثقافة الصحراء، منها تأليف معجم متخصص بالكرامة الصوفية، يجمع كل المصطلحات الكرامية الصوفية بجميع

مشاربها مما يسهل على المتلقي والدراس الخوض في غمارها ، وتأليف معاجم تراجم الشيوخ الأولياء، والنساء الوليات بالصحراء المغربية أمر مطلوب يبرز معالمها أيضا، كما يمكن توسيع مواضيع هذا البحث لتستوعب شواهد نصية أكثر، وتعمق أكثر ليستقل كل موضوع بذاته، فتنشأ كتبا منفردة، ثم يمكن دراسة الكرامة من خلال ظواهر أدبية بعينها، كظاهرة التناص الكرامي، أو الشعر الكرامي، أو الومضات الكرامية، على اعتبار أن النصوص الكرامية تختلف حجما وتفاوت أدبيا.

كما أن نفض الغبار على مخطوطات الصحراء المهملة، من شأنه استنهاض همم الباحثين، عبر مؤسسات، ومراكز تشتغل على مشاريع كبرى في التحقيق والفهرسة والتصنيف والتراجم، من شأنها تقديم مادة معرفية مائزة، قابلة للدراسة والتحليل، تفتح آفاقا كبرى أمام المغربي لاكتشاف هويته، والحفاظ عليها، وتقوية شخصيته العلمية . فالبحث في الكرامات الصوفية بالصحراء يمكن بلورته، وتطويره، كلما بدت النصوص المغمورة، والأولياء المغمورين، وتجددت آليات التحليل والدراسة به.

مصادر ومراجع البحث

باللغة العربية

القرآن الكريم، رواية ورش.

- الأزدي الفشتالي أحمد بن ابراهيم بن يحيى، بغية المغرب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان، في كرامات الشيخ أبي مروان، تحقيق، فرناندو دي لاكرانجا، منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد 1974.
- الأصفهاني أبو النعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ج 1.
- أنقار محمد، بناء الصورة في الرواية الاستعمارية، بناء المغرب في الرواية الإسبانية، مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى يناير 1994.
- ابن البخاري محمد عبد الله، العمران، تحقيق مريم بنت آده، جامعة نواكشوط 1994.
- ابن ابراهيم العباس، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الاعلام، المطبعة الملكية، الرباط، 1974م.
- البادسي عبد الحق، المقصد الشريف والمنزعة اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطبعة الرباط، 1993.
- ابن البخاري محمد عبد الله، العمران، تحقيق مريم بنت آده، جامعة نواكشوط، 1994.
- بدران أبو الفضل، أدبيات الكرامة الصوفية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ط 1، 2013.
- البرتلي الولاتي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد حجي، محمد ابراهيم الكتاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.

- ❑ **بكار الحسين** ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار الأندلس ، بيروت ، ط 2، 1983.
- ❑ **بلعلي آمنة**، تحليل الخطاب الصوفي، في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط 1، 2010.
- ❑ **بويريك رجال**، بركة النساء، الدين بصيغة المؤنث، رجال بويريك، افريقيا الشرق، 2010.
- ❑ **التبريزي الخطيب**، مشكاة المصابيح، منشورات المكتب الإسلامي، ط 3، 1985.
- ❑ **ابن تجلات**، ائمة العينين، تحقيق رابطة الدين، أطروحة السلك الثالث الرباط، 1986 .
- ❑ **تركي ابراهيم محمد**، التصوف الإسلامي أصوله وتطوراته، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، 2007.
- ❑ **تزفتان تودوروف** ، مدخل إلى الأدب العجائبي ، ترجمة الصديق بوعلام ، مكتبة الأدب المغربي ، الطبعة الأولى ، 1994.
- ❑ **التليدي عبد الله بن عبد القادر**، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، 2003.
- ❑ **التمساني أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان**، المزالبي، المراكشي، مصباح الظلام في في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والنام، تحقيق، حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.
- ❑ **التميمي الفاسي أبي عبد الله محمد** ، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد ، تحقيق محمد الشريف ، تطوان ، 2002.
- ❑ **التيجاني محمد** ، غاية الأمان في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني ، ط2، دار العلم للجميع .

- **الجابري محمد عابد**، نقد العقل العربي، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، دار الطليعة، لبنان، الطبعة العاشرة 2009.
- **الجراري عباس**، ثقافة الصحراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1978.
- **الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف** التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1983.
- **الجنكي بن مايابا**، مجمع البحرين نسخة خاصة من المخطوط من مكتبة الدكتور ماء العينين النعمة علي بتزيت.
- **جمال نصار حسين، ولؤي فتوح**، الباراسيكولوجيا بين المطرقة والسندان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1995.
- **جمال نصار حسين وفتوح لؤي**، الطريق إلى الطريقة، دليل تعريفى بالطريقة العلية القادرية الكسنزانية، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 1، 1997.
- **الجيلاني عبد القادر محي الدين**، قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء، ومعدن الأصفياء، وسلطان الأولياء، محمد بن يحيى التادفي الحلبي، منشورات كتب نادرة.
- **الحكيم سعاد**، المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة، ط 1، دندرة للطباعة والنشر، 1981.
- **الحلبي لمحمد بن يحيى التادفي**، قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء ومعدن الأصفياء وسلطان الأولياء، القطب الرباني الشيخ محي الدين عبد القادرالجيلاني، رضي الله عنه، منشورات كتب نادرة.
- **حمداوي جميل**، بلاغة الصورة الروائية، أو المشروع النقدي العربي، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، مطبعة بني يزناسن، سلا، 2014.

- الحنبلي العليمي عبد الرحمان، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، أبو اليمين، مجير الدين، المتوفى 927هـ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة، منشورات مكتبة دنديس عمان.
- الحوراني عثمان بن أحمد، زيارات الشام المسمى لإشارات إلى أماكن الزيارات، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي مكتبة الغزالي.
- الحيسن ابراهيم، الشفهي والبصري في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، منشورات وزارة الثقافة، دار أبي رقرق للنشر، الرباط.
- ابن خالنا عالي والد، تحقيق الداه بن محمد، كرامات أولياء تشمشة، المدرسة العليا للاساتذة، 1981، نواكشوط.
- ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، تحقيق د علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط 3، القاهرة.
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه الشيخ ابراهيم محمد طلاي، وهو في جزئين، الطبعة الثانية 2007، ج الأول.
- الرازي فخر الدين، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- الزبيدي أحمد بن أحمد الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1992.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دارالعلم للملايين بيروت لبنان الطبعة، 17-2007، ج 7.
- الزهراوي زهراء ناجية، معجم شهيرات المغرب، منشورات المجلس العلمي بمراكش عدد 7، ط 1، 2008.

- ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التصوف الى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، ط 1، 1984م.
- السبتي عبد الأحد، أخبار المناقب ومناقب الأخبار، التاريخ والمناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي -1- ، منشورات عكاظ 1989.
- سعيد زكريا، خرافات لافونتين في الأدب العربي، 1976 مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية.
- السماتي الإشبيلي أبو الأصبغ، مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق محمد يعقوب تركستاني، ط1، 1984.
- السلمالي العباس بن ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب بن منصور، ج 2، ط 2، 1993، المطبعة الملكية، الرباط.
- السوسي محمد المختار، المعسول من أفواه الرجال، مطبعة النجاح البيضاء 1961، مطبعة المهدية تطوان.
- ابن سيد عبد الله محمد محمود، الدر الخالد في معرفة الوالد، تحقيق محمد ولد سيد محمد، جامعة نواكشوط، 1995.
- السيدي محمد رشيد ، الشعر المغربي الصحراوي فيما بين القرنين 10-20، القبيلة السباعية بحوز مراكش أنموذجا ، النادي الأدبي بمراكش ، أفريقيا الشرق ، 2014.
- الشاذلي عبد اللطيف ، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر الهجري ، مطابع سلا ، 1989.
- الشعراني عبد الوهاب، الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، منشورات دار البيروتي، 2010.

- **الشعراني عبد الوهاب بن أحمد**، البحر المورود في المواثيق والعهود، أو العهود الصغرى، تحقيق، محمد الأديب الجادر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011.
- **الشعراني عبد الوهاب بن أحمد**، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المعروف بـ "المنن الكبرى"، تحقيق نسالم مصطفى البدرى، دار الكتب العلمية، 2010.
- **الشفشاوني محمد بن عسكر**، دوحة الناشر بمحاسن من كان بمغرب العاشر، تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي، البيضاء، 2003م.
- **الشنقيطي أحمد بن الأمين**، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً، وعاداتهم وأخلاقهم، وما يتعلق بذلك، ط 4، بعناية فؤاد السيد، مطبعة المدني.
- **شوديكفيتش علي**، الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، ترجمه أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء، ط 1، 1999.
- **الصومعي أحمد التادلي**، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، 1996.
- **الطهطاوي رفاعه** في تخلص الإبريز في تخلص باريز، القاهرة، ط 1990.
- **الظريف محمد**، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية (1800-1956)، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 2002.
- **الظريف محمد**، الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، منشورات مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الطبعة الأولى، 2003.
- **العامري نيللي سلامة**، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفرابي، الطبعة الثانية 2006، تونس.

- ابن عبد الله عبد العزيز، معلمة الصحراء، مطابع سلا، 2004 .
- العجيلي التليبي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939) منشورات كلية الآداب، منوبة، 1992.
- ابن عربي، الفتوحات المكية السفر الأول تحقيق وتقديم، عثمان يحيى، تصدير ومراجعة، د ابراهيم مذكور، المجلس العلمي للثقافة بالتعاون مع معهد الدراسات العليا بالسوريون الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.
- ابن عربي محيي الدين، فصوص الحكم والتعليق عليه، تحقيق نواف الجراح، ط 1، دار صادر، بيروت 2005.
- العربي محمد الفاسي، الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، طبعة حجرية، فاس 1324هـ.
- العربي محمد الفاسي، مرآة المحاسن بأخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية، فاس 1324هـ.
- العزفي أبو العباس، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق، أحمد توفيق، الرباط، 1989.
- ابن عطية علوان علي، نسمات الاسحار في مناقب وكرامات الأولياء الأخيار، شيخ علوان علي بن عطية، تحقيق مزيدي أحمد فريد، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- العلوي محمد بن سيدينا، نزهة المستمع واللافظ في مناقب الشيخ محمد الحافظ، راجعه محمد ولد نبا ولد الطلبة، مركز نيجبويه للمخطوطات وحفظ التراث.
- العلوي سيدي بن الزين، النسب في أخبار الزوايا العرب، تحقيق ودراسة حماه الله ولد السالم، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر الرباط، طبعة 2014.

- العمروي عبد الحي، ممتع الأسماع، محمد المهدي الفاسي، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، دار النجاح الجديدة، البيضاء، 1994 .
- العنقري عبد الله بن عبد العزيز، كرامات الأولياء دراسة عقديّة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، دار التوحيد للنشر، ط 1، 2012.
- الغافقي أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، ظل الغمامة وطوق الإمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم من صحابته رضوان الله عليهم بالكرامة وأهلهم بشهادته الصادقة دار المقامة من الخلفاء السابقين وسائر العشرة، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 10904.
- الغزي نجم الدين محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب المنصورة، 1997م.
- الغلاوي النابغة، النجم الثاقب في بعض ما لليدالي من المناقب، تحقيق محمذن بن باباه، المعهد التربوي الوطني، نواكشوط 1994.
- الغماري الحافظ عبد الله الصديق، الحجج البينات في إثبات الكرامات، حققه وقدمه الشيخ طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، ط 2013.
- الفاسي التميمي أبي عبد الله محمد، المستفاد في مناقب العباد وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، تطوان، 2002.
- الفاسي محمد المهدي، ممتع الأسماع، تحقيق وتعليق عبد الحي العمروي، وعبد الكريم مراد، دار النجاح الجديدة، البيضاء، 1994.
- فاضل بن الحبيب اليعقوبي محمد، الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد فاضل بن محمد الأمين، مخطوط بالمكتبة الوطنية رقم د1067.
- فضالة صالح حسن، كرامات مغربية بعيون مشرقية، ندى كوم، ط 1، 2005.

- ❑ الفيروزبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت.
- ❑ القاسمي الحسني عبد المنعم، المؤلفات الصوفية في الجزائر، تقديم عمارة جیدل، دار الخلي لنشر والتوزيع بوسعادة الجزائر، ط 1، 2005.
- ❑ قبلي محمد، نحو مضمرات التشوف التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط 1، منشورات عكاظ.
- ❑ ابن قسي أحمد، خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين، تحقيق محمد الأمراني، ط 1، 1997، IMBH، آسفي.
- ❑ القشيري عبد الكريم، الرسالة القشيرية، تحقيق، د نعبد الحليم محمود، ود محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة.
- ❑ الكميلي عبد القادر، المواهب العنيدية في المناقب الحمديّة، توجد نسخة منه في خزانة.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، الإرشاد في الهداية إلى السداد وحسن الإعتقاد، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 935 ك.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، أوثق عرى الإعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 1855 د.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، جذوة الأنوار في الذب عن مناصب أولياء الله الأخيار، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 2579 ك.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، الجرعة الصافية والنفحة الكافية، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط، رقم 360 د، 2578 ك.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، جنة المرید دون المرید، تحقيق محمد المهداوي، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الإمام الجنيد ط 1، 2012.
- ❑ الكنتي محمد بن المختار، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماء الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الافريقية الرباط، 2003.

- **الكني محمد بن المختار**، الطرائف التالدة، في كرامات الشيخين الوالد والوالدة مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 690 .
- **كليبو عبد الفتاح**، الأدب والغرابية، دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر ط6، 2009.
- **اللاكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري** كرامات أولياء الله عز وجل، ط1 2016، مطبعة طوب بريس الرباط، من منشورات جامعة محمد الخامس الرباط، كلية علوم التربية.
- **ماء العينين شبيها حمداتي**، الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1995.
- **ماء العينين بن العتيق** ، الرحلة المعينية، تحقيق محمد الظريف ، ط1، المعارف الجديدة ، الرباط ، 1998
- **ماء العينين ابن العتيق**، سحر البيان في شمائل شيخنا ماء العينين الحسان، مخطوط، من خزانة د محمد الظريف الخاصة.
- **ماء العينين محمد فاضل بن مامين**، نعت البدايات وتوصيف النهايات، ، المكتبة الأزهرية للتراث، 2014.
- **ماء العينين ابن فاضل**، الرسالة الحجازية، تحقيق ماء العينين مرييه ربه، منشورات مؤسسة الشيخ مرييه ربه لاهياء التراث والتنمية، ط1، المعارف الجديدة، الرباط.
- **ماء العينين مرييه ربه** ، قرة العينين بكرامات الشيخ ماء العينين ، مخطوط خزانة علي مرييه ربه بطنطان ، نسخة خاصة .
- **الماجيري أحمد بن ابراهيم**، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح تحقيق؛ ذعبد السلام السعيدي، طبع دار أبي رقرق 2013.
- **ابن ماه ابويا** ، القبس الثاقب في بعض ما لابن ألما من المناقب

- ❑ **بن المختار ميلود خي** ، عيون الإصابة ، تحقيق محمد بن محمد فال ، جامعة نواكشوط .
- ❑ **مصطفى ابراهيم وحسن أحمد**، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دارالدعوة، تركيا ط2.
- ❑ **مغنية محمد جمال**، معالم الفلسفة الإسلامية نظرات في التصوف والكرامات، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الثالثة 1986 م.
- ❑ **مفتاح محمد**، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناس، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية 1986.
- ❑ **مفتاح محمد**، التلقي والتأويل، مقارنة نسقية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1994م.
- ❑ **المقري أحمد بن محمد**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1997.
- ❑ **المكناسي أحمد بن القاضي**، جذوة الإقتباس من ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والوراقة، الرباط 1973.
- ❑ **المنأوي زين الدين محمد عبد الرؤوف**، إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمان، الطبقات الصغرى، تحقيق، محمد أديب الجادر، دار صادر بيروت.
- ❑ **المنأوي زين الدين محمد عبد الرؤوف**، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق وإعداد محمد الأديب الجادر، دار صادر.
- ❑ **ابن المختار خي ميلود**، عيون الإصابة، تحقيق محمد بن محمد فال، جامعة نواكشوط.
- ❑ **ابن منصور عبد الوهاب**، حفريات صحراوية مغربية، المطبعة الملكية، بالرباط، 1975 .

- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج 15.
- ابن منقذ أسامة، الاعتبار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.
- الناصري محمد مكي، الدرر المرصعة، تحقيق محمد النوحى رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا الرباط 1988، ج1.
- ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفي، المكونات والوظائف والبنىات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2003.
- النههاني يوسف بن اسماعيل، جامع كرامات الأولياء المكتبة العصرية بيروت، 2005 .
- النهوي الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987.
- ولد الحسن أحمد، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر، مساهمة في وصف الأساليب، نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الطبعة الأولى 1996.
- ولد عبد الله عبد الودود، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن 12هـ (18م)، عبد الودود ولد عبد الله (ددو)، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط 2015 .
- ولد عبد الله العتيق أحمد بابا، تاريخ حياة الشرفاء أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم، نواكشوط، ط 2، 2008.
- اليافعي عبد الله بن أسعد، روض الرياحين في حكايات الصالحين المعروف ب "نزهة العيون النواظر"، المطبعة الميمنية، 1906 .
- اليدالي محمد بن سعيد، أمر الولي، تحقيق محمذن بن باباه، ضمن مجموع، نصوص من التاريخ الموريتاني، تونس 1990.

- **اليدالي محمد بن سعيد**، شيم الزوايا، تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه، سلسلة المكتبة الثقافية المغاربية، منشورات بيت الحكمة، 1990م.
- **يزاده طاشكير**، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليّه "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم" تأليف، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .
- **يقطين سعيد**، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1997.
- **يقطين سعيد** ، انفتاح النص الروائي النص وسياقه ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - الدار البيضاء ، ط.1، 1989.

الرسائل الجامعية

- ❑ **بلعمش الغالية**، قضايا من تاريخ المرأة الصحراوية، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الانسانية ابن زهر اكادير، شعبة التاريخ، إشراف المازوني محمد، 2010.
- ❑ **ابن تجلات**، إثم العينين، تحقيق رابطة الدين، أطروحة السلك الثالث الرباط، 1985 - 1986 .
- ❑ **بن المام عزيز**، موسوعة الأمثال الحسانية ، مطبعة أطلس 1998.
- ❑ **المحبوب محمذن بن أحمد**، أدب المناقب والكرامات في بلاد شنقيط خلال القرنين 13 و14هـ، قراءة مدونات القول وخوارق القول، رسالة جامعية، جامعة وهران، كلية اللغات والآداب والفنون، سنة 2002.
- ❑ **مفتاح محمد**، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8هـ، 14م، أطروحة دولة، 1981.
- ❑ **الناصرى محمد المكي**، الدرر المرصعة، تحقيق محمد النوحى رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا الرباط 1988.
- ❑ **نعائم محمد**، السلفية والتصوف الطريقي في المغرب في منتصف ق 19 إلى ق 20، رسالة دكتوراه، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة 2012.
- ❑ **الولاتي المحجوبي الطالب بكر بن أحمد المصطفى**، فتح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور تحقيق محمد الأمين أطروحة بكلية الآداب نواكشوط، قسم التاريخ 1993.

المقالات

- **بيير مارك دو بيازي** ، نظرية التناص ، تعريب المختار الحسني ، مجلة فكر ونقد ، عدد 28 ، أبريل 2000.
- **حميد لحميداني** ، التناص وإنتاجية المعنى ، علامات في النقد 2001.
- **رضا عامر**، الصحراء مصدر إبداع التراث الشفوي الشعبي ، مجلة أصوات الشمال ، مارس 2011.
- **مفتاح محمد**، الواقع والعالم الممكن في المناقب الصوفية، التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطبعة عكاظ، الرباط 1989.
- **المنوني محمد** ، تقديم التاريخ وأدب المناقب ، منشورات الجمعية المغربية للبحث العلمي ، 1. منشورات عكاظ ، 1989.
- **ناجي عمر**، التراث الثقافي للصحراء والتنمية أية علاقة، ثقافة الصحراء في الكتابات الكولونيالية ، رؤى ومقاربات، العدد الأول -خريف .

باللغة الفرنسية

- ❑ ECO UMBERTO, la structure absente, introduction à la recherche sémiotique, Mercure de France, Paris, 1972.
- ❑ Genette Gerard, Palimpsestes, la littérature au second degré, édition du Seuil, Paris, 1982.
- ❑ GREMAS AJ et autre, sémiotique narrative et textuelle, Larousse, Paris, 1973.
- ❑ Jauss H.R. pour une esthétique de la réception, éd. Gallimard. Paris. 1978.
- ❑ Maingueneau Dominique, pragmatique, pour le discours littéraire, Bordas, Paris, 1990.
- ❑ Orecchioni Catherine Kerbrat, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, ed, Armand Colin, Paris, 1980.
- ❑ WELLEK(R) & Austin (W), Théorie de la littérature, ed, Seuil, Paris, 1980.
- ❑ Wolfgang Iser, l'acte de lecture, théorie de l'effet esthétique, Mergada éditeur.

فهرس المحتويات

1.....مقدمة عامة

القسم الأول

الكرامة الصوفية؛ مفاهيم وتجليات

الباب الأول

الكرامة الصوفية

مفاهيمها وأنواعها، وتاريخها وجغرافيتها

9.....**الفصل الأول: مفاهيم كرامية**

10.....أولا – مفهوم الكرامة.

15.....ثانيا الكرامة والمعجزة.

19.....ثالثا الصالح والولي.

29.....رابعاإنكار الكرامة والولاية.

30.....**الفصل الثاني: أنواع الكرامة**

34.....أولا – حسب الموضوع.

36.....ثانيا-الحسية والمعنوية.

39.....ثالثا-حسب الشاهد.

40.....رابعا حسب الحروف.

41.....خامسا – أنواع متفرقة.

58.....**الفصل الثالث : تاريخ الكرامة**

64.....أولا- قبل الإسلام.

66.....ثانيا- في حياة الرسول.

71.....ثالثا- مع التابعين.

75.....رابعا- في الحاضر والمستقبل.

78.....**الفصل الرابع: الكرامة والمكان**

78.....أولا – في المشرق.

82.....ثانيا – في الأندلس.

- 83..... ثالثا- في المغرب العربي
- 85..... أ- في تونس
- 86..... ب- في الجزائر
- 88..... ج - في المغرب الأقصى

الباب الثاني :

الكرامة الصوفية الصحراوية المغربية

تدوينها ، مدوناتها، شيوخها

- 99..... **الفصل الأول : تدوين الكرامة الصحراوية**
- 103..... أولا - تدوين التراث
- 114..... ثانيا- أسانيد الكرامة الصحراوية
- 122..... ثالثا- جمهور الكرامة الصحراوية
- 125..... **الفصل الثاني : المدونات الصحراوية المغربية**
- 125..... أولا- مرحلة التأسيس
- 128..... ثانيا - مرحلة التطور
- 138..... ثالثا- مرحلة الإشعاع
- 149..... **الفصل الثالث: أولياء الكرامة الصحراوية**
- 149..... أولا- القرن 10
- 154..... ثانيا - ق 11
- 157..... ثالثا - ق 12
- 163..... رابعا- ق 13
- 167..... خامسا- ق 14

القسم الثاني

تحليل نماذج من نصوص الكرامات الأدبية الصوفية الصحراوية المغربية

الباب الأول

أدبية الكرامة وحكايتها

182.....	الفصل الأول: أدبية الكرامة الصوفية
182.....	أولا-الكرامة والنص
183.....	ثانيا- الكرامة والأدب
188.....	ثالثا- الكرامة والنوع الأدبي
195.....	رابعا - الكرامة وإسناد الخطاب
197.....	الفصل الثاني: الوظائف الكرامية
199.....	أولا - النأي
203.....	ثانيا- المنع
206.....	ثالثا- إساءة
214.....	الفصل الثالث: العوامل الكرامية
215.....	أولا - أنواع الشخصيات الكرامية
234.....	ثانيا البنية العاملة
236.....	ثالثا- الفاعل المركزي
240.....	الفصل الرابع :الفضاءات الكرامية
240.....	أولا- أنواع الفضاء
249	ثانيا- فضاءات الرحلة
251	ثالثا - فضاءات التواصل
252.....	رابعا - تحولات الفضاء
254.....	الفصل الخامس : الزمن الكرامي
254.....	أولا- الزمن السردي
258.....	ثانيا- الزمن الخارجي
260.....	ثالثا- الزمن النفسي

الباب الثاني

فنية الكرامة الأدبية الصوفية الصحراوية المغربية

263.....	الفصل الأول: الشعر الكرامي
264.....	أولا - معانيه وأغراضه
274.....	ثانيا - البناء الهيكلي
276.....	ثالثا- موسيقى الشعر الكرامي
281.....	الفصل الثاني: الصورة الكرامية
283	أولا- موضوع الصورة
296.....	ثانيا- مميزات الصورة الكرامية
304	ثالثا- تحليل نماذج من الصور الكرامية
305.....	الفصل الثالث: التناص الكرامي
306.....	أولا- تناص الكرامة مع القرآن
308.....	ثانيا - تناص الكرامة مع الحديث
314.....	ثالثا- تناص الكرامة مع كرامات السلف
317.....	رابعا - تناص بين كرامات شيوخ الصحراء
319.....	خامسا- تناص بين كرامات نفس الشيخ
321.....	خاتمة
327.....	فهرس المصادر والمراجع
343.....	فهرس المحتويات